



رسائل إلى السبيل



أبو عمار



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رسائل إلى الشباب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ١٦٤٨٦/٢٠١٠

الترقيم الدولي: 4 - 157 - 429 - 977 - 978

دار التقوى

للطبوع والنشر والتوزيع

الإدارة: ٤٤٧١٥٥٠٦ - ٠١٠١٦٦٨٠٦٧

١٥ ش ١٥ مايو - شبرا الخيمة

٠١٠١٥٩٢٢٧١ / م - ٤٤٧١٥٥٠٦ - ف / ت

٥ ش ابن البيطار خلف الجامع الأزهر

٢٥١٤١٧٠٤ / ت

موقعنا على الإنترنت:

www-daraltakoa.com

E-mail: webmaster@daraltakoa.com

التوزيع

القائمين - شبرا الخيمة: ٤٤٧٣١٨٢٤

المدينة المنورة - مدينة نصر: ٢٢٧٥٥٣٠٤

مكتبة الشامي - بالإسكندرية: ٠٣٤٩٦٠٦٢٠

رسائل إلى الشباب

فضيلة الشيخ

مكي المصري

أبو عمار

دار التقوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التوبة يا شباب

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).
 أما بعد :

أخي الحبيب: ها هي رسالتي القصيرة وكلماتي القليلة تخرج من قلب يحبك في الله راجياً لك كل خير في الدنيا والآخرة ناصحاً لنفسى ولنفسى - فأنت عندي بمنزلة نفسى - لعل الله أن ينفعنى وإياك بتلك الكلمات فيكون موعدنا على الحوض لنشرب سوياً من يد الحبيب محمد ﷺ شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً.

أخي الحبيب: إنك على يقين من أن حياتك ستنتهى وأنتك سترحل عن

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

هذه الدنيا ولكن إلى أين الرحيل؟ إن كنت تريد الجنة فلماذا لا تتوب وتُسرع الخطأ إلى طاعة علام الغيوب .. قال ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»^(١).

أخي: لا تتردد في التوبة فلعلها تكون آخر ساعة في عمرك فتلقى الله على تلك التوبة.

قال سعيد بن المسيب: أنزل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا﴾^(٢) في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب.

وقال بعضهم: إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادماً حتى يدخل الجنة فيقول إبليس: ليتني لم أوقعه في الذنب.

ويروى أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألمَّ به هل له من توبة؟ فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان؛ فقال له: إن للجنة ثمانية أبواب كلها تُفتح وتغلق إلا باب التوبة، فإن عليه ملكاً موكلاً به لا يُغلق فاعمل ولا تيأس.

قال عمر رضي الله عنه: اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرقُّ أفئدة.

ويروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة، ثم نظر في المرأة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال: إلهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك أتقبلني؟ فسمع قائلاً يقول (ولا يرى شخصاً): أحببتنا فأحبيناك، وتركنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلتناك، وإن رجعت إلينا قبلناك^(٣).

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألباني

رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٢٢).

* أدلج: سار من أول الليل - والمراد التشمير في الطاعة.

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٢٥).

(٣) الإحياء / للإمام الغزالي (٢١/٤).

فأسأل الله أن يرزقني وإياك توبة تُقربنا من رحمته وجنته ورضوانه وأن يتوب علينا لتتوب وأن يثبت قلوبنا على التوبة.
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

نبيّ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم

أخى الحبيب: هل تدبرت هذه الآية ولو مرة واحدة. أما علمت أن مغفرة الذنوب صفة من صفات الله وهى رحمة من الله يسوقها إلى عباده . قال تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴾ (٢) .

فهو غفور لمن تاب إليه . . ودودٌ يتودد إلى عباده وهو غنى عنهم . قال تعالى فى الحديث القدسى: «يا عبادى! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفرونى أغفر لكم، يا عبادى! إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً، يا عبادى! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ..» (٣) .

توبة العبد محضوفة بتوبتين من الله (عز وجل)

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴾ (٤) .

وقال ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» (٥) .

(١) سورة غافر: الآية: (٣) .

(٢) سورة البروج: الآية: (١٤) .

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب .

(٤) سورة النساء: الآية: (٢٧) .

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة .

وقال تعالى: «يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفرونى أغفر لكم»^(١).

وقال تعالى: «يا ابن آدم إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى، وإن ذكرتنى فى ملاء ذكرتك فى ملاء خير منهم، وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعاً، وإن دنوت منى ذراعاً دنوت منك باعاً، وإن أتيتنى تمشى أتيت إليك أهرولاً»^(٢).

فيا لها من رحمة من الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شىء . . فتوبة العبد إلى الله عز وجل محفوفة بتوبتين من الله عز وجل: توبة قبلها، وتوبة بعدها. الأولى: إذن وتوفيق، والثانية: قبول وإثابة.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣)، فأخبر الله عز وجل أن توبته عليهم سبقت توبتهم. وأنها هى التى جعلتهم تائبين، فكانت سبباً مقتضياً لتوبتهم، وهذا القدر من سر اسميه «الأول والآخر» فهو المبدأ والممد، ومنه السبب والمسبب، والعبد ثواب والرب ثواب، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الرب نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإثابة.

والتوبة لها مبدأ ومنتهى، فمبدؤها الرجوع إلى الله عز وجل، بسلوك صراطه المستقيم الذى أمر بسلوكه بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤)، ونهايتها الرجوع إليه فى الميعاد، وسلوك صراطه الذى نصبه موصلاً إلى جنته، فمن رجع إلى الله

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١١٩٩٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٣٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١١٨).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

فى هذه الدار بالتوبة، رجع إليه فى المعاد بالثواب، ... قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (١).

الله يفرح بتوبتك

يا لها من كلمات تجعل شمس التوبة تضيء القلب وتسير الصدر بنور الحق الذى جاء به النبى ﷺ من عند الحق - جل جلاله - .

قال ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال - من شدة الفرح - اللهم أنت عبدى وأنا ربك... أخطأ من شدة الفرح» (٢).

وقال الله جل وعلا: «يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى... يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى... يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الأرض خطايا - أى بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا - ثم لقيتني لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» (٣).

كتب الله الرحمة بيده ليدل على عظم المغفرة

إن الله خلق الكائنات بكن فيكون، إلا أشياء؛ لشرفها وكرامتها على الله، خلقها بيده، وكتب أشياء لكرامتها عليه بيده، فخلق آدم بيده، وخلق

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٤٤) كتاب التوبة.

(٣) حسن: رواه الترمذى (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٣٨).

جنة عدن بيده، وكتب التوراة لموسى بيده، وكتب كتاب الرحمة بيده. فما أعظم كرم الرحمن.

قال رسول الله ﷺ: «كتب ربكم على نفسه بيده، قبل أن يخلق الخلق: رحمتي سبقت غضبي» (١).

وقال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق، كتب فى كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي» (٢).

والمغفرة رحمة: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤)(٥).

تيسير التوبة لأمة الحبيب ﷺ

أحمد الله يا أخى على أنك من أمة الحبيب ﷺ فلقد يسر الله التوبة لأمته ﷺ فجعل مجرد الندم توبة مقبولة .. قال ﷺ: «الندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» (٦) ... بل جعل الله التوبة سبباً فى تبديل السيئات إلى حسنات فقال (جل وعلا): ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧).

(١) صحيح: رواه بهذا اللفظ ابن ماجه (١٨٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٧٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٥١) كتاب التوبة.

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٤) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٥) البحار الذخرة فى أسباب المغفرة / د. سيد حسين (ص: ٢٢).

(٦) حسن: رواه الطبرانى (٣٠٦/٢٢)، رقم (٧٧٥)، وأبو نعيم فى الحلية (٣٩٨/١٠)، وحسنه العلامة

الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٨٠٣).

(٧) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

وتدبر معى كيف كانت توبة الله (جل وعلا) على بنى إسرائيل .
 قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ
 فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ
 التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

قال الإمام ابن كثير فى تفسيره:

«هذه صفة توبته تعالى على بنى إسرائيل من عبادة العجل . . عن ابن عباس، قال: قال الله تعالى: إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقى من ولد ووالد، فيقتله بالسيف ولا يبالى من قتل فى ذلك الموطن .
 وعن ابن عباس أيضاً قال: أمر موسى قومه - من أمر ربه عز وجل - أن يقتلوا أنفسهم، واحتبى الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، فأخذوا الخناجر من أيديهم، وأصابتهم ظلة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضاً، فأنجلت الظلة عنهم، وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قُتل منهم كانت له توبة، وكل من بقى كانت له توبة» (٢).



(١) سورة البقرة: الآية: (٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٣١).

مثل هذا اليوم فأعدوا

أخى الحبيب: لو أنك تملك الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل ثم جاء اليوم الذى ستدخل فيه قبرك فهل تعدل الدنيا كلها أول ليلة فى هذا القبر؟

هل تفكرت أخى الحبيب كيف سيكون حالك فى هذا القبر الموحش؟ قال عليه السلام يوماً لأصحابه: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر»^(١).

* بل تدبر معى هذا المشهد المهيّب .

فعن البراء رضي الله عنه أنه قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بصر بجماعة فقال: «علام اجتمع هؤلاء؟» فقليل: على قبر يحفرونه، ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبدر بين يدى أصحابه مسرعاً، حتى انتهى إلى القبر، فجثا على ركبتيه، فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع؟ فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: «أى إخوانى، مثل هذا اليوم فأعدوا»^(٢).

دع عنك ما قد فات فى زمن الصبا

واذكر ذنوبك وابكها يا مذنّب

لم ينسه الملكان حين نسيته

بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعب

والروح منك وديعة أودعتها

ستردها بالرغم منك وتسلّب

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤١٩٥) كتاب الزهد، مختصراً، وأحمد (١٨١٢٧) أول مسند الكوفيين،

وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٥١).

وغرور دنياك التي تسعى لها
دار حقيقتها متاعٌ يذهبُ
الليل فاعلم والنهار كلاهما
أنفاسنا فيهما تُعد وتُحسبُ

لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً

* عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، أظن السماء وحق لها أن تظن، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفراش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى»^(١).

* هل رأيت جنازة محمولة على الأعناق؟ هل تعلم أنك ستكون مكان هذا الرجل في يوم من الأيام؟ فيا ترى كيف سيكون حالك؟
قال ﷺ: «إذا وُضعت الجنازة، واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»^(٢).

* بل هل تفكرت في مشاهد الآخرة لتكون لك حادياً إلى التوبة والعودة إلى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن - إسرافيل - قد التقم القرن؟ وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ»، فقال أصحابه: كيف نقول: قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»^(٣).

(١) حسن: رواه الترمذی (٢٣١٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٠٠٥)

مسند الأنصار رحمه الله، وحسنه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٢) صحيح: رواه البخاری (١٣١٤) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه الترمذی (٢٤٣١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (١٠٦٥٥) باقى مسند

المكثرين، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٤٥٩٢).

وقال ﷺ : «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إجماعاً»^(١).

وقال ﷺ : «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله - عز وجل - يوم القيامة»^(٢).

وقال ﷺ : «إذا صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار جيء بالموت، حتى يوقف بين الجنة والنار. ثم يُذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»^(٣).

حملة العرش يستغفرون لك أيها الحبيب

بل إن حملة العرش يستغفرون لك أيها الأخ الحبيب .. فهل عرفت قدرك في ظل هذا الدين؟
إنك تستمد عزك ومكانتك من طاعتك للملك (جل وعلا) الذي يُسخرُ لك الكون كله من أجلك.

فها هم حملة العرش يستغفرون لك .. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٤).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٧٩) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٨٦٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٨) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) سورة غافر: الآية: (٧).

بل ها هو الكون كله يدعو لك إذا انشغلت بالدعوة إلى الله .
قال ﷺ : «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على مُعلم الناس الخير»^(١).

النبي ﷺ خباً دعوته شفاعته لأُمته

أما علمت أخى الحبيب أن النبي ﷺ خباً دعوته ليشفع للعصاة من أُمته يوم القيامة .

قال ﷺ : «لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وإنى اختبأت دعوتى»، وفى رواية : «وأريد أن أختبئ دعوتى شفاعته لأمتى فى الآخرة»، وفى رواية : «فتعجل كل نبى دعوته»، وزاد فى رواية : «فهى نائلة من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً»^(٢).

وقال ﷺ : «أتانى آت من عند ربى، خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعه، فاخترت الشفاعه، وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئاً»^(٣).
فالحبيب ﷺ يفضل مغفرة الله (جل وعلا) للأمة المحمدية على دخول نصف أُمته الجنة . . وهذا هو القدر الحقيقى للتوبة ومغفرة الذنوب .

خوف الصحابة ﷺ

ومن تأمل أحوال الصحابة ﷺ وجدهم فى غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن، فهذا الصديق ﷺ يقول: وددت أنى شعرة فى جنب عبد مؤمن . . بل كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد .

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٨٥) كتاب العلم، والدارمى (٢٨٩) فى مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٤) كتاب الدعوات، ومسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٤١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٣١٧) كتاب الزهد، وأحمد (٢٣٤٥٧) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦).

وكان يبكى كثيراً ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، . . . وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله - عز وجل - . . . وأتى بطائر، فأخذه فقلبه ثم قال: ما صيد من صيد، ولا قُطعت من شجرة إلا بما ضيعت من التسييح، فلما احتضر قال لعائشة: يا بنية إنى أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذا الحلاب وهذا العبد، فأسرعى به إلى ابن الخطاب، وقال: والله لوددت أنى كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد.

وقال قتادة: بلغنى أن أبا بكر قال: ليتنى خضرة تأكلنى الدواب. وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾^(١) فبكى واشتد بكاءؤه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو فى الموت: ويحك ضع خدى على الأرض، عساه أن يرحمنى ثم قال: بل ويل أمى، إن لم يغفر الله لى، (ثلاثاً) ثم قضى - مات - وكان يمر بالآية فى ورده بالليل فتخيفه، فيبقى فى البيت أياماً يُعاد، يحسبونه مريضاً، وكان فى وجهه رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء.

وقال له ابن عباس: مصرَّ الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل، فقال: وددت أنى أنجو لا أجر ولا وزر.

وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه كان يقول: إن أشد ما أخاف على نفسى يوم القيامة أن يقال لى: يا أبا الدرداء، قد علمت، فماذا عملت فيما علمت؟ وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شرباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددت أنى شجرة تُعضد ثم تؤكل.

وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنه أسفل عينيه مثل الشراك البالى من الدموع.

وكان أبو ذر يقول: يا ليتني كنت شجرة تُعضد، ووددت أنى لم أُخلق، .. وعُرضت عليه النفقة فقال: عندنا عنز نحلبها وحُمُر ننقل عليها ومحرر يخدمنا، وفضل عبادة، وإنى أخاف الحساب فيها.

وقرأ تميم الدارى ليلة سورة الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (١). جعل يرددّها ويبيكى حتى أصبح.

وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة: أنشدك الله هل سمانى لك رسول الله ﷺ، يعنى فى المنافقين؟ فيقول: لا. ولا أزكى بعدك أحداً (٢).

أصحاب الأنبياء يسألون المغفرة

وأيّن نحن - أخى الحبيب - من أصحاب الأنبياء - صلوات ربى وسلامه عليهم - وعلى الرغم من ذلك فلقد كانوا يحرصون كل الحرص على التوبة. وطلب المغفرة من الغفور الرحيم.

قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٣).

وقال تعالى عن إبراهيم (عليه السلام) والذين آمنوا معه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤).

وقال تعالى عن قوم موسى (عليه السلام): ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا

(١) سورة الجاثية: الآية: (٢١).

(٢) الداء والدواء/ للإمام ابن القيم (ص: ٤٧ - ٥٠) بتصرف.

(٣) سورة آل عمران: الآيتان: (١٤٦، ١٤٧).

(٤) سورة الممتحنة: الآية: (٥).

أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لئن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾
 وقال تعالى فى شأن المهاجرين: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ
 لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
 رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

النبي ﷺ يتوب فى اليوم مائة مرة وأنت لا تتوب مرة!!

* عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «والله
 إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة» (٣).
 * وعن الأغر بن يسار المزنى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها
 الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة» (٤).
 أخى الحبيب: النبى ﷺ يتوب فى اليوم الواحد مائة مرة .. وأنت لا
 تتوب ولو مرة واحدة .. وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
 وعلى الرغم من ذلك يتوب فى اليوم مائة مرة ويقوم الليل حتى تنفطر
 قدماه .
 فأين أنت أخى الحبيب من هدى النبى ﷺ ؟ .

اللهم إنك عضو تحب العفو فاعف عنا

وها هو دعاء المؤمنين فى أعظم ليلة من ليالى العمر - ليلة القدر -
 يدور حول طلب العفو والمغفرة وذلك لنعرف قدر التوبة ونعيم المغفرة .
 عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قلت: يا رسول الله، أ رأيت إن علمت أى

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٤٩).

(٢) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٧) كتاب الدعوات.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولى: اللهم إنك عفوٌ تحبُّ العفو فاعفُ عني»^(١).

كيف يجتمع اليقين بالمعاد والتخلف عن العمل

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - :

فإن قلت: كيف يجتمع التصديق الجازم الذى لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل؟

قيل: هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد على أكثر الخلق، فاجتماع هذين الأمرين من أعجب الأشياء، وهذا التخلف له عدة أسباب: أحدها: ضعف العلم ونقصان اليقين، . . ومن ظن أن العلم لا يتفاوت فقله من أفسد الأقوال وأبطلها.

وقد سأل إبراهيم الخليل ربه أن يريه إحياء الموتى عياناً بعد علمه بقدرة الرب على ذلك، ليزداد طمأنينة ويصير المعلوم غيباً شهادة. وقد قال ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»^(٢).

فإذا اجتمع إلى العلم عدم استحضاره، أو غيبته عن القلب فى كثير من أوقاته أو أكثرها، لاشتغاله بما يضاده، وانضم إلى ذلك تقاضى الطبع، وغلبات الهوى، واستيلاء الشهوة وتسويل النفس وغرور الشيطان، واستبطاء الوعد، وطول الأمل ورقدة الغفلة، وحب العاجلة، ورخص التأويل، وإلف العوائد فهناك لا يمسك الإيمان إلا الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا، وبهذا السبب يتفاوت الناس فى الإيمان والأعمال، حتى ينتهى إلى أدنى مثقال ذرة فى القلب.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٥١٣) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٥٠) كتاب الدعاء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٢٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٤٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٧٣).

وجماع هذه الأسباب يرجع إلى ضعف البصيرة والصبر، ولهذا مدح الله سبحانه أهل الصبر واليقين، وجعلهم أئمة الدين فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (١)(٢).

الفرق بين حسن الظن والغرور

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

قد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور، وأن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي، فهو غرور. وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاءه هادياً له إلى الطاعة زاجراً له عن المعصية، فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء، ورجاءه بطالة وتفريطاً، فهو المغرور.

ولو أن رجلاً كانت له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يبذر، ولم يحراثها، وحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها ما يأتي من غير حرث ولا بذر ولا سقى، ولا تعاهد الأرض، لعدّه الناس من أسفه السفهاء، وكذلك لو حسن ظنه وقوى رجاءه بأن يجيئه ولد من غير جماع، أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب للعلم وحرص تام عليه، وأمثال ذلك.

فكذلك من حسن ظنه وقوى رجاءه في الفوز بالدرجات العلا والنعيم المقيم من غير تقرب إلى الله تعالى بامتنال أو امره، واجتناب نواهيه، وبالله التوفيق (٣).

أيا عبدكم يراك الله عاصياً

حريصاً على الدنيا وللموت ناسياً

(١) سورة السجدة: الآية: (٢٤).

(٢) الداء والدواء / للإمام ابن القيم (ص: ٤٤، ٤٥) بتصرف.

(٣) الداء والدواء (ص: ٤٥).

أنسيت لقاء الله واللحد والثرى
ويومًا عبوسًا تشيب فيه النواصيا
لو أن المرء لم يلبس ثيابًا من التُّقَى
تجرد عريانًا ولو كان كاسيا
ولو أن الدنيا تدوم لأهلها
لكان رسول الله حيًّا وباقيًا
لكنها تفنى ويفنى نعيمها
وتبقى الذنوب والمعاصي كما هي

إياك والمعصية

عن معاذ قال: أوصاني رسول الله ﷺ فقال: «لا تشرك بالله شيئًا، وإن قُتلت أو حُرقت، ولا تعقن والديك، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن خمرًا، فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حلَّ سخط الله»^(١).

قال أبو الوفاء بن عقيل: احذره ولا تغتر به، فإنه قطع اليد في ثلاثة دراهم، وجلّد الحد في مثل رأس الإبرة من الخمر، وقد دخلت امرأة النار في هرة، واشتعلت الشملة نارًا على من غلّها، وقد قُتل شهيدًا.

* أما علمت - أخى الحبيب - أنك ستُسأل عن كل لحظة من عمرك وستبكي الدماء بدل الدموع على كل لحظة ضاعت في غير طاعة الله (جل وعلا).

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (٢١٥٧٠) مسند الأنصار رحمهم الله، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٥٧٠)، وقال: حسن لغيره.

* عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(١).

* وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»^(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال: «هل تدرون ما هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها، فسمعتهم وجبتها»^(٣).

الحجر يصل إلى قعر النار بعد سبعين سنة!!!. تالله لو كان الهبوط في الماء أو الهواء لمات الإنسان من هول الهبوط فكيف إذا كان الهبوط في دركات جهنم.. فاتق الله يا أخى واتق النار ولو بشق تمرة وإذا وقعت في معصية فبادر إلى التوبة واعلم أنك غير معصوم - فالعصمة دُفنت يوم أن دُفن الحبيب محمد ﷺ - ولكن احذر من الإصرار على المعصية.. وتوجه إلى الله (جل وعلا) وتذل إليه ليثبت أقدامك على طاعته وقُل بلسان الحال والمقال.

بك أستجير ومن يُجير سواك

فأجر ضعيفًا يحتمى بحماكَ

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والدارمى (٥٣٧) فى مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٠٠).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥١٢) كتاب التوحيد، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

إنني ضعيف أستعين على قوى
 ذنبي ومعصيتي ببعض قواك
 أذنبت يا رب وأذنتني ذنوبٌ
 مالهها من غافر إلاك
 دنيايا غرتني وعفوك شدني
 ما حيلتي في هذه أو ذاك
 رباه قلب تائب ناجاك
 أترده وترد صادق توبتي
 حاشاك ترفض تائبًا حاشاك
 فليرض عني الناس أو فليسخطوا
 أنا لم أعد أسعى لغير رضاك

كلا لا تطعه واسجد واقترب

وإذا أراد شيطان من شياطين الإنس أن يأخذ بيدك إلى معصية الله فتذكر قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تَطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (١) . . . وتذكر رحمة الله التي وسعت كل شيء .

* عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة، فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة، فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا، تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرِك بي شيئًا لقيتُه بمثلها مغفرة» (٢).

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قدم رسول الله ﷺ بسبي فإذا

(١) سورة العلق: الآية: (١٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

امراً من السبى تسعى، إذ وجدت صبياً فى السبى أخذته فألصقته ببطنها، فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟» قلنا: لا والله. فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(١).

* وعن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تُصيّبه»^(٢).

* وعنه عن النبى ﷺ فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى: «قال: أذنب عبدٌ ذنباً، فقال: اللهم اغفر لى ذنبى، فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذُ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أى رب اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذُ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أى رب اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذُ بالذنب، قد غفرت لعبدى، فليفعل ما شاء»^(٣).
وقوله تعالى: «فليفعل ما شاء» أى: ما دام يفعل هكذا، يُذنب ويتوب أغفر له، فإن التوبة تهدمُ ما قبلها.

* وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يُذنبون، فيستغفرون الله تعالى، فيغفر لهم»^(٤).
* وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيُقرّره بذنوبه، فيقول: أتُعرف ذنب كذا؟ أتُعرف ذنب كذا؟ فيقول: ربّ أعرف، قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى صحيفة حسناته»^(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٥٨) كتاب التوبة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٩) كتاب التوبة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٧٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٦٨) كتاب التوبة.

لبثت ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاي ما أجدُ
فقلت يا أملى فى كل نائبة
ومن عليه لكشف الضر أعتمدُ
أشكو إليك ذنوباً أنت تعلمها
مالى على حملها صبرٌ ولا جلدُ
وقد مددت يدى بالذل مبتهلاً
إليك يا خير من مُدَّت إليه يدُ
فلا تردنّها يا رب خائبة
فبحر جودك يروى كل من يردُ

لا تُشمت بك الأعداء

* قال يحيى بن معاذ الرازى: عجبت من ذى عقل يقول فى دعائه:
اللهم لا تُشمت بى الأعداء، ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له. قيل: وكيف
ذلك؟ قال: يعصى الله فيُشمت به فى يوم القيامة كل عدو.
وقد ذكر الإمام أحمد عن أبى الدرداء: «اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعدّوا
أنفسكم فى الموتى، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا
أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا يُنسى».

- أخى: إن هيئتك الجميلة وأنت تلبس القميص القصير والعمامة وتضع
السواك والمصحف فى قميصك وتُطلق لحيتك .. إن هذا المنظر يغىظ أعداء
الله .. فكما امتلأت قلوبهم غيظاً فى الدنيا بهيئتك الجميلة فاحرص على
أن تمتلئ قلوبهم غيظاً يوم القيامة بطاعتك لله (جل وعلا).

لا تغتر بحلم الله (جل وعلا)

ومع ذلك - يا أخى - إياك أن تغتر بحلم الله، فلقد قال تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (١).

قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق.

وقال بعض العلماء: من قطع عضواً منك فى الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته فى الآخرة على نحو هذا.

وقيل للحسن: نراك طويل البكاء فقال: أخاف أن يطرحنى فى النار ولا يبالى.

وكان يقول: إن قوماً ألهمهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة يقول أحدهم؛ لأننى أحسن الظن بربى... وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل.

وسأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد، كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تنقطع؟

فقال: والله لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمناً خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمّنونك حتى تلحقك المخاوف.

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى فى النار، فتندلق أقتابه - الأمعاء - فيدور فى النار كما يدور الحمار برحاه، فيطوف به أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية» (٢) (٣). (١)

(١) سورة الحجر: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٩٨٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) الداء والدواء / (ص: ٢٩).

لا تنظر إلى صغر المعصية

كان هلال بن سعد يقول: «لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت».

وقال الفضيل بن عياض: بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتى تملو قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١)(٢).

* وعن طارق بن شهاب يرفعه قال: «دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل رجل النار في ذباب».

قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء، قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً من دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة».

وقال ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»، وضرب لهن رسول الله ﷺ مثلاً: «كرجلٍ كان بأرضٍ فلاةٍ

(١) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٢) حسن: رواه الترمذی (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٤٤) كتاب الزهد، وأحمد

(٧٨٩٢) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٠).

فحضر صنيع القوم فجعل الرجل يجئ بالعود والرجل يجئ بالعود حتى جمعوا من ذلك سواداً وأججوا ناراً فأنضجوا ما فيها»^(١).

الذنوب... وهلاك الأمم من قبلنا

أخي الحبيب: هل سألت نفسك يوماً عن سبب هلاك الأمم من قبلنا؟ أما علمت أنهم هلكوا بسبب إغراضهم عن طاعة الله (جل وعلا) وعدم توبتهم.

وإذا لم تكن الذنوب هي سبب هلاكهم فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟.

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع؟

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها

(١) رواه أحمد والطبراني والبيهقي وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٨٦)،

عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟

وما الذى أرسل على قوم شعيب سحب العذاب كالظُّلِّ. فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى؟

وما الذى أغرق فرعون وقومه فى البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟

وما الذى خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذى أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً؟

وما الذى أهلك قوم صاحب يس بالصيحة، حتى خمدوا عن آخرهم؟

وما الذى بعث على بنى إسرائيل قومًا أولى بأس شديد، فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبرؤا ما علوا تتبيراً؟

وما الذى سلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسبى وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنazير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (١).

عن جُبَيْر بن نَفِير قال: «لما فُتِحَتْ قَبْرُصُ فُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا فَبَكَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ مَا يَبْكِيكَ، فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ مَا أَهْوَنُ

الخلق على الله عز وجل، إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»^{(١)(٢)}.

خصال خمس... أعوذ بالله أن تدركوهن

قال عليه السلام: «يا معشر المهاجرين، خمس خصال، أعوذ بالله أن تدركوهن، ما ظهرت الفاحشة في قوم، حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواغيت والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله عز وجل في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(٣).

* ومن تأمل في تلك الخصال لعلم علم اليقين أن سببها تعلق القلب بالدنيا وضعف اليقين بالآخرة.

* قال الإمام ابن القيم:

وأعظم الخلق غروراً من اغتر بالدنيا وعاجلها، فآثرها على الآخرة، ورضى بها بديلاً من الآخرة، حتى يقول بعض هؤلاء: الدنيا نقد، والآخرة نسيئة، والنقد أحسن من النسيئة^(٤).

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت

أن السلامة فيها ترك ما فيها

(١) الأثر رواه أحمد في الزهد (ص: ١٧٦).

(٢) الداء والدواء (ص: ٥٢).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠١٩) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٧٨).

(٤) الداء والدواء / (ص: ٤٢).

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
 إلا التي كان قبل الموت يبنّيها
 فإن بناها بخير طاب مسكنه
 وإن بناها بشر خاب بانيها
 أين الملوك التي كانت مسلطنة
 حتى سقاها بكأس الموت ساقياها
 أموالنا لذوى الميراث نجمعها
 وديارنا لخراب الدهر نبنيها
 كم من مدائن فى الآفاق قد بُنيت
 أمست خراباً وأفنى الموت أهليها
 إن المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ
 الدين أولها والعقل ثانيها
 والعلم ثالثها والحلم رابعها
 والجود خامسها والفضل سادسها
 والبر سابعها والشكر ثامنها
 والصبر تاسعها واللين باقياها
 والنفس تعلم أنى لا أصادقها
 ولست أرشد إلا حين أعصياها
 لا تركزن إلى الدنيا وما فيها
 فالموت لا شك يُفنيننا ويفنيها
 واعمل لدارٍ غداً رضوان خازنها
 والجار أحمد والرحمن ناشيها
 قصورها ذهبٌ والمسك طينتها
 والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها

أنهارها لبنٌ مصفى ومن غسلٍ
والخمر يجرى رحيقاً في مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفةً
تسبح الله جهراً في مغانيها
فمن يشتري الدار في الفردوس يعمرها
بركعة في ظلام الليل يحييها

سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

وقد يغتر بعض الناس برؤية أهل المعاصي وقد فتح الله عليهم من نعيم الدنيا وملذاتها الخير الكثير . . وما علم هؤلاء أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ولو كانت تساوى جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء .
قال ﷺ : «إذا رأيت الله عز وجل يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (١) (٢) .
وقال بعض السلف: إذا رأيت الله عز وجل يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على معاصيه فاحذره، فإنما هو استدراج منه يستدرجك به، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ (٣٣) وَلَبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ (٣٤) وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .
وقد رد سبحانه على من يظن هذا الظن بقوله : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ

(١) سورة الأنعام: (٤٤) .

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٦٨٦٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦١) .

(٣) سورة الزخرف: الآيات: (٣٣-٣٥) .

فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا (١).

أى ليس كل من نعمته ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمته، ولا كل من ابتليته وضيقته عليه رزقه أكون قد أهنته، بل أبتلى هذا بالنعم، وأكرم هذا بالابتلاء.

وقال بعض السلف: ربٌ مُستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم . . ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم، ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم (٢). وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه فى الدنيا، وأنه لا يغير ما به، ويظن أن ذلك من محبة الله له وأنه سيعطيه فى الآخرة أفضل من ذلك، فهذا من الغرور.

التوبة... والنور على الصراط

وها هى التوبة تضىء لك طريقك إلى الله فى الدنيا والآخرة. ففى الدنيا تعيش فى جنة الإيمان التى لو يعلم قدرها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف . . والتوبة تضىء لك قبرك بنور العمل الصالح . . والتوبة تضىء لك الطريق فوق الصراط يوم القيامة . . والتوبة تقودك إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣).

(١) سورة الفجر: الآيات: (١٥ - ١٧).

(٢) الداء والدواء (ص: ٤١).

(٣) سورة التحريم: الآية: (٨).

أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ وَذُلِّي إِلَّا رَحِمْتَنِي

فهيأ أخى الحبيب ارفع يديك إلى من يسمع ديب النملة السوداء تحت الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء، واطلب منه أن يعينك على التوبة وأن يغفر ذنوبك .

* قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - :

فلله ما أحلى قوله فى هذه الحال : «أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ وَذُلِّي إِلَّا رَحِمْتَنِي ، أَسْأَلُكَ بِقُوَّتِكَ وَضَعْفِي ، وَبِغَنَّاكَ عَنِّي وَفَقْرِي إِلَيْكَ ، هَذِهِ نَاصِيَّتِي الْكَاذِبَةِ الْخَاطِئَةِ بَيْنَ يَدَيْكَ ، عَبِيدُكَ سِوَايَ كَثِيرٍ ، وَلَيْسَ لِي سِوَاكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجِيَّ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمَسْكِينِ ، وَأُبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالِ الْخَاضِعِ الدَّلِيلِ ، وَأَدْعُوكَ دَعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ ، سُؤَالَ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ ، وَذَلَّ لَكَ قَلْبُهُ » .

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُهُ

وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ

لَا يَجْبِرُ النَّاسَ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ

وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ (١)

وقفه مع النفس

أخى الحبيب: قف مع نفسك لتعرف ماذا تريد . . بل ولتعرف ما الذى يشغلك عن طاعة الله والقرب منه .

* إن كان المال هو الذى يشغلك فاعلم أن المال لا ينفعك فى قبرك ولا فى آخرتك إلا إذا أنفقته فى طاعة الله (جل وعلا) .

قال عليه السلام : «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد

يرجع أهله وماله ويبقى عمله» (١).

هذه هي الحقيقة . . . لا ينفعك إلا عملك الصالح .

* وإن كان الأولاد هم الذين يشغلونك عن الله فاعلم أن الأولاد نعمة لمن استعملهم في طاعة الله . . . ونقمة لمن انشغل بهم عن الله، ولذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

وقال عليه السلام: «إن الولد مبخلٌ مجبنةٌ مجهلةٌ محزنةٌ» (٣).

أما إن استعملت أولادك في طاعة الله وجعلتهم وقفاً لخدمة دين الله فإنهم بذلك يكونون نعمة تنتفع بها في حياتك وبعد موتك .

قال عليه السلام: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (٤).

* وإن كان المنصب والجاه هو الذى يشغلك عن الله، فاعلم أخى الحبيب أن المنصب زائل ولو دام لغيرك ما وصل إليك .

* وإن كانت الدنيا كلها تشغلك عن الله فقد قال خالقها (جل وعلا) عنها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٥).

* وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥١٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٦٠) كتاب الزهد والرقائق .

(٢) سورة التغابن: الآيتان: (١٤، ١٥).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٣/ ٣٣٥، رقم ٥٢٨٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٩٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية .

(٥) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم، فليُنظر بـم يرجع؟»^(١).
 * وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(٢).

* وعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى، فقال:
 «كن فى الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل».

وكان ابن عمر رضي الله عنه، يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخُذْ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك^(٣).
 قالوا فى شرح هذا الحديث معناه: لا تركز إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً، ولا تُحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله . . . وبالله التوفيق.

* وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دلّنى على عمل إذا عملته أحببني الله، وأحبنى الناس، فقال: «ازهد فى الدنيا يُحبك الله، وازهد فيما عند الناس يُحبك الناس»^(٤).
 * وعن عبد الله بن الشَّخِير رضي الله عنه، أنه قال: أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾» قال: «يقول ابن آدم: مالى، مالى، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»^(٥).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «مالى

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح

الجامع (٩٢٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٨) كتاب الزهد والرقائق.

وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^(١).

فيا أيها الأخ الحبيب: اجعل الهموم همًّا واحدًا ليكيفيك الله هموم الدنيا والآخرة.

قال عليه السلام: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قُدِّر له»^(٢).

* وعن عبيد الله بن محصن الأنصارى الخطمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(٣).

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنعه الله بما آتاه»^(٤).

* فهيا أيها الأخ الحبيب: تَبَّ إلى الله من كل المعاصي والذنوب واعلم أنك ستنسى كل شقاء بغمسة واحدة في الجنة، كما أخبر الحبيب ﷺ.

فقد قال ﷺ مخبراً عن هذا المشهد العظيم الذي يحدث يوم القيامة: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبغ في جهنم صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ في الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) كتاب الزهد، وأحمد (٣٧٠١) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرفاق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٣٤٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٤١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠٤٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب الزكاة.

ما مربى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط» (١).

اتق دعوة المظلوم

وأخيراً: أخى الحبيب اتقِ مظالم العباد فإن الذنب إذا كان فى حق الله (جل وعلا) فالتوبة قريبة؛ لأنك إذا قلت: يا رب .. ناداك ربك: لبيك عبدى قد غفرت لك.

أما إذا كان الذنب فى حق من حقوق العباد فإنه لا يغفر تلك المظالم إلا العباد.

* عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلّى الله عليه وآله قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه، من عرضه أو من شىء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون ديناراً ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» (٢).

وقال عليه السلام: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب» (٣).

وقال عليه السلام: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحمل على الغمام يقول الله: وعزتى وجلالى لأنصرك ولو بعد حين» (٤).

واعلم يا أخى الحبيب أن الله (عز وجل) لا يحب الظالمين ..

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٥) .. وكذلك فإن الله يحرم الظالمين نعمة الهداية .. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٦).

* وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٣٤) كتاب الرقاق.

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٩).

(٤) حسن: رواه الطبرانى (٨٤/٤) رقم (٣٧١٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨٧٠).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (٥٧).

(٦) سورة البقرة: الآية: (٢٥٨).

ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشَّحَّ فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (١).

* وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ» ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (٢) (٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إِنَّ الْمَفْلِسَ مِنْ أُمْتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَفَسَدَ دَمُ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرْحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (٤).

أخي الحبيب: مهما بلغت ذنوبك فتذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥).

أسأل الله (جل وعلا) أن يرزقك توبة صادقة تقربك من رحمة الله وجنته ورضوانه . . وأن يحول بينك وبين مظالم العباد، وأن يرزقك حُسن الخاتمة، وأن يجمعني بك في جنته ومستقر رحمته.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

أبو عمار

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة هود: الآية: (١٠٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

يا شباب.. حي على الصلاة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣).

أما بعد: فإن الدنيا دار ممر وليست بدار مقر. وإن الله (عز وجل) خلقنا لغاية جليلة أخبر عنها بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤)، ولكن أكثر الناس نسوا تلك الغاية التي من أجلها خلقوا.

* أخى الحبيب: أما علمت أنك فى ميدان السباق الحقيقى الذى لطالما تسابق فيه أهل الإيمان والتقوى لما سمعوا قول الحق (جل وعلا): ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٦).

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٣٣).

(٦) سورة البقرة: الآية: (١٤٨).

فما كان منهم إلا أن أسهروا ليلهم وأظمأوا نهارهم بالقيام والصيام ليظفروا بالمغفرة والرحمة والرضوان.

* وها أنا أوصل المسير مع إخواني وأخواتي من خلال تلك الرسائل التي هي بعنوان (رسائل إلى الشباب) والتي كان أول إصداراتها بعنوان (يا شباب .. الوقت هو الحياة) .. وها نحن على موعد مع رسالة أخرى بعنوان: (يا شباب .. حى على الصلاة) .. وهى رسالة مهمة جداً.

* فإن الصلاة هى أعظم الأركان بعد الشهادتين وهى أم العبادات وميزان تعظيم الدين فى قلب المؤمن فهى التى أمر الله بها وهى الوصية الأخيرة لرسول الله ﷺ وهى ملجأ المؤمن فى الكربات وهى التى يرفع الله بها الدرجات ويغفر بها الخطيئات وينجو بها العبد من عذاب رب الأرض والسموات وهى أمنية المعذبين والأموات وهى العاصمة من الشهوات والناهية عن المنكرات وهى الحادى للنعيم المقيم فى الجنات.

* فيا شباب .. حى على الصلاة فالجنة تناديكم فهل من مجيب؟ ... وهل سنجد شباباً يشاق إلى جنة الرحمن فيعلنها اليوم توبة صادقة ويغسل جبال الذنوب بدموع التوبة، فيتوضأ ويقف بين يدي الله (جل وعلا) .. ولسان حاله ومقاله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(١).

* أسأل الله (جل وعلا) أن ينفع بتلك الرسالة، وأن يجعلها حادياً لكل شباب وفتيات الأمة لكى يعودوا إلى دينهم وإلى سنة نبيهم ﷺ . إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

حال النبى ﷺ مع الصلاة

لقد بلغت الصلاة مبلغاً عظيماً وقدرًا عالياً فى قلب النبى ﷺ حتى كانت أعلى من نسيم الهواء الذى يتنفسه الإنسان .
وحسبنا أن نتأمل قول النبى ﷺ : «حُبَّ إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (١) .

قال المروزى: ولو لم يستدل المؤمن على أن الصلاة أحب الأعمال إلى الله إلا بما ألزم قلب حبيبه المصطفى محمد ﷺ من حب الصلاة وجعل قرّة عينه فيه دون سائر الأعمال كلها، وإن كان مُحِبًّا لجميع الطاعات، ولكنه خص الصلاة فأخبر أن قرّة عينه جعلت فى الصلاة لربه لكفاه بذلك دليلاً (٢) .
وقد كان النبى ﷺ يفزع إلى الصلاة ففزع إليها ليلة الأحزاب .
قال حذيفة: «رجعت إلى النبى ﷺ ليلة الأحزاب، وهو مشتمل فى شملة يصلى، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى» (٣) .

وفزع إليها يوم بدر: . . . عن (على) قال: لقد رأيتنا ليلة بدر وما فىنا إلا نائم غير رسول الله ﷺ يصلى ويدعو حتى أصبح .
* وكان يفزع إليها كذلك عند تجدد النعم .

فمن ذلك أن الله - عز وجل - لما أنعم على نبيه ﷺ بفتح مكة اغتسل وصلى ثمانى ركعات شكراً لله عز وجل .
وكان ﷺ يحب الصلاة حُبًّا جَمًّا لدرجة أنه كان يقول لبلال: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها» (٤) .

- (١) صحيح: رواه النسائى (٣٩٣٩) كتاب عشرة النساء، وأحمد (١١٨٨٤) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٢٤) .
- (٢) تعظيم قدر الصلاة (١ / ٣٣١) .
- (٣) حسن: رواه أبو داود (١٣١٩) كتاب الصلاة، وأحمد (٢٢٧٨٨) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٧٠٣) .
- (٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٨٥) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٥٧٨) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٩٢) .

بل إنه ﷺ فى مرض الموت وفى آخر لحظات حياته يُغشى عليه ثم يفيق ويقول: «أصلى الناس؟» فيقولون له: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، ويُغشى عليه ثم يفيق ولا يسأل إلا نفس السؤال: «أصلى الناس؟» (١).
وتأملوا معى كيف كانت صلاته ﷺ كما وصفها حذيفة رضى الله عنه.

- روى مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال: صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلى بها فى الركعة، فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: «سبحان ربى العظيم»، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد» ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد، فقال: «سبحان ربى الأعلى»، فكان سجوده قريباً من قيامه.
وفى رواية للنسائى: لا يمر بآية تخويف أو تعظيم لله - عز وجل - إلا ذكره (٢).

* وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال: «غزونا من رسول الله ﷺ قوماً من جُهينة، فقاتلوا قتالاً شديداً»... الحديث، وفيه: «وقالوا - أى: المشركون - إنه ستأتيتهم صلاة هى أحب إليهم من الأولاد» (٣).
* ولكونها كانت «قرة عينه ﷺ كان ﷺ يطيل القيام والتهجد، ولا يقوى على مفارقتها».

حال سلفنا الصالح مع الصلاة

* كان أصحاب النبى ﷺ ومن تبعهم بإحسان يحبون الصلاة، ويشتاقون إليها، فلقد استولت على قلوبهم واستغرقت نفوسهم فقد تعلموا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٧) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٨) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٧٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٤٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

ذلك من النبى ﷺ .

فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: «لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوماً واحداً: الظمأ لله بالهواجر، والسجود فى جوف الليل، ومجالسة قوم ينتقون من خيار الكلام كما يُنتقى أطايب التمر» ولما حضر عامر بن عبد قيس -رحمه الله- جعل يبكى، فقيل له: «ما يبكيك؟» قال: «ما أبكى جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكى على ظمأ الهواجر، وعلى قيام ليالى الشتاء».

* روى أن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه كان يصلى فى جوف الكعبة وهو مُحاصر بجيش عبد الملك بن مروان الذى يسد ضرباته بالمنجنيق من جبل أبى قيس للقضاء عليه وعلى أتباعه، ومرت فلقة من حجر عظيم بين لحيته وحلقه، فما زال رضى الله عنه عن مقامه، ولا ظهر على صورته هم ولا اهتمام، ولا قطع قراءته، ولا ركع دون ما يركع، حتى فرغ من صلاته.

بل إنه كان يصلى حين تقف الضربات أحياناً فتسقط العصافير على ظهره من أعلى الحرم، تصعد وتنزل فى أمان، وهى تظنه جذم حائط، أو جذع شجرة. ولقد ركع ذات مرة، وكان رجل من أصحابه يقرأ القرآن، فما قام رضى الله عنه من ركعته حتى انتهى الرجل من تلاوة «البقرة» و «آل عمران» و «النساء» و «المائدة». وروى أنه كان يصلى ذات يوم فى بيته، فسقطت حية من السقف، فطوقت على بطن ابنه «هاشم» فصرخ النسوة، وانزعج أهل الدار، واجتمعوا على قتل الحية، فقتلوها، وسلم الولد، فعلوا كل ذلك، وابن الزبير فى صلاته، لم يلتفت، ولا درى بما كان حتى فرغ من صلاته.

* وقال عدى بن حاتم رضى الله عنه: «ما دخل على وقت صلاة إلا وأنا مشتاق إليها» وكيف لا؟ وقد قال الصادق المصدوق رضى الله عنه: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»... الحديث، وفيه: «ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا

خرج منه حتى يعود إليه» (١) .

* وكان أبو مسلم الخولاني -رحمه الله- يجتهد في العبادة، ويقول: «أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا؟! كلا والله، لنزاحمهم عليه زحامًا، حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالًا» .

* بل هذا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يصلي بالقرآن كله في ركعة الوتر... وهذا عروة بن الزبير -رحمه الله- تُقطع رجله وهو ساجد بين يدي الله -جل وعلا- وكان قد عرضوا عليه أن يشرب شيئًا يُذهب عقله حتى لا يشعر بألم القطع فقال: لا أذهب عقلي بشيء حرمه الله، ولكن انتظروا حتى أدخل في الصلاة فإذا سجدت فاقطعوا رجلي .

* بل هذا سعيد بن المسيب -رحمه الله- يصلي أربعين سنة خلف الإمام في الصف الأول لا تفوته تكبيرة الإحرام .

* بل قال ثابت رحمه الله: «اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي» .

* وعن أبي رجاء قال: «ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا إلا أن أعفر وجهي في التراب كل يوم خمس مرات لربي عز وجل» .

* وقال بعضهم معبرًا عن هذا النعيم وقرة العين بذكر الله والصلاة:

«لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه، لجالدونا عليه بالسيوف» . . .

وقال آخر: «إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفى عيش طيب» . . . وقال آخر: «مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا لذيق العيش فيها، وما ذاقوا أطيب ما فيها»، وقال آخر: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة» .

* ولذلك كان من تعظيم قدر الصلاة أن النبي ﷺ كان يأخذ البيعة على إقامتها .

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

* عن جرير بن عبد الله قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»^(١).

قال الحافظ: كان النبى ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة؛ لأنها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة؛ لأنها رأس العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمس فبايع جريراً على النصيحة؛ لأنه كان سيد قومه، فأرشده إلى تعليمهم بأمره بالنصيحة لهم^(٢).

الصلاة هى الركن الأعظم بعد الشهادتين

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

إن الصلاة هى الركن الأعظم بعد الشهادتين.

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان»^(٣).

* وفى الصحيحين: عن أبى سعيد رضي الله عنه أن رجلاً قال لما قسم رسول الله ﷺ الغنائم: يا رسول الله، اتق الله! فقال: «ويلك! أأنت أحق أهل الأرض أن أتقى الله؟!». فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: «ألا أضرب عنقه يا رسول الله؟!». فقال: «لا، لعله أن يكون يصلى»^(٤).

* وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٦) كتاب الإيمان.

(٢) فتح البارى (٨/٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٨) كتاب الإيمان، ومسلم (١٦) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٥١) كتاب المغازى، ومسلم (١٠٦٤) كتاب الزكاة.

ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»^(١).

الصلاة إيمان

قال البيهقي - رحمه الله -: «وليس من العبادات - بعد الإيمان الرافع للكفر - عبادة سماها الله - عز وجل - إيماناً، وسمى رسول الله ﷺ تركها كفراً إلا الصلاة»^(٢) اهـ.

* ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم»^(٣) . . . فجعل الصلاة من الإيمان بالله وحده.

* ولذلك سمي الله - عز وجل - الصلاة إيماناً كما في قوله - جل وعلا -: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾^(٤) يعني: صلاتكم عند البيت.

الصلاة أم العبادات

لقد كُلف العبد أن تستحوذ الصلاة على كل كيانه، ظاهراً وباطناً، وتستغرق قلبه ولسانه وجوارحه ، قال تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٥). وقال ﷺ كما في الصحيحين: «إن في الصلاة لشغلاً»^(٦).

فحرم على المصلي الأكل، والشرب، والالتفات، والحركة، بخلاف ما عدا الصلاة من العبادات التي تُفرض على بعض الجوارح دون بعض، فللصائم أن

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٢) كتاب الإيمان.

(٢) شعب الإيمان (٣/ ٣٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٦٨) كتاب المغازى، ومسلم (١٧) كتاب الإيمان.

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٣٨).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٢١٦) كتاب الجمعة، ومسلم (٥٣٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

يتكلم ويتحرك، وللمجاهد أن يلتفت ويتكلم، وللحاج أن يأكل ويشرب، أما الصلاة ففيها ألوان العبودية الشاملة للقلب والعقل والبدن واللسان.

فلسان: الشهادتان، والتكبير، والتعوذ، والبسملة، وتلاوة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والاستغفار، والأدعية، وللجوارح: قيام وركوع، وسجود، واعتدال، وخفض، ورفع، وقعود، وللعقل: تفكر، وتدبر، وتفهم، وتفقه، وللقلب: خشوع، ورقة، وخوف وطمع، والتذاذ، وضراعة، وبكاء^(١).

الصلاة شأنها عظيم عند الله

إن الصلاة شأنها عظيم عند الله -جل وعلا- ولذلك فقد تميزت على ما عداها من الفرائض بخصائص لا تعد ولا تحصى.

وحسبنا أنها العبادة الوحيدة التى منحها الله لنبىه محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بلا واسطة من فوق سبع سماوات لعلو قدرها ومكانتها عند الله -جل وعلا- فهى الفريضة الوحيدة التى فرضت فى السماء.

الصلاة أفضل الأعمال

* ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «أفضل الأعمال: الصلاة لوقتها».... وقال رسول الله ﷺ: «الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر»^(٢).

أى: أن الصلاة أفضل ما وضعه الله -أى: شرعه- من العبادات، ففرضها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل.



(١) الصلاة لماذا / الدكتور محمد إسماعيل المقدم - حفظه الله - (ص: ١٢-١٣).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ٨٤، رقم ٢٤٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٧٠).

الصلاة امتثال لأمر الله (جل وعلا)

اعلم أيها الأخ الحبيب... وأيتها الأخت الفاضلة أن العبد عندما يصلى فهو يمثل أمر الخالق (جل وعلا) الذى أمر بإقامة الصلاة، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ...﴾ (١).

* وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله: «أن يحيى - عليه السلام- قال لبنى إسرائيل وقد جمعهم: إن الله تبارك وتعالى أمرنى بخمس كلمات أن أعملهن، وأمركم أن تعملوا بهن» الحديث، وفيه: «وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت» (٢).

الصلاة تحرر البشرية من العبودية لغير الله

لما دخل ربى بن عامر رضي الله عنه على رستم قائد جيوش الفرس فسأله: من أنتم؟ وما الذى جاء بكم إلى هنا؟ فقال له ربى: نحن قوم ابتعنا الله لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

* أجل والله: فالمسلم ينظر إلى هذا الكون كله من حوله نظرة صاحب السلطان. لأن الله - عز وجل - خلق هذا الكون وسخره لنا فلا يمكن بحال من الأحوال أن يشغل المؤمن بحطام الكون عن خالق الكون - جل وعلا -.

* ولذلك نجد أن المؤمن قد حدد وجهته عندما يقوم ليصلى ويقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٣) فهو لا يعبد غير الله ولا يستعين بغير الله -

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٨٦٣) كتاب الامثال، وأحمد (١٦٧١٨) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٢٤).

(٣) سورة الفاتحة: الآية: (٥).

جل وعلا- ولذا كانت الصلاة من أعظم أسباب تحرير البشرية من العبودية لغير الله .

الصلاة هى عبودية كل الكائنات

فالكون كله يسبح بحمد الله، والكون كله يسجد ويصلى لله (جل وعلا). فقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (١) فالظاهر من سياق تلك الآية أن الطير تُسبح وتصلى صلاة لا يعلم كيفيتها إلا الله كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٢).

بل إن الملائكة يصلون أيضاً فقد قال تعالى فى حقهم: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٣).

* وروى مسلم أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» ثم ذكر كيفية اصطفاهم فقال: «يُتَمَوْنَ الصَّفَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِ» (٤).

* وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن «جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ» (٥).

* وهم يصلون مع المؤمنين.. ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنْ مِنْ وَاقٍ تَأْمِينُهُ تَأْمِينُ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٦).

(١) سورة النور: الآية: (٤١).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).

(٣) سورة فصلت: الآية: (٣٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٣٠) كتاب الصلاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٥٢٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٧٨٠) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٠) كتاب الصلاة.

وكذا يحضرون مع المؤمنين صلاة الجمعة... قال ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة، يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر»^(١).

* بل تأمل معي هذين المشهدين:

قال ﷺ: «إنى لأرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أظن السماء، وحق لها أن تظن، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً»^(٢).

* وفى الصحيحين أنه فى حديث الإسراء قال ﷺ: «... فرُفِع لى البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»^(٣).

* بل إن الجن أيضاً مكلفون بالصلاة فقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤).

* وهكذا فالكون كله يسبح بحمد الله (جل وعلا).

الصلاة هى القاسم المشترك بين كل الأديان

اعلم أيها الأخ الحبيب أنه لم يأت دين من الأديان إلا وكانت الصلاة عموده الأكبر بعد التوحيد فلم يخل دينٌ من تلك العبادة على اختلاف صورها وأشكالها فى كل ديانة.

فقد حكى الله عز وجل عن إبراهيم -عليه السلام- دعاءه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾^(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢١١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٨٥٠) كتاب الجمعة.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٣١٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٠٠٥)

مسند الأنصار رحمته الله فى صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٦٤) كتاب الإيمان.

(٤) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

(٥) سورة إبراهيم: الآية: (٤٠).

ونوه جل وعلا بشأن إسماعيل -عليه السلام- فقال سبحانه: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (١).

وقال سبحانه مخاطباً موسى -عليه السلام-: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (٢).

ونادت الملائكة مريم أم عيسى -عليهما السلام-: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٣).

وقال عيسى -عليه السلام- محدثاً بنعمة ربه سبحانه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٤).

وقد أخذ الله الميثاق على بنى إسرائيل، فجعل إقامة الصلاة من أهم مواده: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِأَلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (٥).

وقال جل وعلا مخاطباً خاتم النبيين ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٦).

* وقال ﷺ: «إنا معشر الأنبياء أُمِرنا أَنْ نُعَجِّلَ إِفْطَارَنَا وَنُؤَخِّرَ سَحُورَنَا وَنَضَعَ أَيْمَانَنَا عَلَى شِمَائِلِنَا فِي الصَّلَاةِ» (٧).



(١) سورة مريم: الآية: (٥٥).

(٢) سورة طه: الآية: (١٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٤٣).

(٤) سورة مريم: الآية: (٣١).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٨٣).

(٦) سورة طه: الآية: (١٣٢).

(٧) صحيح: رواه الطيالسي (ص ٣٤٦ ، رقم ٢٦٥٤)، والطبراني (١١/١٩٩ ، رقم ١١٤٨٥)،

وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٨٦).

الصلاة ميزان يُقاس به إيمان العبد

فإذا أردت أن تقيس إيمان العبد فانظر لحاله مع الصلاة.

* قال عليه السلام: «من أراد أن يعلم ما له عند الله، فليُنظر ما لله عنده» ^(١).

والناس يتفاضلون في الصلاة قبل أن يتفاضلوا في غيرها - من فضل علم أو ذكاء - وهي المقياس الصحيح، وبها يُحكّم على دين الرجل، ومكانته في الإسلام، وليس امتياز هؤلاء الرجال الذين خلد التاريخ ذكرهم، وكان لهم فضل في الأقران والمعاصرين، ولسان صدق في الآخرين، إلا لامتيازهم في هذه الصلاة، وتفوقهم فيها على معاصريهم وأضرابهم، وبلوغهم فيها درجة «الإحسان» ووصولهم فيها إلى أسمى مكان ^(٢) اهـ.

وعن الحسن قال: «يا ابن آدم أى شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك؟!». .

الناس في الصلاة على مراتب خمس

* قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: والناس في الصلاة على مراتب خمس:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذى انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثانى: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهبت مع الوسوس والأفكار.

الثالث: من يحافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته فهو في صلاة وجهاد.

(١) حسن: رواه ابن المبارك في الزهد (١/٢٩١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٦٠٠٦).

(٢) الأركان الأربعة (ص: ٨٧).

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يُضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه - عز وجل - ناظراً بقلبه إليه، مراقباً له ممتلئاً من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسواس والخطرات، وارتفعت حُجُبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره فى الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا فى صلاته مشغول بربه - عز وجل - قرير العين به.

فالقسم الأول مُعاقِب، والثانى مُحاسِب، والثالث مُكفِّر عنه، والرابع مُثاب، والخامس مُقَرَّب من ربه - عز وجل - (١).

الصلاة شعار ديار المسلمين

فكما أن النبى ﷺ أخبر أن حكم الكفر يرتفع عن العبد بالصلاة فكذلك يرتفع حكم الكفر عن أى دولة بظهور شعائر الإسلام وفى مقدمتها الصلاة، وذلك أننا إذا دخلنا أى بلد ولم نسمع فيها أذاناً ولم نجد فيها مساجد فهذا دليل على أن تلك الدار دار كفر.

* روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاكم المسلم الذى له ذمة الله، وذمة رسوله، فلا تخفروا الله فى ذمته» (٢).

(١) الوابل الصيب (ص: ٣٨-٣٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٩١) كتاب الصلاة.

* وروى البخارى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قومًا، لم يكن يغزو بنا حتى يُصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كَفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم»^(١).

الصلاة... مدرسة خلقية

إن الصلاة هي المدرسة التي يتربى فيها المسلم على الأخلاق الحميدة ويتخلص فيها من الأخلاق المذمومة ولذا قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٢).

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(٣). فاستثنى المحافظين على الصلاة من أصحاب الأخلاق الذميمة.

* ولذلك لما فوجئ قوم شعيب بالدعوة إلى التوحيد، والفضيلة والتقوى، والإنكار على ما كانوا فيه من ظلم وبخس وتطيف، أقبلوا على حياة شعيب يلتمسون فيها مصدر هذا الانقلاب وهذا الاختلاف فقد وُلِدَ ونشأ فيهم كابن قبيلة وابن بلد، والذي يردون إليه طبيعة هذا الخصام والنزاع، فلم يجدوا في حياته شيئًا أوضح من الصلاة التي كانوا يشاهدونها، ويتعجبون لحسنها وطولها، فقالوا: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(٤) (هـ: ٥).

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٦١٠) كتاب الأذان.

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).

(٣) سورة المعارج: الآيات: (١٩-٢٣).

(٤) سورة هود: الآية: (٨٧).

(٥) الأركان الأربعة (ص: ٤٩).

الصلاة تنهاك عن فعل المنكرات

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (١).

❖ فإذا صليت صلاة خاشعةً فإن صلاتك ستنهاك لا محالة عن فعل المنكرات، وستكون سبباً لصلاح قلبك فإذا صلح قلبك صلحت جوارحك، وانقادت إلى طاعة الله (جل وعلا)... كما فى الصحيحين: «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب» (٢).

❖ ولما قيل للنبي ﷺ: إن فلاناً يصلى الليل كله، فإذا أصبح سرق!، قال ﷺ: «سينهاه ما تقول» أو قال: «ستمعه صلاته» (٣).

وقال رسول الله ﷺ: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطرودة للداء عن الجسد» (٤).

من حفظ الصلاة فقد حفظ دينه

❖ قال ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله» (٥).

❖ وعن المسور بن مخرمة رضى الله عنه قال: «دخلت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو مسجى، فقلت: كيف ترونه؟ قالوا: كما ترى، قلت: أيقظوه بالصلاة،

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٩٤٨٦) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٣٧).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٤٩) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٠٧٩)، وضعف العلامة الألبانى الجملة الأخيرة: «ومطرودة للداء عن الجسد»، انظر ضعيف الجامع (٣٧٨٩).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٦١٦) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٣٩٧٣) كتاب الفتن، وأحمد (٢١٥١١) مسند الأنصار رضى الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٣٦).

فإنكم لن توقظوه بشيء أفزع له من الصلاة، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين، فقال: «هنا الله إذاً، ولا حق في الإسلام لمن ترك الصلاة»... فضلى، وإن جرحه ليشعب (١) دماً.

* وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق: «إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها فقد حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة» (٢).

الصلاة صلة بين العبد وربه (جل وعلا)

* قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- إذا وقف في الصلاة صاحب القلب العامر بمحبة الله وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه وقف بقلب مُخبت خاشع له قريب منه سليم من معارضات السوء، قد امتلأت أرجاؤه بالهيبة وسطع فيه نور الإيمان، وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات، فيرتع في رياض معاني القرآن، وخالط قلبه بشاشة الإيمان بحقائق الأسماء والصفات وعلوها وجلالها الأعظم، وتفرد الرب سبحانه بنعوت جلاله وصفات كماله.

فاجتمع همه على الله، وقرَّت عينه به، وأحس بقربه من الله قرباً لا نظير له، ففرغ قلبه له وأقبل عليه بكلّيته، وهذا الإقبال منه بين إقبالين من ربه، فإنه سبحانه أقبل عليه أولاً فانجذب قلبه بإقباله، فلما أقبل على ربه حظى منه إقبالاً آخر أتم من الأول.

وها هنا عجيبة من عجائب الأسماء والصفات تحصل لمن تفقّه قلبه في معاني القرآن، وخالط بشاشة الإيمان بها قلبه بحيث يرى لكل اسم وصفة موضعاً من صلاته ومحلاً منها، فإذا انتصب قائماً بين يدي الرب -تبارك

(١) أي يسيل دماً.

(٢) رواه مالك في الموطأ (٦) كتاب وقوت الصلاة.

وتعالى - شاهد بقلبه قيوميته، وإذا قال: الله أكبر شاهد كبرياءه.
وإذا قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد أوى إلى ركنه الشديد، واعتصم بحوله وقوته من عدوه الذى يريد أن يقطعه عن ربه ويباعده عن قربهِ؛ ليكون أسوأ حالاً.

فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله: «حمدنى عبدى»، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ انتظر الجواب بقوله: «أثنى على عبدى»، فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١) انتظر الجواب بقوله: «مجدنى عبدى».

فيالذة قلبه وقرة عينه وسرور نفسه بقول ربه: عبدى.. ثلاث مرات، فوالله لولا ما على القلوب من دخان الشهوات وغم النفوس لاستطيرت فرحاً وسروراً بقول ربها وفاطرها ومعبودها: حمدنى عبدى وأثنى على عبدى ومجدنى عبدى^(٢).

أسهم الإسلام ثلاثة

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث أحلف عليهن: لا يجعل الله تعالى من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له، وأسهم الإسلام ثلاثة: الصلاة، والصوم، والزكاة»^(٣).

* ومن المعلوم أن الصلاة هى أكثر العبادات ذكراً فى كتاب الله، بل إن الله (عز وجل) لم يذكر الصلاة مقرونة بأى فريضة أخرى إلا قدم عليها الصلاة لعظم شأنها ومكانتها.

(١) سورة الفاتحة: الآية: (٤).

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/١٤٢-١٤٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٤٥٩٧) باقى مسند الانصار، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٢١).

المصلى فى حماية الله وحفظه

قال ﷺ: «احفظ الله يحفظك»^(١) والمعنى: أى: احفظ حدوده وحقوقه وأوامره بالامتثال ونواهيه بالاجتناب.

ومن أعظم ما يحفظه العبد أن يحافظ على الصلاة فلقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٢).
ومدح المحافظين عليها بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^(٣).
* فالمصلى يكون فى حفظ الله وحمايته.

* روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «من صلى الصبح فهو فى ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم»^(٤).

* فالله (عز وجل) يجعل الصلاة سبباً لحفظ العبد.
وحفظ الصلاة للمصلى على أوجه، منها: حفظه عن المعاصى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٥) فمن حفظ الصلاة حفظته الصلاة عن الفحشاء.

ومنها: حفظه من البلايا والمحن، قال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٦)، ومنها: حفظه من عذاب القبر، وعذاب النار يوم القيامة^(٧).
قال بعض الصالحين: «والله ما عدا عليك العدو إلا بعد أن تخلص عنك

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٣٨).

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).

(٦) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٧) التفسير الكبير / الرازى (٢/٢٧٤).

المولى، فلا تظن أن العدو غلب، ولكن الحافظ أعرض».

* وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له فى مصالح دنياه، كحفظه فى بدنه، وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته فى ذريته، كما قيل فى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (١): «إنهما حفظا بصلاح أبيهما» قال سعيد بن المسيب لابنه: «لأزیدن فى صلاتى من أجلك، رجاء أن أحفظ فيك»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾.

* ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى، كما جرى لسفينة مولى رسول الله ﷺ «حيث كُسر به المركب، وخرج إلى جزيرة، فرأى الأسد، فجعل يمشى معه حتى دلّه على الطريق، فلما أوقفه عليها، جعل يهمهم كأنه يودعه، ثم رجع عنه» (٢).

النوع الثانى من الحفظ -وهو أشرف النوعين-: حفظ الله للعبد فى دينه وإيمانه، فيحفظه فى حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان.

الصلاة تجلب لك الرزق (بإذن الله)

أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة: اعلّموا أن الصلاة من أعظم أسباب الرزق، لأن الانشغال بهموم الآخرة والاستعداد لها بالعمل الصالح (وعلى رأسه الصلاة) يجعل الدنيا تأتى إلى العبد وهى صاغرة.

* قال ﷺ: «من كانت الآخرة همه؛ جمع الله له شمله، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتها من الدنيا إلا ما كتب الله له» (٣).

(١) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٢) رواه الطبرانى والحاكم بإسناد حسن.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى

رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٠).

* وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك» (١).

* وقد رُوي في بعض الآثار: «وإن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه» (٢).
فمن شؤم تضييع الصلاة نقصان الرزق ومحق البركة.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٣). ويستشعر من الآية أن الصلاة مطلقاً تكون سبباً لإدراك الرزق، وكشف الهم.

* وبين (جل وعلا) أن المال خادم وأن الدين مخدوم، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة...» (٤).

* وقال ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامن على الله، إن عاش رُزق، وكُفي، وإن مات أدخله الله الجنة، من دخل بيته فسلم، فهو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد، فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله، فهو ضامن على الله» (٥).

* ولو كان يجوز لأحد أن يترك الصلاة لانشغاله بما عداها، لكان أولى الناس بذلك المجاهد الذي يكافح العدو، ومع ذلك لم يُعذر في ترك الصلاة، وشرع الله له صلاة الخوف.

أو المريض الذي أنهكه المرض،... لكن تبقى الصلاة فريضة عينية في حقه، ويصلى حسب ما يستطيع، فلا يُتصور مسلم لا يصلى إلا امرأة

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٦٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٩١٤).

(٢) ضعيف: رواه ابن ماجه (٩٠) في مقدمة سننه، وأحمد (٢١٨٨١) باقى مسند الأنصار، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (١٤٥٢).

(٣) سورة الذاريات: الآيات: (٥٦-٥٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢١٣٩٩) مسند الأنصار ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٨١).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٤٩٤) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٥٣).

حائضاً أو نفساء، . . . والله تعالى أعلم (١).

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن ناساً من أهل السوق سمعوا الأذان، فتركوا أمتعتهم وقاموا إلى الصلاة، فقال: هؤلاء الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ (٢).

الصلاة تجلب لك المزيد

قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٣).

ومما لا شك فيه أن الصلاة من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله شكراً على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى.

قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (٤) فعمل داود - عليه السلام - شكراً فقام أحسن القيام وصام أحسن الصيام بشهادة سيد الأنام عليه السلام حيث قال - كما فى الصحيحين - : «أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» (٥).

* وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قام النبي عليه السلام حتى تورمت قدماه، فقيل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» (٦).

* بل ولما أنعم الله على النبي عليه السلام بفتح مكة بادر إلى شكر هذه النعمة الكبرى، فدخل دار أم هانئ بنت أبي طالب، واغتسل، وصلى ثمان

(١) الصلاة لماذا؟ (ص: ١٠٥).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٧).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

(٤) سورة سبأ: الآية: (١٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٢٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٣٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

ركعات «سبحة الضحى» شكرًا لله تعالى^(١).

* وهكذا كلما أكثر من السجود لله وشكرت الله على نعمه كلما فتح الله لك باب المزيد من خيري الدنيا والآخرة.

الصلاة سبب للنجاة من النفاق ومن النار

فقد قال رسول الله ﷺ: «من صلى لله أربعين يومًا في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كُتِبَ له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»^(٢).

* بل تأمل معي هذا المشهد المهيّب من مشاهد يوم القيامة، وذلك حين يُكشَفُ عن ساق الملك (جل وعلا) ويريد المنافقون أن يسجدوا لله، فلا يستطيعون، وإذا بأهل التوحيد والإيمان والصلاة يسجدون للحق (جل وعلا).
* روى البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسُمةً، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا».

ولذا قال تعالى موضحًا هذا المشهد المهيّب: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾^(٣).

الصلاة تُرغم أنف الشيطان وأعوانه

لقد أقسم الشيطان على إغوائك فهو يريد أن يأخذك معه إلى نار جهنم، ومن أجل ذلك فإنه يبذل كل ما في وسعه من أجل أن يصرفك عن الصلاة بشتى الطرق والوسائل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣٦) كتاب الحيض.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٤١) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٦٥).

(٣) سورة القلم: الآيتان: (٤٢-٤٣).

ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ (١).
 * فالشيطان يغتاظ إذا رأى عبداً ساجداً لله (جل وعلا).

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكى يقول: يا ويلى، أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار» (٢).

* فأنت إذا حافظت على صلاتك فإنك بذلك ترغم أنف الشيطان.
 * ولذا شرع النبي صلّى الله عليه وآله للمصلّى إذا سها فى صلاته سجدتين، وقال: «إن كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان» وفى رواية: «ترغيماً للشيطان» (٣) وسماهما: «المرغمتين».

* بل إن صلاتك ترغم أنف أعوان الشيطان من اليهود وغيرهم... قال صلّى الله عليه وآله: «ما حسدتكم اليهود على شىء ما حسدتكم على السلام والتأمين» (٤).
 فكيف بما عدا التأمين من إعلان الأذان، وتعمير المساجد، وتراصّ المصلين، راكعين، ساجدين، خاشعين؟!

الصلاة كفارة للذنوب والخطايا

* روى مسلم عن ابن مسعود أن رجلاً أتى النبي صلّى الله عليه وآله فذكر له أنه أصاب من امرأة إما قبلة أو مسّ يد، كأنه يسأل عن كفارتها، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (٥).
 فقال الرجل يا رسول الله ألى هذه؟ قال: «هى لمن عمل بها من أمتى».

(١) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨١) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٧١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٨٥٦) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الالبانى رحمه الله

فى صحيح الجامع (٥٦١٣).

(٥) سورة هود: الآية: (١١٤).

* وقال ﷺ: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن، ما اجْتُنِبَ الكبائر »^(١).

وقال ابن العربي: وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويظهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنباً إلا أسقطته^(٢).

الصلوة يكشف الله بها الكربات

الصلوة معقل المسلم وملجؤه، الذي يأوى إليه، والعروة الوثقى التي يعتصم بها، والحبل الممدود بينه وبين ربه الذي يتعلق به، وهى غذاء الروح، وبلسم الجروح، ودواء النفوس، وإغاثة الملهوف، وأمان الخائف، وقوة الضعيف، وسلاح الأعزل^(٣).

* قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٤).
وقال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: «لقد رأيتنا ليلة بدر، وما فينا إنسان إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلى إلى شجرة، ويدعو حتى أصبح»^(٥).
وقال حذيفة رضي الله عنه: «رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب، وهو مشتمل فى بسملة يصلى، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى»^(٦).
ويروى أن ثابتاً قال: «كان النبي ﷺ إذا أصابته خصاصة نادى بأهله: «صلوا، صلوا» قال ثابت: «وكان الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة».

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣) كتاب الطهارة.

(٢) فتح البارى (١١/٢-١٢) مواقيت الصلاة.

(٣) الأركان الأربعة / للندوى (ص: ٣٠).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٥) رواه أحمد (١١٦٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب فمن رجال أصحاب السنن.

(٦) رواه محمد بن نصر المروزي فى تعظيم قدر الصلاة (١/٢٣١).

* وقد حُكى عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه كان إذا أُشكِلت عليه آية، أو التوى عليه علم، عمد إلى بعض المساجد المهجورة، فقام يصلى، فيعفر وجهه بالتراب، ويطيل السجود، ويقول: «يا معلم إبراهيم علمنى» وكان شديد الابتهاال، عظيم التذلل لله تعالى، يفتخر بأنه سائل مستجد، عريق فى «الشحاذة» ورثها أباً عن جد، قد سُمع ينشد فى بعض مناجاته ودعواته:

أنا المكدى وابن المكدى

وهكذا كان أبى وجدى^(١)

* وليست الصلاة مقصورة على فريضة تؤدى فى وقتها، ويتخلى بها المسلم عما أوجبه الله من فرض، فذلك فرض لا يقبل الله عنه صرفاً ولا عدلاً، ولكنها جنة المسلم وسلاحه، والمفتاح الدائم الذى يفتح به كل قفل، ويكشف به كل هم وغم.

* ففى الخوف صلاة، وللأستسقاء صلاة إذا انقطع المطر وهلكت البهائم، وانقطعت السبل، وللتوبة صلاة: فعن أبى بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ، فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلّى ركعتين، ثم يستغفر الله لذلك الذنب، إلا غفر الله له»^(٢).

وللخسوف والكسوف صلاة: قال ﷺ: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيات من آيات الله، يُخوف الله بهما عباده، فإذا رأيت ذلك، فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم».

وفى رواية: «فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا»^(٣) وإذا أراد العبد أن تُقضى له حاجة، أو تفرج عنه كربة فبإمكانه أن يقدم بين يدي دعائه صلاة

(١) الأركان الأربعة (ص: ٨٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢١) كتاب الصلاة، والترمذى (٣٠٠٦) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (١٣٩٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (٤٨) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٣٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٤٤) كتاب الجمعة، ومسلم (٩٠١) كتاب الكسوف.

ركعتين، باعتبار أن تقديم عمل صالح بين يدي الدعاء من آدابه (١).

الصلاة علاج للأمراض النفسية

ومن عجائب الأخبار ما نشرته مجلة «الدعوة» العدد (١٢٢٥) من أن عميد الأطباء النفسانيين في ألمانيا اعتاد أن يعالج مرضاه بإسماعهم «الأذان» دون أن يعرف أنه النداء الإسلامي باللغة العربية لأداء الصلاة، ولما اكتشف هذه الحقيقة قال نقيب الأطباء النفسانيين في ألمانيا: «إن كلمات الأذان الذي يدعو المسلمين إلى الصلاة، تدخل السكينة إلى قلب المريض النفسى حتى لو لم يكن يفهم معانيها!! وأضاف: «إن الأذان يزرع النور والأمل بداخل المصابين بالاكتئاب، أو فقدان الثقة بالنفس، أو كراهية الحياة، أو الشعور بالفشل».

* قلت: فإن كان هذا شأن الأذان فما ظنكم بالصلاة نفسها.

أما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢) ومن المعلوم أن الصلاة كلها ذكر لله (جل وعلا).

الصلاة سبب للنصر والتمكين

قال تعالى: ﴿إِنْ تَصَرُّوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٣).

فالعبد ينصر الله (عز وجل) بطاعته وترك معصيته، ولذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ومن المعلوم أن عيسى (عليه السلام) لم يقاتل أبداً فأين كانت النصره... قال تعالى: ﴿فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٤)، فكانت النصره هنا نصره إيمانية.

(١) الصلاة لماذا؟ (ص: ٨٥).

(٢) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٣) سورة محمد: الآية: (٧).

(٤) سورة الصف: الآية: (١٤).

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) ولعل فى تشريع صلاة الخوف حال الالتحام المسلح ما يشير إلى أثر الصلاة فى استجلاب نصر الله تعالى، ... وعن سعد بن خزيمة قال رسول الله ﷺ كما عند البخارى: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم»^(٢).
وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾^(٣) ومعناه: إني معكم بالنصر والتأييد إن كنتم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، ومن كان الله معه فقد تولاه، والله عز وجل لا يعزُّ من عاداه، ولا يُذلُّ من والاه، بل الذل حليف من حاربه وعصاه، قال ﷺ: «وجُعِلَ الذلة والصغار على من خالف أمرى»^(٤).

وعباد الله الذين يعاقب بهم أعداءه ويعذبهم بأيديهم، ويستمدون منها زادًا ووقودًا فى جهادهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾^(٥) الآية... وبهذه العبودية يتعرف عليهم الحجر آخر الزمان، ويناديهم: «يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودى خلفى فتعال، فاقتله»^(٦) الحديث.
فإذا فتح الله عليهم يكون أعظم ما يقدمونه إقامة الصلاة فى الناس: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^{(٧)(٨)}.

(١) سورة الأنفال: الآية: (٤٥).

(٢) صحيح: رواه النسائى (٣١٧٨) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى، والحديث بنحوه فى البخارى.

(٣) سورة المائدة: الآية: (١٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٥٠٩٣) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٣١).

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٥).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٢٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٩٢٢) كتاب الفتن وأشراف الساعة.

(٧) سورة الحج: الآية: (٤١).

(٨) الصلاة لماذا: (ص: ١٠٩).

الذى ينتظر الصلاة كالفرس المجاهد.. فكيف وهو يصلى؟

* عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «منتظر الصلاة بعد الصلاة، كفرس اشتد به فرسه فى سبيل الله على كشحه»^(١) وهو فى الرباط الأكبر»^(٢).

* فإن كان هذا وصف النبى ﷺ لمن ينتظر الصلاة فكيف به حين يقوم بين يدى الله (جل وعلا) ليصلى ويكى ويتضرع!!؟

الملائكة تدعو لمن ينتظر الصلاة.. فكيف بمن يصلى؟

* ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «إن أحدكم فى صلاة ما دامت الصلاة تجبسه، والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يقم من مصلاه، أو يُحدث»^(٣).

فإن كانت الملائكة تدعو كل هذا الدعاء للعبد الذى ينتظر الصلاة فكيف إذا قام ووقف بين يدى الله ليصلى ويكى ويخشع ويضع جبهته فى التراب طلباً لرضوان الله (جل وعلا)!!؟

خيركم من طال عمره وحسن عمله

قال ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله»^(٤).

* فالعبد كلما طال عمره فى طاعة الله كلما كان ذلك خيراً له.

(١) الكاشح: هو العدو الذى يُضمر عداوته.

(٢) حسن: رواه أحمد (٨٤١١) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٤٥٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٢٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٦٤٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٩) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٢٢٧) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٩٦).

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «كان رجلان من (بلي) من (قضاة) أسلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشهد أحدهما، وأخر الآخر سنة، فقال طلحة بن عبيد الله: فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة، وكذا وكذا ركعة، صلاة سنة؟». وفي رواية ابن ماجه قال صلى الله عليه وسلم: «فلما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض»^(١).

من الصديقين والشهداء

* عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أرايت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان، وقمته، فممن أنا؟ قال: «من الصديقين والشهداء»^(٢).

من حافظ على الصلاة لقي الله مسلماً

* إن المحافظة على الصلاة عنوان لاستسلام العبد لأوامر الخالق (جل وعلا) ولذا قال ابن مسعود رضي الله عنه «من سره أن يلقي الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس، حيث ينادى بهن، فإنهن من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبىكم سنن الهدى، ولعمري لو أن كلكم صلى فى بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد رأيت الرجل يهادى بين الرجلين، حتى يدخل فى الصف»^(٣).

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٩٢٥) كتاب تعبير الرؤيا، وأحمد (٨١٩٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٥٩١).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (٢٢٣/٨)، رقم (٣٤٣٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٦١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٥٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن رسول الله صلوات الله عليه علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه» (١).

عهد من الله بالمغفرة للمصلين

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «أشهد أني سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول: «خمس صلوات افترضهن الله عز وجل، من أحسن وضوءهن، وصلأهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن، كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل، فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه» (٢).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلوات الله عليه: «إن العبد إذا قام يصلي، أتى بذنوبه كلها، فوضعت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد، تساقطت عنه» (٣).

* وفي الصحيحين أن النبي صلوات الله عليه قال: «أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا» (٤).

أهل الصلاة هم الفائزون برحمة الله

فقد قال (جل وعلا) عن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤدون سائر الفرائض: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٥).

(١) انظر السابق.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٢٤٢).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢٧٩/١ ، رقم ٤٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (٩٩/٦)، والبيهقي (١٠/٣ ، رقم ٤٤٧٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٧١).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٨) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٦٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) سورة التوبة: الآية: (٧١).

* وعن إبراهيم ومجاهد فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ (١) الآية قالا: «الصلوات الخمس».

إذا أردت القرب من الله فعليك بالصلاة

قال تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (٢).

وقد قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء» (٣).

* وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «من كان فى الصلاة فهو يقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يوشك أن يفتح له» (٤).

* وروى البخارى أن الله تعالى قال فى الحديث القدسى: «وما تقرب إلىَّ عبدى بشيء أحب إلىَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألتنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيزنه» (٥) الحديث.

وإذا أردت القرب من رسول الله ﷺ فعليك بالصلاة

عن ربيعة بن كعب رضى الله عنه أنه قال: «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتته بوضوئه وحاجته، فقال لى: «سلنى» فقلت: أسألت مرافقتك فى الجنة، قال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك قال: «فأعنى على نفسك بكثرة السجود» (٦).

(١) سورة الكهف: الآية: (٢٨).

(٢) سورة العلق: الآية: (١٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٨٢) كتاب الصلاة.

(٤) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ١٣٠)، والبيهقى فى الشعب (٣/ ١٤٦)، رقم (٣١٤٨)، وابن المبارك فى الزهد (٨/ ١)، رقم (٢١).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

الصلاة آخر وصية للنبي ﷺ

ألا تعلم أيها الأخ الحبيب أن الصلاة هي آخر وصية أوصى بها النبي ﷺ وهو في الرمق الأخير من حياته.

فعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»^(١).

* فإن أردت أن تحفظ وصية الحبيب ﷺ فعليك بالصلاة.

الصلاة من أسباب النجاة من عذاب القبر

من المعلوم أن العبد إذا تزود بالعمل الصالح فإن ذلك يكون من أسباب النجاة من عذاب القبر، ومن أعظم الأعمال الصالحة التي يتزود بها العبد (الصلاة).

* قال رسول الله ﷺ: «إن الميت إذا وُضع في قبره، إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمناً، كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجله، فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلى مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلى مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلى مدخل، ثم يؤتى من قبل رجله، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف إلى الناس: ما قبلى مدخل...»^(٢).

* * *

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥١٥٦) كتاب الأدب، وابن ماجه (٢٦٩٨) كتاب الوصايا، وأحمد (٥٨٦) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٦١٦).

(٢) حسن: رواه ابن حبان (٣٨٠/٧)، رقم (٣١١٣)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦١).

الصلاة أمنية الأموات والمعذبين

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرٍ دُفِنَ حديثًا، فقال: «ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا فى عمله أحب إليه من بقية دنياكم» (١).

* فالعبد حين يعاين الحقائق ويرى العذاب أمام عينيه يتمنى العودة مرة أخرى إلى الدنيا ليصلى ويتصدق ويفعل كل الخيرات، ولكن هيهات هيهات فقد مضى الأجل وضاع العمر فى اللهو واللعب وما بقيت إلا التبعات .
وقال عز وجل: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ (٢) فهم يسألون الرجعة عند الاحتضار، وكذلك يسألونها إذا وقفوا على النار، ... قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) وكذا يتمنونها إذا عرضوا على ربهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (٤).

وكذا يتكرر سؤالهم الرجعة وهم فى غمرات الجحيم كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾ (٥)(٦).

من أجل ذلك أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل

(١) صحيح: رواه ابن المبارك (١/ ١٠ ، رقم ٣١) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥١٨).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٤٤).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٢٧).

(٤) سورة السجدة: الآية: (١٢).

(٥) سورة فاطر: الآية: (٣٧).

(٦) الصلاة لماذا؟ (ص: ١١٣).

شغلك، وحياتك قبل موتك»^(١).

إذا صلحت صلاتك صلح سائر عملك

وإذا صلحت الصلاة، صلح سائر عمل المرء، قال رسول الله ﷺ :
«أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن
فسدت فسد سائر عمله»^(٢).

* فاحرص أخى الحبيب أن تصلى كما كان النبی ﷺ يصلى؛ لأنه إذا
صلحت صلاتك صلح سائر عملك يوم القيامة، كما أخبر بذلك الصادق
المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ .

الصلاة نور وبرهان ونجاة يوم القيامة

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبی ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً
فقال: «من حافظ عليها؛ كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ
عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وهامان،
وفرعون، وأبى بن خلف»^(٣).

* فالصلاة نورٌ فى الدنيا وفى القبر ويوم القيامة، ولذا قال ﷺ :
«...والصلاة نور»^(٤).

* فالصلاة تنير القلب وتكسو الوجه نوراً وإشراقاً. فقد قال تعالى:
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

(١) رواه الحاكم (٣٤١/٤)، رقم (٧٨٤٦)، والبيهقى فى الشعب (٢٦٣/٧)، رقم (١٠٢٤٨)، وصححه
العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٢/٢٤٠)، رقم (١٨٥٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله
فى صحيح الجامع (٢٥٧٣).

(٣) ضعيف: رواه الدارمى (٢٧٢١) كتاب الرقاق، وأحمد (٦٥٤٠) مسند الكثرين من الصحابة،
وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (٣١٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿١﴾ .

قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قيل: الصلاة تُحَسِّنْ وجوههم، ... قال ابن عباس: «السمت الحسن»، وعن منصور عن مجاهد قال: «الخشوع».

* وهى نورٌ للمؤمن فى قبره - كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «صلوا ركعتين فى ظلمة الليل لظلمة القبر».

* كما أنه يتلأأ جبين المصلى يوم القيامة.

قال عليه السلام: «بشِّرُ المشائين فى الظُّلُمِ إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» (٢).

* ولذلك فإنه عندما تُقَسَّمُ الأنوار يوم القيامة ويصعد المؤمنون والمنافقون على الصراط سرعان ما تنطفئ أنوار المنافقين فينادون على المؤمنين ويقولون لهم: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ (٣).

فيأتيهم الجواب: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (٤) فهذا هو نور الصلاة والأعمال الصالحة التى يتقرب بها العبد إلى ربه (عز وجل) ولذلك فإن العبد كلما ازداد طاعة لله كلما غمره النور يوم القيامة من كل مكان ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (٥).

* * *

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٦١) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٢٣) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٣)، (٤) سورة الحديد: الآية: (١٣).

(٥) سورة الحديد: الآية: (١٣).

الصلاة تحرم أجسادكم على النار

* قال رسول الله ﷺ: «تُحترقون^(١) تُحترقون، فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تُحترقون تُحترقون، فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تُحترقون تُحترقون، فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تُحترقون تُحترقون، فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تُحترقون تُحترقون، فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون، فلا يُكتب عليكم شيء حتى تستيقظوا»^(٢).

* وقد ضمن الله (عز وجل) النجاة من النار لمن حافظ على صلاتي الفجر والعصر، ... فعن عمارة بن ربيعة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»^(٣).

وقال ﷺ: «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها؛ حُرِّم على النار»^(٤).

النار لا تأكل آثار السجود

قال المروزي: ومن فضل الصلاة على سائر الأعمال أن من دخل النار من المؤمنين لم يجدوا شيئاً من الأعمال التي عملوها بجوارحهم تمنع شيئاً من أجسادهم من الاحتراق إلا السجود لله في الدنيا، فإن النار لم تُصَب مواضع السجود من المصلين خاصة^(٥).

* عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يُخرج من النار من أراد أن يرحم ممن كان شهد أن لا إله إلا

(١) أى: تقعون فى الهلاك بسبب الذنوب الكثيرة.

(٢) حسن صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٣٥٨/٢)، رقم (٢٢٢٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٧)، وقال: حسن صحيح.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٣٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٢٦٩) كتاب الصلاة، والترمذى (٤٢٧) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١١٦٠) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (٢٦٢٢٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة

الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٩٥).

(٥) تعظيم قدر الصلاة (٢٩٢/١).

الله، أمر الله أن يُخرجوهم، فيعرفوهم بعلامة آثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل من بنى آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا، فيصب عليه من ماء يقال له: ماء الحياة، فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل»^(١) الحديث .

الصلاة ترفع درجتك فى الجنة

قال ﷺ: «صلاة فى إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين»^(٢) .

وقال ﷺ: «ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين يقبل بقلبه وبوجهه عليهما إلا وجبت له الجنة»^(٣) .

وقال ﷺ: «من حافظ على الصلوات الخمس، ركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن، وعلم أنهم حق من عند الله دخل الجنة، أو قال: وجبت له الجنة، أو قال: حرّم على النار»^(٤) .

* وروى مسلم أن النبى ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(٥) .

الصلاة.. ولذة النظر إلى وجه الله (جل وعلا)

إن أعظم نعمة فى الجنة هى نعمة النظر إلى وجه الله (جل وعلا) .
قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٦) .

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧٤) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان .

(٢) حسن: رواه أبو داود (١٢٨٨) كتاب الصلاة، وأحمد (٢١٧٧٠) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٣٧) .

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٩٠٦) كتاب الصلاة، والنسائى (١٥١) كتاب الطهارة، وأحمد (١٦٩٤٢) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٧) .

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٢٩) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود .

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥١) كتاب الطهارة .

(٦) سورة القيامة: الآيتان: (٢٢-٢٣) .

وقد ربط النبي ﷺ بين رؤية الرب تبارك وتعالى وبين الصلاة.

فيما رواه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - يعنى البدر - فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (١)(٢).

ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وهيئة من أعمال الصلاة

وهي الأذان، والطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة، والقيام والنية والتكبير، والاستعاذة، والبسملة وقراءة الفاتحة، والسورة والركوع والسجود، والتشهد.

الأذان: إذا سمعت النداء بالأذان فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارة.

وأما الطهارة: فإذا أتيت بها في مكانك وهو طرفك الأبعد، ثم في ثيابك وهو غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى، فلا تغفل عن طهارة قلبك بالتوبة والندم والعزم على عدم العودة وردّ المظالم فطهارة الباطن أولى من طهارة الظاهر.

وأما ستر العورة: فمعناه تغطية مقابح البدن عن أعين الخلق فلتتذكر عند ذلك مقابح باطنك وما تشتمل عليه فضائح سرّك فاستحضر عند ذلك الحياء من الله (عز وجل) الذي لا تخفى عليه خافية؛ لأنها مما لا يمكن ستره.

وأما استقبال القبلة فهو صرف ظاهر الوجه عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله عز وجل، فاعلم أن الواجب مع ذلك صرف القلب عن سائر الجهات إلى الله عز وجل، ولذا كان دعاء الاستفتاح: «وجهت وجهي للذي

(١) سورة طه: الآية: (١٣٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

فطر السماوات والأرض حنيفاً»^(١) فالمراد إقبال القلب وإخلاصه لله عز وجل بعد توجيه البدن إلى بيت الله .

وأما القيام: فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله (عز وجل) فتذكر عند ذلك القيام بين يديه يوم القيامة عند السؤال فاستشعر عند ذلك عظمة الله (عز وجل) وأعد للقيام بين يدى الله (عز وجل) ما تنجو به يوم القيامة .

وأما النية: فاستشعر بها الإخلاص إلى الله عز وجل طمعاً فى ثوابه وخوفاً من عقابه ومحبة فى قربهِ، ودرّب نفسك عند ذلك على استحضار نية الإخلاص فى كل قول وعمل، واعلم أنه لا ينجو يوم القيامة إلا المخلصون .

وأما التكبير: فإذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فإن كان فى قلبك شىء أكبر من الله سبحانه أو كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل وأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيكون قولك «الله أكبر» كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته، وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرمه سبحانه وعفوه .

وأما الاستعاذة: فاعلم أنها الاحتماء بجناب الله العظيم من الشيطان الرجيم .
وأما البسملة: فانو بها التبرك باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم .

وإذا قلت: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٢) فاستحضر فى قلبك أنواع لطفه ليتضح له رحمته فينبعث الرجاء من قلبك .

وأما قراءة الفاتحة: فتذكر قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدنى عبدى وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله تعالى: أثنى على عبدى، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مجّدنى عبدى.
فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

(٢) سورة الفاتحة: الآية: (٣) .

سأل فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل^(١).

وأما قراءة السورة: فعليك بتدبر القراءة والوقوف عند كل آية حتى تفهم معناها. . . قال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢) فلا يغفل عند أمره ونهيهِ ووعده ووعيدهِ ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه، ولكل واحد حق، فالرجاء حق الوعد والخوف من حق الوعيد، والعزم على الطاعة حق الأمر والنهى، والاتعاظ حق الموعظة، والشكر حق المنّة، والاعتبار حق القصص^(٣).

وأما الركوع والسجود:

قال ابن قدامة: واستشعر فى ركوعك التواضع وفى سجودك زيادة الذل لأنك وضعت النفس موضعها ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذى خلقت منه وتفهم معنى الأذكار بالذوق^(٤).

وأما التشهد:

قال الغزالي: فإذا جلست له فاجلس منادياً وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات، أى من الأخلاق الطاهرة لله، وكذلك الملك لله، وهو معنى التحيات، وأحضر فى قلبك النبى ﷺ وشخصه الكريم وقل: سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين، ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة مجدداً عهداً لله سبحانه بإعادة كلمتى الشهادة، ثم صلّ على رسول الله ﷺ الصلاة الإبراهيمية، ثم تعوذ بالله من أربع: من عذاب النار، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وشر فتنة المسيح الدجال، ثم سلم،

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٩٥) كتاب الصلاة.

(٢) سورة محمد: الآية: (٢٤).

(٣) إحياء علوم الدين (١/ ٣٠١) بتصرف.

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٢).

واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين، واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة واستشعر كذلك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة، وخَفْ أن لا تُقبل صلاتك وأن تكون ممقوتًا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك فى وجهك، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله . فهذا تفضيل صلاة الخاشعين، الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون، والذين هم على صلاتهم دائمون، والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية، . . . فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذى يُسرُّ له منه ينبغى أن يفرح، وعلى ما يفوته ينبغى أن يتحسر، وفى مداواة ذلك ينبغى أن يجتهد^(١).

عقوبة تارك الصلاة

إن مغبة ترك الصلاة شديدة، وحسبك يا تارك الصلاة أنك بذلك قد خنت الأمانة وجعلت حياتك كلها عرضة للعذاب والهلاك فى الدنيا والآخرة .
وها هى بعض العواقب الوخيمة لترك الصلاة:

١- ترك الصلاة كفر:

ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة».

وفى رواية لمسلم: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(٢).

وقال ﷺ: «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»^(٣).

(١) الإحياء (٣٠٤/١) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٢) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٢١) كتاب الإيمان، والنسائى (٤٦٢) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٠٧٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (٢٢٤٢٨) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤١٤٣).

* وعن محجن بن الأدرع الأسلمي أنه كان في مجلس مع النبي ﷺ فأذن بالصلاة، فقام النبي ﷺ ثم رجع ومحن في مجلسه، فقال له: «ما منعك أن تصلي، أأنت برجل مسلم؟» قال: «بلى، ولكني صليت في أهلي»، فقال له: «إذا جئت فصل مع الناس، وإن كنت قد صليت»^(١).
ومعناه: «لو كنت مسلماً لصليت».

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من ترك الصلاة، فلا دين له».
* وعن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة رضي الله عنه: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»^(٢).
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا وضوء له»^(٣).

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أما إنه لا حظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة».

٢- ترك الصلاة من أكبر الكبائر:

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -: «لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمداً من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس، وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة»^(٤).

(١) صحيح: رواه النسائي (٨٥٧) كتاب الإمامة، وأحمد (١٥٩٥٨) أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، ومالك في الموطأ (٢٩٨) كتاب النداء للصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٦٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٢٢) كتاب الإيمان، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي.

(٣) صحيح موقوف: رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٨٢٨/٤)، رقم (١٥٣٦)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٩٠٣/٢)، رقم (٩٤٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٥٧٥)، وقال: صحيح موقوف.

(٤) الصلاة وحكم تاركها (ص: ٣).

٣- تارك الصلاة برئت منه ذمة الله؛

* قال ﷺ: «لا تشرك بالله شيئاً، وإن قُتلت، وحُرِّقت، ولا تعقنَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلِكَ ومالك، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله» (١) الحديث.

٤- ترك الصلاة خيانة للأمانة؛

فالأمانة تشمل التكاليف كلها. . وعلى رأسها الصلاة فمن تركها فقد خان الأمانة، وقد قال (جل وعلا): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

٥- عقوبات متلاحقة لمن ترك الصلاة؛

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الذى تفوته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله» (٣).

والموتور: من أخذ أهله وماله، وهو ينظر إليه، وذلك أشد لغمه، ومن فاتته الصلاة أشبهه لاجتماع غم الإثم، وغم فقد الثواب، كما يجتمع على الموتور غمان: غم السلب، وغم الطلب بالثأر.

* وروى البخارى أن النبى ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر حبط عمله» (٤).

* فإن كان هذا حال من ترك صلاة العصر فقط فما ظنكم بمن ترك

الصلوات الخمس!!!؟

* بل روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات

أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين» (٥). . . فيسعى فى

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (٢١٥٧٠) مسند الأنصار رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٧٠)، وقال: حسن لغيره.

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٢) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٢٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥٥٣) كتاب مواقيت الصلاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨٦٥) كتاب الجمعة.

صلاح دنياه، ولو خرب أخره، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.

٦- ترك الصلاة تضييع لحقوق عباد الله الصالحين؛

لأنه يجب عليه في التشهد أن يقول: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» قال عليه السلام: «إذا قالها بلغت كل عبد لله صالح في السماء والأرض» (١) فإذا ترك الصلاة، عطل هذه التحية الطيبة عن أن تبلغ أولياء الله الصالحين (٢).

٧- ترك الصلاة سبب للوقوع في الشهوات؛

فهناك تلازم حقيقى بين ترك الصلاة والوقوع في الشهوات قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (٣) فكل من أضاع الصلاة لابد أن تستعبده الشهوات؛ لأن من عقوبة السيئة السيئة بعدها؛ ولأن من ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع.

وكما أن من ثمرات الصلاة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء والمنكر ينهيان عن الصلاة، وفي طليعة «الفحشاء والمنكر» يأتي الخمر والقمار اللذان يستعبدان الإنسان لرغائبه وشهواته، وينهيانه عن الصلاة، ... قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ (٤).

ولأجل ذلك عظمت مصيبة تارك الصلاة بسبب السكر، وتضاعفت عقوبته. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن رسول الله صلوات الله عليه أنه قال: «من ترك الصلاة سكرًا مرة واحدة، فكانما كانت له الدنيا وما عليها فسلبها، ومن ترك الصلاة سكرًا أربع مرات كان حقًا على الله - عز وجل - أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: «عصارة أهل جهنم» (٥) (٦).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٠٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٤٠٢) كتاب الصلاة.

(٢) الصلاة لماذا؟ (ص: ١٧٩).

(٣) سورة مريم: الآية: (٥٩).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٥) حسن: رواه أحمد (٦٦٢١) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٨٥).

(٦) الصلاة لماذا؟ (ص: ١٧٠).

٨- تارك الصلاة يُحشر مع أئمة الكفر:

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «من حافظ على الصلاة؛ كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها؛ لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون، وهامان، وأبى بن خلف» (١).
 * قال بعض أهل العلم: «وإنما يُحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة؛ لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه، أو بوزارته، أو بتجارته فإن اشتغل بماله حُشِرَ مع قارون وإن اشتغل بملكه حُشِرَ مع فرعون وإن اشتغل بوزارته حُشِرَ مع هامان، وإن اشتغل بتجارته حُشِرَ مع أبى بن خلف تاجر الكفار بمكة» (٢).

٩- ترك الصلاة يُظلم القلب ويسود الوجه:

ترك الصلاة يظلم القلب، ويسود الوجه، وذلك لأن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت الحيرة حتى يقع تاركها فى الضلالات، وهو لا يشعر، كأعمى خرج فى ظلمة وحده، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر فى العين، ثم حتى تعلو الوجه، فيصير سواداً يدركه أهل البصائر، وتحصل حين ذلك الوحشة بينه وبين الناس سيما أهل الخير، فيجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم، وحرم بركة النفع بهم، وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن (٣).

١٠- ترك الصلاة يورث النفاق:

إن العبد إذا ترك الصلاة فإن النفاق يدب فى قلبه، فالمنافق لا يطيق الصلاة، وإذا قام إلى الصلاة فإنه يأتيها وهو كسلان كما وصف الله حال المنافقين فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤).

(١) ضعيف: رواه الدارمى (٢٧٢١) كتاب الرقاق، وأحمد (٦٥٤٠) مسند المكثرين من الصحابة،

وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (٣١٢).

(٢) الصلاة وحكم تاركها (ص: ٢٢).

(٣) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى، للإمام ابن القيم (ص: ٤٩).

(٤) سورة النساء: الآية (١٤٢).

أى: أنهم يصلون مراعاة وهم متكاسلون متثاقلون، لا يرجون ثواباً، ولا يعتقدون على تركها عقاباً.

وقال سبحانه فى شأن المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ (١) الآية.

قال ابن عباس: «إن كان فى جماعة صلى، وإن انفرد لم يصل».

* وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «أنقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فىهما لأتوهما ولو حبواً ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلى بالناس، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب؛ إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار» (٢).

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فى شأن صلاة الجماعة: ولقد رأيتنا، وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان يؤتى بالرجل يُهادى بين الرجلين (٣) حتى يقام فى الصف» (٤).

* وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «كنا إذا فقدنا الرجل فى الفجر والعشاء أسأنا به الظن» (٥).

١١- ترك الصلاة من أسباب سوء الخاتمة:

اعلم أيها الأخ الحبيب واعلمى أيتها الأخت الفاضلة، أن ترك الصلاة من أعظم أسباب سوء الخاتمة، فقد قال ﷺ - كما عند مسلم - : «يُبعث كل عبد على ما مات عليه».

* ولقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً لا يتم ركوعه، وينقر فى سجوده وهو

(١) سورة التوبة: الآية: (٥٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤) كتاب الأذان، ومسلم (٦٥١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) أى: يمشى بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) صحيح موقوف: رواه ابن أبى شيبة (٢٩٢/١)، رقم (٣٣٥٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٤١٧)، وقال: صحيح موقوف.

يصلى، فقال: «لو مات هذا على حاله هذه، مات على غير ملة محمد ﷺ» (١).
فإن كان الذى يصلى ولكنه يسىء صلاته متوعداً بسوء الخاتمة فكيف بمن
يهجر الصلاة بالمرة؟!!

١٢- ترك الصلاة من أسباب عذاب القبر:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (٢)﴾.
ومن المعلوم أن تارك الصلاة لا يعمل عمل الأبرار وإنما يعمل بعمل الفجار.
قال ابن القيم - رحمه الله -: «ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء فى نعيم فى دورهم الثلاثة، وهؤلاء فى جحيم فى دورهم الثلاثة» (٣). اهـ.
* قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (٤).
وقد فُسرَت المعيشة الضنك بعذاب القبر.

بل ويخبر النبى ﷺ عن حال كل من عصى الله وابتعد عن طاعته، يخبر النبى ﷺ عن حاله فى قبره فيقول: «ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بما يسوؤك، هذا يومك الذى كنت توعده، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر، من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالشر! فيقول: أنا عملك الخبيث» (٥).

ويخبر النبى ﷺ أن تارك الصلاة يظل يُعَذَّبُ فى قبره إلى يوم القيامة
ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبى ﷺ

(١) حسن: رواه الطبرانى (٤/ ١١٥، رقم ٣٨٤١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٢٨).

(٢) سورة الانفطار: الآيتان: (١٣-١٤).

(٣) الجواب الكافى (ص: ١٠٧).

(٤) سورة طه: الآية: (١٢٤).

(٥) صحيح: رواه أحمد (١٨٠٦٣) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى

صحيح الجامع (١٦٧٦).

قال: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي....» الحديث، وفيه: «...وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه (١)، فيتدهده (٢) الحجر ها هنا، فيتبع الحجر، فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى» (٣) الحديث.

١٣- تارك الصلاة يحشر في وادي سقر:

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة: ألا تعلمون أن المضيعين للصلاة والمفرطين فيها لهم الغى. قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (٤).

والمستكبرون عن الركوع لله (عز وجل) والمستهترون بمواقيت الصلاة لهم الويل، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٤٨) وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥﴾ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٦﴾.

وأما الذين يتركون الصلاة فهم في وادي سقر.... قال تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمُسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٧﴾.

- ولكن يا ترى ما وادي سقر؟

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٨﴾.

(١) يثلغ رأسه: أى: يشدخه، ويشقه.

(٢) يتدهده: يتدحرج، والمقصود أنه يدفعه من علو إلى سفلى.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

(٤) سورة مريم: الآية: (٥٩).

(٥) سورة المرسلات: الآيتان: (٤٨-٤٩).

(٦) سورة الماعون: الآيتان: (٤-٥).

(٧) سورة المدثر: الآيات: (٣٨-٤٥).

(٨) سورة المدثر: الآيات: (٢٧-٣٠).

شبهات... والرد عليها

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

أريد أن أسأل أى مسلم: لماذا لا تصلى؟ ومن المعلوم أن كل واحد سيذكر سبباً يمنعه من الصلاة، وسوف نتولى الرد عليه.

١- يقول أحدهم: أنا لا أصلى لأن الصلاة ثقيلة جداً.

نقول: يخففها عليك أن تعلم أنك عبدٌ لله (جل وعلا).. وأن تعلم أنها كانت خمسين صلاة فخففت إلى خمس صلوات، ويخففها أيضاً عليك أن تستعين بالله (جل وعلا) أن يجعل الصلاة قرة عينك كما كانت قرة عين النبي ﷺ.

٢- يقول: مش مهم الصلاة... وكفاية إنى أنا باحب الخير للناس.

نقول: كيف تزعم أنك تحب الخير للناس، وأنت لم تحبه لنفسك فتركت الصلاة وجعلت نفسك عرضة لعذاب الله يوم القيامة... ثم ما الذى يمنع أن تحب الخير للناس، وأن تصلى فى نفس الوقت؟

٣- يقول المشكلة أننى ليس عندى وقت للصلاة.

نقول: يعنى عندك وقت للطعام والشراب، والعمل ولكل شىء إلا الصلاة... هل نسيت أيها الأخ الحبيب أن الغاية العظمى من وجودك فى هذه الدنيا أن تكون عبداً لله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١).

فهل يجوز لك أن تؤثر الدنيا بمتاعها الزائل على طاعة الله (جل وعلا)..

هل تعلم أيها الأخ الحبيب أن المجاهد فى سبيل الله لا يجوز له أن يترك

الصلاة فكيف بك وأنت فى هذا الأمان وبين تلك النعم؟!!

٤- يقول: المشكلة أنني أعرف أناساً فى غاية السوء ومع ذلك فهم يصلون. نقول: إذن فما عليك إلا أن تصلى وتكون قدوة للناس بأخلاقك ومعاملاتك وأمانتك لتكون سبباً فى تغيير تلك الصورة السيئة ويكون ذلك فى ميزان حسناتك.

٥- يقول: مادام القلب أبيض يبقى خلاص.. لسنا فى حاجة إلى الصلاة. نقول: إن الذى فى مكنونات القلوب لا يعلمه إلا علام الغيوب (جل وعلا)... فنحن لا نعلم إذا كان قلبك أبيض أم غير ذلك، ولكننا نعلم يقيناً أن صاحب القلب الأبيض لا بد أن يكون من الذين يسجدون لله (جل وعلا).

٦- يقول: المشكلة أنني كلما صليت جاءتني المصائب من كل مكان. نقول: إن هذا اختبار من الله (عز وجل) لك لأنه يحبك. أما سمعت قول النبي ﷺ عندما قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم...» (١).

وأنت تعلم كيف عانى النبي ﷺ من شدة البلاء ومع ذلك كان راضياً عن الله... فما عليك إلا أن ترضى وتسلم وتعلم أن الدنيا دار بلاء وأن النعيم الحقيقى الكامل لن يكون إلا فى جنة الرحمن (جل وعلا).

٧- يقول: المشكلة إن إمام المسجد يطيل فى القراءة. نقول: إن أردت أن تبحث عن مسجد آخر قريب لا يطيل فيه الإمام فى القراءة فافعل، ولكن لو أنك استشعرت أن هذا القرآن هو كلام ربنا (جل وعلا) فلن تشعر بطول القراءة أبداً... كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه والله لو طهرت قلوبنا ما شبت من كلام ربنا... ومع ذلك فنحن نوصى أئمة المساجد بعدم الإطالة.

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٣١) كتاب الفتن، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١١٠).

٨- يقول: ذنوبى كثيرة وأشعر بأن صلاتى غير مقبولة.

نقول له: أحسن الظن بالله واعلم أن الله أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع فلو أنك ثبتت توبة صادقة فإن الله (عز وجل) سوف يبدل سيئاتك كلها حسنات فقد قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١).

٩- يقول: المشكلة أنى لا أستطيع أن أغسل رجلى خمس مرات.

نقول: توضأ واغسل رجلك مرة واحدة فى اليوم والبس جورباً أو شرباً وإذا أردت أن تتوضأ فامسح عليه فى سائر الصلوات الخمس إذا كنت مقيماً، وثلاثة أيام بلياليهن إذا كنت مسافراً.

١٠- يقول: أنا لا أستطيع أن أصلى إلا وأنا جالس فأستحيى أن أصلى فى المسجد حتى لا يسخر الناس منى.

نقول: صل قائماً فإن لم تستطع فصل جالساً فإن لم تستطع فصل على جنبك. فإن كنت تريد أن تترك الصلاة حياء من الناس فمن باب أولى أن تصلى حياء من الله.

١١- يقول: سوف أصلى إن شاء الله من يوم الجمعة القادمة.

نقول: وهل تضمن أن تعيش ساعة واحدة... والله أنا أخشى أن تموت قبل أن تصلى.

- وأنا أهدى لك هذه القصة: كان هناك شاب يشرب الخمر ولا يصلى وبعد سنوات عديدة قابله بعض الشباب الأفاضل فأخذوا يدعونه إلى الله بكل رحمة وحنان فافتتح قلبه وعاد إلى البيت فاغتسل وتوضأ ولبس ملابس نظيفة وذهب إليهم فى المسجد ووقف خلف الإمام ليصلى صلاة المغرب، وما إن سجد الإمام وسجد خلفه هذا الشاب حتى فاضت روحه مع أول

سجدة سجدتها لله (جل وعلا).

* فالإنسان لا يدري متى يأتيه الموت.. قد تموت وأنت ساجد لله وقد تموت وأنت تارك للصلاة.

ومن مات على شيء بُعث عليه.. فيا ترى هل تحب أن تُبعث وأنت ساجد لله أم تحب أن تُبعث وأنت تارك للصلاة.

* أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

يا من تركتم الصلاة.. تذكروا أننا عما قريب سنلقى الله وسيسألنا عن كل صغير وكبير.

أقول لكل واحد منكم: بالله عليك قُم الآن... نعم الآن.. وتوضاً وصلّ واسجد بين يديّ الله واسكب دموع الندم عسى الله أن يغفر لك وأن يتوب عليك وأن يرحمك وقُل بلسان الحال والمقال: «أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهاج المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء مَنْ خضعت لك رقبتة، وفاضت لك عبرته، وذللّ لك جسمه، ورغم لك أنفه».

وأخيراً: فإننى أسأل الله (جل وعلا) أن يهدى كل عَصاة المسلمين وأن يردّهم إلى دينه وإلى سنة حبيبهِ ﷺ وأن يرزقهم نعمة الصلاة التى هى من أعظم النعم.

كما أسأله (سبحانه) أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتى يوم أُدرج فى أكفانى.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

القرآن يا شباب

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي ختم به جميع الرسالات... وهو منهج حياة متكامل يكفل للعبد السعادة في الدنيا والآخرة فهو كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فلقد كانت البشرية قبل مبعث النبي ﷺ تعيش في ظلمات الشرك والكفران فجاء النبي ﷺ بكتاب الله (عز وجل) ليُخرج الكون كله من ظلمات الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان، ولذا قال تعالى عن

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

هذا الكتاب العظيم: ﴿الرَّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١)، فتحوّلت الأمة بهذا الكتاب من الشرك والجاهلية إلى الهداية والتوحيد، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن أمة تعيش على هامش الحياة إلى أمة تأخذ بزمام البشرية كلها إلى سعادة الدارين.

فلقد جاء القرآن الكريم ليربى أمة وينشئ مجتمعا وقيم نظاما... والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثير وانفعال بالكلمة وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقع منظور في دنيا الناس.

* تأمل قول عائشة رضي الله عنها حينما سُئِلت عن النبي صلّى الله عليه وآله فقالت: «كان خلقه القرآن» (٢).

فمن أراد أن يتخلق بخلق النبي صلّى الله عليه وآله فعليه بالقرآن وبسنة سيد الأنام صلّى الله عليه وآله.

بل لقد كان أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله يعلمون يقيناً أن النصر لا يأتي إلا إذا اعتصمت الأمة بكتاب ربها وسنة نبيها صلّى الله عليه وآله. فها هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يمر على خيام المجاهدين - في معركة القادسية فإذا سمع القرآن من تلك الخيمة يقول: من هنا يأتي النصر، وإذا وجد أهل الخيمة التي بجوارها غافلين عن قراءة القرآن قال: ومن هنا تأتي الهزيمة. فلا عز للأمة إلا في التمسك بكتاب ربها (عز وجل)... ويوم أن تخلّت الأمة عن كتاب الله وسنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وذهبت تلتمس العزة في غير كتاب الله أذلها الله (عز وجل) لأذل الأمم، وما هذا الذل الذي نراه الآن إلا بما كسبت أيدينا ويعفو الله عن كثير.

(١) سورة إبراهيم: الآية: (١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، وأحمد (٢٤٧٧٤) باقى مسند الأنصار، واللفظ له، وصححه العلامة الألباني رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٨١١).

فهيا يا شباب الصحوة إلى النبع الصافى . . إلى كتاب الله (عز وجل)
 فأقبلوا على حفظه ومدارسته والعمل بما فيه ليرفع الله قدركم فى الدنيا
 والآخرة وليرفع البلاء عن الأمة ويُنزل نُصرته على عباده الموحدين .
 وها أنا أسوق لحضراتكم تلك الرسالة الموجزة عسى أن يجعلها الله سبباً
 فى شحذ همم شبابنا وفتياتنا لحفظ القرآن والعمل بما فيه . . فاللهم ارزقنا
 حفظ كتابك والعمل بما فيه -ابتغاء وجهك الكريم- وصلى الله على نبينا
 محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

ثمرات حفظ القرآن

إن لقراءة القرآن وحفظه من الثمرات ما لا يُحصَى فتعالوا بنا لنطوف بين تلك الثمرات عسى أن تكون حادياً لنا ولأولادنا على حفظ القرآن.

أهل القرآن هم أهل المنزلة السامية

القرآن الكريم كله كلامُ الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، ومن أنعم الله عليه بقراءته كله أو حفظه كله، فتلك هي الغايةُ العليا، والمنزلةُ الساميةُ التي تشرَّبُ إليها الأعناقُ.

فقارئ القرآن يُضِيءُ الله قلبه بنور الإيمان وبقية ظلمات يوم القيامة ويُبعد عنه الشدائد ويهديه إلى صراطه المستقيم ويشرح به صدره ويجعل ملائكته يدعون له بالرحمة والمغفرة. فبالقرآن تعمر القلوب والبيوت ويعمها الخير والبركة وتخرج الشياطين منها وتبتعد عنها، ويُعلَى الله قدر قارئ القرآن في الدنيا والآخرة.

أهل القرآن يرجون تجارة لن تبور

إن أهل القرآن الذين تعايشوا معه بقلوبهم وجوارحهم ولم يريدوا من وراءه حُطام الدنيا الزائل، يرجون تجارة لن تبور، بل شهد الله (عز وجل) بصلاحهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١).

وقد كان قتادة رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القرآن^(١)، وذلك لما أثبتته لهم من الأجر العظيم والثواب المضاعف، فهم لا ينعمون بالأجر وافيًا وإنما يزيدهم الله إكرامًا وفضلًا، قال القرطبي: هذه الزيادة هي الشفاعة في الآخرة^(٢).

لا غنى لنا عن كتاب الله (عز وجل)

قال ابن عبد البر: «القرآن أصل العلم، فمن حفظه قبل بلوغه، ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب كان له ذلك عونًا كبيرًا على مراده منه»^(٣).

إن كتاب الله لا يستغنى عنه أى مسلم أبدًا، فالفقيه يستدل بآياته والذي يُعَلِّمُ الناس العقيدة يحتاج إلى كل آية في كتاب الله، ومن يُعَلِّمُ الناس سنن الله في الأمم السابقة يحتاج إلى كتاب الله. وبالجملة فالقرآن منهج حياة متكامل لا يستغنى عنه مسلمٌ بحال من الأحوال.

حفظ القرآن يقودك إلى الصراط المستقيم

إننا نعلم يقينًا أن الشاب إذا انشغل منذ صغره بحفظ كتاب الله، فإن ذلك يشغله عن الوقوع في المعاصي، ومن ثمَّ فإنه ينقاد إلى صراط الله المستقيم، فهو ما بين حفظ ومراجعة ومدارسة لتفسير تلك الآيات وحرص على معرفة أسباب النزول، وهكذا يجد نفسه يخرج من علم إلى آخر حتى يصير في نهاية أمره عالمًا من علماء الأمة العاملين المخلصين.

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٦٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/٣٤٥).

(٣) صحيح جامع بيان العلم وفضله (٤٥٤).

حفظ القرآن استثمار للحظات العمر

لقد أمرنا النبي ﷺ أن نغتني كل لحظة في حياتنا في طاعة الله فقال ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» (١).

ففي الوقت الذي ينشغل فيه أهل الدنيا بدنياهم وحُطامها الزائل ويجعلون مجالسهم في الغيبة واللغو والغفلة، وإذا بأهل القرآن يغتنيون كل لحظة ويتعايشون بقلوبهم وأرواحهم مع كتاب الله (عز وجل) قراءةً وحفظاً وتدبراً وعملاً بما فيه.

أخي الحبيب: إن النفس لأماراة بالسوء إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك فاغتنم لحظات عمرك في حفظ كتاب الله والعمل بما فيه.

القرآن علاج لقسوة القلوب

يشكو كثير من الناس من قسوة قلوبهم ويسألون عن العلاج لتلك القسوة فنقول لهم: إن أعظم وسيلة لعلاج تلك القسوة هو الإقبال على كتاب الله (عز وجل) فقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٢).



(١) صحيح: رواه الحاكم (٣٤١/٤)، رقم (٧٨٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٦٣)، رقم (١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٢٣).

القرآن يجعلك تزداد إيماناً

ومن أراد زيادة الإيمان يوماً بعد يوم فعليه بكتاب الله، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٢). فأنت حينما تقرأ فى القرآن كيف نصر الله عباده من الأنبياء والمرسلين (صلوات ربي وسلامه عليهم) وكيف أخزى الكافرين فإنك تزداد إيماناً، وعندما تقرأ عن وعد الله لعباده المؤمنين بالجنة والرضوان... ووعد الله للكافرين بالسخط والنيران فإنك أيضاً تزداد إيماناً.

فعن جندب رضي الله عنه قال: كنا غلماناً حزاورة^(٣) مع رسول الله صلوات الله عليه وآله فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً^(٤).

لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٥)، فلقد كان النبي صلوات الله عليه وآله يحفظ القرآن ويدوم على تلاوته ومعارضة جبريل به فى كل سنة مرة وفى السنة التى قبض فيها عرضه عليه مرتين. فمن حفظ القرآن فقد تأسّى بالحبيب صلوات الله عليه وآله.



(١) سورة الأنفال: الآية: (٢).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٤).

(٣) الحزاورة: جمع حزور، وهو الغلام إذا قارب البلوغ.

(٤) نزهة الفضلاء (١/ ٣٨٣).

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

حفظ القرآن من خصائص هذه الأمة

حفظ القرآن من خصائص هذه الأمة المحمدية، . . . قال ابن الجزرى (رحمه الله): «ثم إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة». وقال أيضاً: «فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج فى حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرأه بكل حال كما جاء فى صفة أمته: (أناجيلهم فى صدورهم) وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا فى الكتب، ولا يقرؤونه كله إلا نظراً، لا عن ظهر قلب».

سلفنا الصالح.. وحفظ القرآن

قال الإمام النووى: «كان السلف لا يُعلِّمون الحديث والفقه إلا لمن يحفظ القرآن»^(١).

وقال ابن عبد البر: «طلب العلم درجات ومناقل ورُتب، لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف - رحمهم الله -، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضلَّ، ومن تعداه مجتهداً زلَّ فأول العلم حفظ كتاب الله (عز وجل) وتفهمه . . .»^(٢).

وقال أبو الفضل الرازى: «وعلى الحفظ والتحفيظ كان الصدر الأول ومن بعدهم»^(٣).

فمن أراد أن يتأسى بسلفه الصالح فعليه بحفظ القرآن.



(١) المجموع (٣٨/١).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١٦٦/٢).

(٣) فضائل القرآن (ص: ٣٣).

حفظ القرآن سهل وميسور

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١).

قال القرطبي: «أى سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟» (٢). وإن من وجوه إعجاز القرآن الكريم تيسير حفظه على جميع الألسنة حتى حفظه الأعجمي وغيره.

وحفظ القرآن هو الأصل في تلقّيه فلقد وصف الحق (جل وعلا) هذا القرآن بقوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (٣).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان» (٤).

قال النووي: «فمعناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الزوال، بل يبقى على مرّ الزمان» (٥).

حفظ القرآن هم أهل الله

قال ﷺ: «إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» (٦). . . . فيا لها من معية لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاع زال فإن من تمام إكرام الله (عز وجل) لحملة القرآن أن جعلهم من أهله وخاصته. . . . ففي الوقت الذي انتسب فيه أهل الفن لفنهم وأهل الثراء لمالهم، وإذا بأهل القرآن يفوزون بمعية مالك الملك وملك الملوك (جل وعلا).

(١) سورة القمر: الآية: (١٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٣٤).

(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٤٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) مسلم بشرح النووي (١٧/٢٠٤).

(٦) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٥) في مقدمة سننه، والدارمي (٣٣٢٦) كتاب فضائل القرآن، وأحمد

(١١٨٧٠) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٦٥).

لا يستمتع بقيام الليل إلا أهل القرآن

فمن المعلوم أن الذى يقرأ القرآن - فى قيام الليل - من المصحف لا يشعر باللذة التى يشعر بها من يقرأ القرآن من صدره، ولذلك فإننا نجد أن من أعظم الأسباب التى تجعل العبد يتكاسل عن قيام الليل أنه ليس معه قرآن - أى لا يحفظ القرآن - .

فقيام الليل هو شرف المؤمن وهو وقت الرحمات التى تنزل من عند رب الأرض والسموات فهو وقت التنزل الإلهى إلى السماء الدنيا .
قال ﷺ : «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»^(١) .

القرآن يجعلك فى صُحبة الأخيار

ومن المعلوم أن مجالس أهل القرآن لا يكون فيها إلا أهل الصلاح والتقوى، وبالتالي فالقرآن يجعلك فى صُحبة الأخيار . وقد قال ﷺ :
«الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(٢) .
وأخبر عن حال الناس يوم القيامة فقال ﷺ : «المرء مع من أحب»^(٣) ،
فإذا أحببت أهل القرآن وصحبتهم ستكون منهم وستحشر معهم يوم القيامة - إن شاء الله تعالى - .



(١) صحيح: رواه أبو داود (١٣٩٨) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٣٩) .

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٩٦٨) باقى مسند الكثيرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥) .

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب .

حافظ القرآن.. دليله بين يديه

إن الذى يحفظ القرآن إذا قام يوماً ليخطب فى الناس أو يذكرهم فى درسٍ من دروس العلم فدليله بين يديه لا يحتاج إلى أن يبحث عنه... فعنده كل الأدلة من القرآن فى السلوك والآداب والأحكام والفرائض والترغيب والترهيب والقصص والعبر، فكلما أراد أن يتكلم فى موضوع بعينه يجد الأدلة من القرآن تنساب من فمه لتصل إلى قلوب الناس مباشرة.

كنوز من الحسنات فى حفظ القرآن

إن الذى يريد حفظ كتاب الله لا يستطيع ذلك إلا بكثرة الترداد والمذاكرة والحفظ، وقد قال عليه السلام : «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ﴿الْم﴾ حرف، ولكن: ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ»^(١). فلك أن تتخيل عدد الحروف التى يقرأها شابٌ يجلس فى بيت الله ساعتين أو أكثر فى الحفظ والتلاوة.

القرآن حُجة لك أو عليك

إن القرآن إما أن يكون حُجة لك أو عليك.. كما قال عليه السلام : «والقرآن حُجة لك أو عليك»^(٢).

فإذا جلس الشاب يقرأ القرآن ويحفظه ويعمل بما فيه -وهو لا يريد بذلك إلا وجه الله- فإن القرآن سيكون -بإذن الله- يوم القيامة حُجة له وشفيعاً له.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٩١٠) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

حفظ القرآن ييسر قراءته فى كل وقت

فالذى يحفظ القرآن يستطيع أن يقرأه وهو يمشى . . وهو يقود سيارته، وهو ينتظر أحد إخوانه . . . فالشاهد أنه يستطيع أن يلهج لسانه بالقرآن فى أى وقت، أما الذى لا يحفظ القرآن فلا يستطيع أن يقرأ إلا إذا فتح المصحف أمامه، . . . وتلك نعمة يكرم الله بها كل من حفظ كتابه .

حفظ القرآن من أسباب النجاة من النار

إن العبد يسعى بكل ما يستطيع لكى ينجو من عذاب النار، وقد كتب الله (جل وعلا) لمن حفظ القرآن -ابتغاء وجه الله- ألا تحرقه النار، فقد قال عليه السلام : «لو جُمع القرآن فى إهابٍ ما أحرقه الله بالنار»^(١) .

حفظ القرآن مهراً للصالحات

وقد كان من سلفنا الصالح من يتزوج امرأة صالحة ويجعل مهرها حفظ بعض السور من القرآن .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتت النبى ﷺ امرأة فقالت: يا رسول الله! جئت لأهب لك نفسى، فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً، جلست فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله! إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: «هل عندك من شىء؟» فقال: لا والله يا رسول الله، قال: «اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً؟» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا

(١) حسن: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٥٥٥)، رقم (٢٧٠٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٦٦).

رسول الله ما وجدت شيئاً، قال: «انظر ولو خائماً من حديد» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خائماً من حديد، ولكن هذا إزارى - قال سهل: ما له رداء - فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: «ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك شيء؟» فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول الله ﷺ مولياً فأمر به فدعى فلما جاء قال: «ماذا معك من القرآن؟» قال: معى سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عدّها، قال: «أتقروهن عن ظهر قلبك؟» قال: نعم قال: «اذهب فقد ملّكتها بما معك من القرآن»^(١).

فإن لم تجد من يزوجك بما معك من القرآن فاصبر حتى تقدمه مهراً لواحدة من الحور العين فى جنة الرحمن (جل وعلا).

يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ

وحامل القرآن له قدرٌ عظيم فى الدنيا والآخرة. . فى الصلاة التى هى عمود الإسلام وركنه الثانى أخبر النبى ﷺ أنه لا يوم الناس فى الصلاة إلا أقروهم لكتاب الله.

عن أبى مسعود الأنصارى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم القوم اقروهم لكتاب الله، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة...»^(٢).



(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٣٠) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (١٤٢٥) كتاب النكاح.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٧٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

لا حسد إلا في اثنتين

ويُخبر النبي ﷺ أن الذي يحمل القرآن يستحق أن يغبطه الناس - أي يحسدونه حسداً محموداً - لأنه قد تبوأ مكانة عظيمة في الدنيا والآخرة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل»^(٢).

إن من إجلال الله إكرام حامل القرآن

إن إكرام حامل القرآن ليس إكراماً لشخصه، وإنما هو إجلال لكلام الله الذي يحمله في صدره، ولذا قال ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه....»^(٣).

إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً

وكما أن حامل القرآن هو أولى الناس بإمامة الناس في صلاتهم فهو أيضاً من أولى الناس بالإمارة والولاية.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٢٥) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٨١٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٠٢٦) كتاب فضائل القرآن.

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٨٤٣) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢١٩٩).

فعن نافع بن عبد الحارث أنه لقي عمر رضي الله عنه بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟، قال: إنه قارئ لكتاب الله (عز وجل)، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلوات الله عليه قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»^(١).

حفظ القرآن خير من الدنيا وما فيها

إذا فرح أهل الدنيا بدنياهم وأهل المناصب بمناصبهم وأهل المال بأموالهم فجدير أن يفرح حامل القرآن بكلام الله الذي لا توازيه الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟» قلنا: نعم، قال: «ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان»^(٢). وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلوات الله عليه ونحن في الصفّة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟» فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله (عز وجل) خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل»^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (٨١٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٠٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٠٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

حافظ القرآن هو خير الناس

وإذا كان الله (جل وعلا) قد جعل لكل عبد قدراً ومنزلة فإن أهل القرآن هم خير الناس منزلة، فقد قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلّم القرآن وعلمه»^(١).

أهل القرآن تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة

قال ﷺ: «... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده...»^(٢).

حافظ القرآن كالثمرة ذات الريح الطيب

قارئ القرآن رائحته زكية ومذاقه حلو كالأترجة... ومن هنا فهو جليس صالح يقترب إليه الصالحون العاملون ليشموا من عطره وينفحوا من شذاه. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة»^(٣)، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، لا ريح لها، وطعمها مر»^(٤).

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) الأترجة: ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون يشبه البطيخ.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٤٢٧) كتاب الأطعمة، ومسلم (٧٩٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

حفظ القرآن.. والنجاة من فتنة الدجال

ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عصم من الدجال»^(١).

بالقرآن تنال محبة الله (جل وعلا)

القرآن كلام الله (عز وجل) فمن أحب كلام الله أحبه الله.
عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «سلوه، لأى شىء يصنع ذلك؟» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبُّه»^(٣).

القرآن يفتح لك أبواب الخير

قال ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عدلت له بثلاث القرآن»^(٤).

وقال ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة؛ لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»^(٥).

وقال ﷺ: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة، كفّته»^(٦).

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) المراد بالختم هنا ختم القراءة فى الركعات وهو قراءة السورة بعد الفاتحة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٧٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٨١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٨٩٣) كتاب فضائل القرآن، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٦٦).

(٥) صحيح: رواه النسائى فى الكبرى (٣٠ / ٦)، رقم (٩٩٢٨)، والرويانى (٣١١ / ٢)، رقم (١٢٦٨)، والطبرانى (١١٤ / ٨)، رقم (٧٥٣٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٦٤).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٠٨) كتاب المغازى، ومسلم (٨٠٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

وقال عليه السلام: «من قرأ بمائة آية في ليلة كُتب له قنوت ليلة»^(١).

وقال عليه السلام: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات؛ بنى الله له بيتاً في الجنة»^(٢).

وقال عليه السلام: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة؛ أضاء له من النور ما بين الجمعتين»^(٣).

وقال عليه السلام: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق»^(٤).

والقرآن شفاء - بإذن الله -

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٥).

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده رجاء بركتها^(٦).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا في مسير لنا، فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحى سليم^(٧)، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبئه برقية فراقه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبناً، فلما رجع

(١) صحيح: رواه الدارمي (٣٤٥٠) كتاب فضائل القرآن، وأحمد (١٦٥١٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٦٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٥١٨٣) مسند المكين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٧٢).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٣٩٩/٢)، رقم (٣٣٩٢)، والبيهقي (٢٤٩/٣)، رقم (٥٧٩٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٧٠).

(٤) صحيح: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٧٤/٢)، رقم (٢٤٤٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٧٣٦).

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٨٢).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠١٧) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢١٩٢) كتاب السلام.

(٧) سليم: أى لدغته حية.

قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب. قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتى أو نسأل النبي ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: «وما كان يدريه أنها رقية؟ اقسموا واضربوا لى بسهم»^(١).

القرآن مآدبة الله (عز وجل)

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن مآدبة الله فاقبلوا مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن جبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيع فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضى عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ﴿آلَمْ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(٢).

قارئ القرآن سبب في رحمة والديه

عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلّمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والده حلتين، لا يقوم بهما الدنيا، فيقولان: بِمَ كُسينا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»^(٣).

القرآن.. وتضريح الهموم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كثر همّه فليقل: اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٠٧) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢٢٠١) كتاب السلام.

(٢) ضعيف: رواه الدارمى (٣٣١٥) كتاب فضائل القرآن، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (٨٦٧).

(٣) حسن لغيره: رواه الحاكم (٧٥٦/١)، رقم (٢٠٨٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٤٣٤).

حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي^(١)، وجلاء همي وغمي، ما قالها عبدٌ قط إلا أذهب الله غمه، وأبدله به فرحاً^(٢).

القرآن روحك في أهل السماء

عن أبي سعيد الخدري - قال: عليك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في أهل السماء، وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق، فإنك تغلب الشيطان^(٣).

عن جندب قال: أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالقرآن فإنه نورٌ بالليل المظلم، وهدى بالنهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقه، فإن عرض بلاءٌ فقدّم مالك دون دينك، فإن تجاوز البلاء، فقدّم مالك ونفسك دون دينك فإن المخروب من خرب دينه، والمسلوب من سلب دينه، واعلم أنه لا فاقة بعد الجنة، ولا غنى بعد النار^(٤).

قارئ القرآن لا يرد إلى أرذل العمر

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٥) قال: الذين قرؤوا القرآن^(٦).

(١) ربيع قلبي: جعل القرآن ربيع قلبي؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان ويميل إليه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/٣٧٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢).

(٣) نزهة الفضلاء (١/٢٤٨).

(٤) نزهة الفضلاء (١/٢٥٨).

(٥) سورة التين: الآيتان: (٥، ٦).

(٦) صحيح: رواه الحاكم (٢/٥٧٦، رقم ٣٩٥٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٣٥).

حافظ القرآن يُقدِّم في قبره على غيره

وكما أن الله (عز وجل) أعلى قدر حامل القرآن في الدنيا وجعله أولى الناس بالإمامة، فقد أعلى قدره في الآخرة فجعله عند موته أولى الناس بأن يُقدِّم في قبره. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي صلَّى الله عليه وآله يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟»، فإذا أُشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يُغسلوا ولم يُصلَّ عليهم^(١).

بالقرآن تنجو من عذاب القبر وتدخل الجنة

قال عليه السلام: «سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»^(٢). وقال عليه السلام: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له وهي سورة تبارك الذي بيده الملك»^(٣). وقال عليه السلام: «سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاضعت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهي تبارك»^(٤).

حافظ القرآن في ظل عرش الرحمن

ففي هذا الموقف الرهيب الذي يقف فيه الناس يوم القيامة خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب ولا ظل... وقد حُشروا جميعاً حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا،

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٤٣) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه أبو الشيخ في طبقات الأصهبانيين (٢٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١١٤٠).

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٤٠٠) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٨٩١) كتاب فضائل القرآن، وابن ماجه (٣٧٨٦) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٩١).

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٧٦/٤)، رقم (٣٦٥٤)، والضياء (١١٤/٥)، رقم (١٧٣٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٤٤).

وقد دنت الشمس فوق الرؤوس حتى كانت منهم كمقدار ميل والناس يغرقون في عرقهم -على قدر ذنوبهم-... في هذا الوقت العصيب يخبر النبي ﷺ عن سبعة أصناف كرام يكونون في ظل عرش الرحمن، فقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله -وذكر منهم- وشاب نشأ في عبادة الله..» (١).

ومن المعلوم أن هذا الشاب الذي نشأ في عبادة الله وتعلق قلبه في المساجد لا بد وأن يكون تالياً لكتاب الله حافظاً لآياته.

القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة

ففي هذا اليوم العصيب -يوم القيامة- يبحث الإنسان عمن يشفع له لينجو من عذاب النار وليدخل جنة الرحمن (جل وعلا)، وإذا به يجد القرآن شافعاً له مدافعاً عنه أمام الله حتى يأخذ بيديه إلى جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «القرآن شافعٌ مُشَفَّعٌ، وماحلٌ مُصَدَّقٌ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار» (٢).

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه...» (٣).

وقال ﷺ: «الصيامُ والقرآنُ يشفعان للعبد يومَ القيامة، يقولُ الصيامُ: أرى ربَّ إني منعتَه الطعامَ والشهواتِ بالنهارِ فشفعني فيه، يقولُ القرآنُ ربَّ منعتَه النومَ بالليلِ فشفعني فيه، فيشفعان» (٤).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه الطبراني (١٣٢/٩)، رقم (٨٦٥٥)، قال الهيثمي (١٦٤/٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٠١٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) حسن صحيح: رواه أحمد (٦٥٨٩) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٤).

حافظ القرآن مع السفرة الكرام البررة

وحين يفتخر أهل الدنيا بانتسابهم إلى العظماء والوجهاء والأغنياء فإن حافظ القرآن يفتخر بأنه سيكون مع السفرة الكرام البررة الذين اختارهم الله (عز وجل) وشرفهم بأن تكون بأيديهم الصحف المطهرة ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿(١)﴾ .

قال ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران» (٢).

حافظ القرآن يرتقى في درجات الجنة

قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد لكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه» (٣).

وقال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتّل كما كنت تُرتّل في دار الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها» (٤).

وقال ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يا ربّ حلّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا ربّ زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقول: اقرأ وارق، ويزاد بكل آية حسنة» (٥).

قال ابن حجر الهيتمي: «الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف؛ لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها ولا

(١) سورة عبس: الآيات: (١٣-١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٣٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٧٩٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٧٨٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٠٩٦٧) باقي مسند المكثرين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨١٢١).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٤) كتاب الصلاة، والترمذي (٢٩١٤) كتاب فضائل القرآن، وأحمد (٦٧٦٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨١٢٢).

(٥) حسن: رواه الترمذي (٢٩١٥) كتاب فضائل القرآن، والدارمي (٣٣١١) كتاب فضائل القرآن، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٠٣٠).

يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذى يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب، فلهذا تفاوتت منازلهم فى اللجنة بحسب تفاوت حفظهم^(١).

حال النبى ﷺ عند قراءة القرآن

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لى النبى ﷺ: «اقرأ على»، قلتُ يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «نعم» فقرأتُ سورة النساء حتى أتيتُ على هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٢) قال: «حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»^(٣).

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء^(٤).

وهكذا كان حال رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن سواءً كان ذلك فى الصلاة أو خارج الصلاة.

حال السلف مع القرآن

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أبو بكر إذا قرأ القرآن كثير البكاء». زاد بعضهم: «فى صلاة وغيرها»^(٥).

وعن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها قالت: «ما كان أحدٌ من السلف يُغشى عليه ولا يُصعقُ عند قراءة القرآن، وإنما يكون ويقشعرون، ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله»^(٦).

(١) الفتاوى الحديثية (١٥٦).

(٢) سورة النساء: الآية: (٤١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٨٢) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٨٠٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٩٠٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٢١٤) كتاب السهو، وأحمد (١٥٨٧٧)

أول مسند المدنيين رضى الله عنهم أجمعين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٤٤).

(٥) أخرجه ابن الأثير فى جامع الأصول (٤٦٦/٢).

(٦) أخرجه البغوى فى تفسيره (٢٣٨ / ٧).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ قال: «من جمع القرآن فقد حمل أمراً عظيماً، لقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يُوحى إليه فلا ينبغي لحامل القرآن أن يحدّ مع من يحدُّ^(١) ولا يجهل مع من يجهل؛ لأن القرآن في جوفه»^(٢).

حرص السلف على حفظ القرآن

وها هي نماذج مشرقة من حرص السلف على حفظ القرآن.
عن مسروق؛ قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه»^(٣).

وكان عمرو بن سلمة رضي الله عنه وهو من صغار الصحابة حريصاً على تلقّي القرآن، فكان يتلقى الركبان ويسألهم ويستقرئهم حتى فاق قومه أجمع، وأهله ذلك لإمامتهم، ولنستمع لذلك من روايته رضي الله عنه إذ يقول: «كنا على حاضر فكان الركبان يمرون بنا راجعين من عند رسول الله صلّى الله عليه وآله فأدنو منهم فأسمع حتى حفظت قرآنًا، وكان الناس ينتظرون بإسلامهم فتح مكة، فلما فُتحت جعل الرجل يأتيه فيقول: يا رسول الله، أنا وافد بني فلان وجئتكم بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام قومه فرجع إليهم، قال: قال رسول الله: «قدموا أكثركم قرآنًا» قال: فنظروا وإني لعلّى حواء عظيم^(٤)، فما وجدوا فيهم أحداً أكثر قرآنًا مني، فقدموني وأنا غلام^(٥).

(١) يحد: أى يغضب.

(٢) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٠٢) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢٤٦٣) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) الحواء: بيوت مجتمعة من الناس على ماء، والجمع أحوبة (النهاية: ٤٦٥/١).

(٥) رواه أحمد (١٩٨٢١) أول مسند البصريين، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

ويتساءل الشاب اليوم وهو يرى هذا النموذج، فقد كان هذا الصحابي الشاب رضي الله عنه حريصاً على حفظ القرآن وتعلمه، ولم يُتَحَ له ما أُتِيح لنا اليوم من وسائل وإمكانات، فليس أمامه حلقة لتحفيظ القرآن، ولا تسجيلات أو مُقرئ متفرغ، بل إن القرآن ليس مجموعاً له في مصحف يقرأ ويحفظ منه، ومع ذلك يبلغ هذا المبلغ رضى الله عنه.

ونلمس الحرص نفسه عند زيد بن ثابت رضي الله عنه فيأتي قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم مفاخرين بما حصلّ صاحبهم، . . . يحدثنا عن ذلك فيقول: إن قومه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: هذا غلام من بنى النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «يا زيد! تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي» قال زيد: فتعلمت كتابهم ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته، وكنت أقرأت له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتب^(١). وآخر أيضاً جاوز العاشرة بقليل وهو البراء بن عازب رضي الله عنه يقول: «فلم يقدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرأت سوراً من المفصل»^(٢).

وعلى بن هبة الله الجميزي حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين^(٣). ومجد الدين أبو البركات ابن تيمية حفظ القرآن وتفقه على عمه الخطيب فخر الدين، ثم رحل في صحبة سيف الدين ابن عمه وهو مراهق^(٤). وزيد بن الحسن تاج الدين الكندي قرأ القرآن تلقيناً على أبي محمد سبط الخياط وله نحو من سبع سنين . . . وهذا نادر - كما قال الذهبي - وأندر منه أنه قرأ بالروايات العشر وهو ابن عشر حجج^(٥).

(١) حسن صحيح: رواه أبو داود (٣٦٤٥) كتاب العلم، والترمذي (٢٧١٥) كتاب الاستئذان والآداب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود.

(٢) طبقات ابن سعد (٢٧١/٤).

(٣) معرفة القراء الكبار (٦٥١/٢).

(٤) معرفة القراء الكبار (٦٥٣/٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٤١/٢٢).

الأوقات التي تستحب فيها كثرة القراءة

قال الإمام النووي (رحمه الله): أفضل القراءة ما كان في الصلاة، وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء مُستحبة. وأما قراءة النهار، فأفضلها ما بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في القراءة في وقت من الأوقات، ولا في أوقات النهي عن الصلاة (النافلة) ^(١). ومن السنة كثرة الاعتناء بالقراءة في شهر رمضان، وفي العشر الأخير منه أفضل وليالي الوتر أكد ومن ذلك العشر الأول من ذي الحجة ويوم عرفة ^(٢).

وصايا غالية لأهل القرآن

وما أجمل وصية الإمام الآجری في كتابه أخلاق أهل القرآن - وهذا الكتاب لا ينبغي لحافظ القرآن أن يتخلف عن قراءته وتمعنه - وهي وصية طويلة أجتزئ منها يسيراً، قال (رحمه الله): «فأول ما ينبغي له أن يستعمل تقوى الله في السر والعلانية باستعمال الورع في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه، بصيراً بزمانه وفساد أهله، فهو يحذرهم على دينه، مقبلاً على شأنه، مهموماً بإصلاح ما فسد من أمره، حافظاً للسانه ميمراً لكلامه». وفيها أيضاً: «إذا درس القرآن فبحضور فهم وعقل، همه إيقاع الفهم لما ألزمه الله من اتباع ما أمر والانتهاز عما نهى ليس همته متى أختتم السورة؟ همته متى أستغنى بالله عن غيره؟ متى أكون من المتقين؟ متى أكون من المحسنين؟ متى أكون من المتوكلين؟ متى أكون من الخاشعين متى أكون من الصابرين؟ متى أكون من الصادقين؟ متى أكون من الخائفين؟ متى أكون من الراجين؟ متى أزهد في الدنيا؟ متى أرغب في

(١) الأذكار النووية (١٤٦).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ١٤).

الآخرة؟ متى أتوب من الذنوب؟ متى أعرف النعم المتواترة؟ متى أشكره عليها؟ متى أعقل عن الله الخطاب؟ متى أفقه ما أتلو؟ متى أغلب نفسي على ما تهوى؟ متى أجاهد في الله حق الجهاد؟ متى أحفظ لسانى؟ متى أغض طرفى؟ متى أحفظ فرجى؟ متى أستحيى من الله حق الحياء؟...»^(١).

وعن الفضيل بن عياض (رحمه الله) أنه قال: «ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى أحد من الخلق، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه. وقال: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلهو مع من يلهو»^(٢).

وجمع أبو موسى الأشعري رضي الله عنه الذين قرؤوا القرآن وهم قريب من ثلاثمائة فعظم القرآن وقال: «إن هذا القرآن كائن لكم ذخراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم؛ فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن؛ زجَّ به في قفاه فقفاه في النار»^(٣).

هلا فعلنا مثلما فعلت الجن

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ (٧٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٤).

فها هو الحق (جل وعلا) يخبر عن جماعة من الجن استمعوا إلى القرآن فآمنوا ورجعوا إلى قومهم ليدعوهم إلى عبادة الله (عز وجل) واتباع رسول الله ﷺ... فهل فعلنا نحن ما فعلته الجن من حمل أمانة الدعوة ودعونا

(١) أخلاق أهل القرآن (ص: ٧٩).

(٢) رواه الأجرى (٣٩) وأبو نعيم (٩٢/٨).

(٣) أخرجه الدارمي (٣٣٢٨) والأجرى في فضائل القرآن (ص: ٣).

(٤) سورة الأحقاف: الآيات: (٢٩: ٣١).

الناس إلى عبادة الله (عز وجل) فتلك هي وظيفتنا التي خلقنا الله من أجلها: أن نعبد الله وأن ندعو الكون إلى عبادته.. كما قال ربعى بن عامر لرستم (قائد جيوش الفرس) حينما سأله: من أنتم وما الذى جاء بكم؟ قال ربعى: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جُور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

لا يؤخذ القرآن عن مصحفى ولا العلم عن صحفى

إن من أغلى النصائح التى أريد أن أسوقها لكل أخ مسلمٍ ولكل أخت مسلمة أن من أراد أن يُتقن القرآن فليتم قراءته على شيخٍ حافظٍ متقنٍ -وأما الأخت المسلمة فتقرأ القرآن على أختٍ حافظةٍ متقنةٍ - فلا ينبغي أن يكون اعتمادنا على مجرد القراءة فى المصحف فحسب، ولذلك كان جبريل (عليه السلام) يأتى إلى النبى ﷺ ويدارسه القرآن. فلنحرص كل الحرص على الإجازة والإسناد فهى سنة ورثها السلف للخلف والإسناد من خصائص هذه الأمة.

وقفه مع النفس

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: هل وقف أحدكم مع نفسه وقفه صادقة ليسأل نفسه: لماذا أحفظ القرآن؟ هل ليعرف الناس أننى حفظت القرآن.. أو لتكون لى المنزلة والمكانة السامية بين الناس... فلنحرص كل الحرص على أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله (عز وجل).

عن إياس بن عامر قال: أخذ على بن أبى طالب رضي الله عنه بيدي ثم قال: «إنك إن بقيت سيقراً القرآن ثلاثة أصناف، فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومن طلب به أدرك»^(١).

(١) أخرجه الدارمى (٣٣٢٩) والآجرى (٢٥).

مظاهر هجر القرآن

ولهجر القرآن مظاهر عديدة منها:

١- ترك تلاوة القرآن.

٢- نسيان القرآن بعد حفظه. . وإلى هذا المعنى أشارت الآية الكريمة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١﴾.

٣- الإعراض عن القرآن واللغو فيه.

وقد أخبر الحق (جل وعلا) عن قول الكافرين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٢).

٤- القول فيه بغير الحق، وهذا صنيع الكفار الذين حكى عنهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣). قال القرطبي: أى قالوا فيه غير الحق من أنه سحرٌ أو شعرٌ (٤).

٥- ترك العمل بالقرآن.

فلقد ذمَّ الحق (جل وعلا) الذين يعلمون ولا يعملون ويقولون ما لا يفعلون، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾.

وقال ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ، فَيَدُورُ بِهَا فِي النَّارِ، كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ! مَا أَصَابَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ

(١) سورة طه: الآيات: (١٢٤-١٢٦).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٢٦).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٣٠).

(٤) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٠).

(٥) سورة الصف: الآيتان: (٢، ٣).

أمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» (١).

أنواع هجر القرآن

هجر القرآن أنواعٌ: أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه. والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به. والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تُحصّل العلم. والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه. والخامس: هجر الاستشفاء والتداوى به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوى به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٢)، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض. والسادس: الحرج الذي في الصدور منه، فإنه تارة يكون حرجاً من إنزاله وكونه حقاً من عند الله (٣).

مغبة هجر القرآن

إن القلوب إذا لم تعمر بالقرآن سكنتها الشياطين؛ لأن هجر القرآن يضعف الإيمان بالله (عز وجل) ويجعل القلب خاوياً. عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يُخالطه خوف، إن قصرُوا قالوا: سنبلع، وإن أساءوا قالوا: سيُغفر لنا. إنّا لا نشرك بالله شيئاً (٤).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٦٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٩٨٩) كتاب الزهد والرفائق.

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٣٠).

(٣) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص: ١٠٧ - ١٠٨).

(٤) الدارمي (٣٣٤٦).

وعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: يكون خلفٌ بعد سنين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا، ثم يكون خلفٌ يقرؤون القرآن لا يحدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمنٌ ومنافقٌ وفاجرٌ، المنافق كافرٌ به، والفاجر يتأكلُ به، والمؤمنُ يعملُ به (١).

وعن زاذان قال: من قرأ القرآن يتأكلُ به الناس. جاء يوم القيامة ووجهه عظمٌ ليسَ عليه لحمٌ (٢).

هؤلاء لم يعرفوا قدر القرآن

أترون يا أهل القرآن: أن أولئك الذين سخرّوا القرآن للقراءة في المآتم، أو الموالد والبدع المحدثه، أترون أولئك عرفوا حق القرآن؟ والآخرون الذين جعلوا من حفظ القرآن فرصة للتكسب والتجارة، وأخذ المبالغ الطائلة على التسجيل والتلاوة، وأولئك الذين جعلوه فرصة للإمامة ببعض العلية وكبار القوم، وصاروا يهينون أنفسهم في مجالس لا يُذكر فيها اسم الله إلا قليلاً، ويرون ويسمعون ما يناقض كتاب الله صراحة، ومع ذلك لا يحرك فيهم ساكنًا أو يثير فيهم غيرة، أو أولئك الذين يحترفون الرقية ليجعلوا من حاجات المرضى وضعف نفوسهم تكأة للشراء وسلماً للشهرة... وغير أولئك كثير أترون هؤلاء عرفوا حق القرآن؟

فأعيدكم بالله يا أهل القرآن أن تُرخصوا نفوسكم، وتستبدلوا المكانة التي بؤاكم الله إياها بهذه المطامع القريبة (٣).



(١) أخلاق أهل القرآن (١٠٦).

(٢) رواه أبو نعيم (٤/١٩٩).

(٣) حفظ القرآن الكريم / محمد عبد الله الدويش (ص: ٥٣).

الأسباب المعينة على حفظ القرآن

وأما عن الأسباب المعينة على حفظ القرآن فهي كثيرة جداً، وسأذكر أهم تلك الأسباب في إيجاز شديد:

١- إقامة التوحيد لله (جل وعلا):

فإن من أقام التوحيد لله فإن الله (عز وجل) يفتح له كل أبواب الخير - ومن أعظم تلك الأبواب حفظ القرآن- وذلك لأن التوحيد هو أصل الأصول الذي من أجله خلق الله السموات والأرض وأنزل الكتب وأرسل الرسل وجعل الناس يوم القيامة فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير.

٢- إخلاص النية لله (جل وعلا):

فإنما الأعمال بالنيات... فكل عمل بغير نية طيبة كالطائر بغير رأس، ولذلك يجب على كل من أراد أن يحفظ كتاب الله (عز وجل) أن يطهر قلبه من الآفات، وأن يجعل نيته خالصة لرب الأرض والسموات ليفتح الله له كل أبواب الخيرات ويُسّر له حفظ الآيات الكريمات.

أول من تسعربهم النار يوم القيامة

ولقد أخبر النبي ﷺ عن عقوبة من لم يُرد بحفظه وجه الله تعالى، بل أراد الرياء والسمعة... فقال ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه - وذكر منهم-: ورجلٌ تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقالَ عالمٌ، وقرأتَ القرآن ليقالَ: هو قارئٌ فقد قيل،

ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار...» (١).

٣- الدعاء:

ومن أعظم الأسباب التي تعينك على الحفظ - الدعاء - فإن «الدعاء هو العبادة» (٢)، كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ، بل أمرنا النبي ﷺ أن نكون على يقين من إجابة الدعاء فقال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب من قلب غافل لاه» (٣).

فأكثروا من الدعاء بأن يجعلك الله (عز وجل) من أهل القرآن... فإنه كما قيل: من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له.

٤- الاستغفار:

فإن الإنسان قد ينسى كل ما حفظه بسبب ذنوبه، ولذلك فعليه أن يكثر من الاستغفار... قال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأحتسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنوب يعمل... وكان الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) إذا أشكلت عليه مسألة قال لأصحابه: ما هذا إلا لذنوب أحدثته... وكان يستغفر وربما قام وصلى فتتكشف له المسألة.

٥- طهارة النفس من رذائل الأخلاق:

إنَّ تعلُّم القرآن عبادة القلب وصلاة السرِّ وقربة الباطن إلى الله (عز وجل)... وكما لا تصح الصلاة إلا بالطهارة الظاهرة للبدن والملابس والمكان، فكذلك لا تصح العبادة الباطنة - عبادة القلب - إلا بطهارته من النفاق والمكر والخبث، والحق

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٤٧٩) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٣٧٢) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٢٨) كتاب الدعاء، وأحمد (١٧٨٨٨) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٠٧)؛ أما حديث: «الدعاء مخ العبادة»، فضعيف. رواه الترمذي (٣٣٧١) كتاب الدعوات، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: هذا حديث غريب. وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٣٠٠٣).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٣٤٧٩) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٥).

والحسد، والعداوة والبغضاء.. . وهى نجاسات قلبية ونفسية وباطنية.. . والقرآن الكريم كالزراع لا ينبت إلا فى التربة الخصبة الصالحة، أما الأرض السبخة أو المريضة فلا ينبت فيها زرع، وإن نبت بعض الشيء لا ينمو، وإن نما لا يثمر، وإن أثمر لا يأتى بجيد الثمر.. . فالقرآن لا ينبت ولا ينمو ولا يثمر إلا فى القلب الطيب الصالح الطاهر.. . وعلى هذا ينبغى لطالب القرآن أن يكون نظيفاً طاهراً من هذه الصفات السيئة، ومتحلياً بالصفات الحسنة السمحة الكريمة.. . مثل الصدق، والأمانة، والإخلاص.. . وبالجملة كل متطلبات الإيمان.

٦- أن تقصد بتعلمه تحلية باطنك ونقاوة نفسك:

ينبغى لطالب القرآن أن يقصد بتعلمه له تحلية باطنه، ونقاوة نفسه، وطهارة سريرته، وأن يقصد به القرب إلى الله، والترقى إلى جوار الملائكة، والانضمام إلى صفوف الملائكة، كما أخبرتنا بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة»^(١)، وكلنا يعلم أن الملائكة كانت تنزل لتسمع أسيد بن حضير^(٢).

٧- تحديد وقت معين للحفظ:

ومما يعينك على حفظ القرآن أن تحدد وقتاً يومياً لحفظ القرآن وتُخبر إخوانك بأنك مشغول فى هذا الوقت حتى لا يأتى إليك أحدٌ فيشغلك عن الحفظ.

٨- عليك بصاحب يعينك على المداومة:

وعليك أن تختار صاحباً تقياً يعينك على حفظ القرآن واجعل بينك وبينه منافسة شريفة فى الحفظ حتى تعلو همتك وتشعر بأن هناك من يسابقك إلى هذا الخير.

٩- لا تنشغل بالحفظ عن التلاوة:

واحذر أن يشغلك الحفظ عن القراءة فى المصحف فإن التلاوة هى وقود

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) سمات طالب حلقة القرآن/ رمضان محمد حسن (ص: ٢٣ : ٢٥).

الحفظ . . . فإن النظر في المصحف يجعلك تتأكد من سلامة حفظك ويجعلك تقرأ القرآن بتدبر وتأمل حتى تتعايش بقلبك وجوارحك مع كل آية .

١٠- صلاة الحاجة:

وأوصيك أن تصلى ركعتين «صلاة الحاجة» تسأل الله فيهما العون والصواب والإخلاص . . . ويا حبذا لو صليت أيضاً صلاة التوبة حتى لا تحول ذنوبك بينك وبين حفظ كتاب الله (جل وعلا) .

١١- قراءة تفسير الآيات التي تريد حفظها:

ومما يعينك على الحفظ أن تقرأ تفسير الآيات التي تريد حفظها فإن فهم معناها يجعلها تثبت في الذاكرة .

١٢- التدرج في الحفظ:

ينبغي أن تتدرج في حفظ القرآن، وأن لا تتعجل حفظه حتى تتمكن من حفظه . . . فلا تكلف نفسك فوق طاقتها، بل عليك أن تختار القدر الذي تستطيع أن تحفظه كل يوم ولا تزيد على ذلك .

١٣- ملازمة شيخ متقن تحفظ على يديه:

وهذا أمر ضروري حتى تحفظ القرآن بغير أخطاء فإنك لو حفظت القرآن مع نفسك فلربما تخطئ في قراءة بعض الآيات فإذا حفظتها على تلك الصورة فمن الصعب أن تصلح تلك الأخطاء .

١٤- التزم بمصحف واحد:

ومما يعينك على الحفظ أن تلتزم بطبعة معينة فتقرأ وتحفظ منها حتى تستطيع أن تتذكر موضع الآيات والسور .

١٥- المداومة على الأذكار والتحسينات:

ومما يعينك على الحفظ أن تداوم على أذكار الصباح والمساء، وأن تقرأ الأذكار التي جعلها الله سبباً لحفظك من مكايد الشيطان . . . ومنها على سبيل المثال: أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم

وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم. وقال: إذا قال ذلك حُفِظَ منه سائر اليوم»^(١)، أى من قال ذلك حفظه الله من الشيطان طوال هذا اليوم.

١٦- أن تصلى بما تحفظه:

وعليك أن تحرص كل الحرص على أن تصلى السنن والنوافل بما تحفظه فى ذلك اليوم... . ويا حبذا لو قرأت به فى صلاة الفريضة حتى تتمكن من الحفظ.

١٧- قيام الليل:

فقيام الليل وبخاصة فى الثلث الأخير - هو الوقت المبارك الذى يتنزل فيه الله (عز وجل) تنزلاً يليق بجلاله وكماله إلى السماء الدنيا، وينادى على عباده «... من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له»^(٢). فاسأل ربك (عز وجل) أن يغفر ذنوبك وأن يكرمك بحفظ كتابه.

١٨- لا تقدم شيئاً على القرآن:

وإذا بدأت فى طلب العلم فابدأ أولاً بمراجعة الجزء الذى حفظته ثم انشغل بعد ذلك بسائر العلوم حتى لا تطغى علوم الدين على أشرف علم ألا وهو علم القرآن.

١٩- عاقب نفسك عند التقصير:

وإذا قصرت فى حفظ وردك اليومى من القرآن فعليك أن تعاقب نفسك بشيء من المباحات كالصيام والقيام والصدقة.

٢٠- لا تبدأ فى الحفظ إلا بعد إجادة التلاوة:

ولا تبدأ أبداً فى حفظ القرآن إلا بعد أن تُجيد تلاوته وتُجيد أحكام التلاوة حتى إذا حفظت كان حفظك سليماً ليس فيه أخطاء.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٦) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٧١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

٢١- أن تعلم أن حفظ القرآن هو أول طريق العلم؛

فلا يستطيع مسلم أن يتحصل على أى علم من العلوم الشرعية بغير قرآن . . . فالقرآن يفتح لك كل أبواب العلم، بل وكل أبواب الخير فى الدنيا والآخرة .

٢٢- احذر من الكبر والغرور؛

وقد يتطرق الكبر والغرور إلى قلب العبد إذا حفظ القرآن . . . وهذا هو بداية الخذلان، فاحذر أيها الأخ الكريم من الكبر والغرور، واحرص على نعمة التواضع، فلقد أخبر النبي ﷺ أن «من تواضع لله رفعه الله» (١) .

قال العلامة المناوى: «فإن العلم لا يُنال إلا بالتواضع، وإلقاء السمع، وتواضع الطالب لشيخه رفعة، وذله له عزٌّ، وخضوعه له فخر، . . . فلقد أخذ الحبر -أى العالم الإمام- عبد الله بن عباس رضي الله عنه مع جلالته وقربته للرسول ﷺ بركاب زيد بن ثابت، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقبل زيد بن عباس وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا .

وقال السليمي: ما كان إنسان يجترئ على ابن المسيب ليسأله حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير، وقال الشافعى: كنت أتصفح الورق بين يدي مالك برفق لئلا يسمع وقعها . وقال الربيع -تلميذ الإمام الشافعى-: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعى ينظر» (٢) .

٢٣- المحافظة على الوضوء مع إحسانه؛

والمقصود بالإحسان هنا هو اتباع هدى النبي ﷺ فى الوضوء .
فعن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها (الروم) فأوهم، فلما انصرف قال: «إنه يلبس علينا القرآن،

(١) صحيح: رواه أبو نعيم فى الحلية (٤٦/٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٦٢) .

(٢) فيض القدير للمناوى (٣/ ٢٥٣) .

فإن أقواماً منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء، فمن شهد منكم الصلاة معنا، فليحسن الوضوء»^(١).

وقال الحافظ ابن كثير (رحمه الله) بعد أن ذكره في تفسيره في آخر سورة الروم: وهذا إسنادٌ حسن، ومتنٌ حسن، وفيه سرٌّ عجيب ونبأٌ غريب، وهو أنه عليه السلام تأثر بنقصان وضوء من ائتمَّ به فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام. اهـ.

٢٤- الحرص على حسن الخاتمة؛

فإنه من مات على شيء بُعث عليه.. وذلك يجعلك تحرص كل الحرص على أن تتعاش بقلبك ولسانك وجوارحك مع آيات القرآن حتى تموت على ذلك وتُبعث مع أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

٢٥- استحضار نعيم الجنة وعذاب النار؛

فإذا ما علمت أن القرآن سبب في نجاتك من عذاب القبر وسبب في نجاتك من عذاب النار... بل إذا علمت أنك يوم القيامة سوف ترتقى في درجات الجنة بالقرآن فإن ذلك يحدوك إلى أن تحفظ القرآن من أوله لآخره حتى تصل إلى أعلى درجات الجنة... جعلنا الله وإياكم من أهل القرآن.

تعلموا القرآن قبل أن يُرفع من المصاحف والصدور

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

احرصوا كل الحرص على حفظ كتاب الله (عز وجل) قبل أن يأتي عليكم اليوم الذي أخبر عنه الصادق المصدوق عليه السلام... وهو اليوم الذي يُرفع فيه القرآن من المصاحف والصدور.

(١) حسن: رواه أحمد (١٥٤٤٧) مسند المكيين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢).

فمن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدرسُ الإسلامُ كما يُدرسُ وشيُّ الثوب، حتى لا يُدرى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نُسكٌ، ولا صدقةٌ؟ ويُسرَى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائفُ من الناس: الشيخ الكبير، والعجوزُ يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها». فقال له صلةٌ: ما تُغنى عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرّون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نُسكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يُعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة! تُنجيهم من النار ثلاثاً ^(١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لِيُنزَعَنَّ القرآنُ من بين أظهركم؛ يُسرَى عليه ليلاً، فيذهب من أجواف الرجال، فلا يبقى في الأرض منه شيء» ^(٢). قال ابن تيمية: «يُسرَى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف» ^(٣).

فأسأل الله (عز وجل) أن يرزقنا حفظ القرآن والعمل بما فيه، وأن يرفع درجاتنا في الجنة بالقرآن، وأن يرزقنا صُحبة سيد الأنام ﷺ، وأن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٩/٤٠) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٠٧٧).

(٢) رواه الطبراني وقال ابن حجر: سنده صحيح ولكنه موقوف لفتح الباري «١٦/١٣».

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/١٩٨ - ١٩٩).

يا شباب..
الوقت هو الحياة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).
 أما بعد:

فاعلم - أخى الحبيب - أن الناس فى هذا العالم على سفر أول منازلهم المهد وآخرها اللحد، والوطن هو الجنة أو النار، والعمر مسافة السفر، فسنين العمر مراحل، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وطاعته بضاعته، وأوقاته رؤوس أمواله، وشهواته وأغراضه قطاع طريقه، وربحه الفوز بقاء الله تعالى فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم، وخسرانه البعد عن الله مع الأنكال والأغلال، والعذاب الأليم فى دركات الجحيم، فالغافل فى نفس من أنفاسه حتى ينقضى فى غير طاعة تقربه إلى الله زلفى، متعرض فى يوم التغابن لغيبته وحسرة ما لها منتهى، ولهذا

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

الخطر العظيم والخطب الهائل، شمرَّ الموفقون عن ساق الجد، وودعوا بالكلية ملاذ النفس، واغتنموا بقايا العمر»^(١).

أذان المرء حين الطفل يأتى

وتأخير الصلاة إلى الممات

دليل أن محياه يسير

كما بين الأذان إلى الصلاة

قال عليه السلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «التؤدة فى كل شىء خير إلا فى أعمال الخير للآخرة».

وقال عليه السلام: «ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم

القيامة»^(٣).

بل يوضح النبى عليه السلام أن الإنسان سيُسأل عن سنوات عمره كلها بين

يدى الله - جل وعلا - قال عليه السلام: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة

من عند ربه حتى يُسأل عن خمس - وفى رواية: لا تزول قدما عبد حتى يُسأل

عن أربع - عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه

وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟»^(٤).

ومن هنا كان السلف الصالح الذين تربوا بين يدى الربى الأول الذى

رباه الله (جل وعلا) ليربى به الأمم والأجيال، عبر العصور والأزمان -

يعرفون قدر الوقت وقيمة العمر، فكانوا يحرصون كل الحرص على كل

لحظة من العمر ألا تمر إلا فى طاعة الله فهم يعلمون أن من عقوق الزمن أن

(١) إحياء علوم الدين (١/٣٩١).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٣) حسن: رواه البيهقى فى الشعب (١/٣٩٢، رقم ٥١١)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/٣٦١)، وحسنه

العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٢٠).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه

الله فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).

(أبو عمار)

قيمة الوقت في الكتاب والسنة

ولقد اعتنى القرآن الكريم والسنة المطهرة بقيمة الوقت في حياة المسلم.
ولبيان أهمية الوقت أقسم الله (عز وجل) بالوقت فقال تعالى:
﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٣﴾ (٣).

ومن المعلوم أن الله (عز وجل) لا يقسم بشيء من خلقه إلا إذا أراد أن يوضح قدره ومكانته أو ليلفت أنظار العباد إليه.

بل ولعظيم قدر الوقت ذكره الله (عز وجل) في معرض الامتنان على عباده فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٤﴾ (٤).

أي: جعل الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل فمن فاتته عمل في أحدهما فإنه يستطيع أن يتداركه في الآخر.

ولذلك فإن من عقوق الزمان أن تمضي ساعة واحدة في غير عمل يجلب للعبد الخير في الدنيا أو الآخرة؛ لأن وقت المؤمن أغلى عنده من كنوز الدنيا وزهرتها الفانية.

بل ولقد جاءت السنة المطهرة لتؤكد على قيمة الوقت وتقرر أن العبد يوم القيامة سيُسأل عن أربعة أشياء منها سؤالان عن وقت العبد وعمره وشبابه فلقد قال ﷺ: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال:

(١) سورة العصر: الآيتان: (١، ٢).

(٢) سورة الليل: الآيتان: (١، ٢).

(٣) سورة الضحى: الآيتان: (١، ٢).

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟»^(١).

ومع أن الشباب جزء من العمر إلا أن العبد يُسأل عن العمر ثم يسأل مرة ثانية عن الشباب خاصة لأن مرحلة الشباب هي مرحلة القوة والشهوة وهي مرحلة القوة التي بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة.

كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٢).

ولذلك كان من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «.. وشباب نشأ في عبادة الله ..»^(٣).

ومن هنا جاءت السنة لتحض شباب الأمة على اغتنام تلك المرحلة في نشر الخير وعمل الصالحات التي تعود بالنفع عليهم وعلى الأمة المباركة.

* اعرف قيمة الوقت وشرف الزمان:

يقول الإمام ابن الجوزي رحمته الله: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. ولتكن نيته في الخير قائمة - من غير فتور - بما يعجز عنه البدن من العمل.

وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات: فنقل عن عامر بن عبد قيس أن رجلاً قال له: كلمني. فقال له: امسك الشمس.

ودخلوا على بعض السلف عند موته وهو يصلي، فقليل له: تصلي وأنت في هذا الحال؟ فقال: الآن تُطوى صحيفتي.

فإذا علم - وإن بالغ في الجد - أن الموت يقطعه عن العمل، عَمِلَ في حياته

(١) انظر السابق.

(٢) سورة الروم: الآية: (٥٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

ما يدوم له أجره بعد موته. فإن كان له شيء من الدنيا وقف وقفًا، وغرس غرسًا، وأجرى نهرًا، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له. أو أن يصنف كتابًا من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المخلد؛ وأن يكون عاملاً بالخير، عالمًا فيه، فينقل من فعله ما يقتدى الغير به، فذلك الذي لم يمت. «قد مات قوم وهم في الناس أحياء»^(١).

وكان داود الطائى يستف الفتيت ويقول: بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية.

وكان عثمان الباقلوى دائم الذكر لله تعالى، فقال: إني وقت الإفطار أحس بروحى كأنها تخرج؛ لأجل اشتغالى بالأكل عن الذكر. وأوصى بعض السلف أصحابه فقال: إذا خرجتم من عندى فتفرقوا، لعل أحدكم يقرأ القرآن فى طريقه، ومتى اجتمعتم تحدثتم.

واعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة؛ فإن فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غُرس له نخلة فى الجنة»^(٢) فكم يضيع الآدمى من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل! والذى يعين على اغتنام الزمان: الانفراد والعزلة مهما أمكن، والاختصار على السلام أو حاجة مهمة لمن يلقي، وقلة الأكل، فإن كثرت سبب النوم الطويل وضياح الليل، ومن نظر فى سير السلف وآمن بالجزاء بان له ما ذكرته^(٣).

قال ابن أبى الدنيا: أنشدنا محمود بن الحسين:

مضى أمسك شهيداً معدلاً

وأعقبه يوم عليك جديدٌ

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٠، ٢١) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٤) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٣) صيد الخاطر (ص: ٤٧٩، ٤٨٠).

فسيومك إن أغنيته عاد نفعه
 عليك وماضى الأمس ليس يعود
 فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة
 فشنّ بإحسان وأنت حميد
 فلا ترج فعل الخير يومًا إلى غد
 لعل غدا يأتي وأنت فقيد

خير الناس من طال عمره وحسن عمله

قال عليه السلام : «خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله»^(١).

فطول العمر نعمة جليلة إذا استعملها العبد في طاعة الله ونصرة دين الله (جل وعلا).

ومما لا شك فيه أن الإنسان بفطرته يحب الحياة، ويحب أن يطول عمره فيها، بل يحب الخلود فيها لو استطاع، ومن باب هذه الغريزة - غريزة حب الخلود - دخل إبليس إلى أبي البشر آدم، ودلاه بغروره ليأكل من الشجرة التي نهى عنها ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَلْفِي﴾^(٢).

ولا بد أن نعلم أن العمر الحقيقي للإنسان لا يقاس بالسنوات التي قضاها من يوم ولادته إلى يوم وفاته وإنما يقاس عمره الحقيقي بقدر ما قدم للإسلام من عظام الأعمال الخيرات الصالحات.

يقول صاحب الحكم: «رُبُّ عُمُرٍ اتسعت آماده، وقَلَّتْ أمداده، ورب عمر قليلة آماده، كثيرة أمداده، من بورك له في عمره أدرك في سير من الزمن

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢٣٣٠) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٩٠٢) أول مسند البصريين، وصححه

العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٢٩٧).

(٢) سورة طه: الآية: (١٢٠).

من من الله تعالى ما لا يدخل تحت دائرة العبارة، ولا تلحقه الإشارة». ولذلك فإنني أنصح كل شاب بأن يكون صاحب همة عالية فيحدد لنفسه هدفًا غاليًا يعيش من أجله ويسعى بكل جهده لتحقيقه .. ولكن عليه أن يختار هدفًا جليلاً كأن يطمح في أن يكون سببًا في هداية زملائه في الجامعة، أو جيرانه .. ويخلص النية لله (جل وعلا) وسوف يرى ثمرة عمله فقد قال ﷺ: «إن تصدق الله يصدقك ..».

نبينا ﷺ .. صاحب العمر المبارك

فها هو الحبيب ﷺ يبعثه الله (جل وعلا) في بيئة شركية تموج بالكفر موجًا .. وإذا به ﷺ يستطيع - بإذن الله - أن يقيم للإسلام دولة تملأ سمع وبصر التاريخ في سنوات لا تساوى في عمر الزمان شيئًا. ويأتى النبي ﷺ يوم القيامة وأمتة هي أكثر الأمم. قال ﷺ: «إنكم تُمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»^(١). وقال ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»^(٢) .. كل هؤلاء في ميزان حسنات النبي ﷺ. هكذا كانت البركة في حياة حبيبنا ﷺ .. وهو أسوتنا وقودتنا ولذلك ينبغي عليك أيها الأخ الحبيب أن تسأل نفسك الآن: كم هدى الله على يديك من عصاة المسلمين؟ وكم أسلم على يديك من الكفار والملحدين؟ احرص أخى الحبيب على أن تكون سببًا في هداية رجل واحد ليكون يوم القيامة في ميزان حسناتك فلقد قال ﷺ - كما فى الصحيحين - :

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٠٠١) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٨٨) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٣٠١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٤٦) كتاب صفة الجنة، وابن ماجه (٤٢٨٩) كتاب الزهد، والدارمى (٢٨٣٥) كتاب الرقاق، وأحمد (٢٢٤٣١) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٢٦).

«ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النّعم ..» (١).

صديق الأمة الأكبر ﷺ

وها هو أبو بكر الصديق ﷺ أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ .
 إنه الرجل الذى بذل نفسه وماله وأهله لنصرة دين الله (جل وعلا) . . وبعد موت النبي ﷺ تولى أبو بكر الخلافة واستطاع - بإذن الله - فى عامين ونصف أن يحول تلك المحن التى أصابت الأمة إلى منحٍ فقضى على فتنة الردة وأنفذ بعث أسامة بن زيد وجمع القرآن وردّ الأمة إلى منهج الله وإلى سنة رسول الله ﷺ فاستحق من النبي ﷺ أن ييسره بأن أبواب الجنة الثمانية كلها ستنادى عليه يوم القيامة .
 عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء فى سبيل الله دُعى من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الصيام، وباب الريان» فقال أبو بكر: ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. قال: وهل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر» (٢) .
 وفى رواية ابن حبان من حديث ابن عباس: قال ﷺ: «أجل وأنت هو يا أبا بكر».

فاروق الأمة عمر ﷺ

وها هو فاروق الأمة عمر ﷺ الذى استطاع - بإذن الله - فى عشر سنوات وستة أشهر أن يقدم للعالم كلها قدوة لا تبلى .

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة .

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٢٧) كتاب الزكاة .

قدوة تتمثل في عاهل قد بركت الدنيا على عتبة داره مُثقلة بالغنائم والطيبات فسرَّحها سراحاً جميلاً، وساقها إلى الناس سوقاً كريماً . . يقدم إليهم طيباتها، ويدراً عنهم مضلاتها.

إنه عمر الذى أرهب الملوك والحكام وجاءت تحت قدميه مفاتيح أكبر إمبراطوريتين (فارس والروم) وانتشر الإسلام فى عهده شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ورُفرت راية الإسلام على شتى بقاع الأرض فى فترة لا تساوى فى عمر الزمان شيئاً وهذا كله من بركة الأعمار المباركة من الله (جل وعلا).

وقفَةٌ للتأمل

أيها الأخ الحبيب: انظر إلى الخلفاء الراشدين ومن معهم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان كيف فتحوا الآفاق، ونشروا الإسلام، وعلموا الأمم، ونقلوها من أديانها الجاهلية، وعاداتها ولغاتها فى عشرات معدودة من السنين، حتى وقف المؤرخون حيارى أمام هذا الانقلاب الذى أحدثه الإسلام فى العالم دينياً، ونفسياً، وفكرياً، واجتماعياً، وسياسياً فى أقل من قرن من الزمان؟! (١).

أبو هريرة رضي الله عنه

وهذا هو الصحابى الجليل أبو هريرة رضي الله عنه الذى قدم للإسلام الكثير والكثير فعلى الرغم من أنه لم يصحب النبى ﷺ إلا أربع سنوات إلا أنه أصبح من أكثر الصحابة رضي الله عنهم رواية لحديث رسول الله ﷺ حتى إنه حدث عنه خلقٌ كثير من الصحابة والتابعين فقل: بلغ عدد أصحابه ثمانمائة.

عن وهب بن منبه عن أخيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحاب

(١) الوقت فى حياة المسلم - د/ يوسف القرضاوى (ص: ٦٠).

النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب^(١).

وفى عصرنا هذا أيها الأخ الحبيب فإننا لا نكاد نجد خطيباً أو واعظاً أو محاضراً يحدث عن الحبيب ﷺ إلا ونسمع اسم أبى هريرة رضي الله عنه فهو الذى نقل للأمة هذا العلم الغزير.. الذى يكون فى ميزان حسناته يوم القيامة حين لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

وانظر إلى رجل مثل عمر بن عبد العزيز الذى صمم أن يعود بالخلافة إلى رشدها، ويرد الحقوق والمظالم إلى أصحابها، ويؤدى الأمانات إلى أهلها، لا تأخذه فى الله لومة لائم، فلم تمض سنتان ونصف السنة (هى كل مدة خلافته) حتى ملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

فلقد استطاع - بإذن الله تعالى - أن يضع يده على الداء الذى استشرى فى أمة الحبيب ﷺ ونجح فى أن يستلّ جرثومته بيد بيضاء نقية وأن يعيد الأمة عوداً حميداً إلى شرع الله وإلى سنة رسول الله ﷺ وكأنها تعيش فى زمن الوحي بين الحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حتى خرج المنادى يقول: من كان يريد المال فليأت إلى بيت مال المسلمين... وعاد المال إلى بيت مال المسلمين كما هو؛ لأن العفاف كان شعاراً للأمة.. فنادى المنادى: من كان عليه دين فسداده فدينه من بيت مال المسلمين.. من بلغ سن الزواج من الشباب أو الفتيات فزواجهن من بيت مال المسلمين.. من أراد أن يحج ولم يستطع فحجه من بيت مال المسلمين.. ثم أمرهم بعد ذلك عمر بن عبد العزيز أن يلقوا الحبوب فى الصحراء لكى تنعم الطيور فى عهد المسلمين..

(١) صحيح: رواه البخارى (١١٣) كتاب العلم.

وبقيت البركة باركة في بيت المال فقال عمر: ما تبقى من المال فتصدقوا به على فقراء أهل الكتاب.

كل ذلك فعله عمر رضي الله عنه في أقل من عامين ونصف!! إنها بركة العمر لكل من عاش على طاعة الله (جل وعلا).

خصائص الوقت

والوقت له خصائص لا بد أن نعرفها جيداً لكي نستطيع أن نغتني كل لحظة من لحظاته، ولا يفوتنا منه شيء فنندم حين لا ينفع الندم.

١- سرعة انقضاء الوقت:

فالوقت يمر مرَّ السحاب ويجرى جرى الريح، وبخاصة في هذا الزمان الذي أخبر عنه النبي ﷺ فقال: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كالיום ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضربة بالنار»^(١).

فالأيام تمر بسرعة عجيبة بكل ما فيها من أفراح وأحزان وإن كانت أيام السعادة أسرع مروراً من أيام الحزن - لا في الحقيقة، ولكن في شعور صاحبها - وصدق من قال:

مرت سنين بالوصال وبالهنا

فكأنها من قصرها أيام

ثم انشئت أيام هجر بعدها

فكأنها من طولها أعوام

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٣٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٤٢٢).

ثم انقضت تلك السنون وأهلها

فكأنها وكأنهم أحلام

وهذا العمر الذى يعيشه الإنسان فى الدنيا يشعر بأن يوم القيامة كأنه كان ساعة أو أقل من ذلك... كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (٢).

٢- أن الوقت أغلى ما يملك الإنسان:

إذا كان بعض الناس يقولون: إن الوقت كالذهب فنحن نقول: بل إن الوقت أغلى من الذهب واللؤلؤ ومن كل جواهر الدنيا وزخارفها الفانية. فالوقت هو الحياة وهو رأس مال المسلم فإذا ضاع رأس المال خسر العبد فى دنياه وآخرته، وإذا استثمر رأس المال فى طاعة الله (جل وعلا) ربح فى الدنيا والآخرة.

ومن لم يعرف قيمة الوقت فى هذه الحياة الدنيا فسوف يعرف قيمته يوم لا ينفع الندم ولا تجدى حسرة.. ولقد وصف الحق (جل وعلا) حال هؤلاء الذين لم يعرفوا قيمة الوقت فقال تعالى واصفًا حالهم عند الموت: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُعْتَنُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٤).

(١) سورة يونس: الآية: (٤٥).

(٢) سورة النازعات: الآية: (٤٦).

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩، ١٠٠).

(٤) سورة المنافقون: الآيتان: (١٠، ١١).

بل وصف الحق (جل وعلا) حالهم فى الآخرة عندما يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار . . قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾ (١).

ولذا قال عليه السلام : «أعذر الله إلى امرئ أمهله حتى بلغ ستين عاماً» (٢) فإن تلك السنوات الطويلة كافية ؛ لأن يتوب المذنب وأن يعود الشارد وينتبه الغافل . . فإن لم يتب العبد بعد تلك السنوات الطويلة فقد استحق المقت والعذاب .

الخلطة مفسدة للقلب مضیعة للوقت

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «فأما ما تؤثره كثرة الخلطة : فامتلاء القلب من دخان أنفاس ابن آدم حتى يسود ويوجب له تشتتاً وتفرقاً، وهماً وغماً وضعفاً، وحماً لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه والاشتغال عنها بهم وبأموارهم، وتقسم فكره فى أودية مطالبهم وإراداتهم، فماذا بقى منه لله والدار الآخرة؟!

وهل كان على (أبى طالب) - عند الوفاة - أضر من قرناء السوء؟! لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة تجلب له سعادة الأبد .

والضابط النافع فى أمر الخلطة أن يخالط الناس فى الخير كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة، ويعتزلهم فى الشر وفضول المباحات، وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم فى فضول المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه

(١) سورة فاطر : الآيتان : (٣٦ ، ٣٧) .

(٢) صحيح : رواه البخارى (٦٤١٩) كتاب الرقاق .

ويقوى قلبه ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك، بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك، ونحو ذلك، فليحاربه وليستعن بالله، ويؤثر فيهم من الخير ما يمكنه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فليسل قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضراً غائباً، قريباً بعيداً، نائماً يقظان، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه؛ لأنه قد أخذ قلبه من بينهم، ورقى به إلى الملأ الأعلى، يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية، وما أصعب هذا وأشقّه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، فبين العبد وبينه أن يصدق الله تبارك وتعالى، ويديم اللجأ إليه، ويلقى نفسه على بابه طريقاً ذليلاً، ولا يعين على هذا إلا محبة صادقة والذكر الدائم بالقلب»^(١).

٣- أن الوقت إذا مضى لا يعود:

والإنسان إذا فقد المال فإنه يستطيع أن يعوض هذا المال بل وأكثر من هذا المال الذي فقدّه أما إذا ضاع يوم من عمره فإنه لا يستطيع أبداً أن يعوضه إلى قيام الساعة . . ولذا قال الحسن البصري (رحمه الله): «ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادى: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإنني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة».

فكم من رجل بلغ الأربعين أو الخمسين من عمره يتمنى أن يرجع به العمر إلى الوراء لبدأ صفحة جديدة كلها طاعة لله (جل وعلا) . . فاحرص أخى الحبيب أن تغتنم كل لحظة من عمرك قبل أن تمر أيامك فتندم حين لا ينفع الندم.

وانظر لحال سلفنا الصالح وكيف كانوا يغتنمون كل لحظة فيما يقربهم من الله (جل وعلا) . .

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٤ - ٤٥٦) بتصرف.

فها هو عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يصلى بالقرآن كله فى ركعة الوتر . .
 وها هو الشافعى (رحمه الله) الذى كان يقرأ القرآن فى شهر رمضان ستين
 مرة - مرة بالليل ومرة بالنهار - فانظر إلى بركة أعمارهم وسل الله (جلَّ
 وعلا) أن يبارك لك فى عمرك وأن يجعل أيامك عامرة بالطاعة والعطاء
 لديك .

سلفنا الصالح .. وقيمة الوقت

لقد علم سلفنا الصالح (رحمهم الله) قيمة الوقت وشرف الزمان فكانوا
 أحرص على الدقيقة الواحدة من حرصنا على أموالنا ودينانا كلها .
 فتعالوا بنا لنطوف فى بستان سلفنا الصالح لنرى حرصهم على كل لحظة
 من لحظات العمر .

حماد بن سلمة (رحمه الله)

وانظر إلى سادات الرجال وحفظهم لأوقاتهم:
 فهذا حماد بن سلمة، يقول عنه تلميذه عبد الرحمن بن مهدى: «لو قيل
 لحماذ بن سلمة: إنك تموت غداً، ما قدر أن يزيد فى العمل شيئاً» .
 وقال موسى بن إسماعيل التبوذكى: لو قلت لكم: إنى ما رأيت حماد بن
 سلمة ضاحكاً، لصدقت، . . . كان مشغولاً: إما أن يحدث، أو يقرأ، أو
 يسبح، أو يصلى، وقد قسم النهار على ذلك .
 قال يونس المؤدب: مات حماد بن سلمة وهو فى الصلاة رحمة الله
 عليه^(١) .



(١) الحث على طلب العلم، لأبى هلال العسكري (ص: ٨٧) .

عُبَيْد بن يَعِيش (رحمه الله)

وهذا الإمام الحافظ عبيد بن يعيش شيخ البخارى ومسلم، روى عنه عمار بن رجا قال: «سمعت عبيد بن يعيش يقول: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل، كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث»^(١).

ابن عقيل (رحمه الله)

انظر - رحمك الله - إلى الإمام أبى الوفاء ابن عقيل الحنبلى وحفظه لوقته، ومعرفته بنفاسته، يقول: «إنى لا يحل لى أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لسانى عن مذاكرة أو مناظرة، وبصرى عن مطالعة، أعملت فكرى فى حال راحتى وأنا منطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لى ما أسطره، وإنى لأجد من حرصى على العلم وأنا فى عمر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة. وأنا أقصر بغاية جهدى أوقات أكلى، حتى أختار سف الكعك، وتحسّيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفراً على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه، وإن أجل تحصيل عند العقلاء - بإجماع العلماء هو الوقت، فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص، فالتكاليف كثيرة والأوقات خاطفة».

هذا الإمام الذى يقول عنه ابن الجوزى: «كان الإمام ابن عقيل دائم الاشتغال بالعلم، وكان له الخاطر العاطر، والبحث عن الغوامض والدقائق، وجعل كتابه المسمى بـ«الفنون» مناصلاً لخواطره وواقعاته، وله تصانيف كثيرة فى أنواع العلوم، وأكبر تصانيفه: «الفنون» وهو كتاب كبير جداً، فيه فوائد كثيرة جليلة فى الوعظ، والتفسير، والفقه وأصول الفقه، وأصول الدين،

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع - الخطيب (١٧٨/٢).

والنحو، واللغة والشعر، والتاريخ».

قال الذهبي: «لم يُصنّف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب، حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمئة، قال ابن رجب: وقال بعضهم: هو ثمانمئة مجلدة».

فانظر رحمك الله - كيف يثمر حفظ الوقت ودأب النفس في الخير والعلم «ثمانمئة مجلدة» أكبر كتاب في الدنيا، إلى جانب تأليف كثيرة غيره.

أبو يوسف القاضي (رحمه الله)

وهذا الإمام أبو يوسف القاضي صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه. «قال تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح الكوفي ثم المصري: مرض أبو يوسف فأتيته أعوده فوجدته مُغمى عليه، فلما أفاق قال لى: يا إبراهيم، ما تقول فى مسألة؟ قلت: فى مثل هذه الحالة؟ قال: ولا بأس بذلك، ندرس لعله ينجو به ناج».

ثم قال: يا إبراهيم، أيما أفضل فى رمى الجمار، أن يرميها ماشياً أو راكباً؟ قلت: راكباً. قال: أخطأت. قلت: ماشياً. قال: أخطأت. قلت: قل فيها يرضى الله عنك.

قال: أما من كان يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه ماشياً، وأما ما كان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه راكباً. ثم قمت من عنده، فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه، وإذا هو قد مات رحمة الله عليه^(١).

سليم الرازى (رحمه الله)

وهذا الإمام سليم الرازى أحد أئمة الشافعية المتوفى سنة (٤٤٧هـ)، قال عنه التاج السبكي: «كان - رحمه الله - من الورع على جانب قوى،

(١) الجواهر المضية (١/٧٦).

يحاسب نفسه على الأوقات، لا يدع وقتاً يمضى بغير فائدة، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ.

ابن جرير الطبري (رحمه الله)

وقال الخطيب البغدادي: سمعت السمسسمى يحكى أن ابن جرير مكث أربعين سنة، يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة.

وحدث تلميذه الفرغاني في كتابه - المعروف بكتاب «الصلة»، وهو كتاب وصل به «تاريخ ابن جرير» - أن قومًا من تلاميذ ابن جرير، حصلوا أيام حياته - منذ بلغ الحلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين سنة - ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته، فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة، وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق.

إذا حسبنا أيام الاثنين والسبعين سنة وجعلنا لكل يوم منها أربع عشرة ورقة تصنيفاً، كان مجموع ما صنفه الإمام ابن جرير نحو ثمانى وخمسين وثلاثمائة ألف ورقة.

تبارك الله .. ماذا تبلغ الهمم!! فهو فى كثرة تأليفه بمثابة دار للنشر، وهو فرد واحد بنفسه، يكتب بقلمه لنفسه ويؤلف على ورقه بنفسه، ويخرج للناس فكره وعلمه عسلاً مصفى وزبدًا شهيًا وما كان يكون له كل ذلك لولا أنه كان يكسب وقته^(١).

الخطيب البغدادي (رحمه الله)

وهذا شيخ المحدثين الخطيب البغدادي «كان يمشى وفى يده جزء يطالعه» وما ذلك إلا للحفاظ على الوقت، وكسب الزمن أن يذهب فارغاً أثناء المشى دون استفادة فى جنب العلم.

(١) قيمة الزمن (ص: ٤٣، ٤٤).

ابن الجوزى (رحمه الله)

وانظر إلى الإمام العظيم ابن الجوزى فى دُرره التى ينصح بها ولده - المسماة بـ «لفتة الكبد فى نصيحة الولد»: «اعلم يا بنى أن الأيام تبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاساً، وكل نفس خزانة، فاحذر أن يذهب نفسٌ بغير شىء فترى فى القيامة خزانة فارغة فتندم، وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تودعها إلا إلى أشرف ما يمكن، ولا تهمل نفسك، وعودها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه».

لقد كانت همة ابن الجوزى فى حفظ وقته علىه، تدل عليها تصانيفه التى هى زبدة عمره:

قال ابن رجب فى ترجمة ابن الجوزى: «لم يترك فناً من الفنون إلا وله فيه مصنف،... وسُئل عن عدد تأليفه، قال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا، منها ما هو عشرون مجلدًا، ومنها ما هو كراس واحد.

وقال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجوزى لا يضيع من زمانه شيئًا، يكتب فى اليوم أربعة كرايس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدًا إلى ستين»^(١).

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى: سمعت جدى يقول على المنبر فى آخر عمره: كتبت بإصبعى هاتين ألفى مجلد»^(٢).

ذكر ابن رجب الحنبلى فى «ذيل طبقات الحنابلة»^(٣) أن الإمام ابن تيمية قال فى أجوبته المصرية: كان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى كثير التصنيف والتأليف، وله مصنفات فى أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/٤٠١).

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/١٣٤٤)، وذيل طبقات الحنابلة (١/٤٠١).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (١/٤١٥).

مصنف، ورأيت بعد ذلك ما لم أره.

وقال الذهبي: وما علمت أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل. ونقل القمى فى «الكنى والألقاب» أن براية أقلام ابن الجوزى التى كتب بها الحديث جمعت فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذى يُغسل به بعد موته، ففعل ذلك فكفت وفضل منها ^(١).

فرحمة الله على شيخ الإسلام ابن الجوزى:

لا تقعدن لذكرنا فى ذكرهم

ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية، كان لا يفوت ساعة من وقته دون تعليم أو تأليف أو عبادة، حتى بلغت مؤلفاته المئات، بل لم يمكن حصرها للمتبعين، حتى ولا للشيخ نفسه، رحمه الله.

قال ابن شاکر الكتبى: «إن تصانيفه تبلغ ثلاثمائة مجلد».

قال الذهبي: وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد» ^(٢).

قال ابن القيم: «وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية فى سننه، وكلامه، وإقدامه، وكتابته، أمراً عجيباً فكان يكتب فى اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ فى جمعة أو أكثر» ^(٣).

وقال العلامة ابن رجب الحنبلى: «وأما تصانيفه فقد امتلأت بها الأمصار وجاوزت حد الكثرة فلا يمكن لأحد حصرها» ^(٤).

(١) فوات الوفيات (١/٣٨، ٤٢).

(٢) فوات الوفيات (١/٣٨، ٤٢).

(٣) الوابل الصيب (ص ١٠٨).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٠٣).

النووى (رحمه الله)

قال ابن العطار تلميذ النووى: «ذكر لى شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان لا يضيع له وقتاً، لا فى ليل ولا فى نهار، إلا فى الاشتغال بالعلم حتى فى الطريق يكرر أو يطالع، وأنه دام على هذا ست سنين، ثم أخذ فى التصنيف والإفادة والنصيحة وقول الحق، وكان لا يأكل فى اليوم والليلة إلا أكلة بعد عشاء الآخرة، ويشرب شربة واحدة عند السَّحَر، ويمتنع عن أكل الفواكه والخيار، ويقول: أخاف أن يרטب جسمى ويجلب لى النوم».

قال النووى رحمه الله: «ينبغى للمتعلّم أن يغتنم التحصيل فى وقت الفراغ والنشاط، وحال الشباب وقوة البدن، ونباهة الخاطر، وقلة الشواغل قبل عوارض البطالة»^(١).

أترجو أن تكون وأنت شيخ
كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب
دريس كالجدید من الثياب

ابن النفيس (رحمه الله)

أما الإمام الفقيه مكتشف الدورة الدموية ابن النفيس، فقال عنه الإمام برهان الدين إبراهيم الرشيدى: «كان العلاء بن النفيس إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية، ويدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ فى التصنيف إملاء من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كان القلم وحفى رمى به وتناول غيره، لئلا يضيع عليه الزمان فى برى القلم»^(٢).

(١) المجموع للنووى (١/٦٩).

(٢) الدرر الكامنة (٦/٨٥).

أخي الحبيب: هكذا كانت الهمم العالية فأين همتك؟!

وقفعة مع النفس

أخي الحبيب: هل وقفت مع نفسك وقفعة للمحاسبة؟

قف مع نفسك وقل لها: يا نفس، ما لى بضاعة إلا العمر، ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح. وهذا اليوم الجديد قد أمهلنى الله فيه، وأنساً فى أجلى، وأنعم علىَّ به، ولو توفانى لكنت أتمنى أن يرجعنى إلى الدنيا يوماً واحداً حتى أعمل فيه صالحاً، فاحسبى أنك قد توفيت ثم رُددت، فأياك أن تضيعى هذا اليوم، فإن كل نفس جوهرة ثمينة.

اجتهدى اليوم فى أن تعمري خزانتك، ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التى هى أسباب ملكك، ولا تميلى إلى الكسل والدعة، فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك، وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة، فألم العين وحسرتة لا يطاق وإن كان دون ألم النار. وقد قال بعضهم: هَبْ أَنْ الْمَسِيءَ قَدْ عَفَى عَنْهُ، أَلَيْسَ قَدْ فَاتَهُ ثَوَابُ الْمُحْسِنِينَ؟! ^(١).

✽ قال شوقي رحمه الله:

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثوانٍ

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها

فالذكر للإنسان عمرٌ ثانٍ

قال الغزالي رحمه الله: «ويحك يا نفس، ما لك إلا أيام معدودة، هي

(١) الإحياء (٤/ ٤١٨، ٤١٩).

بضاعتك إن اتجرت فيها، وقد ضيعت أكثرها، فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك، فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عاداتك. ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فابنى على وجه الأرض قصرك، فإن بطنها عن قليل يكون قبرك. تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك! وما نفع مال يزيد وعمر ينقص، كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، وكم من مؤمل لغد لا يبلغه! اعملى بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال. ومن كانت مطيته الليل والنهار، فإنه يسار به وإن يسر^(١).

الدقيقة من عمرك كيف تستثمرها

وجدت أن الدقيقة من الزمن يمكن أن يفعل فيها خير كثير، إما قراءة آيات، كل آية فيها عشرات الحروف، كل حرف بعشر حسانات، فتصبح مئات الحسنات. أخى المسلم اعلم أن معظم هذه المشاريع لا تكلف شيئاً أو تعباً أو بذل جهد، بل قد تقوم بها وأنت تسير على قدميك أو راكباً أو واقفاً أو جالساً، وهذه المشاريع كالآتى:

- ١- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقرأ سورة الفاتحة (٥) مرات فتحصل على أكثر من (٧٠٠٠) حسنة.
- ٢- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقرأ سورة الإخلاص (١٥) مرة فإنها تعدل قراءة القرآن (٥) مرات.
- ٣- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير (٢٠) مرة وأجرها كعتق (٨) رقاب فى سبيل الله من ولد إسماعيل.

(١) الإحياء (٤/ ٤٤٥ - ٤٤٦).

- ٤- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده (١٠٠) مرة، ومن قال ذلك فى يوم غُفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر.
- ٥- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله أكثر من (٤٠) مرة، وهى كنز من كنوز الجنة.
- ٦- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، أكثر من (١٠) مرات، وهى كلمات تعادل أضعاف مضاعفة من أجور التسبيح والذكر.
- ٧- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تستغفر الله أكثر من (١٠٠) مرة، فالاستغفار سبب للمغفرة، ودخول الجنة، وللمتاع الحسن وزيادة القوة، ودفع البلايا، وتيسير الأمور، ونزول المطر، والإمداد بالأموال والبنين.
- ٨- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تصلى على النبى ﷺ (٢٠) مرة فيصلى الله عليك مقابلها (٢٠٠) مرة.
- ٩- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم (٥٠) مرة، وهى كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن.
- ١٠- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر (٢٥) مرة، وهذه الكلمات أحب الكلام إلى الله.
- ١١- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله (٥٠) مرة تقريباً.
- ١٢- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن ترفع يديك وتدعو بما شئت من جوامع الكلم.
- ١٣- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تنهى عن منكر أو تأمر بمعروف أو تقدم نصيحة لأخ أو تشفع شفاعة حسنة، أو تواسى مهموماً أو تميظ الأذى عن الطريق أو تصافح عدداً من الأشخاص.

دقيقة واحدة فقط يمكن أن تزيد في عمرك، في عطائك، في فكرك، في فهمك، في حفظك، في حسناتك.

دقيقة واحدة تُكتب في صحيفة أعمالك إذا عرفت كيف تستثمرها، وتحافظ عليها، فانظر كم من دقيقة؛ بل من ساعة، بل من يوم، بل من شهر، بل من سنة ذهب منا هدرًا، وضاع منا لغوًا وعبثًا، وطار هباءً مثورًا؟! وليت من ضيعها ينجو رأسًا لا له ولا عليه، بل تجد خلاف ذلك من ذنوب وخطايا وسيئات، . . . والله المستعان.

ويستطيع من صلى ركعتين خفيفتين يقتصر فيهما على الواجبات فقط كقراءة الفاتحة، وثلاثة تسيحات في الركوع والسجود.

أقول: يستطيع أن يصليهما فيما يقارب الدقيقة، فمن صلى كل يوم ركعتين ضحى نافلة صلى في السنة أكثر من سبعمئة ركعة، وكل ركعة فيها سجدتان، أى: يسجد في السنة في صلاة الضحى أكثر من ألف وأربعمئة سجدة.

وفي الحديث الصحيح: «إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة، وحط عنك بها خطيئة» (١).

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن ترضى الرب، وتمحو الذنب، وأن تكتب لك عند الله بها أجرًا، وتمحو بها وزرًا، وتجعلها لك عنده ذخراً.

وتستطيع في الدقيقة مع الدقيقة أن تؤلف، وأن تكتب، وأن تحفظ، وأن تنمي موهبتك وأن تجود ذاكرتك، وأن تزيد من علمك، وأن تحافظ على وردك وأن تعمق ثقافتك، وتوسع معارفك، وتنوع مواهبك، لكن الأمر يحتاج يا أخي إلى همة، أعوذ بالله من موت الهمم، وبرود العزائم وخسة الطبع (٢).

(١) صحيح: رواه أحمد (٢١٦٣٦) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٦٩).

(٢) حدائق ذات بهجة - الشيخ/ عائض القرنى (ص: ٥ - ٧) بتصرف.

أسباب ضياع الوقت

هناك أسباب كثيرة تؤدي إلى ضياع الوقت وهدره فمن ذلك:

- ١- الجهل بقيمة الوقت: فالإنسان عدو ما يجهل، فإذا جهل الإنسان قيمة وقته أضاعه وبدّده، ولم يعرف كيف يستثمره.
- ٢- الكسل: والكسل آفة خطيرة تقتل كل إبداع، وتجابه كل عمل مثمر وفكر وقاد، وتنتهى عن كل تغيير يدعو إلى النهوض من رقدة الغافلين.
- ٣- عدم التركيز: وهذا السبب يؤدي إلى إهدار أوقات كثيرة فى عمل لا يستحق كل هذه الأوقات، ولو كان هناك تركيز وانتباه لتوفرت كثير من الأوقات.

٤- الغفلة: من أهم صفات أهل الغفلة هى التفریط، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١)، وأعظم تفریط كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله هو التفریط فى الوقت وإضاعته.

٥- ضياع الهدف: وأعنى الهدف الأسمى الذى ينبغى أن يسعى إليه كل مسلم، وهو رضا الله عز وجل والفوز بكرامته، وإلا فهناك أهداف أخرى تتنوع بتنوع الأشخاص واختلاف مشاربهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾^(٢) واختلاف الأوقات فى هذه الأهداف الدنيوية الزائلة يؤدي إلى ضياع الهدف الأسمى الذى ينبغى أن يستحوذ على جل وقت الإنسان.

٦- سوء التنظيم: ومن سوء التنظيم عدم البدء بالأهم فالهمم وهكذا، مثال ذلك أن يبذل أوقاته فى تعلم السنن قبل الفرائض، وأن يضع أوقاته فى إحكام الفروع، بينما يظهر الخلل واضحاً عنده فى الأصول، فهذا أيضاً نوع من أنواع تضييع الأوقات.

(١) سورة الكهف: الآية: (٢٨).

(٢) سورة الليل: الآية: (٤).

٧- صحبة البطالين: فمن المعلوم أن الطبع يتأثر بخصال المخالطين، فإذا خالط الإنسان مَنْ عُرِفوا بإهمال الوقت وإضاعة العمر تأثر بهم، ومع مرور الأيام يصير مثلهم، ولذلك قال النبي ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(١).

نعوذ بالله من صحبة البطالين

قال الإمام ابن الجوزي: أعوذ بالله من صحبة البطالين، لقد رأيت خلقاً كثيراً يحبون كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلقون الجلوس، ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يغنى، ويتخلله غيبة، وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور، وتشوق إليه واستوحش من الوحدة، وخصوصاً في أيام التهانى والأعياد، فتراهم يمشى بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان، فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهابه بفعل الخير، كرهت ذلك وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان! فصرت أدافع اللقاء جهدي، فإذا غلبت قصرت في الكلام لأتعجل الفراق، ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضى الزمان فارغاً، فجعلت من الاستعداد للقائهم قطع الأوراق وبري الأقلام، وحزم الدفاتر؛ فإن هذه الأشياء لا بد منها ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي»^(٢).

٨- التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة: فحب الدنيا حائل بين العبد وبين الاستعداد للآخرة واغتنام كل لحظات العمر في طاعة الله (جل وعلا) ..

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذي (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٩٦٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).
(٢) صيد الخاطر (ص: ٣٧٥) بتصرف.

قال على رضي الله عنه: من جُمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً؛ أولها من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها. وقال الحسن: رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من اتّمنهم عليها، ثم راحوا خفافاً . .

وقال أيضاً رحمه الله: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

وقال لقمان - عليه السلام - لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير، فلتكن سفينتك فيه تقوى الله - عز وجل - وحشوها بالإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله - عز وجل - لعلك تنجو وما أراك ناجياً.

وقال لقمان لابنه: يا بني إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها.

وقال لقمان لابنه: يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً . .

وقال مطرف بن الشَّخِير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر. فالمؤمن يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع.

٩- طول الأمل: جميل أن نحمل في قلوبنا أملاً لكي نعمر الكون بكل أنواع الخير، فالإنسان مفطور على حب الحياة. لكن لا بد أن نحذر من أن يحول طول الأمل بيننا وبين طاعة الله عز وجل.

فإن صاحب الأمل الطويل في الدنيا يركن غالباً إلى الشهوات والملذات، ولذلك نجد قلبه لا يتحرك لآيات الله وكلام رسول الله صلّى الله عليه وآله. ومن أجل ذلك حذر النبي صلّى الله عليه وآله من طول الأمل.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك (١).

زاد أحمد والترمذي: «وعد نفسك من أهل القبور» (٢).
ولقد قال تعالى عن هذا الصنف: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

قال الإمام القرطبي: وطول الأمل داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجح فيه دواء، بل أعياء الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء.

وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحب لها والإعراض عن الآخرة.. ولذا قال رسول الله ﷺ: «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل» (٤).

وقال الحسن: ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل،... وصدق ﷺ! فالأمل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني ويعقب التشاغل والتقاعس، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى.

وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطالب صاحبه ببرهان، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل على المبادرة، ويحث على المسابقة (٥).

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٣٣) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٤) كتاب الزهد، وأحمد (٤٩٨٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٥٧٩).

(٣) سورة الحجر: الآية: (٣).

(٤) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (٣٣٢/٧)، رقم (٧٦٥٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٨٤٥).

(٥) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (٧/١٠، ٨).

وقال على رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة.

١٠- التسويف: ومن أعظم أسباب ضياع الوقت (التسويف) فإن العبد يظن أنه سيعيش ألف سنة فيقول: سوف أصلى .. سوف أتوب .. إلى أن ينقضى العمر كله بلا توبة ولا عمل صالح، ولذا جاءت وصية الحبيب صلوات الله عليه حيث قال: «اغتنم خمسا قبل خمس حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»^(١).

فاحذر أخى الحبيب من التسويف فإن كلمة (سوف) جند من جنود إبليس فلا تؤخر التوبة ولا تؤجل العودة إلى الله (جل وعلا) فكل لحظة تعيشها فى طاعة الله فأنت فى جنة الدنيا التى ستثمر لك بعد ذلك جنة الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(٢).

قال الحسن البصرى (رحمه الله): لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت الفكرة من عمله، والذكر من شأنه، والمحاسبة من همته، ولا يزال بشرًّا ما استعمل التسويف، واتبع الهوى، وأكثر الغفلة، ورجح فى الأمانى^(٣).

(١) صحيح: رواه الحاكم (٣٤١/٤)، رقم (٧٨٤٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/٢٦٣)، رقم (١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣ - ١٣٦).

(٣) الزهد للحسن البصرى (ص: ١٣٨).

١١ - الإفراط في الأكل والنوم والسهر والكلام:

فكما قيل: من أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً وخسر أجراً كبيراً. فكثرة الأكل والنوم والسهر والكلام والخلطة تضعيق الوقت الذي هو كنزك الحقيقي. فاحرص أخى الحبيب على أن لا تكثر من الطعام والنوم والسهر حتى لا يفوتك الخير الكثير. وحسبك أن النبي ﷺ: «كان لا يشبع من خبز الشعير» (١).

قال ﷺ: «ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، وبحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (٢).

وعن ابن عباس رضيهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير (٣).

وعن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضيهما أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير (٤).

وعن عروة عن عائشة رضيهما، أنها كانت تقول: والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار.

قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟

قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينها (٥).

١٢ - اتباع الهوى: فالهوى ملكٌ غشوم جهول يهوى بصاحبه إلى كل شر

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٤١٤) كتاب الأطعمة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٨٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٣٣٤٩) كتاب الأطعمة، وأحمد

(١٦٧٣٥) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٧٤).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٣٦٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٣٣٤٧) كتاب الأطعمة، وأحمد

(٣٣٠٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٨٩٥).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥٤١٤) كتاب الأطعمة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٥٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

فى الدنيا، والهلاك فى الآخرة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكر الله الهوى فى موضع من كتابه إلا وذمه .
 قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .
 بل خاطب نبيه عليه السلام قائلاً له: ﴿ وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ (٢) .

أخى الحبيب: اعلم أن الهوى يحول بينك وبين الاستجابة لأمر الله ولأمر رسول الله عليه السلام فقد قال تعالى لرسوله عليه السلام: ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

فما عليك إلا أن ترفع شعار «سمعنا وأطعنا» كما رفعه أصحاب النبى عليه السلام فرفع الله قدرهم فى الدنيا وادخر لهم النعيم المقيم فى الجنة .
 ١٣ - الفراغ: قال عليه السلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (٤) .

قال الحافظ ابن حجر: فمن استعمل صحته وفراغه فى طاعة الله فهو المغبوط ومن استعمل صحته وفراغه فى معصية الله فهو المغبون .
 * والفراغ ثلاثة أنواع: الفراغ القلبى والفراغ النفسى والفراغ العقلى .
 فأما عن الفراغ القلبى فهو أن يفرغ القلب من الإيمان، واليقين والرضا بالله .
 قال عليه السلام - كما فى الصحيحين - : «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب» (٥) .

(١) سورة الجاثية: الآية: (٢٣) .

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٨) .

(٣) سورة القصص: الآية: (٥٠) .

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق .

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة .

وقال عليه السلام : «ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر بينما القمر يضيء إذ علته سحابة فأظلم إذ تجلّت» (١).

فكذلك نور الإيمان في القلب إن حُجب بسحائب الظلم والمعاصي؛ لأن أصل النجاة ومدار الفلاح على إيمان العبد بالله (جل وعلا).

ومن المعلوم أن فراغ القلب يُعرض العبد للفتنة كما قال عليه السلام : «تُعرض الفتن على القلوب عرض الحصر عوداً عوداً، فأى قلب أُشربها نُكتت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً، إلا ما أُشرب من هواه» (٢).

فعلاج الفراغ القلبي بزيادة الإيمان . . والإيمان يزداد بكثرة الطاعات وينقص بالمعاصي والسيئات .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : تفقّد قلبك في ثلاثة مواطن : عند سماع القرآن وفي مجالس الذكر والعلم وفي وقت الخلوة بينك وبين ربك (عز وجل) فإن لم تجد قلبك في تلك المواطن فابحث عن قلبك فإنه لا قلب لك .

وجاء رجل إلى الإمام سفيان الثوري (رحمه الله) وكان يشتكى من أنه مريض بمرض البعد عن الله . . فقال له سفيان الثوري : يا هذا عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع، ضع هذا كله في إناء التقوى وصب عليه ماء الخشية وأوقد عليه نار الحزن على المعصية وصفه بمصفاة المراقبة له، وتناوله بكف الصدق واشربه من كأس الاستغفار وتمضمض بالورع وابعد عن الحرص والطمع يشفى مرض قلبك بإذن الله .

وأما عن الفراغ النفسي . . فالنفس إن لم تشغلها بالطاعات شغلتك

(١) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (٢٤٧/٥ ، رقم ٥٢٢٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٨٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٤) كتاب الإيمان.

بالمعاصي والسيئات ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (١) .

ولقد دلَّ الحق (جل وعلا) النفس على الطريقين: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٢) .

فشبابنا إذا فرغت نفوسهم قاموا إلى كل معصية وانشغلوا بالفتن والشهوات . . والنفس كالطفل لو فطمها الإنسان مرة بعد مرة لاعتادت الطاعة ولأحست بلذة الطاعة ولم تشعر بالثقل أبداً .

فالناس صنفان: صنف قد انتصر على نفسه وقهرها وألجمها بلجام الطاعة وجعلها مطية إلى رضوان الله وجنته . . وصنف قهرته نفسه وغلبته وقادته إلى معصية ومن ثم إلى الهلاك في الدنيا والآخرة .
وملء الفراغ النفسى لا يكون إلا بالطاعة والانشغال بعمل يعود على العبد في دنياه وآخرته .

وأما عن الفراغ العقلى: فحياة صاحبه فى دمار وآخرته بوار . . . ألم تسمع إلى نصائح أهل النار وهم فى النار يتصايحون ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٣) .
فاعلم أيها الأخ الحبيب أنك تحمل قضية دين وقضية أمة . . فعمرك أغلى من أن تفرط فيه وتضيعه فيما لا يعود بالنفع عليك وعلى أمتك المسلمة .



(١) سورة يوسف: الآية: (٥٣) .

(٢) سورة الشمس: الآيات: (٧-١٠) .

(٣) سورة الملك: الآيتان: (١٠ ، ١١) .

واجب المسلم نحو الوقت

فإذا علمت أيها الأخ الحبيب قيمة الوقت، وتيقنت بأن الوقت هو الحياة فما بقى إلا أن تتعرف على واجبك نحو الوقت وأن تعرف الأسباب التي تعينك على اغتنام كل لحظة من لحظات العمر.

١- الحرص على الدقائق قبل الساعات:

فيجب على المسلم أن يحافظ على وقته وأن يغتنم الدقائق قبل الساعات في كل ما يعود بالخير عليه وعلى أمته المسلمة.

وقد كان السلف رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على أوقاتهم، لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها.

يقول الحسن البصري: أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم.

ومن هنا كان حرصهم البالغ على عمارة أوقاتهم بالعمل الدائب والحذر أن يضيع شيء منه في غير جدوى... يقول عمر بن عبد العزيز: إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما!

وكانوا يقولون: من علامة المقت إضاعة الوقت،... ويقولون: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك.

وفي هذا قال الشاعر:

إذا مرَّ بي يوم ولم أقتبس هدى

ولم أستفد علماً فما ذاك من عمرى

وقال حكيم: من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاء، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عوقب.

يومه، وظلم نفسه!

وكانوا يعتبرون من كفران النعمة، ومن العقوق للزمن: أن يمضى يوم لا يستفيدون منه لأنفسهم، ولا للحياة من حولهم نمواً في المعرفة، ونمواً في الإيمان، ونمواً في عمل الصالحات.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمى على يوم غربت شمس، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي!

قتلة الوقت!!

وإذا كان هذا هو حرص سلفنا على الوقت، وتقدير قيمته وخطره، فإن مما يدمى القلب، ويمزق الكبد أسى وأسفاً: ما نراه اليوم عند المسلمين من إضاعة للأوقات فاقت حد التبذير وإلى التبديد.

والحق أن السفه في إنفاق الأوقات أشد خطراً من السفه في إنفاق الأموال، وإن هؤلاء المبذرين المبددين لأوقاتهم، لأحق بالحجر عليهم من المبذرين لأموالهم؛ لأن المال إذا ضاع قد يعوض، والوقت إذا ضاع لا عوض له.

ومن العبارات التي أصبحت مألوفة لكثرة ما تدور على الألسنة، وما تقال في المجالس والأندية عبارة: «قتل الوقت» فترى هؤلاء المبذرين أو المبددين يجلسون الساعات الطوال من ليل أو نهار حول مائدة النرد، أو رقعة الشطرنج، أو لعبة الورق، أو غير ذلك - مما يحل أو يحرم - لا يباليون، لاهين عن ذكر الله وعن الصلاة، وعن واجبات الدين والدنيا، فإذا سألتهم عن عملهم هذا وما وراءه من ضياع، قالوا لك بصريح العبارة: إنما نريد أن نقتل الوقت! وما يدري هؤلاء المساكين أن من قتل وقته فقد قتل في الحقيقة نفسه! فهي جريمة انتحار بطيء تُرتكب على مرأى ومسمع من الناس، ولا

يعاقب أحد عليها! وكيف يعاقب عليها من لا يشعر بها، ولا يدرى مدى خطرهما؟! (١).

فلا تقعد معهم

إن أكثر الناس لا يعرفون قيمة الوقت ولا شرف الزمان . . ترى بعضهم يقضى الساعات الطويلة على المقهى أو أمام التلفاز أو أمام رقعة الشطرنج فإذا سألته ماذا تصنع؟

يقول لك: أجلس لأقتل الوقت!!

وهو لا يدرى أنه بذلك يقتل نفسه قتلاً بطيئاً . . ولو أنه جلس يقرأ فى كتاب الله لاستطاع أن يقرأ حوالى ثمانية أجزاء ونصف فى ثلاث ساعات فيتحصل على مليون حسنة لأن الثمانية أجزاء والنصف تحتوى على ما يقرب من مائة ألف حرف والحرف بعشرة حسنات فيكون المجموع مليون حسنة فمن سيربح المليون!!

أخى الحبيب: عود نفسك التسبيح فى كل وقت وآن، الهج بالذكر حتى يكون لك عادة، اتخذ المصحف رفيقاً فى حضرك وسفرك.

لقد صاحبنا الأصحاب والأحباب، ورافقنا الأصدقاء والإخوان، فإذا القلب لا يصلح إلا مع الرب جل فى علاه، ما أكرمه وأحلمه وأعظمه، إذا استغفرته غفر لك، إن سألته أعطاك، إن أخطأت سترك، إن عدت إليه قبلك، إن ذكرته ذكرك ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٢)(٣).

٢- اطرده الفراغ بالعمل؛

كان السلف الصالح يكرهون من الرجل أن يكون فارغاً، لا هو فى أمر

(١) الوقت فى حياة المسلم د/ يوسف القرضاوى (ص: ١٨).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٩١).

(٣) حدائق ذات بهجة (ص: ١٩٠).

دينه، ولا هو فى أمر دنياه، وهنا تنقلب نعمة الفراغ نقمة على صاحبها، رجلاً كان أو امرأة، ولهذا قيل: الفراغ للرجال غفلة وللنساء غلطة، أى: محرك للغريزة، والتفكير فى أمر الشهوة. وهل كان تعلق امرأة العزيز بيوسف وشغفها به، وتديرها المكاييد لإيقاعه فى شباكهها، إلا نتيجة الفراغ الذى تعيش فيه... ويشد خطر الفراغ إذا اجتمع مع الفراغ الشباب الذى يتميز بقوة الغريزة^(١).

يقول الشيخ عائض القرنى (حفظه الله): إن أخطر حالات الذهن يوم يفرغ صاحبه من العمل فيبقى كالسيارة المسرعة فى انحدار بلا سائق تجنح ذات اليمين وذات الشمال.

يوم تجد فى حياتك فراغاً فتهياً حينها اللهم والغم والفرع، لأن هذا الفراغ يسحب لك كل ملفات الماضى والحاضر والمستقبل من أدراج الحياة، فيجعلك فى أمرٍ مريب، ونصيحتى لك ولنفسى: أن تقوم بأعمال مثمرة، بدلاً من هذا الاسترخاء القاتل، لأنه وأد خفى، وانتحار بكبسول مُسكّن.

إن الفراغ أشبه بالتعذيب البطيء الذى يُمارَس فى سجون الصين، بوضع السجين تحت أنبوب يقطر كل دقيقة قطرة، وفى فترات انتظار هذه القطرات يصاب السجين بالجنون.

الراحة غفلة، والفراغ لص محترف، وعقلك هو فريسة ممزقة لهذه الحروب الوهمية.

إذا قُم الآن صلِّ أو اقرأ، أو سبِّح، أو طالع، أو اكتب، أو رتب مكتبتك، أو أصلح بيتك، أو انفع غيرك حتى تقضى على الفراغ وإنى لك من الناصحين.

اذبح الفراغ بسكين العمل، يضمّن لك أطباء العالم ٥٠٪ من السعادة

(١) الوقت فى حياة المسلم (ص: ١٩).

مقابل هذا الإجراء الطارئ فحسب، انظر إلى الفلاحين، والخبازين والبنائين يغردون بالأناشيد كالعصافير في سعادة وراحة وأنت على فراشك تمسح دموعك وتضطرب^(١).

٣- تحرى الأوقات الفاضلة:

فكما أن الله (عز وجل) فضّل بعض الأماكن على بعض وبعض الأشخاص على بعض فإنه فضل أيضاً بعض الأزمنة على بعض ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٢).

فلقد فضل الله (عز وجل) من الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فهو موسم المؤمنين ومتجر الصالحين، وميدان المتسابقين فلقد كان أصحاب النبي ﷺ يسألون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان فإذا جاء الشهر فصاموه وقاموه سألوا الله ستة أشهر أن يتقبل منهم شهر رمضان. وهو شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النيران.

قال ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٣).
وقال ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٤).
وقال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٥).
وفضل الله (جل وعلا) من أيام العام: أيام العشر من ذى الحجة وأفضلها يوم عرفة ..

قال ﷺ: «ما من أيام أحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام» يعنى: العشر. قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله، قال: «ولا الجهاد فى

(١) حقائق ذات بهجة (ص: ١٢٢، ١٢٣).

(٢) سورة القصص: الآية: (٦٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٥٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٠١) كتاب الصوم، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

سبيل الله، إلا أن يخرج بنفسه وماله، فلا يرجع من ذلك بشيء»^(١).

وقال ﷺ: «صيام يوم عرفة إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده، وصيام يوم عاشوراء إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله»^(٢).

وقال ﷺ: «من صام يوم عرفة غفر الله له ستين؛ سنة أمامه، وسنة خلفه»^(٣).
وفضل الله (عز وجل) من أيام الأسبوع: يوم الجمعة «وهو عيد المسلمين وفيه فريضة صلاة الجمعة».

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُدْخِلَ الجنة، وفيه أُخْرِجَ منها»^(٤).
وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة، فاستمع وأنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى، فقد لغا»^(٥).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام، حضرت الملائكة يستمعون الذكر»^(٦).

(١) صحيح: رواه البخارى (٩٦٩) كتاب الجمعة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٧٤٩) كتاب الصوم، وابن ماجه (١٧٣٠) كتاب الصيام، وأحمد (٢٢٠٢٤) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٥٣).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (١٧٣١) كتاب الصيام، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٣٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨٥٤) كتاب الجمعة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨٥٧) كتاب الجمعة.

(٦) ستفق عليه: رواه البخارى (٨٨١) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٥٠) كتاب الجمعة.

وعنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة، فقال: «فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً، إلا أعطاه إياه» (١).

وفضّل الله (عز وجل) من الساعات ساعات السَّحَر، وهي الثلث الأخير من الليل حيث ينزل الحق (جل وعلا) إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله.

قال ﷺ: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر» (٢).

وقال ﷺ: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر؛ فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» (٣).

ولهذا وصف الله المتقين المحسنين بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٤).

فينبغي للمسلم أن يتعرض لتلك النفحات، وأن يتحرى تلك الأوقات ليفوز بالمغفرة والرحمة من رب الأرض والسموات (جل وعلا).

ميزان اليوم .. وميزان العمر

لقد كان بعض السلف يسمون الصلوات الخمس: «ميزان اليوم»، ويسمون الجمعة «ميزان الأسبوع» ويسمون رمضان «ميزان العام» ويسمون الحج: «ميزان العمر» حرصاً منهم على أن يسلم لأحدهم يومه أولاً، فإذا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٩٣٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٥٢) كتاب الجمعة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٧٩)، والنسائى (٥٧٢) كتاب المواقيت، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٧٣).

(٤) سورة الذاريات: الآيات: (١٥ - ١٨).

مضى اليوم كان همه فى سلامة الأسبوع، ثم فى سلامة العام ثم فى سلامة العمر، فى النهاية.. وذلك هو مسك الختام^(١).

٤- تنظيم الأوقات:

وينبغى للإنسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة، دينية كانت أو دنيوية، حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوباً بصفة عاجلة يجب أن يبادر به ويؤخر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يُعمل فى وقته.

وفى صحف إبراهيم - عليه السلام - «ينبغى للعاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله - أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فى صنع الله (عز وجل) وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب».

وأحوج الناس إلى تقسيم الوقت وتنظيمه هم المشغولون من الناس من أصحاب المسؤوليات، لتراحم الأعباء عليهم، حتى إنهم ليشعرون أن الواجبات أكثر من الأوقات.

ومن تنظيم الوقت أن يكون فيه جزء للراحة والترويح، فإن النفس تسأم بطول الجدد، والقلوب تمل كما تمل الأبدان، فلا بد من قدر من اللهو والترفيه المباح، كما قال على رضي الله عنه: رَوَّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَإِنْ الْقَلْبُ إِذَا أَكْرَهَ عَمَى.

ولا يحسن بالمرء المسلم أن يرهق نفسه بالعمل إرهاقاً يضعف من قوته، ويحول دون استمرار مسيرته، ويحيف على حق نفسه، وحق أهله، وحق مجتمعه، ولو كان هذا الإرهاق فى عبادة الله تعالى صياماً وقياماً وتنسكاً وزهداً.

(١) الوقت فى حياة المسلم (ص: ١٢).

ولهذا قال النبي ﷺ لأصحابه لما رأهم تكاثروا للصلاة خلفه في الليل: «خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ» (١).

وفي موقف آخر قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا» (٢).

ونصح من بالغ في القراءة والقيام والصيام بالاعتدال قائلاً: «إن لبدنك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً» (٣).

وقال لآخرين غلوا في الطاعة والزهد: «إنما أنا أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (٤).

فهذه هي سنته، وهذا هو منهجه - عليه الصلاة والسلام - : منهج التوسط والاعتدال بين الروحية والمادية، والموازنة بين حظ النفس وحق الله (جل جلاله).

ومن ثم لا يرى الإسلام بأساً أن يكون للإنسان جزء من وقته لترويح نفسه بالحلال الطيب من متاع الحياة وزينتها، ولهوها ولعبها.

ولهذا لما سمع الرسول ﷺ حنظلة (أحد أصحابه) وقد اتهم نفسه بالنفاق، لتغير حاله في بيته ومع أهله وولده عن حاله عند رسول الله ﷺ قال له: «يا حنظلة، لو بقيتم على الحال التي تكونون عليها عندي، لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» (٥) (٦).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٧٨٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٩) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٩٧٤) كتاب الصوم، بنحوه.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠١) كتاب النكاح.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٠) كتاب التوبة.

(٦) الوقت في حياة المسلم (ص: ٢٣، ٢٤).

هذا هو عمرك الثاني

وتستطيع أيها الأخ الحبيب أن تطيل عمرك فتكون بمثابة الأحياء وأنت ميت وتؤدي رسالة الأحياء وأنت مقبور. وذلك إذا تركت وراءك ما ينتفع به الناس من علم نافع أو عمل صالح، أو ذرية مباركة لتكون امتداداً لحياتك، ولذا قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (١).

وقال ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ..» (٢).

وقال ﷺ: «إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا نَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَه، وَمَصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاه، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاه، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاه، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صَحْتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلَحُّقَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ» (٣).

وقال ﷺ: «أَرْبَعَةٌ تَجْرَى عَلَيْهِمْ أَجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ: مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ عِلْمًا أَجْرَى لَهُ عَمَلُهُ مَا عُمِلَ بِهِ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا يَجْرَى لَهُ مَا وَجَدَتْ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا فَهُوَ يَدْعُو لَهُ» (٤).

وقال ﷺ: «سَبْعٌ يَجْرَى لِلْعَبْدِ أَجْرُهَا، وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بُئْرًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ» (٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠١٧) كتاب العلم.

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٢٤٢) في مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٣١).

(٤) حسن: رواه أحمد (٢١٧٤٤) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٧٧).

(٥) حسن: رواه أبو نعيم في الحلية (٣٤٤/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٨/٣)، رقم (٣٤٤٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٦٠٢).

أنشد أبو الوليد الباجي :

إذا كنت أعلم علمًا يقينًا

بأن جميع حياتي كساعة

فلم لا أكون ضنينًا بها

وأجعلها في صلاح وطاعة

الإنسان ابن ساعته

إننا لابد أن نعلم أن الإنسان ابن ساعته وأن العذاب الذي يمر به أو النعيم الذي يعيش فيه ينتهى الإحساس به فى نفس اللحظة التى ينتهى فيها .
فلو سألت إنسانًا عاش سبعين سنة فى المرض ثم أصبح فى عافية وصحة : هل مر بك مرض قط ؟ لقال لك : لا . ولو سألت إنسانًا عاش فى العافية والصحة سبعين سنة ثم أصبح فى مرض وعجز . هل مرت بك صحة أو عافية قط ؟ لقال لك : لا .

وهذا مثال بسيط لكل من تعجل لذائد الدنيا الفانية وابتعد عن طاعة الله . . فإنه مع أول غمسة فى النار ينسى نعيم الدنيا كلها ولا يذكر منه شيئًا .

وأما من عاش على الطاعة ورضى بقضاء الله وصبر على ضيق العيش وشدة الحاجة والمرض . . فإنه مع أول غمسة فى الجنة ينسى كل هذا الشقاء ولا يذكر إلا نعيم تلك الغمسة .

فاحذروا أن تضحوا بالنعيم الأبدى من أجل تلك اللذة المؤقتة التى يعقبها عذاب الله وسخطه .

قال ﷺ : «يؤتى بأَنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟

فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»^(١).

وأخيراً .. يومك يومك

وفى ختام هذه الرسالة القصيرة أقول لك أيها الأخ الحبيب: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء .. ومن أجل ذلك فعليك أن تعيش يومك فتقدم فيه كل ما تستطيع لتجنى ثماره في الآخرة .. فقدم صلاة خاشعة وتلاوة بتدبر وإطلاعا بتأمل، وذكرًا بحضور، واتزانًا في الأمور، وحسنًا في خلق، ورضًا بالمقسوم، واهتمامًا بالمظهر، واعتناء بالجسم، ونفعًا للآخرين.

لليوم هذا الذي أنت فيه فتقسم ساعاته وتجعل من دقائقه سنوات، ومن ثوانيه شهور، تزرع فيه الخير، تسدى فيه الجميل، تستغفر فيه من الذنب، تذكر فيه الرب، تتهيأ للرحيل، تعيش هذا اليوم فرحًا وسرورًا، وأمنًا وسكينة، ترضى فيه برزقك، بزوجتك، بأطفالك، بوظيفتك، ببيتك، بعلمك، بمستواك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢)، تعيش هذا اليوم بلا حزن، ولا انزعاج، ولا سخط، ولا حقد، ولا حسد.

إن عليك أن تكتب على لوح قلبك عبارة واحدة تجعلها أيضًا على مكتبك تقول العبارة: يومك يومك^(٣).

أخي الحبيب .. أختي الحبيبة: أوصيكم مرة ثانية بأن تحددوا هدفًا نبيلًا يجلب لكم السعادة في الدارين ويعود بالخير على الأمة الإسلامية وبالنفع على بلادكم ليكون ذلك كله في ميزان حسناتكم .. فليجلس الآن كل

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤٤).

(٣) حدائق ذات بهجة (ص: ٢١٠، ٢١١).

واحد منكم مع نفسه ويحدد هدفه من الآن ويسعى لتحقيقه عسى الله أن ينفع به الكون كله .

وإن لم تستطع أن تفعل شيئاً فعليك أن تدل الناس على الخير ف«الدَّالُّ على الخير كفاعله»^(١) فأسأل الله (جل وعلا) أن يستعملني وإياكم في طاعته وفي الدعوة إليه وأن يجعل أيماننا عامرة بالطاعة والعطاء للإسلام: إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٧٠) كتاب العلم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٠٥).

الشباب.. ولذة الشوق إلى الله

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد :

فإن من عباد الله عباداً تكاد قلوبهم تطير شوقاً للقاء الله (جل وعلا) حتى إن الواحد منهم يشتهي الموت؛ لأنه موعد مع الحبيب (جل جلاله). قال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» (٤).

* وقال أحد الصالحين: إن لله عباداً أحبوه واطمأنوا إليه، فذهب عنهم

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٠٨) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٦٨٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

التأسف على الفائت، فلم يتشاغلوا بحفظ أنفسهم.

* وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (١) «النفس المؤمنة اطمأنت إلى الله واطمأنَّ إليها، وأحبت لقاء الله وأحب لقاءها، ورضيت عن الله ورضى عنها، فأمر بقبض روحها، فغفر لها وأدخلها الجنة، وجعلها من عباده الصالحين».

أحنُّ بأطراف النهار صباة

وفى الليل يدعوني الجوى فأجيبُ

وأيامنا تفنى وشوقي زائدُ

كأنَّ زمانَ الشوق ليس يغيبُ

لله قوم صعدوا أنفاسهم إلى محبوبهم، لا يخرج ويصعد نفسٌ منها إلا متلبساً بمحبته والشوق إليه، فإذا أرادوا دفعه لم يدفعوه حتى يتبعوه نفساً آخر مثله، فكل أنفاسهم بالله وإلى الله، فلا يفوتهم نفس من أنفاسهم مع الله إلا إذا غلبهم النوم.

* فالشوق يا أخى إلى الله (عز وجل) نسيم يهب على القلوب يطيب لها السير إلى بلاد المحبوب، . . . إلى الله وإلى الدار الآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢).

قال أبو عثمان الحيرى: هذا تعزية للمشتاقين، معناه: إني أعلم أن اشتياقكم إلىَّ غالب، وأنا أجَلْتُ للقائكم أجلاً، وعن قريب يكون وصولكم إلى ما تشاقون إليه.

وقال عليه السلام: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت

(١) سورة الفجر: الآية: (٢٧).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٥).

الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيراً لى. اللهم وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الإخلاص فى الرضا والغضب، وأسألك القصد فى الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، فى غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين» (١).

وقد كان رسول الله ﷺ يفرح بالمطر ويتلقاه بثوبه، ولما يُسأل فى ذلك يقول: «إنه حديث عهد بربه» (٢). وفى هذا من الشوق إلى المولى (عز وجل) ما فيه.

* فتعالوا بنا لتتعاش بقلوبنا مع أصحاب القلوب التقية النقية التى اشتاقت للقاء الله (جل وعلا) .. عسى الله أن يجمعنا بأصحاب تلك القلوب فى الجنة .. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) صحيح: رواه النسائى (١٣٠٥) كتاب السهو، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٩٨) كتاب صلاة الاستسقاء.

أنواع الشوق

والشوق نوعان:

الشوق إلى اللقاء (الشوق إلى الجنة): فهذا يزول باللقاء.
وشوق في حال اللقاء: وهو تعلقُ الروح بالمحبيب تعلقًا لا ينقطع أبدًا،
فلا تزال الروح مشتاقةً إلى مزيد هذا التعلق، ولذا يشتد.

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته

حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

ويقول الشاعر:

ومن عجبٍ أنى أحنُّ إليهمُ

وأسألُ شوقًا عنهم وهم معي

وتبكيهم عيني وهم في سوادها

ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعي

علامة الشوق

قال يحيى بن معاذ: علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات.
وقال أبو عثمان: علامته حبُّ الموت مع الراحة والعافية، كحال يوسف لما
أُلقي في الجُبِّ لم يقل: «توفنى».
ولما أُدخل السجن لم يقل: «توفنى». ولما تم له الأمر والأمن والنعمة
قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ (١)(٢).



(١) سورة يوسف: الآية: (١٠١).

(٢) مدارج السالكين (٥٤/٣).

الشوق إلى لقاء الله .. رأس مال العبد

* قال الإمام ابن القيم (رحمه الله):

الشوق إلى لقاء الله: رأس مال العبد، وملاك أمره، وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه، وقرّة عينه.

والراغبون ثلاثة أقسام: راغبٌ في الله، وراغبٌ فيما عند الله، وراغبٌ عن الله؛ فالمحبُّ راغبٌ في الله، والعامل راغبٌ فيما عنده، والراضى بالدنيا من الآخرة راغب عنه، ومن أثر الله على غيره أثره الله عليه غيره ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (٢).

قال يحيى بن معاذ: يخرج العارف من الدنيا ولا يقضى وطره من شيئين: بكائه على نفسه، وشوقه إلى ربه.

وقال ذو النون: إذا استحكمت معاني المحبة في قلب المؤمن، سكن بعدها الشوق، فإذا اشتاق أدّاه الشوق إلى الأُنس بالله، فإذا أنس بالله اطمأنَّ إلى الله، فإذا اطمأنَّ كان ليله في نعيم، ونهاره في نعيم، وسره في نعيم، وعلايته في نعيم.

ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة

وفى «الصحيحين»: عن أنس: أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: متى

الساعة يا رسول الله؟

قال: «ما أعددت لها؟».

(١) سورة الشرح: الآيتان: (٧، ٨).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٥٩).

قال: ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكنني أحبُّ الله ورسوله.

فقال رسول الله ﷺ: «أنت مع من أحببت».

وفى رواية للبخارى: فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: «نعم».

قال أنس: ففرحنا يومئذٍ فرحاً شديداً.

وفى رواية لمسلم: قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قوله: «أنت مع من أحببت».

قال أنس: فأنا أحبُّ الله (عز وجل) ورسوله ﷺ، وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم^(١).

قال بعض العارفين: يكفي للمحبين شرفاً هذه المعية.

وقال سمنون: «ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «المرءُ مع من أحب». فهم مع الله في الدنيا والآخرة».

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

المحبة هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمرُّ السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيما تروح العابدون؛ فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.

وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

بشقّ الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبداً وأصليها، وتُبوئهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخلها. وهى مطايا القوم التى مسراهم على ظهورها دائماً إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذى يُبلّغهم إلى منازلهم الأولى من قريب.

تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة! إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب.

وقد قضى الله، يوم قدرّ مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة؛ أن المرء مع من أحب، فيا لها من نعمة على المحبين سابغة!!
تالله لقد سبق القوم الساعة، وهم على ظهور الفرش نائمون، وقد تقدموا الركب بمراحل، وهم فى سيرهم واقفون.

من لى بمثل سيرك المدلل

تمشى رويداً وتجى فى الأول

أجابوا منادى الشوق إذ نادى بهم: حىّ على الفلاح. وبذلوا نفوسهم فى طلب الوصول إلى محبوبهم، وكان بذلهم بالرضا والسماح، وواصلوا إليه المسير بالإدلاج والغدو والرواح.

تالله لقد حمدوا عند الوصول سُرّاهم، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم. وإنما يحمدُ القومُ السرى عند الصباح.

أول نقدة من أثمان المحبة بذلُ الروح، فما للمفلس الجبان البخيل وسومها؟!

بدم المحبّ يُباعُ وصلُّهم

فمن الذى يبتاعُ بالثمن

تالله ما هزلت فيستامها المفلسون، ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة

المُعسرون، لقد أُقيمت للعرض فى سوق من يزيد فلم يرض لها بثمان دون بذل النفوس، فتأخر البطَّالون وقام المحبُّون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمنًا؟ فدارت السلعة بينهم ووقعت فى يد ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١)، لما كثر المدَّعون للمحبة طُلبوا بإقامة بينة على صحة الدعوى، فلو يُعطى الناس بدعواهم، لادَّعى الخلى حُرقة الشجى. فتتنوع المدَّعون فى الشهود، فقليل: لا تُقبل هذه الدعوى إلا ببيِّنة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٢)، فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب فى أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البيِّنة بتزكية ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (٣) فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون، فقليل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فهلُمُّوا إلى بيعة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (٤)، فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبائع، عرفوا قدر السلعة وأن لها شأنًا، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمانٍ بخس، ففقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضى من غير ثبوت خيار، وقالوا: «والله لا نقيلك ولا نستقيلك».

فلما تم العقد وسَلَّمُوا المبيع، قيل لهم: مُذْ صارت نفوسكم وأموالكم لنا؛ رددناها عليكم أوفر ما كانت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٥).

وإذا غُرست شجرة المحبة فى القلب، وسُقيت بماء الإخلاص ومتابعة

(١) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

(٤) سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

الحبيب؛ أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدره المنتهى.

لا يزال سعى المحب صاعداً إلى حبيبه لا يحجبه دونه شيء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (١)(٢).

والذين آمنوا أشد حبا لله

إن أهل الدنيا إذا انشغلوا بدنياهم فإن المؤمنين لا ينشغلون إلا بربهم ومولاهم (سبحانه وتعالى).

* فالؤمن يقدم محبة الله على كل المحاب، ويؤثر رضاه على رضا الناس جميعاً.. فهو صادق في محبته لله (جل وعلا).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥).

(١) سورة فاطر: الآية: (١٠).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٦، ٩) بتصرف.

(٣) سورة التوبة: الآية: (٢٤).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٦٥).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ (١).

قال ابن عباس في هذه الآية: كانت المرأة إذا أتت النبي ﷺ لتسلم؛ حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج إلا حباً لله ورسوله.

وقفة لطيفة

* في «الصحيحين»: عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (٢).

* وفي «الصحيحين» أيضاً: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال: «لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال: والله لأنت أحب إليّ من نفسي. فقال: «الآن يا عمر» (٣).

قال الحافظ ابن رجب: «ومعلوم أن محبة الرسول ﷺ إنما هي تابعة لمحبة الله (جل وعلا)، فإن الرسول ﷺ إنما يُحِبُّ موافقة لمحبة الله له، ولأمر الله بمحبته وطاعته واتباعه. فإذا كان لا يحصل الإيمان إلا بتقديم محبة الرسول على الأنفس والأولاد والآباء والخلق كلهم، فما الظن بمحبة الله (عز وجل)؟!».



(١) سورة الممتحنة: الآية: (١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٤) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٦٣٢) كتاب الإيمان والنذور.

درجات المحبة

ذكر الإمام ابن رجب رحمه الله أن محبة الله (عز وجل) على درجتين فقال: «ومحبة الله سبحانه وتعالى على درجتين:

* **إحداهما فرض لازم:** وهى أن يحبَّ الله سبحانه محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه، وبُغض ما حرَّمه عليه، ومحبة لرسوله المبلغ عن أمره ونهيه، وتقديم محبته على النفوس والأهلين، والرضا بما بلغه عن الله من الدين، وتلقَّى ذلك بالرضا والتسليم، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان جملة وعموماً لله (عز وجل)، وبغض الكفار والفجار جملة وعموماً لله (عز وجل).

وهذا القدر لا بد منه فى تمام الإيمان الواجب، ومن أخلَّ بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك.

قال الله (عز وجل): ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١)، وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخلَّ من ذلك، فإن المحبة الواجبة تقتضى فعل الواجبات وترك المحرمات.

* قال الحسن بن آدم: أَحَبَّ الله يحبك الله، واعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته.

* وسُئِلَ ذو النون: متى أحب ربى؟

قال: إذا كان ما يبغض عندك أمراً من الصبر.

* وقال بشر بن السرى: ليس من أعلام الحب أن تحبَّ ما يبغض حبيبك.

* وقال أبو يعقوب النهرجورى: كل من ادعى محبة الله (جل جلاله) ولم يوافق الله فى أمره فدعواه باطلة. وكل محبٌ ليس يخاف الله فهو مغرور.

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين: وهى أن ترتقى المحبة إلى ما يحبه الله من نوافل الطاعات، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه، مما يؤلم النفوس من المصائب، وهذا فضل مستحبٌ مندوب إليه، وفى «صحيح البخارى» عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه. ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألتنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيننه» (١).

* وعن عامر بن قيس أنه قال: أحببت الله (عز وجل) حباً سهلاً على كل مصيبة، ورضانى بكل قضية، فما أبالى مع حبى إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت.

قلوب تشاق إلى الله

وها هم أصحاب القلوب الطاهرة التى اشتاقت للقاء الله (جل وعلا).
* وعلى رأس هؤلاء جميعاً سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ، فهو الذى لما حضرته الوفاة وخير بين البقاء فى الدنيا وبين لقاء الله فاختار لقاء الله (جل وعلا).

* عن عائشة قالت: «كنت أسمع أنه لا يموت نبىٌ حتى يُخبر بين الدنيا والآخرة. قالت: فسمعت النبى ﷺ فى مرضه الذى مات فيه، وأخذته

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

بُحَّةٌ، يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (١)، قالت: فظننت أنه خير» (٢).

وفى رواية قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول: وهو صحيح «إنه لم يقبض نبي قط، حتى يرى مقعده فى الجنة ثم يُخبر» قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ، ورأسه على فخذى، غشى عليه ساعة ثم أفاق (٣) فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «اللهم! الرفيق الأعلى». قالت عائشة: قلت: إذا لا يختارنا (٤).

* بل كان النبى ﷺ من شدة حبه لله (جل وعلا) يقوم الليل حتى تتورم قدماه فسألته أمنا عائشة رضى الله عنها وقالت: يا رسول الله أنت تفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول لها ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً» (٥).

* وفى يوم الطائف لما اشتد إيذاء أهل الطائف للنبي ﷺ ودخل بستاناً ودعا دعاءه المعروف (٦) - وكان من بينه - : «إن لم يكن بك على غضبٌ فلا أبالي» (٧).

وكان النبى ﷺ يريد أن يقول: يا رب أنت تعلم مدى حبى لك فإن كنت عنى راضياً فسوف أتحمل ما هو أكثر من ذلك . . . فأنا أسعى دائماً إلى رضاك.

(١) سورة النساء: الآية: (٦٩).

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٣٥) المغازى، ومسلم (٢٤٤٤) فضائل الصحابة.

(٣) أفاق: استيقظ.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٦٣) كتاب المغازى، ومسلم (٢٤٤٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٣٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٦) وإن كان قد ضعفه بعض أهل العلم.

(٧) ضعيف: ضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى تحقيقه لكتاب فقه السيرة (ص ١٢٥).

أبو بكر الصديق يسبق الأمة بحبه لله

عن بكر المزنّي قال: ما فاق أبو بكر أصحاب محمد ﷺ بصوم ولا صلاة؛ ولكن بشيءٍ وقرّ في قلبه.
قال إبراهيم: بلغني عن ابن عُلَيَّة أنه قال في عقيب هذا الحديث: الذي كان في قلبه الحبُّ لله (عز وجل) والنصيحة لخلقه^(١).

اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك ورسلك

كان ابن عمر يدعو على الصفا والمروة وفي مناسكه: «اللهم اجعلني ممن يحبك، ويحبك ملائكتك، ويحب رسلك، ويحب عبادك الصالحين، اللهم حَبِّبْنِي إِلَيْكَ وَإِلَى مَلَائِكَتِكَ، وَإِلَى رُسُلِكَ وَإِلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»^(٢).

غداً نلقى الأحبة

* وها هو بلال رضي الله عنه الذي لما حضرته الوفاة، وإذا بزوجه تقول: واحزنناه فكان يقول لها: بل وافرحاه غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه.

مرحباً بالمت مرحباً

* وها هو معاذ بن جبل رضي الله عنه المشتاق للقاء الله (جل وعلا).
لما اشتد به نزع الموت، فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه فقال: اخنق خنقك، فوعزتك إنك لتعلم أنني أحبك.
وفي «الزهد» لأحمد: لما حضره الموت - يعني معاذاً - قال: «أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالمت مرحباً زائراً مغيباً، وحبيبٌ جاء

(١) استنشاق نسيم الأنس / ابن رجب الحنبلي (ص: ١٣).

(٢) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٤١).

على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إن كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر»^(١).

اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي

وها هي تلكم الكلمات التي خرجت من فم هذا الصحابي الجليل الذي أحب الله (عز وجل) من أعماق قلبه . . إنه أبو هريرة الذي ملأ الكون كله بعطر حديث النبي ﷺ .

عن سلم بن بشير أن أبا هريرة بكى في مرضه: فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكى على دنياكم هذه، ولكن على بُعد سفرى، وقلة زادى، وأنى أمسيتُ فى صعود، ومهبطى على جنة أو نار، فلا أدري إلى أيهما يؤخذ بى . وعن المقبرى، قال: دخل مروانُ على أبى هريرة فى شكواه، فقال: شفاك الله يا أبا هريرة. فقال: اللهم، إني أحبُّ لقاءك، فأحِبُّ لقائى .

يتمنى أن يتمزق جسده حباً لله

وها هو صاحب القلب الذى امتلأ حباً لله (جل وعلا).
ها هو الصحابي الجليل عبد الله بن جحش رضي الله عنه الذى كان يشتهى أن يتحول جسده إلى أشلاء حباً لله (جل وعلا).
* فعن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أنه قال: لما كانت «أحد» لقينى عبد الله ابن جحش وقال: ألا تدعو الله؟ فقلت: بلى .
فخلونا فى ناحية فدعوتُ فقلت: يا رب إذا لقيت العدو فلقنى رجلاً

(١) الزهد للإمام أحمد (ص: ١٨٠، ١٨١).

شديداً بأسه، شديداً حردُهُ^(١)، أقاتله ويُقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأخذ سلبه، فأمن عبد الله بن جحش على دعائي، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حردهُ، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويُقاتلني، ثم يأخذني فيجدع - يقطع - أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً. قلت: فيم جدع أنفك وأذنك؟

فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت.

قال سعد بن أبي وقاص: لقد كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار، وقد قُتل ومُثل به، وإن أنفه وأذنه لمعلقان على شجرةٍ بخيط^(٢).

حكيم بن حزام .. سيد شعاره الحب

كان ﷺ يطوف بالبيت ويقول: لا إله إلا الله، نعمَ الربُّ ونعمَ الإله، أحبه وأخشاه.

* وما هو العباس يوصي ابنه بحب الله:

«عن عبد الله بن إبراهيم القرشي قال: لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت، قال لابنه عبد الله: إني موصيك بحب الله وحب طاعته، وخوف الله وخوف معصيته، وإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك»^(٣).

* وهذا أبو الدرداء ﷺ المشتاق إلى ربه (عز وجل).

«كان ﷺ يقول: أحبُّ الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحبُّ الفقرَ تواضعاً لربي، وأحبُّ المرضَ تكفيراً لخطيئتي».

* وهذا هو الفتح بن شخروف الذي طال شوقه إلى الله.

(١) حرده: غضبه وثورته.

(٢) صفة الصفوة (١/١٥٩) بتصرف.

(٣) استشاق نسيم الأنس (ص: ١٢٨).

صحبَ رجلٌ الفتح بن شخروف بن داود ثلاثين سنة .

قال: فلم أره رفع رأسه إلى السماء، إلا مرة واحدة، رفع رأسه وفتح عينيه ونظر إلى السماء، ثم قال: قد طال شوقي إليك، فعجّل قدمي عليك .

* وهذا عبد الله بن زكريا يتمنى الموت شوقاً إلى ربه:

قال (رحمه الله): لو خُيِّرْتُ بين أن أعيش مائة سنة في طاعة الله، أو أقبض في يومى هذا أو فى ساعتى هذه؛ لاخترتُ أن أقبض فى يومى هذا أو فى ساعتى هذه؛ شوقاً إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وإلى الصالحين من عباده .

* وقال عبيد الله بن محمد التميمي: سمعتُ امرأة من المتعبدات تقول: والله، لقد سئمت من الحياة، حتى لو وجدتُ الموت يُباعُ لاشتريته؛ شوقاً إلى لقاء الله وحباً للقائه .

قال: فقلت لها: أفعلَى ثقة أنت من عملك؟

قالت: لا، ولكن لحبى إِيَّاه، وحُسْن ظنى به، أفتراه يعذبُنِي وأنا أحبه؟! * وقال سفيان: كان بالكوفة رجلٌ متعبدٌ من همدان، فذكروا عنه أنه كان يقول: إذا ذكرتُ القدوم على الله كنتُ أشدَّ اشتياقاً إلى الموت من الظمآن الشديد ظمؤه، فى اليوم الحارَّ الشديد حرُّه، إلى الشراب البارد الشديد برده .

إن تعذبني فإنني أحبك

وها هو الرجل الذى امتلأ قلبه حباً لله (جل وعلا) حتى قالها من أعماق قلبه: سيدى إن تعذبني فإنني أحبك .

قال سليم النحيف: رمقتُ عُتْبَةَ ذات ليلة، فما زاد ليلته تلك على هذه

الكلمات: إن تعذبني فإني لك محبٌ، وإن ترحمني فإني لك محبٌ. فلم يزل يرددّها ويكي حتى طلع الفجر.

وقال محمد بن فهد المديني: كان عتبة يصلّي هذا الليل الطويل، فإذا فرغ رفع رأسه فقال: سيدى! إن تعذبني فإني أُحبُّك، وإن تعف عني فإني أُحبُّك.

ما وصلت حتى عملت ستة أشياء

وها هو صاحب الهمة العالية فى محبته لله (جل وعلا) . . إنه سمنون ابن حمزة الخواص الذى قال له بعض الخلفاء:

يا سمنون! كيف وصلت إليه؟ قال: ما وصلتُ حتى عملتُ ستة أشياء: أمتُّ ما كان حيًّا وهو النفس، وأحييتُ ما كان ميتًا وهو القلب، وشاهدتُ ما كان غائبًا وهو الآخرة، وغيبْتُ ما كان شاهدًا وهى الدنيا، وأبقيتُ ما كان فانيًا وهو المراد، وأفنيتُ ما كان باقيا وهو الهوى، واستوحشتُ مما تستأنسون، وأنستُ مما تستوحشون.

رُوحى إليك بكلّها قد أجمعتُ

لو أنّ فيك هلاكها ما أقلعتُ

تبكى عليك بكلّها فى كلّها

حتى يُقال من البكاء تقطعت (١)



(١) عقلاء المجانين للحسن بن حبيب النيسابورى (ص: ١٠٩).

يحيى بن معاذ .. صاحب الهمة العالية

وها هو يحيى بن معاذ الرازى (المحب) الذى عبّر عن حبه لله (جل وعلا) بكلمات تُنقش على صفحات القلوب بماء الذهب.

قال (رحمه الله): «اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان، ويهرب منك بالقلوب، يا أكرم الأشياء علينا، لا تجعلنا أهون الأشياء عليك».

وقال (رحمه الله): «عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه؟! ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه؟! وحبّه يُدهش العقول فكيف وده؟! ووده ينسى ما دونه فكيف لطفه?!»

وقال: أولياؤه أسراءُ نعمه، وأصفياءه رهائنُ كرمه، وأحباؤه عبيدُ مننه، فهم عبيدُ محبةٍ لا يُعتقون، ورهائنُ كرمٍ لا يُفكُّون، وأسراءُ نِعَمٍ لا يُطلقون.

* وقال (رحمه الله) فى وصف المحبين: قوم على فرش من الذكر، فى مجلس من الشوق، وبساتين من المناجاة، بين رياض الأُطراب، وقُصور الهيبة وفناء مجلس الأُنس، معانقى عرائس الحكمة بصدور الأفهام، مناعى زفرات الوجد وجوه الآخرة بفنون الأفراح، تعاطوا بينهم كأس حبه، سقاهاهم فيها، وغوتهم على شربها فرقان الشجى، تجرى فى الأكباد تديم عليهم ذكر الحبيب، ويبلبلهم معها هيمان الوجود.

طرب الحب على الحب

مع الحبَّ يـدوم

عجبا لمن رأيناه

على الحب يـلوم

حول حبّ الله ما عشت

مع الشـوق أحـوم

وبه أقعد ما عشت

حياتي وأقوم

وقال أيضاً رحمه الله:

نفسُ المحبِّ إلى الحبيب تَطْلُعُ

وفؤاده من حبِّه يتقطَّعُ

عزَّ الحبيبُ إذا خلا في ليله

بحبيبه يشكو إليه ويضرعُ

ويقوم في المحراب يشكو بئهِ

والقلبُ منه إلى المحبة ينزعُ^(١)

(الجنيد) تاج العارفين وسيد المحبين في عصره

قال الكتاني: جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم، فتكلَّم فيها الشيوخ، وكان الجنيد أصغرهم سنًا، فقالوا: هات ما عندك يا عراقى، فأطرق رأسه ودمعت عيناه، ثم قال: «عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوارُ هيئته، وصفا شربه من كأس وُدِّه، وانكشف له الجبَّار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرَّك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله». فبكى الشيوخ وقالوا: «ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين».



كلام من ذهب

* وقال هرم بن حيَّان: المؤمن إذا عرف ربَّه عز وجل أحبه، وإذا أحبه، أقبل إليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة، ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة، وهى تُحسِّره فى الدنيا وتروِّحه فى الآخرة. وقال أبو سليمان الداراني: إنَّ من خلقِ الله خلقًا ما يشغلهم الجنانُ وما فيها من النعيم عنه، فكيف يشتغلون عنه بالدنيا؟!» (١).

وقال أبو سليمان الداراني: مَنْ كان اليوم مشغولاً بنفسه، فهو غداً مشغول بنفسه، ومن كان اليوم مشغولاً بربه، فهو غداً مشغول بربه.

وقال الشاعر:

أروحُ وقد ختمت على فؤادى
بحبِّك أن يحلَّ به سواكا
فلو أنى استطعت غضضت طرفى
فلم أنظر به حتى أراكا
أحبُّك لا ببعضى بل بكلى
وإن لم يُبق حبُّك لى حراكا
وفى الأحباب مختصُّ بوجد
وآخر يدعى معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموعٌ فى خدود
تبين من بكى ممن تباكى
فأما من بكى فيذوبُ وجداً
وينطق بالهوى من قد تباكى

(١) إحياء علوم الدين (٤/٣١٣).

* ودخلوا على عابد في البصرة وهو يجود بنفسه وهو يقول: أنا عطشان لم أرو من حب ربي وجائع لم أشبع من حب ربي.

الذين أحبههم الله (عز وجل)

وإليك أخى الحبيب باقة عطرة من هؤلاء الأطهار الذين أحبههم العزيز الغفار (جل وعلا) فأعلى قدرهم فى الدنيا والآخرة.

محبة الله (جل وعلا) لإبراهيم (عليه السلام)

انظر أخى الحبيب كيف أن الله (عز وجل) لما أحب إبراهيم (عليه السلام) جعل له النار برداً وسلاماً . . ولم لا؟ وهو الذى أحبه وزكاه فى كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١).

محبتة (جل وعلا) لموسى (عليه السلام)

وتأمل معى كيف أنه (جل وعلا) لما أحب موسى (عليه السلام) ألقى عليه محبة منه، فلما رآته امرأة فرعون قالت لفرعون: ﴿قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (٢).

وكل ذلك بسترٍ شفاف لا يراه أحد ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ (٣). بل لقد أنقذه الله (جل وعلا) وشق له البحر نصفين وأهلك عدوه

(١) سورة النحل: الآيتان: (١٢٠، ١٢١).

(٢) سورة القصص: الآية: (٩).

(٣) سورة طه: الآية: (٣٩).

فرعون وجنوده فى البحر .

بل لقد كلمه الحق (جل وعلا) كما قال فى كتابه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢).

بل لقد كتب له الألواح بيديه الكريمتين (جل وعلا).

محبة الخالق للحبيب محمد ﷺ

ولو أردنا أن نتكلم عن محبة الحق (جل وعلا) للحبيب محمد ﷺ فلن نستطيع أن نصف ذلك الحب أبدًا.

فمن محبته للحبيب ﷺ أنه جعله خاتم الأنبياء والمرسلين وجعله قدوة للعالمين فشرح له صدره ورفع له ذكره ووضع عنه وزره، وزكاه تزكية تفوق الخيال، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).

وأخبر عن منزلته فى الملأ الأعلى عند رب العالمين وعند الملائكة المقربين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (٤)، ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجتمع له الشناء من أهل السماء والأرض، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥).

بل أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم الحبيب محمد ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ

(١) سورة النساء: الآية: (١٦٤).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤٤).

(٣) سورة القلم: الآية: (٤).

(٤)، (٥) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

قَالَ أَقَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾ .

بل لقد أقسم الله بحياة النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٢) ، ولم يُقسم الحق (جل وعلا) بحياة أحد من البشر غير النبي ﷺ .

ونهى الحق (جل وعلا) أمة الحبيب ﷺ عن مجرد رفع الصوت فوق صوته إعظاماً له ﷺ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٣) .

وأيده بالكثير والكثير من المعجزات الحسية والمعنوية (٤) .

بل لقد جعله الله (عز وجل) سيد ولد آدم يوم القيامة وجعل الشفاعة العظمى للحبيب ﷺ يوم أن يقول كل نبي: «نفسى نفسى» .
وأعطاه الله نهر الكوثر وهو نهر الجنة . . وأعطاه سبعين ألفاً من أمته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب .

وجعل له أعلى منزلة فى الجنة وهى الوسيلة التى لا تكون إلا للنبي ﷺ .

محبة الله (جل وعلا) لخديجة (رضي الله عنها)

بل تأمل معى كيف أن الله (عز وجل) لما أحب خديجة (رضي الله عنها) أرسل إليها جبريل (عليه السلام) ليبلغها السلام من الله (جل وعلا) ويبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

(١) سورة آل عمران: الآية: (٨١) .

(٢) سورة الحجر: الآية: (٧٢) .

(٣) سورة الحجرات: الآية: (٢) .

(٤) من أراد الوقوف على تلك المعجزات فليرجع إلى كتابنا «من معجزات الرسول ﷺ» .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببیت فی الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» (١).

محبة الله (جل وعلا) لفاروق الأمة عمر

انظر لما أحب الله (جل وعلا) فاروق الأمة عمر رضي الله عنه ماذا صنع معه . . .
 فلقد أنزل الله (عز وجل) الكثير من الآيات التي توافق رأى عمر رضي الله عنه .
 ويا لها من منزلة عظيمة ومنقبة جليلة أكرم الله بها فاروق الأمة رضي الله عنه
 حيث وافقه في كثير من المواقف، فأنزل القرآن موافقاً لرأى عمر رضي الله عنه .
 عن أنس رضي الله عنه قال عمر: وافقت ربى في ثلاث (٢): فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلی فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (٣)، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه .
 فقلت لهن: عسى ربّه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية (٤).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة .

(٢) قال الحافظ في الفتح: قوله (وافقت ربى في ثلاث) أى وقائع، والمعنى وافقنى ربى فأنزل القرآن على وفق ما رأيت لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه، أو أشار به إلى حدوث رأيه، وقدم الحكم، وليس فى تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفى الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة فى أشياء غير هذه من مشهورها منها قصة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين . ثم قال (رحمه الله): وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر، لكن ذلك بحسب المنقول . اهـ . (فتح ٦٦٥ / ١) .

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٢٥) .

(٤) أخرجه البخارى (٤٠٢) الصلاة، وأحمد (١٥٧) والنسائى فى الكبرى (١٣/٨) .

وفي رواية مسلم قال: «وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر»^(١).

رجلٌ يحبه الله ورسوله ﷺ

وها هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم خير يشهد له النبي ﷺ بأنه يحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ وبأن الله سيفتح على يديه.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خير: «لأعطينَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

قال: فبات الناس ليلتهم، أيُّهم يُعطاهَا؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أن يُعطاهَا، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه فأُتِيَ به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأنَّه لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية...»^(٢).

عرش الرحمن (جل وعلا) يهتز لموته

وتالله إنى لأجد نفسى عاجزاً عن وصف محبة الله (جل وعلا) لهذا الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه... الذي بلغت محبة الله له أن جعل عرشه يهتز فرحاً بقدوم روحه يوم أن مات. بل وأرسل له سبعين ألفاً من الملائكة يشيعون جنازته.

قال ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٨٣) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٣٩٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢١٠) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٠٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٦) كتاب فضائل الصحابة.

وعن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما تُوفى سعد بن معاذ، صاحت أمه فقال النبي ﷺ: «ألا يرقا دمعاك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحكك الله له واهتز له العرش؟» (١).

قال الإمام النووي (رحمه الله): قوله ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ» (٢) اختلف العلماء في تأويله.

فقال طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش: تحركه فرحاً بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش تمييزاً، حصل به هذا ولا مانع منه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٣) وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار (٤).

* وعندما حمل الصحابة جنازة سعد قالوا: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخفّ علينا منه.

قال: «ما يمنعه أن يخفّ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم، قد حملوه معكم» (٥).

* بل ويخبر النبي ﷺ عن مناديل سعد بن معاذ في الجنة: عن أبي إسحاق قال: سمعتُ البراء يقول: أُهديت لرسول الله ﷺ حُلّةٌ حرير، فجعل أصحابه يلمسونها، ويعجبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة، خيرٌ منها وألين» (٦).

قال الإمام النووي (رحمه الله): قال العلماء: هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه؛ لأن المنديل أدنى الثياب؛

(١) ضعيف: رواه أحمد (٢٧٠٣٤)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (٥٥٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٠٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٧٥).

(٤) مسلم بشرح النووي (٣٢/١٦).

(٥) أخرجه ابن سعد (٧/٢/٣) وحسنه الأرناؤوط في السير (٢٨٧/١).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٠٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٨) كتاب فضائل الصحابة.

لأنه مُعد للوسخ والامتهان فغيره أفضل، وفيه إثبات اللجنة لسعد^(١).

ساقه أثقل من جبل أحد

وانظر لما أحب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جعل وزنه يوم القيامة عظيماً حتى إن سيقانه في الميزان يوم القيامة ستكون أثقل من جبل أحد.
فعن ابن مسعود أنه كان يجتنى سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟». قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه. فقال: «والذي نفسى بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»^(٢).

الله يذكر أبى بن كعب من فوق سبع سماوات

وتأمل معى كيف أن الله (عز وجل) لما أحب أبى بن كعب رضي الله عنه، أرسل إليه الحبيب المصطفى ليقراً عليه سورة البينة.
فقال له أبى: وسَمَّانى لك؟ - يعنى الله عز وجل - .
فقال له ﷺ: «نعم» فبكى أبى بن كعب من شدة الفرح^(٣).
وفى رواية أن أبى بن كعب قال للنبي ﷺ: وقد ذكرت هناك؟ قال له ﷺ: «نعم» فبكى أبى . . فلما سأله الصحابة رضي الله عنهم وقالوا له: وهل فرحت بذلك؟ قال: وما يمنعنى أن أفرح وقد قال (جل وعلا): ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^{(٤)(٥)}.

(١) مسلم بشرح النووي (٣٤/١٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٩٨١) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣١٩٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٠٩) كتاب المناقب، ومسلم (٧٩٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٥) رواه أحمد (٢٠٦٣٤) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناده ضعيف من أجل مؤمل بن إسماعيل البصرى.

الجنة تشتاق إليهم

بل وتأمل معى كيف أنه (جل وعلا) لما أحب علياً وعماراً وبلالاً وسلمان جعل الجنة تشتاق إليهم.

* قال عليه السلام : «اشتاق الجنة إلى ثلاثة: علىّ وعمار وبلال»^(١).

وقال عليه السلام : «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علىّ وعمار وسلمان»^(٢).

* فنحن نشاق إلى الجنة فى الوقت الذى تشتاق فيه الجنة إلى هؤلاء الصاحب الكرام الذين أحبههم الله فجعل الجنة تشتاق إليهم.

يطير بجناحيه فى الجنة مع الملائكة

وتأمل معى كيف أنه (جل وعلا) لما أحب جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه جعل له - بعد استشهاده - جناحين يطير بهما فى الجنة بدلاً من يديه المقطوعتين فى أرض الشرف والجهاد (فى غزوة مؤتة).

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره»^(٣).

«وكان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»^(٤).

قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة»^(٥).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رأيت جعفر بن أبى

(١) رواه الحاكم (١٤٨/٣ ، رقم ٤٦٦٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٧٩٧) كتاب المناقب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (١٠٧/٢ ، رقم ١٤٦٦)، والحاكم (٢١٧/٣ ، رقم ٤٨٩٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٦٣).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٧٠٩) كتاب المناقب.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٦/٣).

طالب ملكًا يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين» (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكًا في الجنة، مضرجة قواده بالدماء، يطير في الجنة» (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت بجعفر الليلة في ملائكة من الملائكة، وهو مخضب الجناحين بالدم، أبيض الفؤاد» (٣).

وقال عبد الله بن جعفر: قال لى رسول الله ﷺ: «هنيئًا لك!! أبوك يطير مع الملائكة في السماء» (٤).

وعن ابن عباس مرفوعًا: «إن جعفرًا يطير مع جبريل وميكائيل، له جناحان عوضه الله من يديه» (٥).

الملائكة تظله بأجنحتها... والله يكلمه بغير حجاب

وتأمل معي كيف أن الله (عز وجل) لما أحب عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه جعل الملائكة تظله بأجنحتها بعد استشهاده... بل إن الله كلمه بغير حجاب!!
* فها هي ملائكة الرحمن (جل وعلا) تتفاعل مع هذا الصحابي الجليل وتتنزل بأمر الملك (جل وعلا) لتظله بأجنحتها بعد موته.

فعن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم أحد، جىء بأبى مسجى - مغطى - وقد مُثل به، قال: فأردت أن أرفع الثوب، فنهانى قومي، ثم أردت أن

(١) صحيح: رواه الحاكم في المستدرک (٣/ ٢٣١، رقم ٤٩٣٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٦٥).

(٢) صحيح لغيره: رواه الطبراني (٢/ ١٠٧، رقم ١٤٦٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٦٢)، وقال: صحيح لغيره.

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٣/ ٢٣٤، رقم ٤٩٤٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وقال العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٢٢٦): وهو كما قال.

(٤) قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٣٠): رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٨٦، رقم ٦٩٣٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٩): رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه وبقيه رجاله ثقات.

أرفع الثوب فنهانى قومي، فرفعه رسول الله ﷺ، أو أمر به فرفع. فسمع صوت باكية أو صائحة.

فقال: «من هذه؟» فقالوا: بنت عمرو، أو أخت عمرو.

فقال: «ولم تبكى؟ فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع»^(١).

قال الإمام النووي: قوله ﷺ: «فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع» قال القاضى: يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعد له من الكرامة عليه، ازدحموا عليه إكراماً له وفرحاً به أو أظلموه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه.

قوله: فقال رسول الله ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله» معناه: سواء بكت عليه أم لا فما زالت الملائكة تظله... أى فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره فلا ينبغي البكاء على مثل هذا.. وفى هذا تسلية لها^(٢).

* وها هي أعظم منقبة لهذا الصحابى الجليل الذى جمع الله له مناقب كثيرة.. ها هو بعد موته يكلمه ربه بغير حجاب.

فعن جابر بن عبد الله، قال: لما قُتل عبد الله بن عمرو بن حرام، يوم أحد، قال رسول الله ﷺ: «يا جابر! ألا أخبرك ما قال الله (عز وجل) لأبيك؟».

قلت: بلى.

قال: «ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً»^(٣)، فقال: يا عبدى تمنّ علىّ أعطك، قال: يا رب تحيينى فأقتلُ فيك ثانيةً. قال: إنه سبق منى أنهم إليها لا يرجعون»، قال: يا رب فأبلغ من ورائى»، فأنزل الله (عز وجل)

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٤٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤٧١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) مسلم بشرح النووي (٣٩/١٦).

(٣) كفاحاً: أى مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول... وهذا بعد موته، أما قبله فلا.

هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١)(٢).

البراء يقسم على الله .. فيرزقه الشهادة

وتأمل معي كيف بلغت محبة الحق (جل وعلا) للبراء بن مالك رضي الله عنه حتى أن النبي ﷺ شهد للبراء أنه لو أقسم على الله لأبره الله قسمه .
قال ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين، لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك» (٣).

* وتمر الأيام وتأتي معركة تُستر، ولما اشتد القتال، وجالد الأعداء، وبلغت القلوب الحناجر، قال بعض المسلمين للبراء: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فأقسم على الله، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم.

ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبي ﷺ، فمُنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً (٤).

علامة المحب على صدق المحبة ست خصال

* قال إبراهيم بن الجنيد: يُقال: علامة المحب على صدق المحبة ست خصال: أحدها: دوام الذكر بقلبه بالسرور بمولاه.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

(٢) حسن صحيح: رواه الترمذی (٣٠١٠) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (١٩٠) في مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٦١)، وقال: حسن صحيح.

(٣) صحيح: رواه الترمذی (٣٨٥٤) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٤٥٧٣).

(٤) رواه الحاكم (٣/٣٣١، رقم ٥٢٧٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

والثانية: إثارة محبة سيده على محبة نفسه .

والثالثة: الأئس به والاسثقال لكل قاطع يقطعه عنه ، أو شاعل يشغله عنه .

والرابعة: الشوق إلى لقائه والنظر إلى وجهه .

والخامسة: الرضا عنه فى كل شدة وضر ينزل به .

والسادسة: اتباع رسوله ﷺ .

قال سهل بن عبد الله التستري: من علامات حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة ، ومن علامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً يبلغه الآخرة .

قال أبو تراب النخشبي :

لا تُخدَعَنَّ فللحبيب دلائلُ

ولديه من تُحفّ الحبيب رسائلُ

منها تنعمُّ به بمرّ بلائه

وسروره فى كل ما هو فاعلُ

فالمنعُ منه عطيةٌ مقبولةُ

والفقرُ إكرامٌ وبرٌّ عاجلُ

ومن الدلائل أن ترى من عزمه

طوعَ الحبيب وإن ألحَّ العاذلُ

ومن الدلائل أن يرى متبسمًا

والقلبُ فيه من الحبيب بلابلُ

ومن الدلائل أن يُرى متفهمًا
لكلام من يحظى لديه السائلُ
ومن الدلائل أن يُرى متقشفًا
متحفظًا من كلِّ ما هو قائلُ

* وقال يحيى بن معاذ:

ومن الدلائل أن تراه مُشمرًا
في خرقتين على شطوط الساحلِ
ومن الدلائل حزنه ونحيبه
جوف الظلام فما له من عاذلِ
ومن الدلائل أن تراه مسافرًا
نحو الجهاد وكلِّ فعلٍ فاضلِ
ومن الدلائل زهده فيما يرى
من دار ذلِّ والنعيم الزائلِ
ومن الدلائل أن تراه باكيًا
أن قد رآه على قبيح فمائلِ
ومن الدلائل أن تراه مُسلمًا
كلَّ الأمور إلى المليك العادلِ
ومن الدلائل أن تراه راضيًا
بمليكه في كلِّ حكمٍ نازلِ
ومن الدلائل ضحكهُ بين الوري
والقلبُ محزونٌ كقلبِ الشاكلِ^(١)

* * *

(١) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٦٠ - ٦٢) بتصرف.

وصف الله المحبين بخمسة أوصاف

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

* فوصف الله سبحانه المحبين له بخمسة أوصاف:

أحدها: الذلة على المؤمنين، ولين الجانب، وخفض الجناح، والرحمة والرافة للمؤمنين، فالمحبُّ يذلُّ لمحبيه ومحبوب محبوبه.

لعينٍ تقدى ألفُ عينٍ وتتقى
ويكرم ألفٌ للحبيب المكرم

الثاني: العزة على الكافرين والشدة والغلظة عليهم.

سئل المرتعش: بم تنال المحبة؟

قال: بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه.

الثالث: الجهاد في سبيل الله ومجاهدة أعدائه باليد واللسان؛ وذلك من تمام معاداة أعداء الله الذي تستلزمه المحبة. ودعاء الخلق إلى الله وردهم إليه.

قال إبراهيم بن أدهم: سمعت رجلين من الزهاد يقول أحدهما للآخر: يا أخي! ما ورث أهل المحبة من محبتهم؟

قال: فأجابه الآخر: ورثوا النظر بنور الله، والعطف على أهل معاصي الله.

(١) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

قال: فقلت له: كيف يعطف على قوم قد خالفوا أمر محبوبه؟
فقال: مقت أعمالهم، وعطف عليهم، ليزيلهم بالمواعظ عن فعالهم،
وأشفق على أبدانهم من النار... لا يكون المؤمن مؤمناً حقاً حتى يرضى
للناس ما يرضاه لنفسه.

الرابع: لا يخافون في الله لومة لائم، والمراد أنهم يجتهدون فيما يرضى
به الله من الأعمال، ولا يبالون بلوم من لامهم في شيء منه، إذا كان فيه
رضا ربهم.. ولله درُّ القائل:

وقف الهوى بى حيث أنتَ فليس لى
مُتأخراً عنه ولا مُتقدماً
أجد الملامة فى هواك لذيدةً

حباً لذكرك فليلمنى اللوم

الخامس: متابعة الرسول ﷺ وطاعته واتباعه فى أمره ونهيه، وليس
الشأن أن تُحبَّ إنما الشأن أن تُحبَّ، ولن يحبَّك الله حتى تتبع رسوله
ﷺ (١).

المحبُّ لا يفتر من عبادته لله (جل وعلا)

إن العبد إذا استقرت شجرة المحبة فى قلبه فإنه لا يفتر أبداً من ذكر الله
ولا من عبادته.

قال أحد العُباد: إذا سئم البطَّالون من بطالتهم، فلن يسأمَ محبوبك من
مناجاتك وذكرك.

وعن جعفر المحبوبى قال: وكىُّ الله المحبُّ لله لا يخلو قلبه من ذكر ربه،
ولا يسأم من خدمته، فإذا أعرض أعرض عنه، وإذا أقبل إلى الله أقبل عليه

(١) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٥٧ - ٥٩) بتصرف.

الله برأفته ورحمته .

وقال الفضيل بن عياض: الحبُّ أفضل من الخوف؛ ألا ترى إذا كان لك عبدان أحدهما يحبُّك والآخر يخافك، فالذى يحبُّك منهما ينصحك شاهداً كنت أو غائباً، بحبه لك .
والذى يخافك عسى أن ينصحك إذا شهدت، لما يخاف، ويغشُّك إذا غبت ولم ينصحك .

المحبُّ يشتهي لقاء ربه في الجنة

وكلما ازداد الحب في قلبك كلما زاد الشوق للقاء الله في الجنة .
قال ابن رجب: «هَمَمُ العارفين المحبين متعلقة من الآخرة برؤية الله، والنظر إلى وجهه في دار كرامته والقرب منه» .
وقال الحسن: لو علمَ العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة، لمتوا .
وفى رواية: لذابت أنفسهم .
وقال الثوري وبشر الحافي: لا يكره الموت إلا مريب؛ لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه .
وقال محمد بن يحيى الموصلي: سمعتُ نافعاً - وكان من عبَاد الجزيرة - يقول: ليت ربي جعل ثوابي من عملي نظرةً منى إليه، ثمَّ يقول لى: يا نافع، كُن تراباً .

المحب يؤثر ما يحبه الله على كل شيء

ومن علامات العبد الصادق في محبته لله (جل وعلا) أنه يؤثر ما يحبه الله على كل ما تحبه نفسه .
فإذا علمت أن الله يحب أن يراك قائماً بين يديه تصلى قيام الليل . .

ونفسك تحب النوم فعليك أن تؤثر ما يحبه الله فتقوم وتصلى بين يديه (جل وعلا).

وإذا علمت أن الله يحب أن تترك المعاصي . . ونفسك لا تجد لذتها إلا في المعاصي فعليك أن تؤثر ما يحبه الله فتترك المعاصي .
وأنا أسألك بالله هل فكرت يوماً أن تترك معصية طلباً لرضا الله (جل وعلا)؟ . . والله لو فعلت ذلك فإنك ستجد في قلبك حلاوة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل .

قال ابن المبارك (رحمه الله):

تعصى الإله وأنت تُظهر حُبَّهُ

هذا لعمري في الفعال بديعٌ

لو كان حبك صادقاً لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيعٌ

هل يستويان؟!

أخي الحبيب .. أختي الفاضلة:

هل يستوى من يعيش من أجل فتاة تعلق قلبه بها، ومن يعيش في طاعة الله وقد امتلأ قلبه حباً لله؟

وهل يستوى من تعيش من أجل شاب قد تعلق قلبها به، ومن تعيش طائعة لله، وقد امتلأ قلبها حباً لله؟

* إن الذى يعيش من أجل شهوة رخيصة فإنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً . . أما من يعيش في طاعة الله وليس له هدف إلا أن يحقق العبودية لله، وأن يبذل الغالى والنفيس لنصرة دين الله فقد يتعب بعض الشيء، لكنه يعيش عزيزاً ويموت عزيزاً ويُبعث في زمرة عباد الله الصالحين الذين أعد الله

لهم فى جتته ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والله لا يلقى الله حبيبه فى النار

قال عليه السلام : «والله لا يلقى الله حبيبه فى النار»^(١).

* فاحرص أخى الحبيب على أن تظفر بمحبة الله (جل وعلا) فهى أعظم وأجلّ نعمة فى هذا الكون كله.

«قال أحمد بن أبى الحوارى: دخلتُ على أبى سليمان فرأيتُهُ يبكى، فقلتُ: ما يُبكىك؟ قال: ويحك يا أحمد! إذا جنَّ الليل، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه، افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وأشرف الجليل جلَّ جلاله عليهم، وقال: بعينى من تلذذ بكلامى، واستروح إلى مناجاتى، وإنى مطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم وحنينهم، يا جبريل! فنادِ فيهم: ما هذا البكاء الذى أراه منكم، هل أخبركم مخبرٌ أن حبيبًا يعذبُ أحبابه بالنار، بل كيف يجمل أن أعذبُ قومًا إذا جنَّهم الليلُ تملّقونى فى حلفتُ إذا وردوا القيامة علىَّ أن أُسفر لهم عن وجهى، وأمنحهم رياض قدسى»^(٢).

المحبُّ لا ينشغل عن الله (جل وعلا)

قال ذو النون: إنَّ من علامات المحبين لله: تركُ كلِّ ما يشغله عن الله، حتى يكون الشغلُ بالله وحده. ثم قال: إنَّ من علامات المحبين لله أن لا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه. ثم قال: إذا سكن حبُّ الله القلبَ أنسَ بالله؛ لأن الله أجلُّ فى صدور العارفين من أن يحبوا سواه.

(١) صحيح: رواه أحمد (١٣٠٥٥)، الحاكم (١٩٥/٤)، رقم (٧٣٤٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٠٩٥).

(٢) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٨٧، ٨٨).

وكانت رابعة العدوية تنشد هذين البيتين :
 ولقد جعلتك فى الفؤاد مُحدثي
 وأبحثُ جسمي من أراد جلوسى
 فالجسم منى للجليس مؤانسُ
 وحبیبُ قلبی فى الفؤاد أنیسى

أین نحن من اتباع النبى ﷺ

- * فأین نحن - أخى الحبيب - من اتباع سنة النبى ﷺ ؟
- * أین نحن من اتباع سنة النبى ﷺ فى عباداته ومعاملاته وأخلاقه ؟
- * أین نحن من اتباع سنته ﷺ فى الصلاة والزكاة والصيام والحج ؟
- * أین نحن من اتباع سنته ﷺ فى ذكره ودعائه وتلاوته ، واستعانته بالخالق سبحانه ، وتوكله عليه ولجؤه إلى جنابه ؟
- * أین نحن من اتباع سنته ﷺ فى مصاحبة الإخوان ، والإحسان إلى الجيران ، وبر الوالدين ، وإكرام الضيف ، وصلة الأرحام ، وعيادة المرضى ، واتباع الجنائز ، والإحسان إلى الضعفاء ، وقضاء حوائج الفقراء واليتامى والمساكين ؟
- * أین نحن من اتباع سنته ﷺ فى تواضعه وأدبه ورحمته ولينه وشفقته وكرمه وطلاقة وجهه وعفوه وحسن خلقه ؟
- * أین نحن من اتباع سنته ﷺ فى قوته وشجاعته وسياسته وحكمته فى السلم والحرب والهدنة وتجهيز الجيوش وعقد الألوية ومجابهة أعداء الله تعالى فى كل مكان .

* أین نحن من اتباع النبى ﷺ فى طلب العلم وتبليغ سنته وشريعته لتكون كله بالرحمة والرأفة كما كان النبى ﷺ يفعل ذلك فلقد كان فى غاية

الرحمة كما وصفه الحق (جل وعلا): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١).

هؤلاء يبغضهم الله (جل وعلا)

وإياك أخى الحبيب أن تكون من هؤلاء الذين ذكر الله (عز وجل) فى كتابه أنه لا يحبهم وهم:

١- الكافرون: قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).
وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٣).
وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٤).

٢- المعتدون: قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٦).
٣- المفسدون: قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨).
٤- الظالمون: قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٩).

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣٢).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٧٦).

(٤) سورة الحج: الآية: (٣٨).

(٥) سورة البقرة: الآية: (١٩٠).

(٦) سورة الأعراف: الآية: (٥٥).

(٧) سورة المائدة: الآية: (٦٤).

(٨) سورة القصص: الآية: (٧٧).

(٩) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

٥- المختالون والمتكبرون: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٣).

٦- الخائنون: قال تعالى: ﴿فَانْصِرْ إِلَى سَوَاءٍ إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾ (٥).

٧- المجاهرون بالسوء: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ (٦).

٨- المسرفون: قال تعالى: ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٧).

٩- الفرحون بالمعاصي: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٨).



(١) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٢) سورة لقمان: الآية: (١٨).

(٣) سورة النحل: الآية: (٢٣).

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٥٨).

(٥) سورة النساء: الآية: (١٠٧).

(٦) سورة النساء: الآية: (١٤٨).

(٧) سورة الأعراف: الآية: (٣١).

(٨) سورة القصص: الآية: (٧٦).

كيف تفوز بمحبة الله؟

«الأسباب الجالبة للمحبة والمقوية لها كثيرة؛ منها:

الأول: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يحبّ الله ورسوله، فليقرأ في المصحف»^(١).

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة؛ كما جاء في الحديث القدسي: «... ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه»^(٢).

الثالث: دوام ذكره على كل حال؛ باللسان والقلب والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر.

قال ذو النون: من شغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه.

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يُقال: من علامة المحبة لله: دوام الذكر بالقلب واللسان، وقلما ولع المرء بذكر الله (عز وجل) إلا أفاد منه حب الله (عز وجل).

وقال إبراهيم بن أدهم: أعلى الدرجات أن يكون ذكر الله عندك أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف.

وقال مالك بن دينار: ما تُلذَّذُ المتلذذون بمثل ذكر الله (عز وجل).

يا من يُذَكِّرُنِي بعهدِ أحبِّني

طاب الحديثُ بذكرهمْ ويطيبُ

(١) حسن: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٠٨، رقم ٢٢١٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٨٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَى مَنْ جَنَبَاتُهُ
 إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْحَبِيبِ حَبِيبٌ
 مَلَأَ الضُّلُوعَ وَفَاضَ عَنْ أَجْنَابِهَا
 قَلْبٌ إِذَا ذُكِرَ الْحَبِيبُ يَذُوبُ
 مَا زَالَ يَخْفِقُ ضَارِبًا بِجَنَاحِهِ
 يَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَطِيرُ قُلُوبٌ؟!
 وقال الشاعر:

خَطَرَاتُ ذِكْرِي تَسْتَثِيرُ مَوَدَّتِي
 وَأَحْسُ مِنْهَا فِي الْقُلُوبِ دَيْبًا
 لَا عَضُولِي إِلَّا وَفِيهِ مَحَبَّةٌ

فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبًا

الرابع: إثارة محبة على محابك عند غلبات الهوى، والتسليم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبانيها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

عن عائشة: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية^(١)، فكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟». فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»^(٢).

(١) السرية: هي القطعة من الجيش، سُميت سرية؛ لأنها تسرى في خفية.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٧٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٧١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

السادس: مشاهدة برّه وإحسانه وآلائه، ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: وهو من أعجبها: انكسار القلب بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

قال الفضل الرقاشي: والله لو جُمع للعابدين جميع لذات الدنيا بحذافيرها؛ لكان امتهانٌ أنفسهم لله بطاعته ألدَّ وأحلى عندهم من ذلك.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه. والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين والصادقين، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطياب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجّحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله (عز وجل). فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبُّون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب.. وملاك ذلك كله أمران:

١- استعداد الروح لهذا الشأن:

بدم المحبِّ يُبَاعُ وصلُّهم

فمن الذي يبتاع بالثمن

أو كما قالوا:

أنت القَتِيلُ بكلِّ من أحببته

فاختر لنفسك في الهوى من تصطفى

٢- وانفتاح عين البصيرة. وبالله التوفيق»^(١).

* * *

(١) مدارج السالكين (٣/١٧، ١٨) بتصرف.

أحباب الرحمن (جل وعلا)

* وهذه باقة عطرة من الآيات القرآنية التي تخبرنا عن بعض الأسباب التي تجلب للعبد محبة الرب (جل وعلا).

أخى الحبيب إذا أردت أن تكون من أهل المحبة لله (عز وجل)، فكن من هؤلاء الذين ذكر الله (عز وجل) في كتابه أنه يحبهم وهم:

- ١- المحسنون: قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).
- وقال تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).
- ٢- التوابون: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (٣).
- ٣- المتطهرون: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٤).
- وقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (٥).
- ٤- المتقون: قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٦).
- ٥- الصابرون: قال تعالى: ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (٧).
- ٦- المتوكلون: قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٨).
- ٧- المقسطون: قال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٩).

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٣)، (٤) سورة البقرة: الآية: (٢٢٢).

(٥) سورة التوبة: الآية: (١٠٨).

(٦) سورة آل عمران: الآية: (٧٦).

(٧) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

(٨) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٩) سورة المائدة: الآية: (٤٢).

٨- المخلصون في الجهاد: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَّانُ مَرصُوصٌ﴾ (١).

* وهذه باقة عطرة من أحاديث النبي ﷺ التي تخبرنا أيضاً عن بعض الأسباب التي تجلب للعبد محبة الله (جل وعلا) وإن كان بعضها تابِعاً للعناصر السابقة.

١- الحب في الله:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى. فأرصد (٢) الله له، على مدرجته (٣) ملكاً.

فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية.

قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها (٤)؟

قال: لا. غير أني أحبُّه في الله (عز وجل).

قال: فإنني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه (٥).

ولذا قال ﷺ: «قال الله تعالى: حُقَّتْ محبتي للمتحابين فيَّ، وحُقَّتْ محبتي للمتواصلين فيَّ، وحُقَّتْ محبتي للمتناصحين فيَّ، وحُقَّتْ محبتي للمتزاوِرين فيَّ، وحُقَّتْ محبتي للمتباذلين فيَّ. المتحابون فيَّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصدِّيقون والشهداء» (٦).

٢- قوة الإيمان والطاعة:

قال ﷺ: «المؤمن القوى خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي

(١) سورة الصف: الآية: (٤).

(٢) فأرصد: أى أقعد يرقبه.

(٣) على مدرجته: المدرجة هى الطريق، سُميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها. أى يمشون ويمشون.

(٤) تربُّها: أى تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه أحمد (٢٢٢٧٦) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح

الجامع (٤٣٢١).

كل خير ..»^(١)، وإن كان المقصود بقوة المؤمن هو قوته في كل مناحي الدين والدنيا.

٣- حب الأنصار ﷺ :

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»^(٢).

فاللهم إنا نشهدك أنا نحب الأنصار والمهاجرين، وكل أصحاب سيد المرسلين ﷺ.

٤- حب القرآن :

ففي الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لآى شيء يصنع ذلك؟».

فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»^(٣).

ولذا قال ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف»^(٤).

٥- تحقيق الإخلاص والتقوى :

قال ﷺ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»^(٥).

٦- الزهد في الدنيا :

* عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ :

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٧٥) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح، وقد تقدم.

(٤) حسن، وقد تقدم.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٥) كتاب الزهد والرقائق.

فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبنى الناس، فقال: «ازهد في الدنيا يُحبك الله، وازهد فيما عند الناس يُحبك الناس»^(١).

* كانت هذه بعض الأسباب التي تجلب للعبد محبة الله (جل وعلا).
فيا ليتنا نحرص عليها فإننا إذا ظفرنا بمحبة الله فسوف نسعد في الدنيا والآخرة.

ثمرات الفوز بمحبة الله (جل وعلا)

وها هي باقة عطرة من ثمرات الفوز بمحبة الله (جل وعلا).
١- أنها سر السعادة في الدنيا والآخرة.

فلو لم يكن هناك ثمرة لمحبة الله سوى أنك تفوز بمحبة الله لكفى،
فالفوز بمحبة الله هو منتهى آمال الموحدين الذين امتلأت قلوبهم حباً لأرحم
الراحمين (جل وعلا).

٢- أنك تفوز بمحبة جبريل (عليه السلام) وأهل السماوات والأرض.
ففي الصحيحين (واللفظ لمسلم) أن النبي ﷺ قال: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل. ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبه. فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل. ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه. قال: فيبغضونه. ثم توضع له البغضاء في الأرض»^(٢).

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٢٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٨٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب، واللفظ له.

٣- ثمرات جليلة .

ففى الحديث القدسى الذى رواه البخارى أن الله (عز وجل) يقول عن العبد الذى يتقرب إليه بالنوافل: «... فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألتنى لأعطينه، ولئن استعاذ بى لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(١).

٤- أن المحبة تُغذى الأرواح والقلوب وبها تقرأ العيون، بل إنها هى الحياة التى يُعدُّ من حُرْم منها من جملة الأموات^(٢).

٥- أن الفائز بمحبة الله يجد حلاوة الإيمان دائماً فى قلبه .

٦- أنك تعيش فى سعادة دائمة متواصلة حتى تسعد السعادة التى لا تنتهى أبداً فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٧- أن الله (عز وجل) يستعملك قبل موتك ويرزقك حُسْن الخاتمة .

قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله عبداً غسله»، فقيل: وما غسله؟ قال: «يُوفَّقُ له عملاً صالحاً بين يدي أجله، حتى يرضى عنه جيرانه» - أو قال - «من حوله»^(٣).

٨- أن الله إذا أحبك سيُدخلك جنته لتنعم النعيم الكامل فى جنات

النعيم .



(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق .

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥١) .

(٣) صحيح: رواه الحاكم (١/ ٤٩٠)، رقم (١٢٥٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح

الترغيب والترهيب (٣٣٥٨) .

وأخيراً

أيها الأخ الحبيب ... أيتها الأخت الفاضلة:

يا ليتنا نحرص على أن نفعل كل ما يحبه الله حتى نفوز بمحبة الله
فنسعد في الدنيا والآخرة، فنعيش أسعد حياة في الدنيا وفي القبر ويوم
القيامة .. وتكتمل السعادة بصحبة النبي ﷺ في الجنة ولننظر إلى وجه
الرب الكريم العلى (سبحانه وتعالى).

فاللهم إنا نسألك حبك وحباً من يحبك وحباً كل عمل يقربنا إلى
حبك

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

يا شباب ماذا قدمتم لرسول الله ﷺ ؟

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).
 أما بعد:

* فإنه مما لا شك فيه أنه ما من مسلم أو مسلمة على وجه الأرض الآن إلا وقلبه يعتصر ألماً وحزناً على تلك الإساءة التي وُجّهت إلى سيد الأولين والآخرين . . إلى رسولنا وحبينا وقدوتنا محمد بن عبد الله ﷺ .
 * فكان لزاماً علينا جميعاً أن ننصر رسول الله ﷺ وأن ندافع عنه بكل ما أوتينا من قوة . . ولذا كان شعار هذه الرسالة هو شعار يجب أن نرفعه جميعاً ألا وهو «روحي فداك يا رسول الله - ﷺ» .

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

* فنحن والله على استعداد أن نفيديه بأرواحنا وأولادنا وأزواجنا وأموالنا.. فنحن نتقرب إلى الله بحبه ﷺ وبحب من أحبه، وبغض من أبغضه.

* إنه نهر الرحمة وينبوع الحنان الذي ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.. إنه الذي وصفه الله في كتابه فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢).

* فتعالوا بنا لنوجه تلك الرسالة إلى هؤلاء الذين سبوا رسول الله ﷺ ولم يعرفوا قدره.. تعالوا بنا لنعلم الكون من هو رسول الله ﷺ... فوالله لو عرف الغرب رسول الله لأحبوه.

* هيا جميعاً لنرفع هذا الشعار: «روحي فداك يا رسول الله ﷺ».

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

من هنا كانت البداية

* كيف أُصوِّرُ المأساة التي وقعت، والفاجعة التي حدثت، وجرت فصولها أياماً عديدة، دون أن يكون لها صدى في إعلامنا.. ودون أن يغلى الدم في عروقنا..

قتلوا الشيوخ فسكتنا ..
وذبحوا الأطفال فصمتنا ..
وهتكوا الأعراض فألجمنا ..
ولم يبق إلا سب نبينا!!

* لقد اطلعت على ما تناقلته بعض وكالات الأنباء من اقتراف الصحيفة الدنماركية (جيلاندز بوستن / Jyllands - Posten) لخطأ شنيع وانحراف فظيع بنشرها (١٢) رسماً (كاريكاتيرياً) ساخراً يوم الثلاثاء ٢٦ شعبان ١٤٢٦هـ / ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م تصور الرسول ﷺ في أشكال مختلفة، وفي أحد الرسوم يظهر مرتدياً عمامة تشبه قبلة ملفوفة حول رأسه!!

وإمعاناً في غيِّها طلبت الجريدة من الرسامين التقدم بمثل تلك الرسوم لنشرها على صفحاتها.

ولما بلغني الخبر كدّرني كثيراً وأصابني بهمٌّ كبير، وأحزنني حزناً عظيماً، وقد عمدت بنفسى للنظر في موقع الصحيفة المذكورة على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، حتى وقفت على موقع الجريدة (Jyllands - Posten) في صفحاتها الصادرة بتاريخ ٢٩ / ٩ / ٢٠٠٥م فكان الخبر ليس كالمعاينة، حيث هالني ما رأيت، واقشعر جسمي، وبلغ بي ذلك كل مبلغ في النكير والاستهجان والامتناع.

وهكذا كان الشأن عند عامة أهل الإسلام ممن بلغهم الخبر، حيث كان هذا العمل محل انتقاد واستهجان لديهم، ولدى غيرهم من العقلاء فى أرجاء الأرض.

وقد عمد إخواننا المسلمون فى الدانمارك، ومعهم غيرهم من المواطنين الدانماركيين، وكذلك غيرهم من المقيمين فى الدانمارك إلى إنكار هذه السخرية التى نالت أشرف إنسان فى التاريخ، فكتبت المقالات ووجهت الرسائل إلى الحكومة الدانماركية وإلى الصحيفة المعنية، مطالبين بالاعتذار عن هذا العمل والكف عن مثله مستقبلاً، وقد تظاهر فى شهر أكتوبر الماضى أكثر من ٥٠٠٠ مسلم وغيرهم من المتعاطفين معهم فى العاصمة كوبنهاجن ضد الصحيفة وطالبوها بالاعتذار.

غير أن السلطات الدانماركية ومسئولى الصحيفة رفضوا ذلك بمبررات حرية الإعلام والتعبير، وأنه لا شىء يستثنى من شموليته وحريته.

ولا زال مسئولوا صحيفة (جيلاندز بوستن / Jyllands - Posten) والحزب الحاكم الذى تنتمى إليه يرفضون الاعتذار، وينوون الاستمرار فى منهجهم المتجهج على الرسول الكريم الذى قال الله له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، متجاهلين بذلك المواثيق والأعراف الدولية، غير مباليين بالاعتراضات المقدمة إليهم، فرأيت أن من الواجب على، وعلى غيرى ممن حملهم الله أمانة البيان والبلاغ أن نقوم جميعاً على قلب رجل واحد لندافع عن نبينا وحبينا وقائدنا محمد بن عبد الله ﷺ . . عسى الله أن يجمعنا به على الخوض لنشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً. . ثم يجمع بيننا وبينه فى جنته التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أبناء أمتنا الكرام إلى متى
يقضى على عزم الأبي سُبَاتُ؟
أبناء أمتنا الكرام إلى متى
تمتد فيكم هذه السكراتُ؟!
الأمرُ أمرُ الكفر أعلن حربه
فمتى تهزُّ الغافلين عِظَاتُ؟!
كفرٌ وإسلامٌ وليلٌ حضارة
غريبة، تشقى بها الظلماتُ
أين الجيوش اليعرْبِيَّة هل قضت
نحبًّا فلا جند ولا أدواتُ؟!
الأمرُ أكبرُ يا رجالُ وإنما
ذهبت بوعى الأمة الصدماتُ

الصراع بين الحق والباطل قديم

إن الصراع بين الحق والباطل قديم بقدم الزمان والمكان.
* فليست هذه هي المرة الأولى التي يُسب فيها النبي ﷺ .. بل ولن
تكون المرة الأخيرة لأن الكفر ملة واحدة .. وعداء الكافرين للنبي ﷺ
وأتباعه لن ينتهى أبداً فقد قال جل وعلا: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا
النَّصَارَى حَتَّى تَبْعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (١).

* وإذا رجعنا إلى عهد النبي ﷺ فسنرى أن عداء المشركين لهيد
المرسلين ﷺ بدأ منذ أول لحظة صدع فيها النبي ﷺ بكلمة التوحيد.

* ولم يكتفوا بمجرد العداء الظاهر والباطن فحسب بل وصل الأمر إلى التطاول على سيد ولد آدم ﷺ . . فلقد وضعوا فوق ظهره سلا الجزور وألقوا التراب على رأسه وخنقه عقبة بن أبى معيط، وبصق فى وجهه بل إنه وضع قدمه على مؤخرة رأس النبی ﷺ وهو ساجد وضغط عليها . . بل إنهم دبّروا المؤامرات لقتل النبی ﷺ .

* وطُرد النبی ﷺ من مكة فخرج وهو يبكى ويقول: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت» (١).

* بل إنهم اتهموا النبی ﷺ بالسحر والشعر والكهانة والجنون وشكّكوا فى نبوته . . واتهموه فى عرضه . . وضربوه فى الطائف . . وفى يوم أحد ضربوه بالسيف وسالت الدماء الشريفة على وجهه ﷺ وحاولوا قتله .

* فالشاهد أنه لم تتوقف الحرب على النبی ﷺ وأصحابه لحظة واحدة .

* وظل العداء للنبي ﷺ مستمراً فى حياته وبعد موته ﷺ وسيظل العداء هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين

* وهكذا فإن أى إنسان يحمل راية الحق فلا بد أن يكون له أعداء يحاربونه ويسخرون منه بسبب الحق الذى يحمله .

فقد قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩)

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٩٢٦) كتاب المناقب، وابن حبان (٣٧٠٩)، والطبرانى (٢٦٧/١٠)، والحاكم (٦٦١/١) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٤٣/٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٢٧٢٤).

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثَرْبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾.

فإن كان هذا هو الحال مع عامة المؤمنين فكيف بالحال مع الأنبياء والمرسلين؟ فقد قال ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأئمة» فالأئمة يبتلى الرجل على حسب دينه... (٢).

* ولذا قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٣).

ومن أجل هذا لا يصلح أن نقول إن فلاناً رجل صالح وليس له أعداء؛ لأن أي إنسان يحمل قضية بعينها ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلا بد أن يجد عداءً ولو كان يسيراً من شياطين الإنس الذين تمتلئ بهم الأرض - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

* وأنت لو قرأت في ترجمة أي عالم من علماء السلف لوجدت أن الذي يترجم له يذكر اسمه ومولده ونشأته ومشايخه وعلمه وثناء العلماء عليه وزهده... وهناك كلمة مشتركة بينهم جميعاً وهي «محنته»... لأنه لا بد من وجود الأخيار الذين يحبون الصلاح وأهله، ولا بد من وجود الأشرار الذين يبغضون الصلاح وأهله.



(١) سورة المطففين: الآيات: (٢٩ - ٣٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذی (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الفتن، والدارمی (٢٧٨٣) كتاب الرقاق، وأحمد (١٤٨١)، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٩٩٢).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٣١).

قدر النبي ﷺ عند ربه (جل وعلا)

إن شأن رسول الله ﷺ عند الله لعظيم . . وإن قدره لكريم فلقد اختاره الله تعالى واصطفاه على جميع البشر وفضَّله على جميع الأنبياء والمرسلين، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وأعلى له قدره، وزكاه في كل شيء .

- زكاه في عقله فقال سبحانه: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (١) .
 وزكاه في صدقه فقال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ (٢) .
 وزكاه في بصره فقال سبحانه: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (٣) .
 وزكاه في فؤاده فقال سبحانه: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (٤) .
 وزكاه في صدره فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (٥) .
 وزكاه في ذكره فقال سبحانه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٦) .
 وزكاه في طهره فقال سبحانه: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ (٧) .
 وزكاه في حلمه فقال سبحانه: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٨) .
 وزكاه في علمه فقال سبحانه: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (٩) .
 وزكاه في خلقه فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠) .

(١) سورة النجم: الآية: (٢) .

(٢) سورة النجم: الآية: (٣) .

(٣) سورة النجم: الآية: (١٧) .

(٤) سورة النجم: الآية: (١١) .

(٥) سورة الشرح: الآية: (١) .

(٦) سورة الشرح: الآية: (٤) .

(٧) سورة الشرح: الآية: (٢) .

(٨) سورة التوبة: الآية: (١٢٨) .

(٩) سورة النجم: الآية: (٥) .

(١٠) سورة القلم: الآية: (٤) .

ثم أخبر عن منزلته في الملأ الأعلى عند رب العالمين وعند الملائكة المقربين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (١).

* ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجتمع له الشاء من أهل السماء وأهل الأرض فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

وتالله إنني أقول: إنه لا يعرف قدر النبي ﷺ إلا الرب الكريم العظيم العلى سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَنِيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ. وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ» (٤).

* بل أقسم الله -عز وجل- بالضحى والليل إذا سجى أنه ما أهمل محمدًا ﷺ وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتبهه، وأن ما أعدّه له في الآخرة خير له من كل ما أعطاه في دنياه، فقال جل في علاه: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٣٥)، كتاب المناقب، ومسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٧٧) كتاب الجهاد، ومسلم (٥٢٣) كتاب المساجد.

فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١﴾ .

* بل لقد أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم الحبيب محمد ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢﴾ .

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى وقره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ، فنادى الله عز وجل الأنبياء بأسمائهم الأعلام فقال: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ﴿٣﴾ .

وقال: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ ﴿٤﴾ ، وقال: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا ﴿٥﴾ ، وقال: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ ﴿٦﴾ .

وما خاطب الله عز وجل نبينا ﷺ إلا بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ، أو بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ، أو بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ ، أو بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ .

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أقسم بحياته ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧﴾ . وإن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم

(١) سورة الضحى .

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٨١) .

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٩) .

(٤) سورة هود: الآية: (٤٨) .

(٥) سورة الصافات: الآيتان: (١٠٤ ، ١٠٥) .

(٦) سورة مريم: الآية: (١٢) .

(٧) سورة الحجر: الآية: (٧٢) .

الله عز وجل بها، لما فيها من البركة العامة والخاصة.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما برأ وما ذرأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره.

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١).

* ونهى الله عز وجل أمة النبي ﷺ أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته إعظماً له ﷺ، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢).

* ومن شرفه وفضله ﷺ إيثاره ﷺ أمته على نفسه بدعوته؛ إذ جعل الله عز وجل لكل نبي دعوة مستجابة، فكلُّ منهم تعجَّل دعوته في الدنيا، واختبأ هو ﷺ دعوته شفاعَةً لأُمته.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنِّي اختبأت دعوتي شفاعَةً لأُمِّي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أُمِّي لا يشرك بالله شيئاً» (٣).

وقد دلت الأحاديث الكثيرة على رحمة النبي ﷺ بأُمته، وإيثاره إياهم على نفسه، ودعائه لهم في كل مناسبة تعرض له، بل بلغ من شفقتهم عليه أنه أخذ البكاء عند الدعاء لهم، كما ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم (عليه السلام): ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

(١) سورة الحجر: الآية: (٧٢).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٠٤) كتاب الدعوات، ومسلم (١٩٨) كتاب الإيمان.

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

وقول عيسى (عليه السلام): ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

فرفع يده وقال: «أمتي أمتي» ثم بكى فقال الله تعالى: «يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك» (٢).

* ومن الأدلة على شرفه ﷺ أنه أول شافع وأول مُشفّع، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مُشفّع» (٣).

فهو ﷺ أول من يشفع في الخلائق يوم القيامة، كما في حديث الشفاعة حين يذهب للشفاعة يستأذن على الله فيأذن له، فإذا رأى الله تعالى خيراً ساجداً، فيدعه الله ما شاء ثم يقال: «ارفع رأسك يا محمد قل تُسمع وسل تعط واشفع تُشفّع» (٤).

وهذه هي الشفاعة العظمى في الخلائق كلهم يوم القيامة، وهي المقام المحمود الذي اختص به نبينا ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ (٥).

* ومن الأدلة على شرفه ﷺ أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم يُنقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم؛ لأنه كل واحد منهم إذا طُلبت منه الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال: «نفسى نفسى» كما ورد في حديث الشفاعة الطويل وفيه أن الناس يذهبون إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى يطلبون

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٧٤٤٠) كتاب التوحيد، ومسلم (١٩٣) كتاب الإيمان.

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٧٩).

الشفاعة، فكل منهم يذكر أن الله غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ثم يقول: «نفسى نفسى» ويحيلهم على غيره حتى يأتوا عيسى فيقول لهم: «لست هناك، ولكن اتتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» فإذا أتوا النبي ﷺ قال: «أنا لها أنا لها»^(١).

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن معجزة كل نبي تصرمت وانقضت، ومعجزته ﷺ وهى القرآن المبين باقية إلى يوم الدين.

ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(٢).

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله عز وجل يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها،... وأمته ﷺ شطر أهل الجنة. فقد روى مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»^(٣).

وأمته خير الأمم ﷺ وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف والأحوال والأقوال والأعمال؛ ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبطة غبط بها النبي ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى عليه السلام، وصحّ هذا فى قصة المعراج من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً وفيه «... ثم صعد بى إلى السماء السادسة فلما خلصت، فإذا موسى، قال جبريل: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فردّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى. قيل له: ما

(١) متفق عليه: وقد تقدم.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٨١) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (١٥٢) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي».

* ومن فضله ﷺ أنه أحلت له الغنائم، . . . ففي الصحيحين عن جابر أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيتَ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً» (١).

* ومن فضله ﷺ حفظ كتابه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢).

وقال عن الكتب السابقة: ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ (٣).

فجعل حفظه إليهم فضاع.

* ومن شرفه وفضله ﷺ ما رواه الشيخان عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..» (٤).

والمعنى أن هذه الأمة ببركة نبينا ﷺ آخر الأمم خلقًا، وأولهم دخولا الجنة يوم القيامة . .

* ومن فضله ﷺ عصمة أمته فلا تجتمع على ضلالة، وحفظ طائفة من أمته لا تزال ظاهرة على الحق. كما في الحديث أن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» (٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٥) كتاب التيمم، ومسلم (٥٢١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) سورة الحجر: الآية: (٩).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٤٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٨) كتاب الوضوء، ومسلم (٨٥٥) كتاب الجمعة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٠) كتاب الإمامة.

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أرسل كل نبي إلى قومه خاصة وأرسل نبينا ﷺ إلى الجن والإنس، ولذلك تمنى بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾^(١).

ووجه التمنى أنه لو بعث في كل قرية نذيرًا، لما حصل لرسول الله ﷺ إلا أجر إنذاره لأهل قريته.

* ومن شرفه ﷺ الكوثر الذي أعطاه الله عز وجل، وهو نهر في الجنة وحوض في الموقف.

* روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه مبتسمًا قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «لقد أنزلت علىَّ أنفًا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾»^(٢).

ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آتيه عدد النجوم في السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول يا رب إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك»^(٣).

* ومن شرفه وفضله ﷺ أنه ﷺ صاحب الوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وهي له ﷺ.

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ فإنه من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله

(١) سورة الفرقان: الآية: (٥١).

(٢) سورة الكوثر: الآيات: (١-٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٠٠) كتاب الصلاة.

لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة»^(١).

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن الله عز وجل وهبه سبعين ألفاً من أمته، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وجوهمهم مثل القمر ليلة البدر، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وليس هذا لأحد غيره ﷺ^(٢).

إلا تنصروه فقد نصره الله

* أيها المسلمون! إن تخاذلنا عن نصره نبينا ﷺ، فإن الله ناصر نبيه، معلّ ذكره، رافع شأنه، معذب الذين يؤذونه فى الدنيا والآخرة..

فى الصحيح عن النبى ﷺ قال: «قال الله تعالى: من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب»^(٣) فكيف بمن عادى الأنبياء؟؟ يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٥).

ويقول الله جل جلاله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦) إنا كفيناك المستهزئين^(٦).

* ونحن نعتقد أن الله سبحانه سيحمى سمعة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ويصرف عنه أذى الناس، وشتمهم بكل طريق، حتى فى اللفظ... ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا ترون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمماً،

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٢) صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين / للمصنف (١ / ١٧ - ٢٧) بتصرف.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٤) سورة التوبة: الآية: (٦١).

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٥٧).

(٦) سورة الحجر: الآيتان: (٩٤، ٩٥).

ويلعنون مُذَمَّمًا، وأنا محمد!» (١).

فنزّه الله اسمه ونعته عن الأذى، وصرف ذلك إلى من هو مُذَمَّم، وإن كان المؤذى إنما قصد عينه.

قال الإمام العالم الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قوله: «يشتمون مُذَمَّمًا»: كان الكفار من قريش من شدة كراحتهم في النبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده، فيقولون: مُذَمَّم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم.

ومُذَمَّم ليس هو اسمه عليه الصلاة والسلام، ولا يُعرف به، فكان الذى يقع منهم فى ذلك مصروفًا إلى غيره.

صور من دفاع الله عز وجل عن نبيه ﷺ

* وها هى صور مشرقة من دفاع الله عز وجل عن نبيه وحبيبه محمد ﷺ.

فهو سبحانه الذى قال فى كتابه: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (٢).

* بل وفى صلح الحديبية لما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله أأنت نبى الله حقًا؟ قال: «بلى» قال عمر: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى».

قال عمر: فلم نعطى الدنية فى ديننا إذًا؟

فقال له رسول الله ﷺ: «إنى رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصرى» (٣).

- فالشاهد أن النبي ﷺ يعلم يقينًا أن الله ناصره.

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٥٣٣) كتاب المناقب.

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

الله عز وجل ينتقم لنبيه ﷺ من أبي جهل

* ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ (أى: يسجد).

قال: فقليل: نعم.

فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعقرن وجهه فى التراب.

قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبته.

قال: فما فجئهم منه إلا هو ينكص على عقبيه، ويتقى بيديه.

قال: فقليل له: ما لك؟

فقال: إن بينى وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» (١).

ويقض الله عز وجل لقتل أبى جهل غلامين صغيرين دفعهما الحب الشديد لرسول الله ﷺ إلى أن يقتلا أبا جهل؛ لأنه يسب رسول الله ﷺ.

* روى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف قال: إني لفي الصف يوم بدر؛ إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتیان حديثا السن، فكأننى لم آمن لكانهما إذ قال لى أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عم! أرنى أبا جهل.

فقلت: يا ابن أخى! ما تصنع به؟

قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه وقال لى الآخر سرّاً من صاحبه مثله.

قال: فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدّا عليه

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

مثل الصقرين، حتى ضرباه وهما ابنا عفراء^(١).

* وفي الصحيحين أيضاً: من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟» قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله. فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد.

قال: فأخذ بلحيته، قال: فقلت: أنت أبو جهل؟^(٢)

فقال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو قال: قتله قومه^(٣).

* وعند البخاري: عن ابن مسعود: أنه أتى أبا جهل فقال: هل أخزأك الله؟ فقال: هل أعمد^(٤) من رجل قتلتموه^(٥).

* وقال الأعمش عن ابن إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة، ومعه سيف جيد، ومعى سيف ردىء فجعلت أنقف^(٦) رأسه بسيفي، وأذكر نقفاً كان ينقف رأسى بمكة، حتى ضعفت يده، فأخذت سيفه، فرفع رأسه فقال: على من كانت الدائرة لنا أو علينا؟ أأست رويعينا بمكة؟

قال: فقتلته، ثم أتيت النبي ﷺ فقلت: قتلت أبا جهل.

فقال: «آله الذي لا إله إلا هو؟» فاستحلفنى ثلاث مرات، ثم قام معى إليهم فدعا عليهم^(٧).

فكان جزاؤه من جنس قوله، بل ومن جنس عمله، فنقف ابن مسعود

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٩٨٨) كتاب المغازي، ومسلم (١٧٥٢) كتاب الجهاد والسير.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣٤٢ / ٧): والتقدير: أنت المقتول يا أبا جهل؟ وخاطبه بذلك مقررًا له ومستشفياً منه؛ لأنه كان يؤذيه بمكة أشد الأذى.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٩٦٣) كتاب المغازي، ومسلم (١٨٠٠) كتاب الجهاد والسير.

(٤) كناية عن الهلاك، وعمد أى: هلك، وقيل: معنى أعمد: أعجب أو أغضب، وقيل: معناه هل زاد على سيد قتله قومه. (الفتح ٣٤٣ / ٧).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٣٩٦١) كتاب المغازي.

(٦) أضرب.

(٧) البداية والنهاية لابن كثير (٣ / ٢٨٨، ٢٨٩).

بالسيف في رأسه مثلما فعل به في مكة .

أبو لهب وامراته حمالة الحطب

* ولقد كان أبو لهب كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له ، والازدراء به ، والتنقص له ولدينه .

وانظر إلى نموذج من نماذج كيد أبي لهب لدعوة الرسول ﷺ ، التي عاها من اليوم الأول للدعوة .

روى الإمام أحمد ، عن ربيعة بن عباد من بنى الدئل - وكان جاهلياً فأسلم - قال : رأيت النبي ﷺ في الجاهلية ، في سوق ذي المجاز ، وهو يقول : « يا أيها الناس ! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »^(١) .

والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضى الوجه أحول ذو غديرتين ، يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب .

* وعن ابن عباس رضيهما أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل ، فنادى : « يا صباحاه » .

فاجتمعت إليه قريش ، فقال : « رأيتم إن حدثكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني ؟ » .

قالوا : نعم .

قال : « إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ تباً لك .

فأنزل الله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^(٢) (٣) .

(١) صحيح : رواه أحمد (١٥٥٩٣) ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح السيرة النبوية (ص ١٤٣) .

(٢) سورة المسد : الآية : (١) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري (٤٧٧٠) كتاب تفسير القرآن ، ومسلم (٢٠٨) كتاب الإيمان .

وفى رواية: فقام ينفض يديه، وهو يقول: تَبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟

فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

ولما قال للرسول ﷺ: تَبًّا لك وقام ينفض يديه، تنزلت السورة ترد على هذه الحرب المعلنة من أبي لهب وامراته، وتولى الله سبحانه عن رسول الله ﷺ أمر المعركة.

قال: تَبًّا لك، فكان الجزاء: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.. دعاء بدعاء، ولفظ بلفظ.

ولم يقض الله له ولا لامراته أن يؤمنا، ولا لواحد منهما ولا ظاهراً ولا باطناً، ولا سرّاً ولا معلناً؛ فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة (١).

* ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (٢).

قال ابن عباس: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يعني: ولده.. ورؤى عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله... لما دعا الرسول ﷺ قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإنى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى.

إن شأنك هو الأبتَر

قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٣).

عن عطاء: نزلت فى أبى لهب، وذلك حين مات ابن الرسول ﷺ، فذهب أبو لهب إلى المشركين، وقال: بُتر محمد الليلة.

(١) تفسير ابن كثير (٨/٥٣٧).

(٢) سورة المسد: الآية: (٢).

(٣) سورة الكوثر: الآية: (٣).

فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

الآية تعم كل من آذى النبي ﷺ

لقد كانت صحيفة (Jyllands - Posten) ومحرروها في عافية من دنياهم وانهماك في شهواتهم قبل أن يتعمدوا الاستهزاء بالرسول ﷺ، ولكنهم بما نشروه وكتبته أيديهم قد أدخلوا أنفسهم ومن تواطأ معهم الوعيد الإلهي المسطر في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، أي: إن مبغضك يا محمد، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾: الأقل الأذل المنقطع كل ذكر له.

فهذه الآية تعم جميع من اتصف بهذه الصفة من معاداة النبي ﷺ أو سعى لإلصاق التُّهم الباطلة به، ممن كان في زمانه، ومن جاء بعده إلى يوم القيامة.

وفي هذا يقول أحد علمائنا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسبّه، ومُظهرٌ لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حدثناه أعدادٌ من المسلمين العدول، أهل الفقه والخبرة، عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصرُ الحصن أو المدينة الشهر، أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نياس منه، حتى إذا تعرض أهلُه لسبِّ رسول الله والوقية في عرضه تعجلنا فتحه وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يُفتح المكان عُنة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لتبشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه». اهـ.

هلاك أبى لهب

فانظر ماذا صنع الله بأبى لهب الذى عادى النبی ﷺ عداً شديداً .
قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : رماه الله بالعدسة فقتلته ، فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً ، ما دفناه حتى أنتن ، وكانت قريش تتقى هذه العدسة ، كما تتقى الطاعون ، حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ! ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفناه؟
فقالا : إنا نخشى عدوى هذه القرحة .

فقال : انطلقا فأنا أعينكما عليه ، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة ، فأسندوه إلى جدار ، ثم رجموا عليه بالحجارة .

هلاك أم جميل (زوجة أبى لهب)

قال ابن كثير عن أم جميل :

كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده ، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه فى عذابه فى نار جهنم ، ولهذا قال : ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (١) ﴾ ، يعنى : تحمل الحطب فتلقى على زوجها ؛ ليزداد على ما هو فيه ، وهى مهيأة لذلك ، مستعدة له (٢) .
* ﴿ فِي جِيدِهَا (٣) حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ .

قال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقنها فى عداوة محمد ، فأعقبها الله بها حبلاً فى جيدها من مسد النار .

(١) سورة المسد : الآيتان : (٤ ، ٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٨ / ٥٣٥) .

(٣) الجيد : العنق .

وعن الثوري: هي قلادة من نار طولها سبعون ذراعاً. والجزاء من جنس العمل^(١).

* يقول سيد قطب رحمه الله في الظلال:
أبو لهب ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (٣) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٢﴾ ستصلاها
وفى عنقها جبل من مسد، تناسق في اللفظ وتناسق في الصورة، فجهنم
هي نار ذات لهب، يصلاها أبو لهب، وامرأته تحمل الحطب وتلقيه في
طريق محمد لإيذائه، والحطب مما يوقد به اللهب، وهي تحزم الحطب
بحبل، فعذابها في النار ذات اللهب، أن تُغل بحبل من مسد؛ ليتم الجزاء
من جنس العمل^(٣).

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾
أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة وفي يدها فهر^(٤)، وهي
تقول:

مُذَمَّمًا أَبِينَا ودينه قلينا وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر
قال: يا رسول الله قد أقبلت، وأنا أخاف عليك أن تراك.

فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني» وقرأ قرآنًا اعتصم به.
كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (٥)، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله
ﷺ.

(١) تفسير ابن كثير (٨ / ٥٣٦).

(٢) سورة المسد: الآيتان: (٣، ٤).

(٣) الظلال: (٦ / ٤٠٠٠).

(٤) أى: بمقدار ملء الكف من الحجارة.

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٤٥).

فقالت: يا أبا بكر! إنى أخبرت أن صاحبك هجانى؟
قال: لا، ورب هذا البيت ما هجأك، فولّت، وهى تقول: قد علمت
قريش أنى ابنة سيدها.
* وروى الحافظ عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾
جاءت امرأة أبى لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو
بكر: لو تنحيّت لا تؤذيك بشىء.
فقال رسول الله ﷺ: «إنه سيُحال بينى وبينها»، فأقبلت حتى وقفت
على أبى بكر، فقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك.
فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية (الكعبة)، ما نطق بالشعر ولا يتفوه
به.

فقالت: إنك لمصدق.
فلما ولّت قال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما رأيتك؟ قال: «لا، ما زال ملك يسترنى
حتى ولّت»^(١).
* فتأمل معى كيف كان هلاكها. كانت تحمل الشوك، فتطرحه فى
طريق رسول الله ﷺ؛ لأن ذلك أظهر.
قال الربيع: فكان النبى ﷺ يطؤه كما يطأ الحرير.
ومثلما حملت الشوك والعضاة تطرحه فى طريق رسول الله ﷺ،
فكذا تحمل الخطب تطرحه على زوجها فى النار جزاء وفاً.
قال قتادة وغيره: كانت تُعير رسول الله ﷺ بالفقر، ثم كانت مع كثرة
مالها تحمل الخطب لشدة بخلها، فعُيرت بالبخل^(٢).
بل كان موتها بجنس عملها.

(١) تفسير ابن كثير (٨ / ٥٣٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٠ / ٧٣٣٠).

قال مرة الهمدانى: كانت أم جميل تأتى كل يوم بإبالة^(١) من الحسك^(٢) فتطرحه فى طريق المسلمين، فبينما هى حاملة ذات يوم حزمة أعيت، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها^(٣)، خنقها الله بحبلها.

هلاك ابن أبى لهب

* قال ابن كثير: روى ابن عساكر فى ترجمة عتبة بن أبى لهب من طريق محمد بن إسحاق عن هبار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأؤذينه فى ربه - سبحانه - فانطلق حتى أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد! هو يكفر بالذى دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى.

فقال النبى ﷺ: «اللهم، ابعث إليه كلباً من كلابك».

ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه، فقال: يا بنى ما قلت له؟ فذكر ما قال له.

قال: فما قال لك؟

قال: قال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك».

قال: يا بنى والله ما آمن عليك دعاءه^(٤).

وفى رواية عروة بن الزبير: أن عتبة بن أبى لهب وكان تحته بنت رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى الشام، فقال: لآتين محمداً فلاؤذينه.

فأتاه فقال: يا محمد! هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذى دنا فتدلى، ثم

(١) الإبالة: الحزمة الكبيرة.

(٢) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك تعلق بأصواف الغنم، وهو السعدان.

(٣) تفسير القرطبي (١٠ / ٧٣٣٠).

(٤) ابن كثير (٨ / ٤٢١).

تفل في وجه رسول الله ﷺ وردَّ عليه ابنته وطلقها، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك».

وكان أبو طالب حاضراً، فوجم لها وقال: ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة،... فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره^(١).

فسرنا حتى نزلنا الشراة^(٢)، وهى مأسدة^(٣)، فنزلنا إلى صومعة راهب، فقال: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد، فإنها تسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم، فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سنى وحقى، وإن هذا الرجل قد دعا على ابنى دعوة والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابنى عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا فجاء الأسد فشمَّ وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد؛ تقبَّض، فوثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة^(٤)، ففضح^(٥) رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد.

فانظر أخى يرحمك الله.. لما تفل في وجه رسول الله ﷺ أتى الأسد، فشم وجهه، وفضح رأسه، لم يأكله من يديه أو رجله، وإنما وجهه بوجه.



(١) القرطبي (٩/٦٢٥٣).

(٢) الشراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ. وفي اللسان: موضع تُنسب إليه الأسد. يقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشرى، والشرى طريق فى سلمى كثير الأسد.

(٣) الأرض كثيرة الأسود.

(٤) أى ضربه ضربة.

(٥) أى: شدخه.

عقبة بن أبي معيط

هذا الشقى الذى أذى رسول الله ﷺ ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله ﷺ ، ففُطعت عنقه جزاء وفاقاً.

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد، من بين قريش؟ قال: «نعم، أتدرون ما صنع هذا بى؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عينيّ ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى».

وذهب عقبة إلى مزبلة التاريخ، وأطيح بعنقه جزاء كفره وعناده وحسده للإسلام ورسوله ﷺ.

أبى بن خلف

* قال ابن إسحاق: كان أبى بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة، فيقول: يا محمد! إن عندى العوذ، فرساً أعلفه فى كل يوم فرقاً^(١) من ذرة، أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»^(٢).

* قال ابن كثير: عن عروة بن الزبير قال: كان أبى بن خلف أخو بنى جمح، قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال: «بل أنا أقتله إن شاء الله». فلما كان يوم أحد أقبل أبى فى الحديد مقنّعاً، وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله

(١) بفتح الراء وإسكانها: مكيال يسع تسعة عشر مثناً، وقيل: اثنا عشر مثناً.

(٢) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة: أحد ١٦٢.

ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقى رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فُرجة بين سابعة الدرع والبيضة، فطعنه فيها بالحربة فوقع إلى الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه، وهو يخور خوار الثور.

فقالوا له: ما أجزعك، إنما هو خدش؟

فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «أنا أقتل أביاً».

ثم قال: والذي نفسى بيده، لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لما توا أجمعون.

* وفى رواية: أنه لما رجع إلى قومه، وقد خدشه الرسول ﷺ بالحربة خدشاً غير كبير، قال: قتلنى والله محمد.

قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله ما بك من بأس.

قال: إنه قد كان قال بمكة: «أنا أقتلك»، فوالله لو بصق علىّ لقتلنى، فكان هذا الشقى هو الوحيد الذى قتله رسول الله ﷺ بيده الكريمة^(١).

عبد الله بن قمئة

* قال ابن حجر: ومجموع ما ذكر فى الأخبار أنه ﷺ شجَّ وجهه، وكُسرت ربايعيته، وجُرحت وجنته، وشفته السفلى من باطنها، وهى منكبه من ضربة ابن قمئة وجحشت ركبته^(٢).

وعند ابن هشام من حديث أبى سعيد الخدرى: أن عبد الله بن قمئة جرحه - أى: الرسول ﷺ - فى وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ﷺ.

(١) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة: أحد ١٦٣.

(٢) فتح البارى (٧/٤٣١).

فماذا كان جزاء هذا الشقى؟!

قال عبد الرحمن بن زيد بن جابر: إن الذي رمى رسول الله ﷺ بأحد، فجرحه في وجهه، قال: خذها مني وأنا ابن قمئة، فقال: «أقمأك الله».

قال: فانصرف إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافها على ذروة جبل، فدخل فيها فشدَّ عليه تيسُها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع. وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أحد، فشجَّ وجهه وكسر ربايعته، فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ، وهو يمسح الدم عن وجهه: «ما لك، أقمأك الله». فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعَه قطعةً قطعةً (١). وكان جزاؤه من جنس عمله.

فانظر رحمك الله . . لم يرسل الله عز وجل إلى ابن قمئة ملكاً؛ لينتقم لنبيه ﷺ، وإنما سلط عليه تيساً قطعَه، وألقاه من فوق الجبل، لهوانه على الله.

الأرض تلفظ من أراد أن يخذع رسول الله ﷺ

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رجلٌ نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانياً فكان يقول: ما يدرى محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه.

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١٣٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٧): رواه الطبراني وفيه حفص ابن عمر العبدري وهو ضعيف.

فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه.

الله يرسل صاعقة على رجل رفض الاستجابة

لرسول الله ﷺ

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوهم إلى الله تبارك وتعالى؛ فقال: أيش ربك الذي تدعوني إليه؟! من حديد هو؟! من نحاس هو؟! من فضة هو؟! من ذهب هو؟!

فأتى النبي ﷺ فأخبره فأعاد النبي ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك فأتى النبي ﷺ فأخبره فأرسله الثالثة، فقال مثل ذلك فأتى النبي ﷺ فأخبره فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته»، فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (١) (٢).



(١) سورة الرعد: الآية: (١٣).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣/١٢٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٤٢): رواه أبو يعلى والبخاري بنحوه إلا أنه قال إلى رجل من فراعنة العرب وقال الصحابي فيه: يا رسول الله إنه أعتى من ذلك وقال: فرجع إليه الثالثة قال: فأعاد عليه ذلك الكلام فيينا هو يكلمه؛ إذ بعث الله سبحانه حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، وبنحو هذا رواه الطبراني في الأوسط وقال: فرعدت وأبرقت، ورجال البخاري رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة وفي رجال أبي يعلى والطبراني على بن أبي سارة وهو ضعيف.

حب الصحابة للنبي ﷺ ودفاعهم عنه

* لقد كان الواحد من أصحاب النبي ﷺ يتمنى أن يفديه بحياته وأن يبذل نفسه وماله وولده فداء لرسول الله ﷺ .

* حتى إن الواحد منهم كان يُصدر كلامه مع رسول الله ﷺ بتلك الكلمات: بأبي أنت وأمي يا رسول الله .

أبو بكر الصديق ومحبته للنبي ﷺ ودفاعه عنه

لقد أحب أبو بكر رضي الله عنه النبي ﷺ حُبًّا مَلَكَ عليه لُبُّه وفؤاده وجوارحه؛ حتى إنه كان يتمنى أن يفدى النبي ﷺ بنفسه وولده وماله والناس أجمعين .

تقول عائشة رضي الله عنها: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: «يا أبا بكر إنا قليل» .

فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله، وإلى رسول الله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر، وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن زبيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويحرفها لوجهه، ونزَّ (أي: وثب) على بطن أبي بكر، حتى ما يُعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم (قوم أبي بكر) يتعادون، فأجلت قريشاً عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكُّون في موته،

ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله؟ فمَسُوا منه بالسنتهم وعذلوه، ثم قاموا، وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه.

فلما خلت به ألحَّت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لى علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله.

فقالت: ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت.. قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفًا، فدنت أم جميل وأعلنت الصياح، وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أملك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالمٌ صالحٌ.

قال: أين هو؟

قالت: فى دار ابن الأرقم.

قال: فإن لله على ألا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً، حتى آتى رسول الله ﷺ.

فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرِّجْل، وسكن الناس خرجتا به يتكىء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبَّله، وأكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبى وأمى يا رسول الله، ليس بى بأس! إلا ما نال الفاسق من

وجهي، وهذه أُمِّي بَرَّةٌ بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار، قالت: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت^(١).

موقف يعجز القلم عن وصفه

وها هي صفحة مشرقة من حياة الصديق ﷺ الذي بذل نفسه وماله فداءً لله وفداءً لرسول الله ﷺ.

فعن علي بن أبي طالب، قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فذا يجباه^(٢)، وهذا يُتْلَتله^(٣)، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟

قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجبأ هذا، ويتلثل هذا، وهو يقول: ويلكم! ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٤)، ثم رفع (علي) بُردَةً كانت عليه، فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خيرٌ أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا تحببوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتُم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه»^(٥).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء الكعبة؛ إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٩، ٣٠) بسند رجاله ثقات، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٦، ٤٧): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن أبي الحارث، وهو ثقة، انظر حلية الأولياء (١/ ٣٢).

(٢) يجباه: أي: يفجأه ويبيغته.

(٣) يتلثله: يحركه ويزعزعه من مكانه.

(٤) سورة غافر: الآية: (٢٨).

(٥) تاريخ الخلفاء (ص ٣٧).

فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (١)(٢).

على بن أبي طالب رضي الله عنه يفضي النبي ﷺ ليلة الهجرة

ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» اجتماع شياطين قريش في دار الندوة، واستقر رأيهم على ما قاله أبو جهل بن هشام. أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلدًا نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل - الدية - فعقلناه لهم.

فتفرق القوم على ذلك وهم مُجمعون عليه، فأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «نَمْ عَلَى فِرَاشِي، وَتَسْبِجْ بِرُدى هَذَا الْحَضَرَمِى الْأَخْضَرِ، فَنَمَ فِيهِ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلَصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكَرَّهَهُ مِنْهُمْ» (٣).

وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرده ذلك إذ ينام. حمى المغوار (على) الدعوة في شخص نبيها ﷺ ونام في فراشه في أصعب ليلة مرت بها الدعوة... رجل ينام في الفراش وهو يعلم أن على

(١) سورة غافر: الآية: (٢٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٨٥٦) كتاب المناقب.

(٣) رواه ابن كثير في السيرة النبوية (٢/٢٢٩).

الباب رجلاً، لا يريدون إلا رأس النائم على الفراش، فلما قلق به الفراش ليلة من أجل نبيه، أسعد الله فراشه بفاطمة بنت نبيه عليها السلام التي تجلبت في جلباب كمالها.

الزبير بن العوام رضي الله عنه ودفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم

وفي يوم من الأيام سرت إشاعة بين الناس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قُتل فما كان من الزبير إلا أن أخذ سيفه وخرج على الناس كالإعصار المدمر يريد أن يتثبت من الخبر فلقيه الحبيب صلى الله عليه وسلم فقال: «مالك يا زبير؟».

قال: أخبرت أنك أخذت - قُتلت - فصلّي عليه ودعا له ولسيفه.

وفي رواية: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مالك؟».

قال: أخبرت أنك أخذت.

قال: «فكنت صانعاً ماذا؟».

قال: كنت أضربُ به مَنْ أخذك. فدعا له ولسيفه^(١).

محمد بن مسلمة رضي الله عنه ودفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ولقد بلغ (محمد بن مسلمة) رضي الله عنه درجة عالية في الولاء والبراء، وذلك حينما ذهب إلى كعب بن الأشرف؛ ليقتله إرضاءً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم . . على الرغم من أنه من قرابته.

عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله» فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله! أتحب أن أقتله؟

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١١/٢٤١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/٥٩٤)، والحاكم في المستدرک (٣/٣٦٠، ٣٦١)، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات.

قال: «نعم» . . فذهب إليه ومعه مجموعة من الصحابة فقتلوا كعب بن الأشرف^(١).

فيا له من موقف يظهر فيه الولاء والبراء جلياً واضحاً كالشمس في رابعة النهار . . فهو يقتل قريبه من أجل أنه آذى الله ورسوله ﷺ .

حسان بن ثابت رضي الله عنه ودفاعه عن النبي ﷺ

* روى مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً فإنه أشدُّ عليها من رشق بالنبل» فأرسل إلى ابن رواحة فقال: «اهجهم» فهجاهم فلم يُرض، فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت . فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فرى الأديم .

فقال رسول الله ﷺ: «لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريشاً بأنسابها، وإن لى فيهم نسباً حتى يُلخص لك نسبى» فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله! قد لخص لى نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلكنك منهم كما تُسلُّ الشعرة من العجين .

قالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله» .

وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى» . قال حسان:

هجوتُ محمداً فأجبتُ عنه

وعند الله فى ذاك الجـزاءُ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥١٠) كتاب الرهن، ومسلم (١٨٠١) كتاب الجهاد والسير .

هَجُوتَ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا

رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتَهُ الْوَفَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي

لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ^(١)

* فَيَا لَيْتَنَا نَرْفَعُ هَذَا الشَّعَارَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي

لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

* فَنَحْنُ نَفْدِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَرْوَاحِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَبَائِنَا

وَأُمَّهَاتِنَا.

الصَّحَابَةُ يَبْذُلُونَ حَيَاتَهُمْ

دَفَاعًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ

* وَفِي غَزْوَةِ أَحَدٍ لَمَّا عَصَى الرَّمَاةُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَزَلُوا مِنْ عَلَى الْجَبَلِ فَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ وَاسْتَطَاعَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَقْتُلُوا سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَرَادُوا بَعْدَ ذَلِكَ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَادَى النَّبِيُّ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَثَبَتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَفَرٌ قَلِيلٌ مِنْهُمْ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَأَبُو دَجَانَةَ، وَأَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَلَمَّا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ صَوْتَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَنَادِي عَلَى أَصْحَابِهِ «هَلُمَّ إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ» هَاجَمُوهُ وَأَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ فَقَامَ تِسْعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَدَافِعُونَ عَنْهُ بِكُلِّ حَبٍّ وَتَفَانٍ وَبَطُولَةٍ لَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ لَهَا مِثْلًا^(٢).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) رواه أحمد (٣/٣٧٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن

إسحاق فهو صدوق حسن الحديث.

سبعة من الأنصار يبذلون حياتهم

دفاعاً عن النبي ﷺ

* عن أنس رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه ^(١)، قال: «من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقى فى الجنة»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رهقوه أيضاً، فقال: «من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقى فى الجنة» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك، حتى قُتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «ما أنصفنا أصحابنا» ^(٢).

* وكان آخر هؤلاء السبعة هو: عمارة بن يزيد بن السكن قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط ^(٣) . . . وبعد ما قُتل عمارة بن يزيد، لم يبق مع النبي ﷺ سوى طلحة وسعد رضي الله عنهما.

أوجب طلحة رضي الله عنه يوم أحد

* وعن جابر قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ فى ناحية فى اثنى عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبي ﷺ: «مَنْ للقوم؟».

قال طلحة: أنا.

قال: «كما أنت».

فقال رجل: أنا.

(١) رهقوه: غشوه وقربوا منه وأدركوه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٩) كتاب الجهاد والسير.

(٣) وبعد لحظة فاءت إلى الرسول ﷺ فئة من المسلمين، فأجهضوا الكفار عن عمارة، وأدناه من رسول الله ﷺ، فوسده قدمه، فمات وخذه على قدم رسول الله ﷺ. ابن هشام {٢/٨١}.

قال: «أنت». فقاتل حتى قُتل، ثم التفت، فإذا المشركون فقال: «من لهم؟» قال طلحة: أنا.

قال: «كما أنت».

فقال رجل من الأنصار: أنا.

قال: «أنت». فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبي الله (طلحة)، فقال: «مَنْ للقوم؟» قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه فقال: «حسن».

فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون».. ثم ردَّ الله المشركين^(١).

وعند الطبراني: «لو قلت: بسم الله لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك».

وعند النسائي والبيهقي في الدلائل: «حتى تلج بك في جو السماء».

وعند أحمد: فقال له النبي ﷺ: «لو قلت بسم الله لرأيت يبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حيٌّ في الدنيا»^(٢).

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاءً وقى بها النبي يوم أحد. وجرح في تلك الغزوة تسعاً وثلاثين، أو خمساً وثلاثين، وشُلت أصبعه أي السبابة والتي تليها^(٣).

وقال النبي ﷺ فيه يومئذ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»^(٤).

(١) رواه الحاكم مختصراً (٣/ ٣٦٩) معرفة الصحابة، وله طرق، قال الألباني في الصحيحة رقم (٢١٧١): فالحديث حسن بمجموع هذه الطرق.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٢٩٤) وإسناده صحيح.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٠٦٣) كتاب المغازي.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٣٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٢٦).

وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة (١).

أبو طلحة رضي الله عنه ودفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لقد كان أبو طلحة رضي الله عنه ممن شهدوا بدرًا وأبلى في تلك الغزوة بلاءً حسنًا.

وفي يوم (أحد) كان من الأبطال الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ودافع عنه بكل ما يملك.

* عن أنس قال: لما كان يوم أحد، انهزم ناسٌ عن رسول الله، وأبو طلحة بين يديه مُجوبًا عليه بحجفة، وكان راميًا شديد النزع، كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل، فيقول صلى الله عليه وسلم: «انثرها لأبي طلحة»، ثم يُشرف إلى القوم.

فيقول أبو طلحة: يا نبي الله! بأبي أنت، لا تُشرف، لا يُصيبك سهم، نحري دون نحرك (٢).

كعب بن مالك رضي الله عنه يفدى النبي صلى الله عليه وسلم بحياته

* عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أحد وصرنا إلى الشعب كنت أول من عرفته فقلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأشار إليَّ بيده أن اسكت، ثم ألبسني لأمته (٣)، ولبس لأمتي، فلقد ضُربت حتى جُرحت عشرين جراحة، أو قال: بضعة وعشرين جرحًا كل

(١) فتح الباري (٧/ ٣٦١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٦٤) كتاب المغازي، ومسلم (١٨١١) كتاب الجهاد والسير.

(٣) لأمته: درعه.

من يضربني يحسبني رسول الله ﷺ» (١).

* فتأمل معي إلى فطنة وذكاء النبي ﷺ في هذا الموقف الجليل .
وتأمل أيضاً تلك الصورة المشرقة من محبة هذا الصحابي الجليل للنبي ﷺ
فهو يستعذب كل هذا الضرب من أجل أن يفدى النبي ﷺ .

سعد بن الربيع رضي الله عنه ووصيته الغالية للأَنْصار

قال زيد بن ثابت: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب (سعد بن الربيع) فقال لي: «إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟»

قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بأخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد! إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرني كيف تجدك؟»، فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ مكروه وفيكم عينٌ تطرف. وفاضت نفسه من وقته (٢).

الملائكة يدافعون عن النبي ﷺ

لا تعجب فقد قال الله - جل وعلا-: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (٣).

(١) قال الهيثمي في المجمع (١١٢/٦): رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط ثقات، ورواه أبو نعيم في الدلائل (٤٨٢/٢) من طريق ابن إسحاق، وقد صرح عنده بالسماع وسنده متصل، فالحديث صحيح.

(٢) رواه ابن هشام (٩٤/٢ ، ٩٥)، والحاكم (٢٠١/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) سورة التحريم: الآية: (٤).

* ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت رجلين عن يمين رسول الله ﷺ ، ويساره يوم أحد عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد»^(١).

أم عمارة رضي الله عنها تدافع عن النبي ﷺ

حتى المرأة المسلمة دافعت عن النبي ﷺ وأرادت أن تفديه بحياتها.

* خرجت الأسرة المؤمنة: أم عمارة وولداها عبد الله وحبيب وزوجها واندفع زوجها وأولادها يجاهدون في سبيل الله، بينما ذهبت أم عمارة تسقى العطشى وتضمّد الجرحى، ولكن ظروف المعركة جعلتها تُقبل على محاربة المشركين، وتتقف وقفة الأبطال تدافع عن رسول الله ﷺ غير هيّابة ولا وَجَلَة، وذلك عندما تفرق الناس من هول ما أصابهم في ذلك اليوم . . عندها أخذت سيفاً وترساً ووقفت بجانب رسول الله ﷺ تقيه بنفسها^(٢).

* وقاتلت أم عمارة، فاعترضت لابن قمئة في أناس من المسلمين، فضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحاً أجوف، وضربت هي ابن قمئة عدة ضربات بسيفها، لكن كانت عليه درعان فنجا، وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحاً^(٣).

عذراً يا رسول الله

أمة الإسلام . . إن تخاذل رجالنا عن نصرة محمد ﷺ ، فلقد سطر التاريخ صوراً رائعة، ومواقف باهرة، لنساء نافحن عن رسول الله ﷺ .

(١) متفق عليه رواه البخاري (٤٠٥٤) كتاب المغازي، ومسلم (٢٣٠٦) كتاب الفضائل.

(٢) نساء مبشرات بالجنة (ص ٦٥).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٣٨).

فأين رجال الأمة الذين هم أولى بالدفاع عن رسول الله ﷺ والقتال دونه، والذَّبُّ عن مكانته؟!!

فيا لله . . نساء تقاتل عن رسول الله، ورجال يتخاذلون عن نصرته، ولو بخطاب يعبر عن غضبة عُمَريّة . . نساء تُجرح في سبيل نصرة رسول الله، ورجال يُستجدون من أجل التوقف عن الاستيراد لبضائعهم . . ولكن دون جدوى!!

فعدراً يا رسول الله . . إن تخاذلنا عن الدفاع عنك؛ فإن بعضنا مشغول بالأسهم المالية!!

عدراً يا رسول الله . . فإن المال أحب إلى قلوب بعضنا منك!!
عدراً يا رسول الله . . فإن الأجبان الدائماكية أحب إلى بعضنا من الدفاع عنك!!

عدراً يا رسول الله . . فإن مصالحنا الدنيوية مقدمة عند بعضنا عليك!!
عدراً يا رسول الله . . فإننا نغضب أشد الغضب إذا اغتصبت أموالنا، ولا يغضب بعضنا لك، وأنت يُساء إليك علناً بلا حياء ولا خوف ولا وجل!!

من نواذر الحب والتضحية

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء والثناء على الله والتضرع إليه، انصرف راجعاً إلى المدينة، وقد ظهرت له نواذر الحب والتفاني من المؤمنات الصادقات، كما ظهرت من المؤمنين في أثناء المعركة.

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أُصيب زوجها وأخوها وابنها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله، كما تحبين... قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟

قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رآته، قالت: كل مصيبة بعدك جلل!!
تريد صغيرة»^(١).

من المحن تأتي المنح

* إن الله وحده هو الذى يعلم علم الحال والمآل^(٢) وهو الذى يملك مقادير الأمور، فقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

* ولا يكون الله غالباً على أمره إلا إذا كان عالماً بما يؤول إليه الحال.
ولا يكون الله غالباً على أمره إلا إذا كان قادراً على إمضاء ما يريد.
وهذا هو السرُّ فى القضاء والقدر: «العلم والقدرة».

* فالعبد لا يعلم إلا الحال الذى يظهر أمامه.. أما المآل فلا يعلمه إلا الله. ولذا قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

* ونحن نعلم أن أكبر أزمة مرت على بيت النبوة هى حادثة الإفك التى اتهمت فيها أمنا عائشة رضي الله عنها. واتهم النبى ﷺ فى عرضه ومع ذلك قال تعالى: ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٥).

(١) ابن هشام فى السيرة (٢/ ٩٩)، والبيهقى فى الدلائل (٣/ ٣٠٢)، والطبرى فى تاريخه (٢/ ٥٣٣)

بمسند ابن إسحاق إلى سعد بن أبى وقاص وسنده حسن وقد صرح بالتحديث فزالت شبهة تدليسه.

(٢) أى ما يؤول إليه الحال.. فمثلاً قد يكون الرجل فقيراً، ثم يؤول به الحال إلى أن يصبح غنياً أو يكون مريضاً فيؤول به الحال إلى أن يشفى بإذن الله.

(٣) سورة يوسف: الآية: (٢١).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢١٦).

(٥) سورة النور: الآية: (١١).

* فالشاهد أن هذه المحنة التي تمر بها الأمة الآن قد أسفرت عن باقة عطرة من المنح أذكرها باختصار؛ لأن المقام لا يسمح بالتفصيل:

(١) هذه المحنة تسببت في تذويب الحدود بين الأمة .. فالأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها اجتمعت على قلب رجل واحد لنصرة رسول الله ﷺ .

(٢) اجتماع العلماء ونسيان الخلافات والاختلافات التي كانت بينهم .

(٣) تنقية الصف المسلم من المنافقين .. ففي هذه الأزمة ظهر الذين يحبون رسول الله ﷺ ، وظهر الذين لا يخطر النبي ﷺ على بالهم لحظة واحدة .

(٤) إنه ما من جريدة، ولا مجلة، ولا قناة فضائية على وجه الأرض إلا وهي تتكلم الآن عن رسول الله ﷺ .. فلنا أن نتخيل لو أننا أردنا أن نفعل ذلك بأموالنا فكم كان يكلفنا ذلك؟

فالكون كله الآن يتكلم عن رسول الله ﷺ فما علينا إلا أن نغتنم هذه الفرصة لنُعرف الكون من هو رسول الله ﷺ .

(٥) وستسمعون في الفترة المقبلة إن شاء الله عن إسلام الآلاف والآلاف من شعب الدانمارك بل وشعوب أوروبا والعالم كله .. وليس هذا من باب العلم بالغيب وإنما من باب حُسن الظن بالله - جل وعلا - .

لو عرف الغربُ رسول الله ﷺ لأحبوه

* وأنا أقول لكم جميعاً: والله لو عرف الغرب رسول الله ﷺ لأحبوه، فالنبي ﷺ هو الذي أرسله الله رحمة للعالمين .. وبركة بعثته فاضت على المؤمنين والكافرين، فلقد رفع الله عذاب الاستئصال عن كل الأمم الكافرة ببركة بعثة النبي محمد ﷺ ..

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (١).

* بل كان يتحمل أذى المشركين ويقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون»، ولما اشتد الأذى بأصحاب النبى ﷺ جاؤوا إليه وطلبوا منه أن يدعو على المشركين فقال: «إنى لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة» (٢).
* وفوق ذلك كله فالناس جميعاً سيذهبون إليه يوم القيامة؛ ليشفع لكل أهل المحشر لبدء الحساب... وهذا هو المقام المحمود الذى أعطاه الله إياه.

* ولذا فإننى أهدى للعالم الغربى تلك الكلمات اليسيرة فى وصف بعض أخلاق النبى ﷺ:

كان النبى ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان وبلاغة القول.

* وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدبه الله بها.. وكل حلیم قد عُرِفَ منه زلة، وحُفِظَ عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حِلماً.

قالت عائشة: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً (٣).
وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره، كان يعطى عطاء من لا يخاف فقراً.

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذى لا يُجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفرَّ عنه الكمأة والأبطال غير مرة، وهو

(١) سورة الانفال: الآية: (٣٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٧٨٦) كتاب الحدود، ومسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.

ثابت لا يبرح، ومُقبل لا يُدبر، ولا يتزحزح.

وكان أشد الناس حياء وإغضاء... وقال أبو سعيد الخدري: كان أشد حياء من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئاً، عُرف في وجهه، وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف لا يشافه أحداً بما يكره حياءً وكرم نفس، وكان لا يسمى رجلاً بلغ عنه شيء يكرهه، بل يقول: «ما بال أقوام يصنعون كذا».

وكان أحق الناس بقول الفرزدق:

يغضى حياءً ويغضى من مهابته

فلا يكلم إلا حين يتسم

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك محاوروه وأعداؤه، وكان يُسمى قبل نبوته: الصادق الأمين، ويُتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام.

وكان أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم... قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشراً من البشر يفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه.

كان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، وأحسن الناس عشرة وأدباً، وأبسط الناس خلقاً، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا لعاناً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزى السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحداً يمشى خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكَل ولا ملبس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخدمه أفٍّ قط، ولم يعاتبه على فعل

شئ أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنازتهم، ولا يحقر فقيراً لفقره.

وعلى الجملة فقد كان النبي ﷺ مُحَلَّى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثيلاً عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحبَّبه إلى القلوب وصيَّره قائداً تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا في دين الله أفواجاً.

وحسبه أن الله - عز وجل - جمع له ذلك كله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

تذكروا مواقف أسلافكم مع النبي ﷺ

* إننى أريد أن أذكر الشعب الدانماركى، وغيره من الشعوب النصرانية، وغيرهم من أمم الأرض، بالمواقف السابقة لأسلافهم من النصارى، وكيف كان تعاملهم مع رسول الله محمد ﷺ، فقد كان موقفهم حضارياً حكيماً متعقلاً، بعيداً عن التشنجات النفسية، أو الانحرافات الأخلاقية، فكانت عاقبة أمرهم إلى خير فى الدنيا.

فقد بعث رسول الله محمد ﷺ رسائل إلى كسرى ملك الفرس، وإلى قيصر ملك الروم - وكلاهما لم يُسلم - لكن قيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ، وأكرم رسوله، فثبت ملكه، واستمر فى الأجيال اللاحقة، وأما كسرى فمزَّق كتاب رسول الله ﷺ، واستهزأ برسول الله ﷺ، فقتله الله بعد قليل، ومزَّق ملكه كل مُمزَّق، ولم يبق للأكاسرة ملكٌ.

* وقد ذكر المؤرخون كيف كانت ملوك النصارى يعظمون ذلك الكتاب الذى بعث به النبى ﷺ .

* وفى هذا يقول الإمام العالم الحافظ ابن حجر: ذكر السهيلي أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب فى قصبة من ذهب، تعظيماً له، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج الذى تغلب على طليطلة، ثم كان عند سبطه، فحدثنى بعض أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب، فلما رآه استعبر، وسأل أن يمكنه من تقبيله فامتنع .

* ثم ذكر ابن حجر عن سيف الدين فليح المنصورى أن ملك الفرنج أطلعه على صندوق مُصَفَّح بذهب، فأخرج منه مقلمة ذهب فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه، وقد التصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدى قيصر، مازلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آبائنا أنه مادام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ، ونُعظمه ونكتمه عن النصارى؛ ليدوم الملك فينا .

ثم أما للشعب الدانماركى النصرانى وغيرهم من النصارى أسوة بالملك النصرانى النجاشى ملك الحبشة، فإنه لما قرأ عليه الصحابى جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه صدرًا من سورة مريم بكى النجاشى حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشى: إن هذا - والله - والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . . ولذلك فلقد أسلم بعد ذلك . . ولما مات صلى عليه النبى ﷺ صلاة الغائب .

أقوال المنصفين

إن المنصفين من المشاهير المعاصرين عندما اطلعوا على سيرة رسول الله محمد ﷺ لم يملكوا إلا الاعتراف له بالفضل والنبل والسيادة، وهذا طرفٌ من أقوال بعضهم:

* يقول (مهاتما غاندى) فى حديث لجريدة «ينج إنديا»: أردت أن أعرف صفات الرجل الذى يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر . . لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التى من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه فى الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة فى ربه، وفى رسالته. . . هذه الصفات هى التى مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائى من قراءة الجزء الثانى من حياة الرسول وجدت نفسى أسفياً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة.

* ويقول الإنجليزى (برنارد شو) فى كتابه «محمد» (والذى أحرقته السلطة البريطانية): إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد، هذا النبى الذى وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المذنبات، خالداً خلود الأبد، وإنى أرى كثيراً من بنى قومى قد دخلوا هذا الدين على بيّنة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح فى هذه القارة - يعنى: أوروبا.

إن رجال الدين فى القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمد صورةً قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكننى اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب أن يُسمى مُنقذ البشرية، وفى رأى أنه لو

تولى أمر العالم اليوم، لوفّق في حل مشكلاتنا بما يؤمّن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.

كيف ننصر رسول الله ﷺ ؟

إننى أريد أولاً أن نرجع إلى عهد النبی محمد ﷺ لنرى كيف بايعه الأنصار بيعة العقبة الثانية . . . فإنهم لما ذهبوا إليه، قالوا له: علام نبايعك يا رسول الله؟

فقال لهم ﷺ: «تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى أن تقولوا الحق ولا تخافوا فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة» (١).

* فهذه البيعة فى عنق كل مسلم ومسلمة.

وأنت إذا نصرت الله ونصرت رسول الله ﷺ فاعلم أن الله سينصرك فقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٣).

* ولكن لا بد أن تعلم أن النصر ليس هو النصر على العدو فحسب . . وإنما النصر الحقيقى أن تموت وأنت على الحق . . قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٤).

* وأنا أذكر لك هذا المثال؛ لتعلم أن النصر الحقيقى ليس هو النصر على الأعداء فحسب بل هو أن تموت على الحق قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ

(١) صحيح: رواه أحمد (١٤٠٤٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٣).

(٢) سورة محمد: الآية: (٧).

(٣) سورة الحج: الآية: (٤٠).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

لَا غَلِبَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾ .
وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهَادُ ﴾ ﴿٢﴾ .

ومع ذلك فلقد قُتل كثير من الأنبياء والمرسلين فهل خذل الله أنبياءه بأن
تركهم ليُقتلوا؟ كلا.. بل إن الله أراد أن يجمع لهم مرتبة الشهادة مع مرتبة
الرسالة .

* إذا فعلينا أن نجدد بيعة العقبة في قلوبنا وأن ننصر رسول الله ﷺ ،
وأن ننصر سنته وشريعته وأن نتمسك بها حتى نموت على ذلك .
ولذا فإنني أذكر لحضراتكم بعض الأشياء التي ننصر بها رسول الله ﷺ :
(١) مقاطعة أفكار الغرب ومعتقداته:

فقبل أن نتكلم عن المقاطعة الاقتصادية فلا بد أن نقاطع أفكارهم، فإنه
ليس من المعقول أن نقاطع منتجاتهم ونحن نقلدهم في عاداتهم وتقاليدهم
وملابسهم وتسريحة شعرهم وطريقة كلامهم .

(٢) المقاطعة الاقتصادية:

لأن هؤلاء الناس يخافون على دنيائهم كل الخوف .. ولذلك فأنا أوجه
هذا النداء لرجال الأعمال المسلمين ولعامة المسلمين ليقاطعوا منتجات هؤلاء
القوم .

فيا رجال الأعمال .. ويا تجارنا الكرام ..

أبو بكر نصر الإسلام في وقت الردة، والإمام أحمد نصر الإسلام في
وقت المحنة، وأنتم جاء دوركم، وحان وقتكم في نصرة نبيكم ﷺ ، لا بد
أن تكون لكم مواقف حازمة، ومآثر رائعة غيرة لنبيكم ﷺ .

(١) سورة المجادلة: الآية: (٢١).

(٢) سورة غافر: الآية: (٥١).

يا رجال الأعمال .. أوقفوا كل التعاملات التجارية مع الدانمارك، حتى يتم الاعتذار علنياً ورسمياً من تلك الصحيفة، وتذكروا أن المال زائل، لكن المآثر باقية مشكورة في الدنيا والآخرة، وأعظمها حب رسول الله ﷺ والانتصار له.

ولكم أسوة في الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول، في موقفه الحازم من أبيه، عندما آذى رسول الله ﷺ، وكيف أنه أجبر أباه على الاعتذار لرسول الله ﷺ، وإلا منعه من دخول المدينة، في الحادثة التي سجلها القرآن الكريم: ﴿يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وثبت أن المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول تكلم على رسول الله ﷺ بكلام قبيح، حيث قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل، فعلم ولده عبد الله بذلك فقال لوالده: والله لا تفلت حتى تُقر أنك أنت الذليل ورسول الله ﷺ العزيز!!

الله أكبر .. هكذا يغضب الرجال لرسول الله، وهكذا ينتصر الأبطال لنبي الله!!

لم يأذن لوالده بدخول المدينة؛ حتى يقر بأنه هو الذليل ورسول الله ﷺ هو العزيز... وقد فعل ..

لم يجمال والده!! لم يداهن من أجل قرابته!!
لم يتنازل عن الدفاع عن رسول الله من أجل مصالحه، فهو والده ومن ينفق عليه!!

إنه الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، يصنع الأعاجيب!
فهل يستجيب رجال الأعمال لهذا الواجب في الغيرة لنبيهم ﷺ؟

وهل يكفون عن التعامل التجارى مع الدانمارك؛ حتى يتم تقديم الاعتذار الرسمي، واشتراط عدم تكرار هذه الجريمة؟! وأنتم أيها المسلمون .. أتعجزون عن مقاطعة منتجاتهم، غيرة لبيكم ﷺ؟!!

حتى يعلم أولئك الأوغاد أن لرسول الله ﷺ أنصاراً، لا يرضون أن يُدنَّس جنابه، أو أن يُمسَّ عرضه بسوء ودون ذلك حزُّ الرؤوس:
فلان أبى ووالده وعرضى

لعرض محمد منكم وقاء

فيا أمة الإسلام .. من ينتصر لرسول الله؟! من ينتصر لرسول الله؟! من ينتصر لمحمد ﷺ الذى ضحى بكل ما يملك من أجل أن يصل إلينا هذا الدين؟!!

فكم أؤذى من أجلنا؟! كم طُرد من أرضه من أجلنا؟! أنعجز بعد هذا الجهد، وذاك النَّصَب، أن نقاطع منتجات الدانمارك؟! أو نكتب إلى سفارتهم خطاباً نعبر فيه عن غضبنا عما حصل من تلك الصحيفة!! نعم أيها المسلمون .. آن لنا والله أن نقف وقفةً جادة، ونفجر غضبنا بالأفعال التى لا يمكن تجاهلها ..

تعالوا لنطعنهم فى شريانهم الرئيسى، وفى سر قوتهم، تعالوا نطعنهم فى اقتصادهم، دون أن نخسر شيئاً .. ونكون بذلك قد حططنا جزءاً من كبريائهم، ولا يقل قائل كم سيكون حجم مقاطعتى، فإن المطلوب منك أن تبرئ ذمتك أمام الله تعالى .. يقول النبى ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألستكم»^(١).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٠٤) كتاب الجهاد، والنسائى (٣٠٩٦) كتاب الجهاد، وأحمد (١١٨٣٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٨٢١).

(٣) أن نتعلم سيرة الرسول ﷺ :

من خلال اقتناء كتاب في السيرة؛ لنقرأه على أولادنا وأزواجنا وآبائنا وأمهاتنا؛ لنعرف كيف تعب النبي ﷺ وضحي من أجل أن نكون مسلمين فزداد له حباً ﷺ .

- وأقترح على إخواني وأخواتي هذا الكتاب الذي كتبه عن سيرة الرسول ﷺ . . واسم الكتاب: «سيرة الرسول ﷺ» وهو كتاب محقق وفي نفس الوقت سهل وبسيط ويجمع لكم السيرة كاملة بعيداً عن الروايات الضعيفة . . وهو كتاب أثني عليه - بفضل الله وحده - كل من قرأه من علماء مصر والمملكة العربية السعودية .

- وليس هذا من باب الترويج لسلعة تجارية؛ فالكتاب يتم توزيعه في أكثر دول العالم - ولله الحمد - ولكن هذا من باب الدلالة على الخير .

(٤) العودة إلى هدى رسول الله ﷺ وسنته:

إن سنة النبي ﷺ هي بمثابة طوق النجاة من هذه الفتنة التي تملأ الكون ولذا قال ﷺ : «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن ينفركا حتى يردا عليَّ الحوض»^(١).

* فلا بد أن نتعلم سنة النبي ﷺ ونعلمها لكل من حولنا لنسعد جميعاً في الدنيا والآخرة . . وليسعد بنا النبي ﷺ عندما نلقاه على الحوض، فنشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً .

(٥) أن ندعو الكون كله إلى دين الله بخلق رسول الله ﷺ :

الكون كله الآن يسمع عن رسول الله ﷺ . . فهيا لنطرق على الحديد وهو ساخن فندعو الكون كله إلى دين الله . . ولكن بخلق رسول الله ﷺ .

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (١/١٧٢)، والدارقطني (٤/٢٤٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

- ندعو الناس برحمة وحنان حتى لا نكون فتنة لمن حولنا فلقد قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١).

* ولنحذر جميعاً أن نقع فيما وقع فيه الغرب... فإذا سبوا فلا نسب وإذا اعتدوا فلا نعتدي؛ لأننا نريد أن نريهم أخلاق النبي ﷺ؛ ليعلموا أن الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله سواه.. وأن النبي ﷺ هو سيد ولد آدم الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

* فلتتحرك من الآن لنصرة رسول الله ﷺ.. ولنجتهد قدر استطاعتنا في أن نستخدم كل الوسائل التي تحت أيدينا في دعوة الكون كله إلى دين الله. وذلك من خلال استخدام كل المواقع الإسلامية على الإنترنت، ومن خلال توزيع الكتب والأشرطة التي تتكلم عن رسول الله ﷺ، وعن أخلاقه فعسى الله أن يجعلنا سبباً في هداية هؤلاء الناس.. وقد قال ﷺ - كما في الصحيحين -: «ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النَّعَم» (٢).

* إننا نريد أن نرفع شعار سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي رفعه في يوم بدر، فقال للنبي ﷺ: كأنك تريدنا نحن يا رسول الله.

- نعم... النبي ﷺ يريدك أنت أيها الأخ الحبيب ويريدك أنت أيتها الأخت الفاضلة.. يريدنا أن ننصره وأن ندعو الكون كله إلى هديه وسنته وأن نعرف الكون كله من هو رسول الله ﷺ.

* ولا ننسى أبداً أن النبي ﷺ أخبر أن الإسلام سيصل إلى مشارق الأرض ومغاربها ولن يترك الله بيت مدر ولا بيت وبر إلا أدخله الله هذا الدين.

(١) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٠١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

* فنسأل الله جل وعلا أن يشرح صدور الناس للإسلام، وأتباع سيد
الأنام محمد بن عبد الله ﷺ .
وصلّى الله على نبينا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

استجيبوا لربكم يا شباب

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).
 أما بعد :

فإن الحق (جل وعلا) وهو الرحمن الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه والذي لا تنفعه طاعتنا ولا تضره معصيتنا . . ومع ذلك فهو يدعونا لنستجيب له حتى نفوز بالجنة والرضوان . . . فهو القائل سبحانه وتعالى :
 ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (٤).
 وهو القائل : ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة النساء: الآية: (١٤٨).

تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١﴾ .

ومع ذلك يأتينا نداؤه ليلاً ونهاراً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢) .

ولكى تكون الاستجابة سهلة ميسورة أرسل الله تعالى رسوله ﷺ ليُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .
قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣) .

وظل الحبيب ﷺ يدعو الناس إلى نعمة التوحيد والإيمان فأعرض أكثر الناس عن دعوة الحق حتى كاد النبي ﷺ أن يموت حزناً على هؤلاء الذين جعل الله بينهم وبين الهداية حجاباً كثيفاً .
قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥) .

فلما مات الحبيب ﷺ جعل الله سنته باقية بينهم لتكون نوراً تُضيء لهم طريقهم إلى الله .

وجاء هذا الإنذار والتحذير من العليم الخبير لكل من أعرض عنه ورفض أن يستجيب لأمره ونهيه فقال تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا

(١) سورة الزمر: الآية: (٧) .

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٢٤) .

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٢٨) .

(٤) سورة الكهف: الآية: (٦) .

(٥) سورة القصص: الآية: (٥٦) .

مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿١﴾.

فما أجمل أن تنقاد القلوب إلى علام الغيوب فتأتمر بأمره وتنتهي عن نهيه لدخول جنة الدنيا التي تُثمر لنا جنة الآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

فيا من أسرفت على نفسك بالذنوب والمعاصي ويا من ملأت قلبك بحب الدنيا وشهواتها الفانية هيا نلبي دعوة الرحمن فهو يدعونا جميعاً إلى دار السلام (الجنة).

فهو القائل سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣).

فاللهم ارزقنا قلوباً حية تستجيب لأمرك ونهيك لنكون مع هذا الصنف الكريم الذي قلت في وصفهم: ﴿لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٤).

كتبه الفقير إلىٰ عضو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

(١) سورة الشورى: الآية: (٤٧).

(٢) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٣) سورة يونس: الآية: (٢٥).

(٤) سورة الرعد: الآية: (١٨).

والله يدعو إلى دار السلام

وها هي دعوة مباركة تأتي إليكم من فوق سبع سماوات . . .
مكتوب فيها: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١).

الله يدعوكم جميعاً إلى جنته التي غرس كرامتها بيديه .
قال تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (٢).

وقد يسأل سائل ويقول: كيف أستجيب لتلك الدعوة الكريمة وأنا صاحب ذنوب كثيرة بل وكبيرة؟!

أقول: يا أخى الحبيب ألم تسمع قول الله عز وجل ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿ (٤).

فاعلم أيها الأخ الحبيب أن استجابتك لأمر الله سبب من أسباب مغفرة تلك الذنوب . . . قال تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٥).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط

(١) سورة يونس: الآية: (٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤)، كتاب بدء الخلق؛ ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٢).

(٤) سورة الفرقان: الآيتان: (٧٠-٧١).

(٥) سورة الأحقاف: الآية: (٣١).

يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»^(١).

فيا أيها الإخوة الكرام ويا أيتها الأخوات الفضليات: استجيبوا لتلك الدعوة المباركة وأدركوا أنفسكم بالتوبة قبل أن يدرككم الموت . . أدركوا رحمة الله قبل أن يدرككم غضبه وعذابه . . أدركوا جنة الرحمن قبل أن يدرككم العذاب في النيران . . واعلموا أن رحمة الله سبقت غضبه.

التوحيد أولاً

ونحن عندما نتكلم عن الاستجابة لأمر الله فينبغي أن نعلم أن المقصود من تلك الاستجابة هو تحقيق التوحيد لله تعالى . . فإن نعمة التوحيد هي أعظم نعمة يُنعم بها الله (جل وعلا) علينا.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها، أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيتُهُ بمثلها مغفرة»^(٢).

وتعالوا بنا لتأمل هذا المشهد المهيّب الذي تتجلى فيه نعمة التوحيد.

قال ﷺ: «إنَّ الله سيخلصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب؛ فيقول: أفلَكَ عذرٌ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء^(١).

شجرة في القلب

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها والأنفاس ثمرها. فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجداد (جنى الثمر) يوم المعاد، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها. والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة... وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك. والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب، ثمرها في الدنيا الخوف والههم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم وقد ذكر الله هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم^(٢).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٣).

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢٦٣٩) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٤٣٠٠) كتاب الزهد، وأحمد (٦٩٥٥)

مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٧٦).

(٢) الفوائد (ص ٢٣٨).

(٣) سورة إبراهيم: الآيات: (٢٤-٢٧).

المؤمن يعبد إلهاً واحداً

إن المؤمن الصادق لا يقارن أبداً بين شهوات الدنيا ونعيم الآخرة، أو بين طاعة العباد، وبين طاعة رب العباد.

فهو يعبد إلهاً واحداً ويبتغي رضا رب واحد ويراعى أوامر ملك واحد.. وهكذا يستريح قلب المؤمن لأنه جعل همه كله فى طاعة الله والعمل لنصرة دين الله.

أما المنافق فهو الذى يستطيع أن يرضى كل الناس فيلقى هذا بوجه.. وهذا بوجه (وشر الناس عند الله ذو الوجهين)، ولكن هذا المنافق لا يستطيع أبداً أن يظفر برضوان الله ولا بمحبته.. قال ﷺ: «من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس» (١).

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

فهذا الرجل الذى هو عبدٌ لأكثر من رجل (هو أشقى الناس) لأنه لو أراد أن يرضى واحداً منهم لم يستطع أن يرضى الآخر لأن كل واحد يأمره بأمر مخالف لأمر الآخر.. أما المؤمن فهو لا يعبد إلا الله وبذلك تتوحد همته ويطمئن قلبه لأنه لا يفعل إلا ما يرضى ربه، وهو يعلم أن ربه رحيمٌ رحمن - إن تقرب إليه العبد بالطاعة تقرب إليه بالرحمة والغفران ويختتم له ذلك بالنعيم والرضوان.



(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٤) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١٠).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٢٩).

ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له» (١).

فأين من يقوم الليل ليتعرض لنفحة من نفحات رحمة الله (جل وعلا) عسى الله أن يفرج الهموم والغموم وعساه أن يغفر الذنوب ويستر العيوب وعساه أن ينجيننا من كربات يوم القيامة عندما تكثر الحسرة والندامة. وعساه يسترنا في دار الستر (جنة الرحمن) التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

كلكم ضال إلا من هديته

الله أكبر . . . إن الهداية منحة ربانية يقذفها الله تعالى في قلب من يشاء من عباده ولذلك فإن العبد المؤمن يلجأ إلى ربه ويستغيث به ليلاً ونهاراً أن يرزقه نعمة الهداية، وأن يثبت قلبه عليها ولسان حاله ومقاله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٢).

قال تعالى عن جزاء هذا الصنف الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤٧) ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تكون الجنة أورتهموها بما كنتم تعملون ﴿ (٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٨).

(٣) سورة الأعراف: الآيتان: (٤٢-٤٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المحيط إذا أُدخل البحر، يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم؛ ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» (١).

فاللهم ارزقنا الهداية وثبت قلوبنا عليها حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

الله يفرح بتوبتك

قال ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال - من شدة الفرح - : اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح» (٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٩) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٤٧) كتاب التوبة، واللفظ له.

حكمة جليلة

ولكى يتضح معنى هذا الحديث الجليل فتعالوا بنا لنطوف بين تلك الباقية العطرة من الكلمات التى تنزل على القلب كتتزل حبات المطر على الأرض الهامدة فإذا هى تهتز وتنبت من كل زوج بهيج .

* يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - موضحاً الحكمة من فرح الرب (جل وعلا) بتوبة عبده وعودته إليه مرة أخرى :

إن الله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمحبتة والخضوع له وطاعته . وهذا هو الحق الذى خلقت به السموات والأرض، وهو غاية الخلق والأمر . ونفيه - كما يقول أعداؤه - هو الباطل، والعبث الذى نزه الله نفسه عنه، وهو السدى الذى نزه نفسه عنه: أن يترك الإنسان عليه . وهو سبحانه يحب أن يُعبدَ ويطاع ولا يعبأ بخلقه شيئاً لولا محبتهم له، وطاعتهم له، ودعاؤهم له .

فإذا خرج العبد عما خلق له من الطاعة والعبودية . فقد خرج عن أحب الأشياء إليه، وعن الغاية التى لأجلها خلقت الخليقة . وصار كأنه خلق عبثاً لغير شيء؛ إذ لم تخرج أرضه البذر الذى وضع فيها . بل قلبته شوكة ودغلا . فإذا راجع ما خلق له وأوجد لأجله . فقد رجع إلى الغاية التى هى أحب الأشياء إلى خالقه وفاطره . ورجع إلى مقتضى الحكمة التى خلق لأجلها . وخرج عن معنى العبث والسدى والباطل . فاشتدت محبة الرب له فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فأوجبت هذه المحبة فرحاً كأعظم ما يقدر من الفرح . ولو كان فى الفرح المشهود فى هذا العالم نوع أعظم من هذا الذى ذكره النبى ﷺ لذكره، ولكن لا فرحة أعظم من فرحة هذا الواجد الفاقد لمادة حياته وبلاغه فى سفره، بعد إياسه من أسباب الحياة بفقده . وهذا كشدة محبته لتوبة التائب المحب إذا اشتدت محبته للشيء

وغاب عنه، ثم وجدته وصار طوع يديه.
فلا فرحة أعظم من فرحته به.

فما الظن بمحبوب لك تحبه حباً شديداً، أسره عدوك، وحال بينك وبينه. وأنت تعلم أن العدو سيسومه سوء العذاب، ويعرضه لأنواع الهلاك. وأنت أولى به منه. وهو غرسك وتربيتك، ثم إنه انفلت من عدوه، ووافاك على غير ميعاد. فلم يفجأك إلا وهو على بابك، يتملقك ويترضاك ويستعينك، ويُمِرغ خديه على تراب أعتابك فكيف يكون فرحك به، وقد اختصصته لنفسك، ورضيته لقربك، وأثرته على سواه؟

هذا ولست الذى أوجدته وخلقته. وأسبغت عليه نعمك.
والله عز وجل هو الذى أوجد عبده، وخلقه وكونه، وأسبغ عليه نعمه، وهو يحب أن يتممها عليه، فيصير مُظهراً لنعمه، قابلاً لها، شاكراً لها، محباً لوليها، مطيعاً له عابداً له، معادياً لعدوه، مبغضاً له عاصياً له. والله تعالى يحب من عبده معاداة عدوه، ومعصيته ومخالفته، كما يحب أن يوالى الله مولاه سبحانه ويطيعه ويعبده. فتتضاف محبته لعبادته وطاعته والإنابة إليه، إلى محبته لعداوة عدوه. ومعصيته ومخالفته، فتشتد المحبة منه سبحانه. مع حصول محبوبه. وهذا هو حقيقة الفرح.

وفى صفة النبى ﷺ فى بعض الكتب المتقدمة «عبدى الذى سررت به نفسى» وهذا لكمال محبته له. جعله مما تسر نفسه به سبحانه.

ومن هذا «ضحكه» سبحانه من عبده، حين يأتى من عبوديته بأعظم ما يحبه. فيضحك سبحانه فرحاً ورضاً. كما يضحك من عبده إذا ثار عن وطائه وفراشه ومضاجعة حبيبته إلى خدمته، يتلو آياته ويتملقه.

ويضحك من رجل هرب أصحابه من العدو. فأقبل إليهم، وباع نفسه لله ولقاهم نحره، حتى قُتل فى محبته ورضاه.

ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم

يعطوه، فتخلف بأعقابهم وأعطاه سرًّا؛ حيث لا يراه إلا الله الذى أعطاه .
فهذا الضحك منه حبًّا له، وفرحًا به . وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة
فيضحك إليه فرحًا به وبقدومه عليه (١).

لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٢). وقال ﷺ: «إن لله مائة
رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون
وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على ولدها، وأخر تسعًا وتسعين رحمة
يرحم بها عباده يوم القيامة» (٣).

وهنا تتجلى رحمة الله وعنايته الفائقة بالإنسان على وجه العموم
وبالمؤمن على وجه الخصوص .

فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات، وقد خلق أباه بيده، ونفخ فيه من
روحه . وأسجد له ملائكته . وعلمه أسماء كل شيء . وأظهر فضله على
الملائكة فمن دونهم من جميع المخلوقات . وطرد إبليس عن قرب .
وأبعده عن بابه؛ إذ لم يسجد له مع الساجدين . واتخذهُ عدوًّا له،
فالمؤمن من نوع الإنسان: خير البرية على الإطلاق . وخيرة الله من العالمين
فإنه خلقه ليتم نعمته عليه . وليتواتر إحسانه إليه . وليخصه من كرامته
وفضله بما لم تنله أمنيته . ولم يخطر على باله ولم يشعر به؛ ليسأله من
المواهب والعطايا الباطنة والظاهرة العاجلة والآجلة، التى لا تُنال إلا بمحبته .
ولا تُنال محبته إلا بطاعته، وإيثاره على ما سواه . فاتخذهُ محبوبًا له . وأعدَّ
له أفضل ما يعده مُحب غنى قادر جواد لمحبوبه إذا قدم عليه . وعهد إليه

(١) مدارج السالكين ص (٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٥٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

عهداً تقدم إليه فيه بأوامره ونواهيهِ. وأعلمه في عهده ما يقربه إليه، ويزيده محبة له وكرامة عليه، وما يبعدة منه ويسخطه عليه، ويسقطه من عينه.

فإذا تعرض عبده ومحجوبه الذي خلقه لنفسه، وأعد له أنواع كرامته، وفضله على غيره، وجعله محل معرفته، وأنزل إليه كتابه. وأرسل إليه رسوله واعتنى بأمره ولم يهمله. ولم يتركه سُدىً. فتعرض لغضبه، وارتكب مساخطه وما يكرهه وأبق منه. ووالى عدوه وظاهره عليه، وتحيز إليه. وقطع طريق نعمه وإحسانه إليه التي هي أحب شيء إليه. وفتح طريق العقوبة والغضب والانتقام: فقد استدعى من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود والإحسان والبر وتعرض لإغضابه وإسقاطه وانتقامه. وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه. وانتقامه وعقوبته في موضع كرمه وبره وعطائه. فاستدعى بمعصيته من أفعاله ما سواه أحب إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان.

فبينما هو حبيبه المقرب المخصوص بالكرامة؛ إذ انقلب آبقاً شاردًا، رادًّا لكرامته، مائلاً عنه إلى عدوه، مع شدة حاجته إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين.

فبينما ذلك الحبيب مع العدو في طاعته وخدمته، ناسياً لسيده، منهمكاً في موافقة عدوه. قد استدعى من سيده خلاف ما هو أهله؛ إذ عرضت له فكرة فتذكر بر سيده وعطفه وجوده وكرمه. وعلم أنه لا بد له منه، وأن مصيره إليه، وعرضه عليه، وأنه إن لم يقدم عليه بنفسه قدم به عليه على أسوأ الأحوال. ففرَّ إلى سيده من بلد عدوه وجدَّ في الهرب إليه حتى وصل إلى بابه فوضع خده على عتبة بابه. وتوسد ثرى أعتابه. متذللاً متضرعاً، خاشعاً باكياً أسفاً، يتملق سيده ويسترحمه. ويستعطفه ويعتذر إليه قد ألقى بيديه إليه، واستسلم له وأعطاه قياده. وألقى إليه زمامه، فعلم سيده ما في

قلبه، فعاد مكان الغضب عليه رضا عنه، ومكان الشدة عليه رحمة به. وأبدله بالعقوبة عفوًا، وبالمنع عطاءً، وبالمؤاخذة حلمًا، فاستدعى بالتوبة والرجوع من سيده ما هو أهله، وما هو موجب أسمائه الحسنی، وصفاته العليا. فكيف يكون فرح سيده به؟ وقد عاد إليه حبيبه ووليه طوعًا واختيارًا. وراجع ما يحبه سيده منه برضاه. وفتح طريق البر والإحسان والجود، التي هي أحب إلى سيده من طريق الغضب والانتقام والعقوبة.

وهذا موضع الحكاية المشهورة عن بعض العارفين: أنه حصل له شرود وإباق من سيده. فرأى في بعض السكك بابًا قد فُتح. وخرج منه صبيٌ يستغيث ويبكى. وأمه خلفه تطرده، حتى خرج. فأغلقت الباب في وجهه ودخلت. فذهب الصبي غير بعيد، ثم وقف مفكرًا، فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه، ولا من يؤيه غير والدته. فرجع مكسور القلب حزينًا. فوجد الباب مُرتجًا، فتوسده ووضع خده على عتبة الباب ونام، فخرجت أمه. فلما رآته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه، والتزمته تقبله وتبكي.

وتقول: يا ولدي! أين تذهب عني؟ ومن يؤيك سوى؟ ألم أقل لك: لا تخالفني، ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة بك، والشفقة عليك، وإرادتي الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت.

فتأمل قول الأم: «لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة والشفقة».

وتأمل قوله ﷺ: «لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها»^(١) وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء؟

فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٩٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به .
فهذه نبذة يسيرة تطلعك على سر فرح الله بتوبة عبده أعظم من فرح
هذا الواجد لراحلته في الأرض المهلكة، بعد اليأس منها .
ووراء هذا ما تحفوا عنه العبارة، وتدق عن إدراكه الأذهان (١).

من استطاع منكم أن يؤثر الله في كل مقام فليُفعل

إن الدنيا لا ينبغي أن تشغل المؤمن عن هدفه ووجهته فهو مسافر إلى ربه
ولا يغفل لحظة عن التزود في سفره ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (٢).
ولذلك فهو لا ينشغل بأى شيء عن ربه بل يؤثر ربه في كل مقام وفي
أى زمان ومكان لا يتردد في ذلك لأنه يعلم يقيناً أن الدنيا بكل ما فيها لا
تساوى عند الله جناح بعوضة فكيف ينشغل بأقل من جناح البعوضة عن
رب السموات والأرض؟!

لما سألوا أحد التابعين: ما السرُّ في عظمة الحسن البصرى؟
قال: احتجنا لدينه واستغنى عن دُنيانا.

وها هو موقف مهيب للحسن - رحمه الله - تتجلى فيه محبته لربه جل
وعلا وإيثاره لمرضاته .

ففى تهذيب الكمال: كان ابن هُبيرة والياً على العراقيين (البصرة
والكوفة) فى عهد يزيد بن عبد الملك وكان يزيد يرسل إليه بالكتاب تلو
الكتاب ويأمره أن ينفذ ما فى تلك الكتب، ولو كان مجافياً للحق أحياناً .
فدعا ابن هُبيرة عالِمين هما الحسن البصرى والشعبي ليستفتيهما فى ذلك هل
له من مخرج فى دين الله أن ينفذ تلك الكتب، فأجابه الشعبي جواباً فيه

(١) مدارج السالكين (ص ٢٣٢ - ٢٣٦) بتصرف .

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).

ملاطفة ومسايرة والحسن يستمع وهو ساكت، فالتفت ابن هبيرة إلى الحسن وقال: ماذا تقول يا أبا سعيد؟

فقال الحسن - وتأملوا معي يا إخواني في قول الحسن - رحمه الله - .
قال: يا ابن هبيرة خَفَ الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله، واعلم أن الله عز وجل يمنعك من يزيد وأنَّ يزيد لا يمنعك من الله .
يا ابن هبيرة: إنه يوشك أن ينزل بك ملك غليظ شديد، لا يعصى الله ما أمره فيزيلك عن سريرك وينقلك من سعة قصرِكَ إلى ضيق قبرِكَ؛ حيث لا تجد هناك يزيداً وإنما تجد عملك الذي خالفت فيه رب يزيد .
يا ابن هبيرة: إنك إن تكُّ مع الله وفي طاعته يكفيك بائقة يزيد وإن تكُّ مع يزيد في معصية الله فإن الله يكلِّك إلى يزيد .

فبكى ابن هبيرة حتى سقطت دموعه من لحيته ومال عن الشعبى إلى الحسن وبالغ في العطاء والإعظام والإكرام للحسن البصرى، فلما خرجا من عنده توجها إلى المسجد فاجتمع عليهما الناس وجعلوا يسألونهما عن خبرهما مع ابن هبيرة. فالتفت الشعبى إليهم وقال: أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه في كل مقام فليفعل فوالذى نفسى بيده ما قال الحسن لابن هبيرة شيئاً أجهله ولكنى أردت فيما قلته وجه ابن هبيرة وأراد الحسن وجه الله فأقصانى الله منه وأدنى الحسن وحبَّه إليه .

وصدق من قال:

يا من يرى ما فى الضمير ويسمعُ
أنت المَعْدُّ لكل ما يتوقعُ
يا من يُرجى للشدائد كلها
يا من إليه المشتكى والمفزعُ

يا من خزائن رزقه فى قول كن
 أُمْنَن فَإِن الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
 مَا لى سَوَى فَقْرَى إِلَيْكَ وَسِيلَةَ
 فَبِالْاِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرَى أَدْفَعُ
 مَا لى سَوَى قَرَعَى لِبَابِكَ حِيلَةَ
 فَلئن رُدَدْتَ فَأَى بَابٍ أَقْرَعُ
 وَمَنِ الَّذِى أَدْعُو وَأَهْتَف بِاسْمِهِ
 إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
 حَاشَا لَجُودِكَ أَنْ تُقْنَطَ عَاصِيًا
 الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِىِّ وَآلِهِ
 مِنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ نُورًا يَسْطَعُ

إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلی الله علیه وسلم أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَلْتَمَسَ مَرْضَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ فَيَقُولُ: يَا جَبْرِيلُ إِنَّ عَبْدِي فَلَانًا يَلْتَمَسُ أَنْ يَرْضِيَنِي بِرِضَائِي عَلَيْهِ»، قال: «فَيَقُولُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى فَلَانٍ وَتَقُولُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ؛ حَتَّى يَقُولَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم: «وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (١)».

«وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيَلْتَمَسَ سَخَطَ اللَّهِ فَيَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جَبْرِيلُ إِنَّ فَلَانًا يَسْتَسَخِطُنِي

ألا وإن غضبى عليه، فيقول جبريل: غضب الله على فلان، وتقول حملة العرش، ويقول من دونهم، حتى يقوله أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض»^(١).

فيا من آمنت بالله تعالى وعشت في رحاب سنة رسول الله ﷺ أبشر والله بكل خير فإن الله سيجعل لك وداً في الأرض كلها بل في السموات السبع بين ملائكته وحملة عرشه.

وتذكر معي قول الله تعالى لنبيه موسى - عليه السلام - : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(٢).

هيا نتخطى عتبة الأرقم

أخي الحبيب .. أختي الفاضلة:

إن أصعب خطوة في حياة المؤمن هي أول خطوة يخطوها ليدخل جنة الدنيا (الإيمان) وذلك لأن أعداءه الثلاثة (النفس - الهوى - الشيطان) لن يتركوه ليخطو تلك الخطوة الكريمة المباركة حتى يضعوا في طريقه العقبات والحواجز والعراقيل ليمنعوه من دخول تلك الجنة.

فإن تغلب المؤمن على نفسه الأمارة بالسوء وخالف هواه وانتصر على الشيطان فسوف يضع قدميه على أول طريق الجنة .. وهو طريق محفوف بالمكاره ولكن عاقبته محمودة لأن من سار في هذا الطريق فسوف يجني الثمار الطيبة في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وهذا يُذكرني بأصحاب النبي ﷺ الذين كان الواحد منهم يخلع ثوب الجاهلية ويذهب ليعلن إسلامه بين يدي الحبيب ﷺ في بيت الأرقم بن

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٧/٢)، رقم (١٢٤٠)، وقال الهيثمي في المجمع (١١/١٧٥): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٢) سورة طه: الآية: (٣٩).

أبى الأرقم رضي الله عنه. وما إن يتخطى الواحد منهم عتبة بيت الأرقم حتى يتحول إلى إنسان جديد قد أسلم قلبه وأسلمت جوارحه لله (جل وعلا) وإذا به يقوم وينفض غبار الغفلة، ويضحى بنفسه وماله وأهله وولده ووطنه من أجل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله) مستعذباً بالعذاب في سبيل ذلك. فما أحوجنا جميعاً أن نتخطى عتبة بيت الأرقم، كما تخطاها أصحاب الحبيب صلوات الله عليه وحملوا راية الإسلام خفاقة عالية تعانق كواكب الجوزاء وتقول للعالمين كلها: هذا هو الإسلام وهؤلاء هم المسلمون .. فشهدوا بذلك للإسلام شهادة عملية كما شهدوا له من قبل شهادة قولية.

من يستجيب لنداء الإيمان؟

قال تعالى عن أهل الاستجابة الذين أسلموا لله قلباً وقالاً فخضعت جوارحهم وجوانحهم لأمر الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتِى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١)﴾.

ثم يأتى النداء الربانى لأهل الإيمان الذين يرون أهل الكفر والإلحاد

يتمتعون بزهرة الدنيا الفانية . . يأتي النداء ليعلموا أن ما عند الله خيرٌ لأهل البر والتقوى وليعلموا أن متاع الحياة الدنيا قليل وزائل .

قال تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (١).

فمن يستجيب لنداء الإيمان؟

فيا أهل الإيمان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

نحتاج أن نجدد بيعة العقبة

إن موقف الصحابة رضي الله عنهم واستجابتهم لدعوة الهدى والنور في يوم بيعة العقبة موقف يعجز القلم عن وصفه لأنه لا يتكرر عبر العصور والأزمان أبداً. فتعالوا بنا لتعايش مع تلك السطور التي تحكى لنا كيف تمت تلك البيعة المباركة .

ولنترك أحد قادة الأنصار يصف لنا هذا الاجتماع التاريخي، الذي حوّل مجرى الأيام في صراع الوثنية والإسلام، يقول كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نساءنا، نسيبة بنت كعب - أم عمارة - من بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو - أم منيع - من بني سلمة .

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٩٦-١٩٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٢٠٠).

فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا، ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذ على دين قومه - إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له وكان أول متكلم.

وبعد أن تكامل المجلس بدأت المحادثات لإبرام التحالف الدينى والعسكرى، وكان أول المتكلمين هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ تكلم ليشرح لهم - بكل صراحة - خطورة المسئولية التى ستلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف، قال: يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عزٍّ من قومه، ومنعة فى بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللاحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه فى عزٍّ ومنعة من قومه وبلده.

قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

وهذا الجواب يدل على ما كانوا عليه من عزم وتصميم وشجاعة وإيمان وإخلاص فى تحمل هذه المسئولية العظيمة، وتحمل عواقبها الخطيرة.

وألقى رسول الله ﷺ بعد ذلك بيانه، ثم تمت البيعة.

قال جابر: قلنا: يا رسول الله على ما نبايعك؟ قال:

١- على السمع والطاعة فى النشاط والكسل.

٢- وعلى النفقة فى العسر واليسر.

٣- وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٤- وعلى أن تقوموا فى الله لا تأخذكم فى الله لومة لائم.

٥- وعلى أن تنصرونى إذا قدمت إليكم، وتمنعونى مما تمنعون منه

أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم، ولكم الجنة (١).
والآن أسأل نفسي وإخواني: هل نستطيع أن نجدد بيعة العقبة التي سطرها
أجدادنا من الصحابة رضي الله عنهم بدمائهم ولم يكن لهم أى مطمع فى حُطام الدنيا
الفانية ولكنهم رضوا بقول النبی صلی الله علیه وسلم: «ولكم الجنة».

وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا
وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٢).
وقال صلی الله علیه وسلم: «يُؤْتَى بأَنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى
جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟
فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ
فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟
فيقول: لا والله يا رب! ما مرَّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدةً قط» (٣).

فأبشروا يا إخواني بغمسة واحدة فى الجنة سوف ننسى كل شقاء
وعناء وتعب ومشقة وبلاء وعذاب.

كل ذلك بغمسة واحدة! فكيف إذا أنعم الله علينا بالخلود فى جنته التى
فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.



(١) صحيح: رواه أحمد (١٤٢٤٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى
السلسلة الصحيحة (٦٣).

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

السبيل إلى لذة الدنيا والآخرة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: لذة كل أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه، فأشرف الناس نفساً وأعلاهم همة وأرفعهم قدراً مَنْ كانت لذته في معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والتودُّد إليه بما يحبه ويرضاه. فلذته في إقباله عليه، وعكوف همته عليه، ودون ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله، حتى تنتهى إلى من لذته في أخس الأشياء من القاذورات والفواحش في كل شيء من الكلام والفعال والأشغال. فلو عُرض عليه ما يلتذ به الأول لم تسمح نفسه بقبوله ولا التفتت إليه، وربما تأملت من ذلك، كما أن الأول إذا عُرض عليه ما يلتذ به هذا لم تسمح نفسه به، ولم تلتفت إليه، ونفرت نفسه منه.

وأكمل الناس لذة من جُمع له بين لذة القلب والروح ولذة البدن، فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا يُنقص حظه من الدار الآخرة، ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه. فهذا ممن قال تعالى فيه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وأبخسهم حظاً من اللذة مَنْ تناولها على وجه يحول بينه وبين لذات الآخرة، فيكون ممن يقال لهم يوم استيفاء اللذات: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ (٢).

فهؤلاء تمتعوا بالطيبات، وأولئك تمتعوا بالطيبات، وافترقوا في وجه التمتع، فأولئك تمتعوا بها على الوجه الذى أذن لهم فيه، فجمع لهم بين لذة الدنيا والآخرة، وهؤلاء تمتعوا بها على الوجه الذى دعاهم إليه الهوى والشهوة، وسواء أذن لهم فيه أم لا، فانقطعت عنهم لذة الدنيا وفاتتهم لذة

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: الآية: (٢٠).

الآخرة؛ فلا لذة الدنيا دامت لهم، ولا لذة الآخرة حصلت لهم.
 فمن أحبَّ اللذة ودوامها والعيش الطيب، فليجعل لذة الدنيا موصلاً له
 إلى لذة الآخرة، بأن يستعين بها على فراغ قلبه لله في إرادته وعبادته،
 فيتناولها بحكم الاستعانة والقوة على طلبه، لا بحكم مجرد الشهوة والهوى.
 وإن كان ممن زُويت عنه لذات الدنيا وطيباتها، فليجعل ما نقص منها زيادة في
 لذة الآخرة، ويجمّ نفسه - أى يريحها - ههنا بالترك ليستوفيها كاملة هناك.
 فطيبات الدنيا ولذاتها نعم العون لمن صحَّ طلبه لله والدار الآخرة وكانت
 همُّه لما هناك، وبئس القاطع لمن كانت هي مقصوده وهمته، وحولها
 يدندن، وفواتها في الدنيا نعم العون لطالب الله والدار الآخرة، وبئس
 القاطع النازع من الله والدار الآخرة، فمن أخذ منافع الدنيا على وجه لا
 ينقص حظه من الآخرة ظفر بهما جميعاً وإلا خسرهما جميعاً (١).

ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أول ما يُسأل عنه العبدُ
 يوم القيامة من النعيم أن يُقال له: ألم نُصحِّك لك جسمك ونرويك من الماء
 البارد؟» (٢).

فيا من أنعم الله عليك بنعمه التي لا تُعد ولا تحصى ويا من أسبغ الله
 عليك نعمه ظاهرة وباطنة ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٣).
 كيف لا تستجيب لربك وهو الذى خلقك ورزقك وأسبغ عليك نعمه
 وكفى بالإسلام نعمة.

(١) الفوائد (ص ٢١٩ - ٢٢١) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٥٨) كتاب تفسير القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى
 صحيح الجامع (٢٠٢٢).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

أَلَا تَسْأَلُ نَفْسَكَ هَذَا السُّؤَالُ: إِنْ كَانَ اللَّهُ سَيَسْأَلُنِي عَنِ الْمَاءِ الْبَارِدِ فَكَيْفَ بِسَائِرِ النِّعَمِ وَمَاذَا أَجِيبُ رَبِّي إِذَا سَأَلَنِي عَنِ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ وَعَنِ نِعْمَةِ الْوَقْتِ وَالصِّحَّةِ وَالزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ وَالْمَالِ.

قَالَ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عَمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(١).

وتوكل على الحي الذي لا يموت

إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَنْشُغِلُ بِقَضِيَّةِ الرِّزْقِ كَثِيرًا حَتَّى إِنَّهُ قَدْ يَنْشُغِلُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ بَلْ وَعَنْ عِبَادَتِهِ وَالْعَمَلِ لِنُصْرَةِ دِينِهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جَاءَ النَّدَاءُ مِنَ اللَّهِ (جَلْ وَعَلَا): ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾^(٢) لِيَكُونَ هَذَا النَّدَاءُ بَلَسْمًا لِلْقُلُوبِ.. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَوَكَّلَ عَلَى إِنْسَانٍ مِثْلِهِ فَقَدْ يَمْرُضُ هَذَا الْإِنْسَانُ أَوْ يَمُوتُ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَتَوَكَّلُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ فَإِنَّهُ يَكْفِيهِ مَوْئِدَ حَيَاتِهِ وَيُيسِّرُ لَهُ الْأَسْبَابَ كُلَّهَا لِيَنْشُغِلَ بِطَاعَتِهِ وَالِاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِهِ وَالْعَمَلِ لِدِينِهِ.

قَالَ تَعَالَى: «يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأُ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ»^(٣).

وتزودوا فإن خير الزاد التقوى

يَا مَنْ اسْتَجَبْتَ لِلَّهِ (جَلْ وَعَلَا) أَنْتَ فِي حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى زَادٍ تَتَزَوَّدُ بِهِ لِأَخْرَاطِكَ.. فَإِذَا سَأَلْتَ وَقُلْتَ: أَيْنَ هَذَا الزَّادُ؟ سَيَأْتِيكَ الْجَوَابُ مِنَ اللَّهِ (جَلْ وَعَلَا): ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٤).

(١) حسن: رواه الترمذی (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٤٢٩٩).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٥٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذی (٢٤٦٦) صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب الزهد، وأحمد (٨٤٨١) باقي مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (١٩١٤).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).

فيا من تزودت بالتقوى واستجبت لأمر الله أبشر برحمة الله وبمغفرته،
ومن ثم أبشر بجنته ورضوانه.

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

وها هو ميدان المنافسة الحقيقي الذى قال عنه الحق (جل وعلا): ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (١).

فما الذى يمنعك أن تقف فى (مضمار السباق) لتسبق الكون كله إلى طريق الجنة وتعلنها قوية من قلبك قبل لسانك وتقول: لن أدع مسلماً يسبقنى إلى الله.
قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (٢).

وقال ﷺ: «بادروا بالأعمال الصالحة، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسّى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل» (٣).
وعن الحسين بن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها، ويكره سفاسفها» (٤).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها» (٥).

وفى الحديث القدسى: «يا عبادى! إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها» (٦).

(١) سورة المطففين: الآية: (٢٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه الطبرانى (١٣١/٣)، رقم (٢٨٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٩٠).

(٥) صحيح: رواه ابن حبان فى روضة العقلاء (ص ١٦)، والطبرانى (١٨١/٦)، رقم (٥٩٢٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٠١).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

وعن عتبة بن عبد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلاً يُجرُّ على وجهه من يوم وُلد إلى يوم يموت هرمًا في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة» (١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جعل الهموم همًّا واحدًا - همَّ المعاد -؛ كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا؛ لم يُبال الله في أي أوديتها هلك» (٢).

أخي: من صفا صفَّى له، ومن كدر كُدِّر عليه، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، وإنما يكال للعبد كما كال . . فمن أراد المنزلة العليا من الجنة فعليه أن يكون في المنزلة العليا في العبادة.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَلْيَنْظُرْ مَا لِلَّهِ عِنْدَهُ» (٣).

وقال ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة» (٤).

تلك هي الهجرة الباقية

قال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونية ..» (٥).

فإن كان أصحاب النبي ﷺ قد ضحَّوا بالنفس والمال والأولاد والأوطان من أجل أن يهاجروا إلى الله ورسوله ﷺ ليظفروا بنعمة الإسلام . . فإن الهجرة الباقية إلى يوم القيامة هي هجرة أرض المعاصي والذنوب إلى أرض الطاعة والخضوع لعلام الغيوب (جل وعلا). ولذلك قال ﷺ: «لا هجرة

-
- (١) حسن: رواه أحمد (١٧١٩٧) مسند الشاميين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٤٩).
- (٢) حسن: رواه ابن ماجه (٢٥٧) في مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦١٨٩).
- (٣) حسن: رواه أبو نعيم في الحلية (١٧٦/٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٣١٠).
- (٤) صحيح: رواه الترمذی (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٢٢).
- (٥) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٨٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٣٥٣) كتاب الإمارة.

بعد الفتح ولكن جهاد ونية» فهذا هو جهاد النفس واستحضار النية في العمل ليكون ابتغاء وجه الله تعالى. وهذا كله يحتاج إلى مجاهدة كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

وهذا الذي حدث في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً وأراد أن يتوب فدلّه العالم على أرض يهاجر إليها ليطيع الله فيها لأن الأرض التي كان يعيش فيها (أرض سوء).

فتلك هي الهجرة التي لا تنتهى أبداً إلى يوم القيامة. ولذلك فلقد أجزل الله تعالى الأجر والمثوبة للغرباء الذي يعيشون في زمن الفتن ويقبضون على دينهم ويهاجرون بأرواحهم وأبدانهم لطاعة ربهم وخالقهم. قال ﷺ: «إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم»^(٢). وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى»^(٣).

وفى رواية قال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات»^(٤).

السبيل إلى دعوة الناس للاستجابة لأمر الله

إن الداعية الصادق هو الذى يعلم من أين يدخل إلى قلوب الناس من حوله فهو دائماً يرفع شعار البسمة والرحمة ممثلاً قول الله جل وعلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (١٠/١٨٢، رقم ١٠٣٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١١٢٧٦) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٢٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢١٦٣٤) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٢٤).

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا؛ فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم، فترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة. فكيف يُؤمر بالفضيلة من لم يقيم الفريضة! فإن صعب عليهم ترك الذنوب، فاجتهد أن تُحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطورة على محبته فإذا تعلق بحبه هان عليها ترك الذنوب والإصرار عليها والاستقلال منها. وقد قال يحيى بن معاذ: «وطلب العاقل للدنيا خير من ترك الجاهل لها».

العارف يدعو الناس إلى الله من دنياهم فتسهل عليهم الإجابة، والزاهد يدعوهم إلى الله بترك الدنيا فتشق عليهم الإجابة، فإن الفطام عن الثدي الذي ما عقل الإنسان نفسه إلا وهو يرتضع منه، شديد. ولكن تخير من المرضعات أركاهن وأفضلهن؛ فإن اللبن تأثيراً في طبيعة المرتضع، ورضاع المرأة الحمقى يعود بحمق الولد. وأنفع الرضاعة ما كان من المجاعة، فإن قويت على مرارة الفطام وإلا فارتضع بقدر؛ فإن من البَشَم (التخمة من الطعام) ما يقتل (٢).

لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ

فلله على العبد في كل عضو من أعضائه أمرٌ، وله عليه فيه نهى، وله فيه نعمة، وله به منفعة ولذة. فإن قام لله في ذلك العضو بأمره، واجتنب فيه نهيه، فقد أدَّى شكر نعمته عليه فيه، وسعى في تكميل انتفاعه ولذته به. وإن عطل أمر الله ونهيه فيه عطله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أكبر أسباب ألمه ومضرته.

وله عليه في كل وقت من أوقاته عبودية، تقدمه إليه وتقربه منه، فإن شغل وقته بعبودية الوقت تقدم إلى ربه، وإن شغله بهوى، أو راحة وبطالة

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٢) الفوائد: (ص ٢٤٣، ٢٤٤).

تأخر. فالعبد لا يزال في تقدم، أو تأخر، ولا وقوف في الطريق البتة.
قال تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (١)(٢).

استجب قبل فوات الأوان

يا من لامس الإيمان شغاف قلبه: استجب لنداء الرحمن قبل فوات الأوان: أما سمعت قول الله تعالى وهو يصف حال أهل الغفلة وهم يصرخون بعد موتهم يريدون الرجوع مرة أخرى إلى الدنيا ليعملوا صالحاً؟! قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا

(١) سورة المدثر: الآية: (٣٧).

(٢) الفوائد: (ص ٢٧٤).

(٣) سورة المؤمنون: الآيات: (٩٩ - ١١٦).

صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ (٢٦).
 وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢)﴾.

سل نفسك أيها الأخ الحبيب: هل أيامك التي مضت من عمرك جعلتك تقترب من الجنة خطوة أم أنها أبعدتكَ عن الجنة خطوات؟!
 حاسب نفسك واجعل لنفسك مع نفسك وقفة صادقة لتعرف وجهتك ومقصدك من الآن فتبذل الغالي والنفيس والنفيس من أجل مرضاة الله والفوز بجنته واعلم أن هذا هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده.
 أما إن غفلت عن تلك الغاية فليس أمامك إلا الندم حيث لا ينفع الندم ولا تُجدي الحسرة والألم.

خمس دعوات لأهل النار

قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربع فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً . .
 يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (٣) فيقول الله تعالى مجيباً لهم: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (٤).

(١) سورة الفجر: الآيات: (٢١-٢٦).

(٢) سورة السجدة: الآيات: (١٢-١٤).

(٣) سورة غافر: الآية: (١١).

(٤) سورة غافر: الآية: (١٢).

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾ (١).

فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجيب الله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (٢).

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿اٰخِسْتُوا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُوْنَ﴾ (٣). فلا يتكلمون بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب . .

قال مالك بن أنس رضي الله عنه . . قال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (٤).

قال: صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ . . . وقال عليه السلام: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبَشٌ أَمْلَحُ فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ» (٥).

فتأمل أخى الكريم: كيف أن أهل النار يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ (٦). فيتمنى الواحد منهم أن يرجع إلى الدنيا ليستجيب لأمر الله ولشرع الله (جل وعلا) ولكن هيهات هيهات فقد جاءت الأمنية بعد فوات الأوان.

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٤٤).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٣٧).

(٣) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠٦-١٠٨).

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٢١).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٣٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٦) سورة إبراهيم: الآية: (٤٤).

خطبة إبليس فى النار

وبعد أن أمر الله عباده بتحقيق العبودية له، وبأن يحذروا خطوات الشيطان . . كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

أمر الله عباده بعد ذلك بأن يتدبروا ويتأملوا فى مشاهد الحسرة التى تحدث يوم القيامة ليحذروا من الوقوع فيها. ومن بين تلك المشاهد ما يكون من هذا العتاب والتوبيخ الذى يكون من الملك (جل جلاله) لهؤلاء الذين عبدوا الشيطان والهوى من دون الرحمن.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا زَوْجُ الْيَمِينِ يَوْمَ يُدْعَىٰ الْمُنْكَرُ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ يَعِدْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢) بل أخبر الله تعالى بهذا المشهد العجيب الذى يكون بعدما يدخل أهل النار إلى النار (ألا وهو خطبة إبليس فى النار) ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (٣).

(١) سورة النور: الآية: (٢١).

(٢) سورة يس: الآيات: (٥٩-٦٥).

(٣) سورة إبراهيم: الآيتان: (٢٢-٢٣).

فكيف بعد ذلك نجد مسلماً يحمل قلباً وعقلاً سوياً يطيع الشيطان ويتبع خطواته وينسى الرحمن ولا يسعى لمرضاته؟!

موانع الاستجابة

إن موانع الاستجابة لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ كثيرة كثيرة ولكنني سأكتفي بذكر بعضها على سبيل الاختصار الذي لا يطمس المعنى بل ييسر فهمه ويرسخه في العقل .

١- الاغترار بكثرة أهل الباطل:

إن رؤية أكثر أهل الأرض وهم يعيشون بعيداً عن شرع الله وعن هدى رسول الله ﷺ جعل الفتنة تتسرب شيئاً فشيئاً إلى أصحاب القلوب المريضة حتى ظنوا أن الحق مع الكثرة مع أن الله (جل وعلا) قال في كتابه وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (٣).

وهذا هو الشيء الذي حدث مع مشركي قريش حين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (٤).

ولقد حذرنا الحق (جل وعلا) من هذا فقال: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ (٥).

(١) سورة الأنعام: الآية: (١١٦).

(٢) سورة يوسف: الآية: (١٠٣).

(٣) سورة يوسف: الآية: (١٠٦).

(٤) سورة الزخرف: الآية: (٢٣).

(٥) سورة المائدة: الآية: (١٠٠).

ولذا فإن من الواجب علينا ألا نغتر برؤية أهل الباطل وهم يملؤون الأرض فساداً وإفساداً وعلينا أن نمثل قول الحق جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١).

وأن نتذكر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ﴾ (٢).

فمن هنا تعلم أيها الأخ الحبيب أنك ستبعث وحدك وتحاسب وحدك.. كما قال الصادق الذي لا ينطق عن الهوى عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة» (٣).

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (١٤) من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً (١٥).

فكن يا أخي مع حزب الرحمن وإن كانوا أقل عدداً وعدة من حزب الشيطان واعلم أن القيامة موعداً وبين يدي الله موقفنا وعلى الصراط مرورنا وفي الجنة أو النار مصيرنا.

٢- اتباع الهوى:

ومن أعظم الأسباب في عدم الاستجابة (اتباع الهوى) فالهوى سلطان

(١) سورة التحريم : الآية : (٦).

(٢) سورة الانعام : الآية : (٩٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٣٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٤) سورة الإسراء: الآيات: (١٣-١٥).

غَشُومٌ ظُلُومٌ يُعْمَى الْقَلْبُ وَيُصْمَهُ .

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى موضحاً خطر اتباع الهوى (الذى يُعبد الآن من دون الله تعالى): ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

فهذا الذى يتبع هواه يناديه الله عز وجل من فوق سبع سموات قائلاً: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ (٤) ، ومع هذا تجد من يتبع هواه يفر من الله (ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

٣- النشأة فى بيئة غير صالحة:

إن النشأة فى تلك البيئة يُضعف الإيمان ومن ثم يجعل الاستجابة صعبة ولذلك فإن المؤمن لابد أن يحرص على أن يعيش فى بيئة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا

(١) سورة القصص: الآية: (٥٠) .

(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (٤٣-٤٤) .

(٣) سورة الجاثية: الآية: (٢٣) .

(٤) سورة الذاريات: الآية: (٥٠) .

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾.

٤- الحاجة إلى القدوة الصالحة:

إن وجود القدوة الصالحة من أهم أسباب الاستجابة والهداية ولذلك عندما ضاعت تلك القدوة ذهب شبابنا يلتمسون القدوة عند الساقطين والساقطات يوم أن نسوا القدوة والمعلم الأول محمد بن عبد الله ﷺ الذى قال عنه تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢).

فالهداية لن تكون إلا باتباع المصطفى ﷺ كما قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٣).

٥- عدم السماع:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٥).

ولهذا أمرنا الله بأن نستمع لأمره بقلوبنا قبل أى شىء فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ

(١) سورة النساء: الآيات: (٩٧-١٠٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

(٤) سورة فصلت: الآية: (٢٦).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (٣٦).

بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١﴾.

فإن لم يستمع الإنسان لأمر الله ويستجيب له فإن الله أخبر عن حال هذا الإنسان في النار حين يقول هو ومن على شاكلته: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٢﴾.

فالذين يستجيبون للشيطان ولا يستجيبون للرحمن هؤلاء لهم أعين ولكن لا يُبصرون بها، ولهم أذان ولكن لا يسمعون بها... كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٤﴾.

فالبصر الحقيقي بصر القلب، والسمع الحقيقي سمع القلب.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٥﴾.

٦- الانشغال بشهوات الدنيا وملذاتها:

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾.

فالدنيا تجعل القلب أبعد ما يكون عن الله (جل وعلا) وما يزال الرجل يجمع الدنيا وحطامها حتى يصبح عبداً لها. مع أن الحق (جل وعلا) قال

(١) سورة الأنفال: الآيات: (٢٠-٢٤).

(٢) سورة الملك: الآيتان: (١٠-١١).

(٣) سورة ق: الآية: (٣٧).

(٤) سورة الاعراف: الآية: (١٧٩).

(٥) سورة الحج: الآية: (٤٦).

(٦) سورة هود: الآيات: (١٤ - ١٦).

فى الحديث القدسى موضحاً السبب الرئيس لوجود المال فقال: «إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثاب ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب» (١).

ومن الأسباب أيضاً: الانشغال بالمال والزوجة والأولاد يقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَّمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (٢).

وقال ﷺ: «الولد ثمرة القلب وإنه مجبنة مبخلة محزنة» (٣).

وفى رواية الطبرانى قال ﷺ: «الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة» (٤).

فقلوه: «مبخلة» لأنه إذا أراد الإنسان أن ينفق فى سبيل الله ذكره الشيطان بأولاده فيقول: (أولادى أحق بالمال)، وقوله: «مجبنة» (أى إذا أراد الرجل أن يجاهد فى سبيل الله يأتية الشيطان فيقول تقتل وتموت فيصبح الأولاد ضياعاً يتامى فيقعد عن الخروج للجهاد)، وقوله: «مجهلة» (أى يشغل الأب عن طلب العلم)، وقوله: «محزنة» (أى إذا مرض حزن عليه وإذا طلب الولد شيئاً لا يقدر عليه الأب حزن الأب وإذا كبر وعق أباه فذلك الحزن الدائم والهم اللازم). والمقصود التحذير من الانشغال معهم بالدنيا وترك أمانة الدين بحجة السعى على الأرزاق.

٧- طول الأمل؛

قال تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

(١) صحيح: رواه أحمد (٢١٣٩٩) مسند الأنصار رحمهم الله، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٨١).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٢٨).

(٣) رواه أبو يعلى (٣٠٥/٢ ، رقم ١٠٣٢)، والحديث صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٦٠) دون قوله: «ثمرة القلب وإنه»، انظر ضعيف الجامع (٦١٦٥).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى (٢٤١/٢٤ ، رقم ٦١٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٩٠).

(٥) سورة الحجر: الآية: (٣).

وقال على رضي الله عنه: (إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة).
وجاء في الأثر: (أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا).

كيف نستجيب لأمر الله تعالى؟

لكي نستجيب لأمر الله ولأمر رسول الله صلی الله علیه وسلم فعلينا أولاً أن نبتعد عن أسباب (عدم الاستجابة) الذي ذكرناها ثم علينا بأن نأخذ بالأسباب التي تثمر في قلوبنا ثمرة الهداية والإيمان.

١- فعلينا أن نقرأ القرآن بتدبر لنعمل بما فيه فالقرآن فيه الوعد والوعيد وفيه ذكر الجنة والنار والأحكام والأخبار والقصص والآداب والأخلاق ولقد كان أصحاب النبي صلی الله علیه وسلم يقرءون القرآن ويتدبرون معانيه ويتأثرون به.

ويلخص الإمام ابن القيم رحمه الله ما على المسلم أن يفعله لعلاج قسوة قلبه بالقرآن فيقول: (ملاك ذلك أمران: أحدهما أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتُسكنه في وطن الآخرة ثم تُقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها وفهم ما يراد منه وما نزل لأجله وأخذ نصيبك من كل آياته وتُنزلها على كل داء قلبك فإذا نزلت هذه الآية على داء القلب برئ القلب بإذن الله.

٢- استشعار عظمة الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته والتدبر فيها وعقل معانيها واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح لتتطرق عن طريق العمل بما وعاه القلب فهو ملكها وسيدها وهي بمثابة جنوده وأتباعه فإذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت. ولذا يقول جل وعلا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١).

٣- طلب العلم الشرعي وهو العلم الذي يؤدي تحصيله إلى خشية الله

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٧).

وزيادة الإيمان به عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١).

٤- لزوم حلق الذكر لما يحصل فيها من ذكر الله وغشيان الرحمة ونزول السكينة وحف الملائكة للذاكرين وذكر الله لهم في الملاء الأعلى ومباهاته بهم الملائكة ومغفرته لذنوبهم كما جاء في الحديث قوله ﷺ : « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » (٢).

٥- الاستكثار من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها وقد ضرب الصديق في ذلك مثلاً عظيماً كما روى الإمام مسلم أنه لما سأل النبي ﷺ أصحابه «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من عاد اليوم منكم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا قال: «من اتبع اليوم منكم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «من أطعم اليوم منكم مسكيناً؟» قال أبو بكر: أنا. فقال ﷺ : «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (٣).

٦- الخوف من سوء الخاتمة: لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة ويجدد الإيمان في قلبه، أما سوء الخاتمة فأسبابها كثيرة منها ضعف الإيمان والانهماك في المعاصي وعدم تذكر الموت فإن من جعل الموت نصب عينيه بادر بالأعمال الصالحة حتى إذا وافته المنية مات على طاعة الله جل وعلا.

٧- الإكثار من ذكر الموت: قال ﷺ : «أكثرُوا ذكر هاذم اللذات الموت» (٤) فتذكر الموت يردع عن المعاصي ويُلين القلب القاسى. وزيارة القبور من أعظم وسائل ترقيق القلوب. . ومن أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة

(١) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٢٨) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد، والنسائى (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٥٨)

كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٦٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح

الجامع (١٢١٠).

أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

ومما يؤثر في النفس من مشاهد الموت رؤية المحتضرين فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ويزيد في الاجتهاد.

دخل الحسن البصري على مريض يعود فوجده في سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

٨- تذكر منازل الآخرة يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: (إذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة فهي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد والجنة والنار وما أعد الله في هذه لأوليائه وفي هذه لأعدائه فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة السموات فأحاط بهم وقد جاء الله وقد نُصِبَ كرسيه لفصل القضاء وقد أشرقت الأرض بنوره ووضع الكتاب وجيء بالنيبين والشهداء وقد نُصِبَ الميزان وتطايرت الصحف واجتمعت الخصوم وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كُثْبٍ وكَثَرُ العطاش وقَلَّ الوارد ونُصِبَ الجسر للعبور ولَزَّ الناس إليه وقُسمت الأنوار دون الظلمة للعبور عليه والنار يحطم بعضها بعضاً تحته والمتساقطون فيها أضعاف الناجين فيفتح في قلبه عين يرى بها ذلك ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يُريه الآخرة ودوامها والدنيا وسرعة انقضائها.

٩- التفاعل مع الآيات الكونية - فإنه مما لا شك فيه أن تفاعل القلب مع هذه الظواهر والفرع منها يجدد الإيمان في القلب ويذكر بعذاب الله وبطشه وعظمته وقدرته وقوته ونقمته. ومن هذه الظواهر كسوف الشمس

وخسوف القمر والرياح الشديدة وغيرها .

١٠- ذكر الله تعالى : وهو جلاء القلوب وشفائها ودواؤها عند اعتلالها وهو روح الأعمال الصالحة ، وقد أمر الله به فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

ووعده بالفلاح لمن أكثر منه فقال : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) وهو وصية النبي ﷺ لمن كثرت عليه شرائع الإسلام فقال له : « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » (٣) .

١١- قصر الأمل : وهذا مهم جداً في تجديد الإيمان ، يقول ابن القيم رحمه الله : ومن أعظم ما فيها هذه الآية ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴾ (٤) .
﴿ كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ (٥) .

فهذه كل الدنيا - فلا يطول الإنسان الأمل يقول : ساعيش وساعيش ، . . قال بعض السلف لرجل : صل بنا الظهر ، فقال الرجل : إن صليت بكم الظهر لم أصل بكم العصر .

فقال : وكأنك تؤمل أن تعيش لصلاة العصر ، نعوذ بالله من طول الأمل .
١٢- التفكير في حقارة الدنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد . . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٦) .

وقال النبي ﷺ : « إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلاً ، فانظر ما يخرج

(١) سورة الأحزاب : الآية : (٤١) .

(٢) سورة الأنفال : الآية : (٤٥) .

(٣) صحيح : رواه الترمذى (٣٣٧٥) كتاب الدعوات ، وابن ماجه (٣٧٩٣) كتاب الأدب ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٧٠٠) .

(٤) سورة الشعراء : الآيات : (٢٠٥-٢٠٧) .

(٥) سورة يونس : الآية : (٤٥) .

(٦) سورة الحديد : الآية : (٢٠) .

من ابن آدم وإن قزحه وملّحه، قد علم إلى ما يصير» (١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا» (٢).

ثمرات الاستجابة في الدنيا والآخرة

إن ثمرات الاستجابة لأمر الله في الدنيا والآخرة لا تُعدّ ولا تُحصى ولكن حسبنا أن نذكر منها بعض الثمرات التي تُثلج القلوب المؤمنة. ولكني سأبدأ بأعظم ثمرة ألا وهي (جنة الرحمن) التي فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.
قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾ (٣) فالذين استجابوا لربهم بالإيمان والطاعة يكافئهم ربهم بأن يُدخلهم الجنة .. ويا لها من مكافئة.

على قدر استجابتك تكون استجابة الله لدعائك

وها هي ثمرة من أعظم ثمرات الاستجابة (ألا وهي استجابة الدعاء) ولنعلم جميعاً أننا على قدر استجابتنا لأمر الله تكون استجابة الله تعالى لدعائنا.
ومما لا شك فيه أن أعظم الناس استجابة لأمر الله هم الأنبياء والرسل - صلوات ربي وسلامه عليهم - ولذلك يذكر الله تعالى في سورة الأنبياء كيف استجاب دعاءهم بمجرد أن رفعوا أيديهم بالدعاء لخالق الأرض والسماء (جل وعلا).
قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٧٧)

(١) صحيح: رواه الطبراني (١/١٩٨، رقم ٥٣٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٨٢).

(٢) حسن: رواه الترمذی (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٠٩).

(٣) سورة الرعد: الآية: (١٨).

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

وها هو نبي الله يوسف - عليه السلام - لما استغاث بربه أن ينقذه من هذه الفتنة استجاب الله دعاءه، وكتب له النجاة منها قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

وها هو نبي الله موسى يستجيب الله دعاءه على فرعون وأتباعه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ

(١) سورة الأنبياء: الآيات: (٧٦-٩٢).

(٢) سورة يوسف: الآيتان: (٣٣-٣٤).

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .

وها هم أهل الإيمان الذين استجابوا للرحمن يستجيب الله دعاءهم ويعدهم بالمغفرة والجنة فإنهم لما قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٢﴾ .

كانت النتيجة ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿٣﴾ .

بل ها هو مشهد عظيم لأصحاب النبي ﷺ في غزوة أحد .
قال تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ (٤) .
أى الذين أطاعوا الله وأطاعوا الرسول من بعد ما نالهم الجراح يوم أحد . .
قال ابن كثير: وهذا كان يوم «حمراء الأسد» وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كَرُّوا راجعين إلى بلادهم ثم ندموا لأنهم لم يقتلوا أهل المدينة لتكون الفيصلة، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريههم أن بهم قوة وجلدًا، ولم يأذن لأحد سوى من حضر أحدًا فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٥) أى لمن أطاع منهم أمر الرسول وأجابه إلى الغزو - على ما به من جراح وشدائد - الأجر العظيم والثواب الجزيل ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

(١) سورة يونس: الآيتان: (٨٨-٨٩) .

(٢) سورة آل عمران: الآيتان: (١٩٣-١٩٤) .

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٩٥) .

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٧٢) .

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٧٢) .

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴿١﴾، أى الذين أَرْجَفَ لَهُمُ الْمَرْجِفُونَ مِنْ أَنْصَارِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّ قَرِيشًا قَدْ جَمَعَتْ لَكُمْ جَمُوعًا لَا تُحْصَى فَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَمَا زَادَهُمْ هَذَا التَّخْوِيفَ إِلَّا إِيمَانًا ﴿٢﴾ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿٣﴾ أى قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: اللَّهُ كَافِيْنَا وَحَافِظُنَا وَمَتَوَلَّى أَمْرُنَا وَنِعْمَ الْمُلْجَأُ وَالنَّصِيرُ لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا ﴿٤﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴿٥﴾ أى فَرَجَعُوا بِنِعْمَةِ السَّلَامَةِ وَفَضْلِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ ﴿٦﴾ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ ﴿٧﴾ أى لَمْ يَنْلَهُمْ مَكْرُوهٌ أَوْ أَذًى ﴿٨﴾ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴿٩﴾ أى نَالُوا رِضْوَانَ اللَّهِ الَّذِى هُوَ سَبِيلُ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾ أى ذُو إِحْسَانٍ عَظِيمٍ عَلَى الْعِبَادِ.

وهذا مشهد مهيب للحبيب ﷺ وأصحابه أيضًا فى غزوة بدر.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ (٧) أى اذْكُرُوا حِينَ تَطْلُبُونَ مِنْ رَبِّكُمْ الْغُوثَ بِالنَّصْرِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

روى أن رسول الله ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف، وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، فاستقبل القبلة ومدَّ يديه يدعو: اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلن تعبد فى الأرض، فما زال كذلك حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذه أبو بكر فألقاه عن منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبى الله كفأك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فنزلت هذه الآية ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّ مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ (٨) أى استجاب الله الدعاء بأنى معينكم بألف من الملائكة ﴿مُرْدِفِينَ﴾ (٩) أى متتابعين يتبع بعضهم بعضًا .. قال المفسرون: ورد أن جبريل نزل بخمسائة وقاتل بها فى يمين الجيش، ونزل ميكائيل بخمسائة

(١)، (٢) سورة آل عمران: الآية: (١٧٣).

(٣)، (٤)، (٥)، (٦) سورة آل عمران: الآية: (١٧٤).

(٧) سورة الأنفال: الآية: (٩).

(٨)، (٩) سورة الأنفال: الآية: (٩).

وقاتل بها فى يسار الجيش، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت فى وقعة إلا فى بدر، وأما فى غيرها فكانت تنزل الملائكة لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ ^(١) أى وما جعل إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ ^(٢) أى ولتسكن بهذا الإمداد نفوسكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ^(٣) أى وما النصر فى الحقيقة إلا من عند الله العلى الكبير فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وعدتكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ^(٤) أى غالب لا يُغلب، يفعل ما تقضى به الحكمة ^(٥).

بل قال تعالى للمسلمين كافة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ^(٦).
وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ^(٧).

فهو سبحانه الذى أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة.

* وهنا وقفة أرجو أن نتدبر ما فيها: إن كان الله (جل وعلا) يستجيب دعاءنا ويفرّج أحزاننا ألا يستحق الرحيم الرحمن أن نستجيب له وأن نؤمن به وأن نبذل النفس والمال من أجل إعلاء كلمته وإظهار سنة حبيبهِ ﷺ .
ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ^(٨). أى إذا كنت أنا ربكم الغنى عنكم أجيب دعاءكم فاستجيبوا أنتم لدعوتى بالإيمان بى وطاعتى ودوموا على الإيمان لتكونوا من السعداء الراشدين.

واعلموا جميعاً أن الدنيا متاعٌ زائل وأن ما عند الله خيرٌ لكم وأبقى.

(١)، (٢)، (٣)، (٤) سورة الأنفال: الآية: (١٠).

(٥) صفوة التفاسير: (١/ ٤٩٦).

(٦) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٧) سورة النمل: الآية: (٦٢).

(٨) سورة البقرة: الآية: (١٨٦).

قال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١)﴾.

هذا بلاغ

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢)﴾.

والله لقد آن الأوان لنرجع ونتوب ونستجيب لأمر الله ولأمر رسوله ﷺ قبل أن يأتينا اليوم الذى نتمنى فيه العودة إلى الدنيا مرة أخرى فلا يؤذن لنا فى العودة.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدَهُ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطَرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُم النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ (٣)﴾.

فهذا بلاغ لكل غافل عن طاعة الله . . بلاغ لكل من يحارب دين الله . . بلاغ لكل من يوالى أعداء الله ويحارب أولياء الله . . وبلاغ لكل من يملك قلباً ليعود ويستسلم لله قلباً وقالباً ليستدرك ما فات من عمره فى معصية الله فيفتح صفحة جديدة كلها طاعة لله (جل وعلا) فإن الله وعد

(١) سورة الشورى: الآيات: (٣٦-٣٨).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٦).

(٣) سورة إبراهيم: الآيات: (٤٧-٥٢).

أهل الاستجابة بالحسنى (الجنة) وأما أهل الغفلة فقد قال الله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١).

فيا من انشغلت بالدنيا عن الله اعلم أنك لو كنت تملك الدنيا كلها ومثلها معها لتمنيت أن تفتدى بها من عذاب الله يوم القيامة فهي نطوى صفحات العمر الماضية المليئة بالذنوب والأوزار لنفتح صفحة جديدة مليئة بالعبادة والطاعة للملك الغفار الذي وسعت رحمته كل شيء.

وليكن لسان حالنا ومقالنا: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (٢). ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣).

واختموا أيامكم بتوبة صادقة عسى الله أن يتوب علينا جميعاً فهو القائل سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٤).

وأخيراً: فإني أسأل الله تعالى أن يوقظ قلوبنا من الغفلة وأن يختم لنا جميعاً بخاتمة السعادة وأن يرزقنا صحبة الحبيب ﷺ في جنته ومستقر رحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

(١) سورة الرعد: الآية: (١٨).

(٢) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٣) سورة الأنعام: الآيتان: (١٦٢-١٦٣).

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

الشباب.. ونعمة الاستقامة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).
 أما بعد:

ففى هذا الزمان الذى كثرت فيه الفتن وانشغل فيه كثير من الناس بجمع حطام الدنيا الزائل . . انصرف كثير من الناس عن طريق الاستقامة ولم يثبت على طريق الهداية وذلك بسبب ضعف الإيمان واليقين فى قلوب أكثر الناس - إلا من رحم الله - فكان لزاماً علينا أن نذكر أنفسنا وإياكم بثمرات الاستقامة فى الدنيا والآخرة . . سائلين الله (عز وجل) أن يرزقنا وإياكم

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

الثبات على هذا الدين العظيم وأن يحشرنا يوم القيامة في زمرة الموحدين الذين عرفوا قدر هذا الدين وتمسكوا به وماتوا على الإيمان والتوحيد. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقيه إلى عضو الرحيم الغفار

محمود المصري

أبو عمار

الاستقامة طريق النجاة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «الاستقامة هي لزوم المنهج القويم قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (١). وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله : ﴿يَعْمَلُونَ﴾ (٢)، وقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ إلى قوله : ﴿بَصِيرٌ﴾ (٣)، فبين أن الاستقامة بعدم الطغيان، وهو مجاوزة الحدود.

وقال : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (٤).

والمقصود من العبد الاستقامة وهي السداد. فإن لم يقدر عليها فالمقاربة. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل» (٥) فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة وهي السداد، والإصابة في النيات والأقوال. وأخبر في حديث ثوبان أنهم لا يطبقونها فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم، كالذى يرمى إلى الغرض، وإن لم يصبه يقاربه. ومع هذا فقد أخبرهم أن الاستقامة والمقاربة لا تنجى يوم القيامة، فلا يركن أحد إلى عمله، ولا يرى أن نجاته به؛ بل إنما نجاته برحمة الله وغفرانه وفضله. فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله تعالى

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٠).

(٢) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).

(٣) سورة هود: الآية: (١١٢).

(٤) سورة فصلت: الآية: (٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨١٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد.

والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات. فالاستقامة فيها، وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله.

قال بعضهم: كن صاحب الاستقامة. لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة. فالاستقامة للحال بمنزلة الروح من البدن، فكما أن البدن إن خلا عن الروح فهو ميت فكذلك الحال إذا خلا عن الاستقامة فهو فاسد. وكما أن حياة الأحوال بها، فزيادة أعمال الزاهدين أيضاً ونورها وزكاؤها بها، فلا زكاء للعمل ولا صحة بدونها^(١).

استقامة القلب على التوحيد

قال ابن رَجَب - رحمه الله تعالى - : «أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، . . . وقد فسر أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الاستقامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٢): بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته، وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه. وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح: اللسان، فإنه تُرجمان القلب والمُعبر عنه»^(٣).



(١) مدارج السالكين (٢/١٠٣، ١٠٤) بتصرف.

(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٠).

(٣) جامع العلوم والحكم (١٩٣، ١٩٤) بتصرف.

فبهدهم اقتده

ولنا الأسوة والقُدوة فى رسول الله وأنبيائه - صلوات ربي وسلامه عليهم - فلقد قال تعالى عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدْ﴾ (١).

- يخبر الله (عز وجل) عن خليله إبراهيم (عليه السلام) ويقول: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢) فكان خليل الرحمن دومًا وأبدًا على الصراط المستقيم إلى أن لقي الله (عز وجل) فلم يقصر فى أى طاعة ولذا قال تعالى عنه: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣) فلقد وفى العبودية كاملة لله (عز وجل).

وهذا موسى وهارون (عليهما الصلاة والسلام) قال تعالى عنهم: ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٤). بل تدبر معى عندما قال موسى (عليه السلام): ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٥).

وإذا بالحق (جل وعلا) يقول: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦).

* وهذا سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ يقول له الحق (جل وعلا): ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٠).

(٢) سورة النحل: الآيات: (١٢٠ - ١٢٢).

(٣) سورة النجم: الآية: (٣٧).

(٤) سورة الصافات: الآية: (١١٨).

(٥) سورة يونس: الآية: (٨٨).

(٦) سورة يونس: الآية: (٨٩).

بَصِيرٌ ﴿١﴾. وأمره (جل وعلا) أن يتحدث بنعمة الله عليه فقال تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي هِدَايَ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٢﴾.

وأمر الله أمة الحبيب ﷺ بالسير على صراطه المستقيم فقال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿٣﴾.

خطاب للنبي ﷺ وأمته

* قال تعالى : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ ﴿٤﴾. فهذا الخطاب موجه للنبي ﷺ وهو خطاب له وللأمة. فكل خطاب للرسول ﷺ فهو له ولأمته إلا إذا جاء الدليل على أنه خاص بالنبي ﷺ مثل قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿٥﴾.

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٦﴾.

والدليل على أن تلك الآية خطاب للنبي ﷺ ولأمته أن الله (عز وجل) قال في نفس الآية : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٧﴾.

(١) سورة هود: الآية: (١١٢).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٦١).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

(٤) سورة هود: الآية: (١١٢).

(٥) سورة الضحى: الآيات: (٦، ١١).

(٦) سورة الشرح: الآيات: (١، ٣).

(٧) سورة هود: الآية: (١١٢).

فالمؤمن هو الذى يستقيم على أمر الله (عز وجل) فلا يبدل ولا يحرف ولا يزيد ولا ينقص فى دين الله ولذلك قال تعالى فى الآية الأخرى ﴿وَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١).

معنى الاستقامة عند سلفنا الصالح

ولقد سئل صديق الأمة وأعظمها استقامة - أبو بكر الصديق رضي الله عنه - عن الاستقامة، فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً، فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد.

قال مجاهد: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، حتى لحقوا بالله.
قال على بن أبى طالب، وابن عباس رضي الله عنهما: استقاموا: أدوا الفرائض.
قال الحسن: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته.
قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: استقاموا: أخلصوا العمل لله.
وفسرها ابن تيمية بالاستقامة على المحبة.

قال ابن القيم فى «مدارج السالكين»: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يَمَنَةً ولا يَسَرَةً».

والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.

قال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة» (٢).

(١) سورة الشورى: الآية: (١٥).

(٢) مدارج السالكين (٢/١٠٥).

قل آمنت بالله ثم استقم

* وعن أبي عمرو، وقيل أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك قال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»^(١).

* وقول سفيان بن عبد الله للنبي ﷺ: قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك»، طلب منه أن يعلمه كلاماً جامعاً لأمر الإسلام كافياً حتى لا يحتاج بعده إلى غيره، فقال له النبي ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم».

* والاستقامة فى سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها»^(٢).

* فقلوه: «قل آمنت» فمن المعلوم أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان فلا يكفى أن يقول العبد «آمنت» بلسانه ولم يؤمن قلبه بتلك الكلمة ولم تشغل جوارحه بطاعة الله (عز وجل) ولذلك فنحن نجد أن معظم آيات القرآن تجعل الإيمان ملازماً للعمل الصالح، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾^(٣).

* وقوله: «آمنت بالله» يشمل الإيمان بوجود الله عز وجل، وبإلهيته

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ١٤٧، ١٤٨) بتصرف.

(٣) سورة العصر.

وبربوبيته، وبأسمائه وصفاته وبأحكامه وبأخباره وكل ما يأتي من قبله عز وجل، تؤمن به، فإذا آمنت بذلك فاستقم على دين الله، ولا تحِد عنه، لا يميناً ولا شمالاً، لا تقصر ولا تزدد.

فاستقم على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وذلك بالإخلاص لله عز وجل والمتابعة لرسوله ﷺ.

استقم على الصلاة وعلى الزكاة والصيام والحج، وعلى جميع الشرائع. وقوله: «قل آمنت بالله ثم استقم» دليل على أن الاستقامة لا تكون إلا بعد الإيمان، وأن من شرط الأعمال الصالحة أى: من شرط صحتها وقبولها أن تكون مبنية على الإيمان

فلو أن الإنسان عمل بظاهره على ما ينبغي، ولكن باطنه خراب، وفي شك واضطراب، أو فى إنكار وتكذيب، فإن ذلك لا ينفعه، ولهذا اتفق العلماء رحمهم الله على أن من شروط صحة العبادة وقبولها أن يكون الإنسان مؤمناً بالله، أى: معترفاً به وبجميع ما جاء من قبله تبارك وتعالى^(١).

صراط الدنيا... وصراط الآخرة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«مَنْ هُدِيَ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ رَسَلُهُ، وَأُنْزِلَ بِهِ كُتُبُهُ، هُدِيَ هُنَاكَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى جَنَّتِهِ دَارِ ثَوَابِهِ، وَعَلَى قَدَرِ ثُبُوتِ قَدَمِ الْعَبْدِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، يَكُونُ ثُبُوتُ قَدَمِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَعَلَى قَدَرِ سِيرِهِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ يَكُونُ سِيرُهُ عَلَى ذَاكَ الصِّرَاطِ وَلِيَنْظُرَ الْعَبْدُ الشَّبَهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الَّتِي تَعْوِقُهُ عَنْ سِيرِهِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَإِنَّهَا الْكَلَالِيْبُ

(١) شرح رياض الصالحين / للشيخ ابن عثيمين (١/١٤٨، ١٤٩) بتصرف.

التي بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه فإن كثرت هنا، وقويت فكذلك هي هناك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١) (٢).

لن ينجو أحد منكم بعمله

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل» (٣).

قال العلماء: معنى الاستقامة: لزوم طاعة الله تعالى، وهى من جوامع الكلم.

* قال الإمام النووي - رحمه الله - : اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم، ولا غيرها من أنواع التكليف، ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع، ومذهب أهل السنة أيضاً أن الله تعالى لا يجب عليه شيء - تعالى الله، - بل العالم ملكه، والدنيا والآخرة فى سلطانه، يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار، كان عدلاً منه وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا، بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب المنافقين ويؤجلهم فى النار عدلاً منه.

وفى ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، وأما قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤)،

(١) سورة فصلت: الآية: (٤٦).

(٢) بتصرف من التفسير القيم (ص: ١٠٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧٣) كتاب المرضى، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار. و«المقاربة»: القصد الذى لا غلو فيه ولا تقصير.

و«السداد»: الاستقامة والإصابة، و«يتغمدني»: يلبسني ويسترنني.

(٤) سورة النحل: الآية: (٣٢).

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١) ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة، فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أى بسببها، وهى من الرحمة والله أعلم (٢).

* وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - :

والجواب عن ذلك أن يقال: يجمع بينهما بأن المنفى دخول الإنسان الجنة بالعمل فى المقابلة، أما المثبت فهو أن العمل سبب وليس عوضاً. فالعمل لا شك أنه سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، لكن ليس هو العوض وليس وحده الذى يدخل به الإنسان الجنة، ولكن فضل الله ورحمته هما السبب فى دخول الجنة والنجاة من النار (٣).

كيف نستقيم على طاعة الله عز وجل؟

وقد يسأل سائل ويقول: كيف أستقيم على طاعة الله (عز وجل) . . .
والجواب: نقول اعلم أيها الأخ الحبيب أن الإيمان يزيد وينقص ولكن الله تعالى جعل أسباباً لاستقامة العبد . . . ومنها على سبيل المثال.

١- الاعتصام بالله (عز وجل)؛

فإن من أعظم أسباب الاستقامة أن يعتصم العبد بربه (عز وجل) ليوفقه إلى

(١) سورة الزخرف: الآية: (٧٢).

(٢) مسلم بشرح النووي (١٧/٢٣٢، ٢٣٣) بتصرف.

(٣) شرح رياض الصالحين (١/٣١٠).

الاستقامة . . قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١).
 وكلما ازداد قلبك تعلّقاً باللّه وتوكلاً عليه كلما زادك تسديداً وتوفيقاً
 واستقامة على طاعته، لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن
 يقلبها كيف يشاء.

٢- المسارعة إلى طاعة الله (عز وجل):

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا (٦٦) وَإِذَا
 لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢).
 فيجب على العبد أن يُسرّع إلى طاعة الله (عز وجل) فقد قال تعالى:
 ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
 عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

وقال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً
 ويُمسى كافراً ويُمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» (٥).

٣- التعايش مع القرآن:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
 رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ﴾ (٦).

فقد جعل الله تعالى هذا الكتاب منهج حياة متكاملة . . وجعله من
 أعظم أسباب الهداية والاستقامة فقال تعالى: ﴿الْم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠١).

(٢) سورة النساء: الآيات: (٦٦ - ٦٨).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٤٨).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٣٣).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.

(٦) سورة المائدة: الآيتان: (١٥، ١٦).

فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ .

وقال ﷺ : «القرآن شافعٌ مُّشَفَّعٌ وماحلٌ مُّصَدَّقٌ مَنْ جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار» (٢) .

فالقرآن يزرع الإيمان ويزكى النفس بالصلة بالله ويجعل الإيمان يزداد فى قلب العبد يوماً بعد يوم . . وإن آيات القرآن تنزل على قلب المؤمن برداً وسلاماً فيثبت على صراط الله المستقيم .

٤- الإخلاص ومجاهدة النفس:

فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (٤) .

فكلما اجتهد العبد فى طاعة الله كلما وفقه الله لطاعته وثبت قدمه على صراطه المستقيم .

قال أحد السلف: كابدت الصلاة عشرين سنة وتلذذت بها عشرين سنة حتى أنى لأدخل فى الصلاة فأحمل همَّ خروجى منها .
فنفسك تأمرك بترك الصلاة وأنت تجاهدها فتصلى الصلوات الخمس فى المساجد . . ونفسك تأمرك بالنظر إلى النساء وأنت تجاهدها فتغض بصرك . . وهكذا تظل تجاهد نفسك وترتفع منزلتك ومكانتك عند الله حتى تكون فى صحبة النبى ﷺ وأصحابه فى جنات النعيم التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

(١) سورة البقرة: الآيتان: (١ ، ٢) .

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (١٣٢/٩ ، رقم ٨٦٥٥) وأبو نعيم فى الحلية (١٠٨/٤) ، وابن حبان (٣٣١/١ ، رقم ١٢٤) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٥١/٢ ، رقم ٢٠١٠) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٤٣) .

(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩) .

(٤) سورة محمد: الآية: (١٧) .

٥- طلب العلم والدعوة إلى الله:

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (١).

فكلما ازداد العبد علماً كلما ازداد خشية وكلما ازداد خشية ازداد طاعة لله واستقام على أمر الله.

ونحن نعلم أن العبد الذي ليس عنده علم قد يعبد الله على جهل . .
أما العالم فهو الذي يعلم من سنة رسول الله ﷺ ما يعينه على تحقيق العبودية لله كما أرادها الله (عز وجل).

- ومن تعلم العلم فعمل به ودعا الناس إلى الله (عز وجل) فإن ذلك من أعظم أسباب الاستقامة على الطاعة . . لأنه سيفوز بدعاء الكون كله له
فقد قال ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير» (٢).

٦- الصحبة الصالحة:

فالرجل على دين خليله . . وإن صاحب صاحب فيما أن يأخذ بيدك إلى مرضاة الله وإما أن يأخذ بيدك إلى غضب الله وعقابه . .
فابحث عن العلماء العاملين والدعاة المؤمنين والزم غرضهم فإنهم سيأخذون بيدك إلى مرضاة الله (جل وعلا).

٧- الدعاء:

يقول الحق جل وعلا في الحديث القدسي: «يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم» (٣) فعندما تتأمل هذا الحديث القدسي تعلم أن الهداية ابتداءً وانتهاءً بيد الحق تبارك وتعالى وأنه لا ملجأ ولا منجى من الله

(١) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذی (٢٦٨٥) كتاب العلم، والدارمی (٢٨٩) في مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

إلا إليه... فتلجأ إلى الله في كل وقت وترفع أكفَّ الصراعة إلى الملك قائلاً: اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك ومن الأمل إلا فيك ومن التسليم إلا لك ومن التفويض إلا إليك ومن التوكل إلا عليك ومن الرضا إلا عنك ومن الطلب إلا منك ومن الصبر إلا على بابك ومن الذل إلا في طاعتك ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين... فتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء أن يهديك وأن يثبتك على تلك الهداية - ولا تنسَ أن سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ لم يفتر لسانه أبداً عن هذا الدعاء: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان نبي الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(٢).

ثمرات الاستقامة

وأما عن ثمرات الاستقامة فهي كثيرة جداً ومنها:

١ - الحياة الطيبة:

فالمؤمن الذي يعيش دوماً وأبداً على طاعة الله (عز وجل) يعيش في جنة في الدنيا... في جنة في البرزخ... في جنة في الآخرة.

* قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة.

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢١٤٠) كتاب القدر، وابن ماجه (٣٨٣٤) كتاب الدعاء، وأحمد (١١٦٩٧)

. باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٨٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

قيل: وما هي؟

قال: إنها جنة الإيمان بالله (عز وجل).

* وقال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله -: والله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف.

فأصحاب النبي ﷺ على الرغم من البلاء الذي تعرضوا له وعلى الرغم من تلك التضحيات التي قدموها لنصرة دين الله (عز وجل) فقد كانوا أطيب الناس حياة لأنهم تعايشوا مع القرآن والسنة بقلوبهم وجوارحهم.

٢ - حفظ الله للعبد:

فالله يحفظ على العبد دينه وماله وعافيته وأولاده بحفظه لأوامر الله (عز وجل) والسير على طاعته.

٣ - البشري الطيبة:

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (١)﴾.

أى آمنوا بالله إيماناً صادقاً وأخلصوا العمل له، ثم استقاموا على توحيد الله وطاعته، وثبتوا على ذلك حتى الممات،... عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر بعد أن تلا الآية الكريمة: «استقاموا والله على الطريقة لطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعالب»^(٢). والغرض: أنهم استقاموا على شريعة الله، فى سلوكهم، وأخلاقهم وأقوالهم، وأفعالهم، فكانوا مؤمنين حقاً، مسلمين صدقاً، وقد سئل بعض العارفين عن تعريف الكرامة فقال: الاستقامة عين الكرامة.

وعن الحسن أنه كان يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ﴿تَنَزَّلُ

(١) سورة فصلت: الآيات: (٣٠ - ٣٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/٣٥٨).

عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴿١﴾ أى تنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت بأن لا تخافوا مما تقدمون عليه من أحوال القيامة ولا تحزنوا على ما خلفتموه فى الدنيا من أهل ومال وولد فنحن نخلفكم فيه ﴿٢﴾ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣﴾ أى وأبشروا بجنة الخلد التى وعدكم الله بها على لسان الرسل... قال شيخ زاده: إن الملائكة تنزل حين الاحتضار على المؤمنين بهذه البشارة أن لا تخافوا من هول الموت، ولا من هول القبر، وشدائد يوم القيامة، وإن المؤمن ينظر إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له: لا تخف اليوم ولا تحزن، وأبشر بالجنة التى كنت توعده، وإنك سترى اليوم أموراً لم تر مثلها فلا تهولنك فإنما يُراد بها غيرك (١)(٢).

* وهذا كما جاء فى حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال عليه السلام: «إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجى أيتها الروح الطيبة . فى الجسد الطيب، كنت تعمريه اخرجى إلى روح وريحان ورب غير غضبان» (٣).

وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفى قبره وحين يُبعث، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع .
وقوله تبارك وتعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ .
أى تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم أى قرناءكم فى الحياة الدنيا نُسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله .

وكذلك نكون معكم فى الآخرة نؤنس منكم الوحشة فى القبور، وعند النفخة فى الصور، نُؤمِّنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ﴾ أى

(١) صفوة التفاسير (٣/ ١٢٢، ١٢٣).

(٢) حاشية شيخ زاده على البيضاوى (٣/ ٢٦١).

(٣) صحيح: رواه النسائى (١٨٣٣) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٠).

فى الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقرُّ به العيون ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ أى مهما طلبتم وجدتم. وحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿نَزْلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ أى ضيافة وعطاء، وإنعامًا من غفور لذنوبكم رحيم رءوف حيث غفر وستر ورحم ولطف (١).

٤- المرور السريع على صراط الآخرة:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«من هُدى فى هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذى أرسل به رسله وأنزل به كتبه، هُدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته دار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذى نصبه الله لعباده فى هذا الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط ولينظر العبد الشبهات والشهوات التى تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم، فإنها الكلاليب التى بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه فإن كثرت هنا، وقويت فكذلك هى هناك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٢).

٥- الفوز بالجنة والنجاة من النار:

فلقد قال العزيز الغفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴿٣﴾. فاللهم ارزقنا نعمة الاستقامة وحلاوة الطاعة واحشرنا فى زمرة أهل الاستقامة والصلاح مع سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ.



(١) مختصر تفسير ابن كثير / محمد نسيب الرفاعى (٤/ ١٠٠، ١٠١).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٤٦).

(٣) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).

ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها

ويا لها من حسرة لمن عاش على الاستقامة وذاق حلاوة الطاعة ثم ترك كل ذلك وعاد ليرتع فى أوحال الذنوب والمعاصى .
قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ (١).
* والحسرات التى يجنيها كل من ترك الاستقامة كثيراً جداً :

١- فأول حسرة يجنيها: الشقاء المستمر :

فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ (٢).

٢- الموت الحقيقى :

فقد قال ﷺ : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت » (٣).

٣- تكون منزلته عند الله أحط من الدواب :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٤).

(١) سورة النحل : الآية : (٩٢).

(٢) سورة طه : الآيات : (١٢٤ - ١٢٧).

(٣) متفق عليه : رواه البخارى (٦٤٠٧) كتاب الدعوات ، ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

(٤) سورة الاعراف : الآية : (١٧٩).

٤- ضياع أهله وماله:

فإن الذي لا يعيش حياة الاستقامة لا يبارك الله له في أهله ولا ماله ولا نفسه . . فأما المال فسوف يضيع في المعاصي . . وأما الأهل فإنهم سيرون أمامهم قدوة سيئة فيقلدونه في كل شيء وبذلك يخسر نفسه وأهله وماله في الدنيا والآخرة . . . فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١).

وقال ﷺ - كما في الصحيحين -: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته» (٢).

٥- البشارة بالنار عند الموت:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٣).

وينادى عليه ملك الموت: «أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب» (٤).

٦- يحشر مع العصاة والمجرمين . . في ذلك اليوم الذي يبلغ طوله خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب ولا ظل . . الكل ينتظر بدء الحساب ولقد قال ﷺ - كما في الصحيحين - : «من نوقش الحساب عُدَّ» (٥) فكيف بمن عُدَّ.

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٥١) كتاب الوصايا، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

(٣) سورة الأنفال: الآيتان: (٥٠، ٥١).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٨٠٦٣) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٣٦) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٧٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

- فهذا الإنسان الذى عاش بعيداً عن طاعة الرحمن . . وعن اتباع سيد الأنام ﷺ إذا جاء يوم القيامة يقف فى أرض المحشر ينتظر بدء الحساب خمسين ألف سنة ويفيض العرق حتى يصل إلى كعبه أو ركبته أو حقويه أو يلجمه العرق إلجاماً . . فإذا أراد أن يذهب إلى حوض النبی ﷺ ليشرب وإذا بالملائكة تدفعه بعيداً عن الحوض ويدعو عليه النبی ﷺ ويقول: «سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدَى» (١).

- وإذا أراد أن يمر على الصراط فإنه لا يستطيع لأن الصراط مُظلم . . وهذا الرجل الذى ترك الاستقامة ولم يتزود بتقوى الله قد انطفأ نوره فلا يرى شيئاً . . وقد أخبر الله (عز وجل) عن هذا المشهد الرهيب .

فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٢)﴾.

ولذلك قال تعالى بعد هذا المشهد: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٣)﴾.

نعم والله لقد آن الأوان لأن نتوب إلى الله (عز وجل) وأن نستقيم على

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٨٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩١) كتاب الفضائل.

(٢) سورة الحديد: الآيات: (١٢ - ١٥).

(٣) سورة الحديد: الآية: (١٦).

طاعته عسى الله أن يرزقنا خاتمة أهل السعادة .
فأسأل الله أن يرزقني وإياكم حُسن الخاتمة . .
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

أبو عمار

كيف تغض بصرك؟

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).
 أما بعد:

فإن المتأمل لحال كثير من شباب وفتيات المسلمين مع نعمة غض البصر ليبكى الدماء بدل الدموع، . . . فكثير من الشباب لا يغض بصره عن النساء، وكثير من النساء لا يغضضن أبصارهن عن الرجال. ولعل السبب في ذلك هو ضعف الوازع الديني وعدم استحضار مراقبة الله للعبد. . فالله (جل وعلا) هو الذى يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

ولا يخفى علينا أيضاً أن الانفتاح الذى يعيشه كثير من الناس فى هذا الزمان على شبكات الإنترنت والقنوات الفضائية، وما تبثه من الفواحش والرذائل التى تُذهب الحياء، وتؤجج نار الشهوة، وتبعد العبد عن طاعة ربه (جل وعلا) . . . كان سبباً رئيسياً فى انتشار ظاهرة عدم غض البصر.

ومما يجدر ذكره أن من أرخى لشهوته العنان، فإن سعار هذه الشهوة لا حدَّ له ولا انقضاء، وإذا كان الشخص المولع بالدنيا لا يشبع من المال - فلو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب - فكذا الشخص المولع بشهوة النظر إلى النساء لا يقف عند حدٍّ معين ولا يرهوى .

يقول الشيخ على الطنطاوى: «لو أُوتيت مال قارون، وجسد هرقل، وواصلتك عشرة آلاف من أجمل النساء من كل لون وكل شكل وكل نوع من أنواع الجمال، هل تظن أنك تكتفى؟ لا . . . أقولها بالصوت العالى: لا . أكتبها بالقلم العريض، ولكن واحدة بالحلال تكفيك .

لا تطلبوا منى الدليل، فحيثما تلفتم حولكم وجدتم فى الحياة الدليل قائماً ظاهراً مرئياً» (١) .

* إن أشدَّ الفتن وأعظمها: الفتنة بالنساء، كما قال النبى ﷺ : «ما تركت بعدى فى الناس فتنة أضر على الرجال من النساء» (٢) .

* قال الإمام طائوس عند قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (٣) : «إذا نظر إلى النساء لم يصبر» (٤) .

* ومن أجل ذلك أوجه تلك الرسالة الصغيرة لإخوانى وأخواتى

(١) فتاوى على الطنطاوى (ص: ١٤٦) .

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٦) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٤٠) كتب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار .

(٣) سورة النساء: الآية: (٢٨) .

(٤) ذم الهوى لابن الجوزى (ص: ١٧٩)، وروضة المحبين (ص: ٢٠٣) .

لنتواصى من خلالها على غض البصر... وإن كان الأمر عسيراً، لكنه يسير على من يسه الله عليه... فلنستعن بالله وسنجد العون - بإذن الله.

* فاللهم ارزق شباب وبنات المسلمين نعمة غض البصر ليسعدوا فى الجنة بلذة النظر إلى وجهك الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

غض البصر اصطلاحاً

أن يُغمض المسلم بصره عما حُرِّمَ عليه، ولا ينظر إلا لما أُبيح له النظر إليه، ويدخل فيه أيضاً إغماض الأبصار عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحَرَّمٍ من غير قصدٍ فليصرف بصره سريعاً^(١).

* ومن المعلوم أن إطلاق البصر من أعظم الأسباب للوقوع في فاحشة الزنا التي هي من أكبر الكبائر التي تقضى على الأخضر واليابس في المجتمع المسلم، فبسبب تلك الفاحشة تنتشر العداوات، وتقوم الحروب وتختلط الأنساب.

النظر أصل عامة الحوادث

قال الإمام المحقق ابن القيم في «الداء والدواء»: «والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد ما لم يمنع منه مانع. وفي هذا قيل: الصبر على غض الطرف أيسر من الصبر على ألم بعده»^(٢).

أكثر المعاصي من فضول الكلام وإرسال النظر

وأكثر المعاصي إنما تتولد من فضول الكلام، وإرسال النظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتهما لا تُملآن بخلاف البطن فإنه متى امتلأ لم يبق له في الطعام إرادة. وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام أبداً، . . . كما قيل: أربع لا تشبع من أربع: عين من نظر، وأذن

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٨) بتصرف.

(٢) الداء والدواء (ص: ١٨٦).

من خبر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر.
* فكم من نظرة إلى صورة جميلة فى السوق أو فى الشاشة، أو فى مجلة أعقت فواحش وآلاماً وحسرات.

النظر سهم سُمُّ إلى القلب

* فالنظر سهم سُمُّ إلى القلب، وسهم مسموم من سهام إبليس، ومن أطلق لحظاته دامت والله حسراته، ولقد صدق القائل:

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مُستصغر الشرر
كم نظرة فتكت بقلب صاحبها
فتك السهام بلا قوسٍ ولا وتر
والمرء ما دام ذا عينٍ يُقَلَّبُهَا
فى أعين الغيْدِ موقوف على الخطر
يسر مُقلته ما ضرَّ مهجته
لا مرحباً بسرور عاد بالضرر
* ولذلك فإن الشيطان يزين للرجل المرأة الأجنبية، ولو كانت قبيحة ويُقَبِّح فى عينيه زوجته، ولو كانت من أجمل النساء... فإذا رأيت امرأة فما عليك إلا أن تغض بصرك، وأن تستعِذ بالله من الشيطان الرجيم.

البصر هو الباب الأكبر إلى القلب

قال القرطبي: «البصر: هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرقِ الحواسِّ إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجبٌ عن جميع المحرمات. وكل ما يُخشى الفتنة من أجله»^(١).

(١) تفسير القرطبي (٢/ ١٤٨).

و كنت متى أرسلت طرفك رائدًا
 لقلبك يومًا أتعبتك المناظرُ
 رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه
 ولا عن بعضه أنت صابرُ

إطلاق البصر منقصة للرجل الشريف

* إن إطلاق البصر يُعدُّ منقصة للرجل الحر الشريف... حتى إن أهل الجاهلية، على الرغم من الجاهلية التي كانوا يعيشون فيها كانوا يرون أن من العار أن يُطلق الرجل العفيف بصره للنظر إلى النساء.
 كما قال القحطاني (رحمه الله):

إن الرجال الناظرين إلى النساء

مثل الكلاب تطوف باللحمان^(١)

* ومع ذلك نرى كثيرًا من شباب ورجال المسلمين لا يستطيع الواحد منهم أن يغض بصره عن النساء... بل لقد وصل الأمر إلى وقوف كثير من شباب المسلمين على النواصي لمشاهدة النساء... فعجزوا حتى عن الوصول إلى ما وصل إليه بعض الناس في عصر الجاهلية من الترفُّع عن الوقوع في رذيلة إطلاق البصر حتى قال قائلهم:

وأغضُّ طرفي ما بدت لي جارتى

حتى يوارى جارتى مأواها

إنى امرؤٌ سمح الخليقة ماجدٌ

لا أتبع النفس اللَّجوج هواها^(٢)

(١) متن نونية القحطاني (ص: ٧٣).

(٢) هو عترة العبي.

الأدلة على وجوب غض البصر

أما عن الأدلة التي وردت في كتاب الله (جل وعلا) وسنة رسول الله ﷺ على وجوب غض البصر فكثيرة.. ووالله لو لم يرد أى دليل من القرآن أو السنة على وجوب غض البصر لكانت عفة المسلم تمنعه من الوقوع فى تلك الرذيلة التى تسقط المروءة.

الأدلة من القرآن الكريم

ولنبداً أولاً بسرد بعض الأدلة التى وردت فى كتاب الله (جل وعلا)،
والتي تدل على وجوب غض البصر.

* الدليل الأول:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (١).

ونحن نلاحظ هنا أن الله يخاطب بتلك الآية المؤمنين؛ لأنه لا يستجيب لأمر الله إلا أهل الإيمان والتقوى الذين امتلأت قلوبهم حباً لله ولرسوله ﷺ.

* قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾.

«هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحَرَّمٍ من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً» (٢).

(١) سورة النور: الآية: (٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٢).

* وقال السعدى (رحمه الله): أى: أرشد المؤمنين، وقل لهم - الذين معهم إيمان، يمنعهم من وقوع ما يخل بالإيمان - : ﴿يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبية، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التى تفتن، وتوقع فى المحذور.

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عن الوطء الحرام، فى قُبْلٍ أو دُبُرٍ، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مَسِّهَا، والنظر إليه. ﴿ذَلِكَ﴾ الحفظ للأبصار والفروج ﴿أَزَكَّى لَهُمْ﴾ أطهر، وأطيب، وأغنى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذى يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذى تطمع إليه النفس وتدعو إليه. فمن ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه ومن غض بصره، أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع دواعى الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظاً، فالشئ المحفوظ إن لم يجتهد حافظه فى مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ. كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد فى حفظهما، أوقعاه فى بلایا ومحن^(١).

* وقد قال بعض أهل العلم: إن إعراب كلمة «يغضوا» التى وردت فى الآية أنها واقعة فى جواب الأمر... وحذف الأمر واقتصر على إيراد الجواب جزماً بأن هذا هو شأن المؤمنين أنهم إذا قيل لهم غضوا يغضوا.

وكان التقدير هنا: قل للمؤمنين غضوا يغضوا... فهذا هو شأن المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٢).



(١) تفسير السعدى (ص: ٧٨٦).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

الأمر بغض البصر للرجال والنساء

وحتى لا يتوهم أحدٌ أن غَضَ البصرِ خاصٌّ بالرجال فقط، فإن الله (عز وجل) قال فى الآية التى تليها: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (١)(٢).

«فهذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيره منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات» (٣).
 * فكما أن الرجل عنده ميلٌ فطرى إلى المرأة؛ فكذلك المرأة لديها ميلٌ فطرى إلى الرجل... فكما أن الرجل يشتهى المرأة؛ فكذلك المرأة تشتهى الرجل، ومن أجل ذلك جعل الله غَضَ البصرِ سياجاً واقياً لمنع انتشار الفواحش فى المجتمع المسلم.

ما السر فى تقديم غَضَ البصر على حفظ الفرج؟

وسرُّ تقديم غَضَ الأبصار على حفظ الفروج هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور... ولأن البلوى فيه أشد وأكثَر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه فبودر إلى منعه، ولأنه يتقدم الفجور فى الواقع، وغَضَ البصر من أجل الأدوية لعلاج أمراض القلوب.



(١) سورة النور: الآية (٣١).

(٢) تفسير السعدى (ص: ٧٨٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٣).

وقفة لطيفة

وأريد هنا أن أقف وقفتين في غاية الحسن والجمال:

الوقفة الأولى: أن الله (عز وجل) ربط بين غض البصر وحفظ الفرج؛ لأن الفاحشة لها مقدمات وخطوات.. وأولى تلك الخطوات هي عدم غض البصر.. فإن الرجل إذا أطلق بصره للنظر إلى النساء فإن تلك الصور تُنقش في قلبه.. وتظل تلك الصور تتراكم إلى أن تأتي اللحظة التي لا يتمالك فيها نفسه فيقع في الفاحشة - عياداً بالله - ولذلك حذرنا الحق (جل وعلا) فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١)، فإن من يستشرف للفتنة يقع فيها.

الوقفة الثانية: لماذا قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾^(٢)، فأتى بلفظ (من) التبعية.. ولما تكلم عن حفظ الفرج قال: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾^(٣)، ولم يأت بلفظ (من)؟.

الجواب: لأن المسلم مأمور بحفظ الفرج في جميع الأحوال.

أما غض البصر؛ فهناك حالات استثنائية يجوز فيها النظر للنساء مثل نظر الخاطب للفتاة التي يريد أن يتزوجها.. ومثل نظر القاضي للمرأة الشاهدة ليتثبت من شخصيتها.. ومثل نظر الطبيب المسلم للمريضة إذا لم تكن هناك طيبة أنثى؛ فيجوز له النظر لموضع المرض فقط ويستتر ما عداه، ولكن بشرط عدم الخلوة، وبشرط وجود محرم صالح عاقل.

* الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٤).

(يخبر (عز وجل) عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها

(١) سورة النور: الآية: (٢١).

(٢)، (٣) سورة النور: الآية: (٣٠).

(٤) سورة غافر: الآية: (١٩).

صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، وأنه (عز وجل) يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ويعلم ما تنطوى عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر).

فكل خائنة أعين يعلم الله بها، وخائنة الأعين كما عرفها ابن عباس رضي الله عنه هي: (أن يدخل الرجل على أهل البيت بيتهم فتمر به وبهم المرأة الحسنة، فإذا غفلوا لحظَ إليها، فإذا فطنوا غضَّ بصره عنها، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غضَّ).

* أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

هل استحضرت هذا المعنى الجليل قبل ذلك... هل شعرت وأنت تنظر إلى أى امرأة أن الله مطلع عليك ويعلم ما تخفيه عن الناس. سئل الجنيد (رحمه الله) فقيل له: (بِمَ يُستعان على غض البصر؟ فقال: بعلمك أن نظر الله إليك أسرع من نظرك إلى من تنظر إليه).

* فيا من تطلق بصرك إلى المحرمات.. هل تخيلت أنك قبل أن يصل بصرك إلى تلك المرأة التى تنظر إليها؛ فإن نظر الله يسبقك. والله لو استحضرت هذا المعنى لسقط لحم وجهك حياءً من الله.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت، ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة

ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

* الدليل الثالث: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (١).

(أى سِئَال كل واحد منهم عما اكتسب، فالقَوَاد يُسَالُّ عما افْتَكِر فيه واعتقده، والسمع والبصر كل واحد منهم عما اكتسب مما رأى وسمع) (١).

* ويا له من موقف عصيب عندما يقف العبد بين يدي الله (جل وعلا) فيُعرفه نعمه كلها فيعترف بها العبد، فيقول له الحق (جل وعلا): ماذا فعلت بتلك النعم.. هل فعلت ما يُرضيني أم أنك بارزتنى بالذنوب والمعاصي؟

- بالله عليك.. كيف سيكون جوابك في تلك اللحظة.. فلو اعترفت بذنوبك وآثامك فيا لها من لحظة عصيبة يعجز القلم عن وصفها.. ولو أنكرت فاعلم أن الله سينطق جوارحك لتعترف بكل ذنب اقترفته.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا أَن نَقْطِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ (٢).

* فمن الآن أيها الأخ الحبيب احرص على أن تعمل عملاً يبيض وجهك أمام الله، ولا تعمل عملاً يخزيك أمامه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

* * *

(١) تفسير القرطبي (١٠ / ٢٦٤).

(٢) سورة فصلت: الآيات: (١٩-٢٤).

الأدلة من السنة المطهرة

وها هي الأدلة من السنة المطهرة على وجوب غض البصر.

* الدليل الأول:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس في الطرقات». فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها. فقال: «إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه». قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر المعروف والنهي عن المنكر»^(١).

فجعل النبي ﷺ أول حق من حقوق الطريق أن يغض الإنسان بصره عن النساء... فيا ليت شبابنا الذين يضيعون أوقاتهم في الوقوف على النواصي للنظر إلى النساء... يا ليتهم يتدبرون هذا الحديث ويمثلون أمر الحبيب محمد ﷺ.

* الدليل الثاني:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّانِي، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ؛ الْعَيْنَانِ زَانَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زَانَاهُمَا السَّمْعُ، وَاللِّسَانُ زَانَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَانَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَانَاهُ الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوِي وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يَكْذِبُهُ»^(٢).

فسمى النبي ﷺ نظر العين إلى الحرام زنى... بل جعله النبي ﷺ على قائمة زنى الجوارح؛ لأن العين مرآة للقلب، ولذلك نجد أن القلب لا يشتهي إلا ما تراه العين.

* الدليل الثالث:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَنْظُرُ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٦٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢١٢١) كتاب اللباس والزينة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦١٢) كتاب القدر، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفْضَى الرجلُ إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تُفْضَى المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»^(١).

* فإذا كَانَ النبي ﷺ قد نهَاكَ عن النظر إلى عورة رجلٍ مثلك.. فمن باب أولَى أن يُحرَم عليك النظر إلى النساء الأجنبيات.

*** الدليل الرابع:**

عن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرَةِ الْفَجَاءِ، فَقَالَ: «اصْرِفْ بَصْرَكَ»^(٢).

* فَمَا تُرَى مَا هِيَ نَظَرَةُ الْفَجَاءِ؟..

هِيَ أَنْ تَنْظُرَ أَمَامَكَ لِتَبْصُرَ الطَّرِيقَ فَتَقَعَ عَيْنُكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا تَعْمَدِ عَلَى امْرَأَةٍ فَعَلَيْكَ أَنْ تَغْضُ بَصْرَكَ فِي التَّوَّ وَاللَّحْظَةِ..

*** الدليل الخامس:**

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٣).

* فَنَجِدُ هُنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ حَضَّ الشَّبَابَ عَلَى الزَّوْجِ لِيَكُونَ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى غَضِّ الْبَصْرِ وَتَحْصِينِ الْفَرْجِ.. وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَفْرِغُ الْقَلْبَ لِلطَّاعَةِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ وَالِدَعْوَةِ إِلَى اللَّهِ.

*** الدليل السادس:**

عن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَلِيُّ، لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»^(٤).

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٣٨) كتاب الحيض.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٥٩) كتاب الآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٥) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

(٤) حسن: رواه أبو داود (٢١٤٩) كتاب النكاح، والترمذي (٢٧٧٧) كتاب الآداب، وأحمد (٢٢٤٨٢).

باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٣).

والنظرة الأولى هي التي ورد ذكرها في حديث جرير الذي جاء في الدليل الرابع .

* الدليل السابع:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»^(١).

* فجعل النبي ﷺ غض البصر من أسباب دخول الجنة .

أخي الحبيب.. أختي الفاضلة: ألا تريدون الجنة؟

غضوا أبصاركم لتظفروا بالجنة .

سافنا الصالح.. ونعمة غض البصر

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «حفظُ البصر أشدَّ من حفظ اللسان»^(٢).

* وقال وكيعُ بن الجراح (رحمه الله تعالى): خرجنا مع سفيان الثوري في يوم عيد فقال: «إن أول ما نبدأ به في يومنا غضُّ أبصارنا»^(٣).

* وقال شجاعُ بن شاه (رحمه الله تعالى): «من عمَّرَ ظاهرهُ باتِّباعِ السُّنةِ، وبباطنهُ بدوامِ المراقبةِ، وغضِّ بصره عن المحارم، وكفِّ نفسه عن الشهوات لم تُخطئ له فِراسة»^(٤).

* ذكر أبو الفرج ابن الجوزي أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يُفتن به؟ قال: نعم. قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فائذن لي

(١) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠١٨).

(٢) الورع؛ لابن أبى الدنيا (ص: ٦٢).

(٣) الورع: لابن أبى الدنيا (ص: ٦٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٥ / ٤٢٥).

فيه فلافتنه، قال: قد أذنت لك. فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية في المسجد الحرام، فأسفرت عن وجهه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله استترى، فقالت: إني قد فُتنت بك. قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقتيني نظرت في أمرك. قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضى لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت. قال: فلو دخلت قبرك، وأجلست للمسألة أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك؟ أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت. قال: فلو أردت المرور على الصراط، ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو جىء بالميزان، وجىء بك، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم، لا قال: صدقت. قال: اتقى الله، فقد أنعم عليك وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها. فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لى ولعبيد بن عمير أفسد على امرأتى، كانت فى كل ليلة عروساً فصيرها راهبة. * قال بعض السلف: «من حفظ بصره أورثه الله نوراً فى بصيرته»^(١).

* قال الحافظ ابن حجر نظماً فى آداب الطريق:

جمعتُ آداب من رام الجلوس على الـ

طريق من قول خير الخلق إنساناً

أفشِ السلام وأحسنِ فى الكلام وشـ

مَّتْ عاطساً وسلاماً ردَّ إحساناً

فى الحمل عاون ومظلومًا أعن وأغث

لهفان اهد سبيلاً واهد حيراناً

بالعرف مرّ وانه عن نكر وكفّ أذى

وغضّ طرفاً وأكثر ذكر مولانا^(١)

* قال ابن تيمية (رحمه الله تعالى): قد أمر الله فى كتابه بغض البصر، وهو نوعان: غضُّ البصر عن العورة، وغضُّه عن محلّ الشهوة.

* فالأول منهما: كغضُّ الرجل بصره عن عورة غيره، كما قال النبى: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة»^(٢)، ويجب على الإنسان أن يستر عورته.

* وأما النوع الثانى: فهو غضُّ البصر عن الزينة الباطنة من المرأة الأجنبية، وهذا أشد من الأول^(٣).

مغبة إطلاق البصر إلى الحرام

قد أجرى الله الحكيم سنته بعدله أن الخواتيم مواريث السوابق، فمن فسدت بدايته فسدت حتماً نهايته، فمن أطلق بصره وخالف أمر ربه وقع فى هذه النتائج المرة المحزنة التى اكتظ بها المجتمع من زنى واغتصاب، . . . وما قصة رجل الأعمال منا ببعيدة، يوم شغل عن بيته بصفقاته وتجارته وترك الأمر لبناته يفعلن ما يُردن دون رقيب ولا حسيب يدخلن بمن يردن وبما يردن، فجئن يوماً بشريط فيديو جنسى عارٍ تماماً وتفرجن عليه فى غرفتهن سراً من أمهن، ثم نمن ونسين الشريط فى الجهاز وذهبن إلى المدرسة فى الصباح، وجاء أخو الزوج المشغول لزيارة زوجة أخيه، فوجدها فى البيت

(١) فتح البارى (١١ / ١٣).

(٢) صحيح، وقد تقدم.

(٣) مجموع الفتاوى (١٥ / ٤١٤).

وحدها، فطلب منها إعداد فنجان من الشاي، ثم دخل غرفة بنات أخيه فوجد - الريموت - وبحب استطلاع منه شغل الجهاز فدار الشريط الجنسي، وتحركت المناظر الجنسية المثيرة، والتي جذبت انتباهه، ثم جاءت زوجة أخيه بالشاي فشدها ما رأت، وانتهى الأمر بجريمة الزنى بين الرجل وزوجة أخيه، والتي تكررت مرات ومرات، وتطايير شررها عندما حملت المرأة سفاحاً، وجرت على لجنة الفتوى بالأزهر... أريد حلاً.

النظر المحرم قد ينتهي بصاحبه إلى الشرك

يقول ابن الجوزي محذراً من إطلاق البصر: «اعلم وفقك الله أن البصر صاحبُ خبر القلب ينقل إليه أخبار المبصرات، وينقش فيه صورها، فيجول فيها الفكر، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة. ولما كان إطلاق البصر سبباً لوقوع الهوى في القلب، أمرك الشارع بغض البصر عما يُخاف عواقبه... قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾، ثم أشار إلى مُسَبِّبِ هذا السبب، ونبه على ما يؤول إليه هذا الشر بقوله: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (١)» (٢).

وقد تحدّث شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عن النظر المحرم وما يؤول إليه من الوقوع في الفواحش، بل وقد ينتهي بصاحبه إلى الشرك بالله تعالى.. فكان مما قاله: «وأما النظر والمباشرة، فاللّم منها مغفور باجتناب الكبائر؛ فإن أصر على النظر أو على المباشرة، صار كبيرة، وقد يكون الإصرار على ذلك أعظم من قليل الفواحش، فإن دوام النظر بالشهوة وما يتصل به من العشق والمعاشرة والمباشرة قد يكون أعظم بكثير من فساد زنا لا إصرار عليه، ولهذا قال الفقهاء في الشاهد العدل: ألا يأتي كبيرة ولا يصر على صغيرة.

(١) سورة النور: الآيتان: (٣٠، ٣١).

(٢) ذم الهوى (ص: ١٠٦).

بل قد ينتهى النظر والمباشرة بالرجل إلى الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾^(١)، ولهذا لا يكون عشق الصور إلا من ضعف محبة الله وضعف الإيمان، والله تعالى إنما ذكره فى القرآن عن امرأة العزيز المشركة، وعن قوم لوط المشركين^(٢).

وقال ابن القيم (رحمه الله): «وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب؛ فإذا غَضَّ العبد بصره، غَضَّ القلب شهوته وإرادته؛ وإذا أطلق بصره، أطلق القلب شهوته...»

إلى أن قال: والنظرة إذا أثرت فى القلب؛ فإن عَجَلَ الحازمُ وحَسَمَ المادة من أولها، سَهَّلَ علاجه؛ وإن كرر النظر ونَقَّبَ عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات، كانت كالماء يسقى الشجرة؛ فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب ويُعرض عن الفكر فيما أمر به، فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن^(٣).

وبالمثال يتضح المقال

وها أنا ذا أسوق لحضراتكم قصتين لنعلم جميعاً أن مغبة إطلاق البصر إلى المحرمات وخيمة جداً.

فأما الحكاية الأولى؛ فقد ساقها أبو الفرج ابن الجوزى بقوله: «وبلغنى عن رجل كان ببغداد يُقال له: صالح المؤذن، أذن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، أنه صعد يوماً إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصرانى كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: من؟ فقال: أنا صالح المؤذن، ففتحت له، فلما دخل ضمَّها إليه، فقالت: أنتم أصحاب

(١) سورة البقرة: الآية: (١٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥ / ٢٩٢، ٢٩٣).

(٣) روضة المحبين (ص: ٩٢-٩٥) باختصار.

الأمانات فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتيني على ما أريد وإلا قتلتك. فقالت: لا إلا أن تترك دينك، فقال: أنا بريء من الإسلام، ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقالت: إنما قلت هذا لتقضى غرضك ثم تعود إلى دينك، فكل من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشرب الخمر، فشرب، فلما دبّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتاً وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبى زوجنى منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت فلفته فى ثوب، فجاء أبوها، فقصّت عليه القصة، فأخرجه فى الليل فرماه فى السكة، فظهر حديثه، فرمى فى مزبلة»^(١).

* وأما الحكاية الأخرى، فقد ذكر الحافظ ابن كثير (رحمه الله) فى حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين ما يلى: «وفيهما توفى عبدة بن عبد الرحيم قبحه الله، . . . ذكر ابن الجوزى أن هذا الشقى كان من المجاهدين كثيراً فى بلاد الروم، فلما كان فى بعض الغزوات، والمسلمون محاصروا بلدة من بلاد الروم، إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم فى ذلك الحصن فهويها فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت: أن تنتصر وتصعد إلى، فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غمّاً شديداً، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة فى ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان، ما فعل قرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتك؟ فقال: اعلّموا أنى أنسيت القرآن كله إلا قوله: ﴿رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢) ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾، وقد صار لى فيهم مال وولد»^(٣).

(١) ذم الهوى (ص: ٤٠٩).

(٢) سورة الحجر: الآيتان: (٢، ٣).

(٣) البداية (١١ / ٦٤).

خلاصة كلام مؤتمر الإعجاز الطبى فى القرآن

* وها أنا ذا أسوق لك بعض الآيات والأحاديث التى تدل على وجوب غرض البصر . . ها أنا ذا أسوق لك كلام أهل العلم المتخصصين فى مهنة الطب عن مغبة إطلاق البصر إلى النساء .

يقول الدكتور صادق محمد: لقد ثبت بالدراسة والبحث العلمى أن تكرار النظر بِشَرِّهِ للجنس الآخر يصل بالشخص إلى إصابة جهازه التناسلى بأمراض:

١ - احتقان غدة البروستاتا .

٢ - الضعف الجنسى .

وبالتحليل النفسى لهذا الإنسان وجد أنه يتعرض لأزمات نفسية واكتئاب وتغيير فى سلوكه وشخصيته، ويشير الباحث إلى أن حاسة النظر تعتبر أقوى وأخطر الحواس من ناحية الإثارة الجنسية، ولقد حذرنا الإسلام ونهانا عن إطلاق البصر، والتى ثبت فى عصر العلم الحديث بالبحث والدراسة ضرر مخالفتها .

فوائد غرض البصر

يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): «وفى غرض البصر عدة منافع:

١ - غرض البصر امتثال لأمر الله الذى هو غاية سعادة العبد فى معاشه ومعاده، وليس للعبد فى دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى، وما سَعِدَ مَنْ سَعِدَ فى الدنيا والآخرة، إلا بامتثال أوامر ربه وما شقى من شقى فى الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره .

٢ - أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذى لعل فيه هلاكه إلى قلبه .

٣- غض البصر يورث القلب أنساً بالله واجتماعاً عليه، وإطلاقه يفرق القلب ويشتته ويبعده عن الله، وليس على العبد شيء أضر من إطلاق البصر فإنه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه.

٤- أنه يقوى القلب ويُفرّحه، كما أن إطلاقه يضعف القلب ويحزنه.

٥- أنه يلبس القلب نوراً، كما أن إطلاقه يلبسه ظلمة؛ ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر؛ فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾^(١) ثم قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾^(٢).

أى: مثل نوره فى قلب عبده المؤمن الذى امتثل أوامره واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان،... فما شئت من بدع وضلالة، واتباع هوى، واجتناب هدى، وإعراض عن أسباب السعادة واشتغال بأسباب الشقاوة، فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذى فى القلب، فإذا نفذ ذلك النور بقى صاحبه كالأعمى الذى يجوس فى حنادس الظلام.

٦- أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصادق والكاذب... وكان شجاع الكرماني يقول: من عمر ظاهره باتباع السنة، واغتذى بالحلال، لم تخطئ له فراسة، وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسة. والله سبحانه يجزى العبد على عمله بما هو من جنس عمله، ومن ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه؛ فإذا غض بصره عن محارم الله، عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضاً عن حبس بصره لله. ويفتح عليه باب العلم والإيمان والمعرفة والفراصة الصادقة المصيبة التى إنما تنال ببصيرة القلب.

(١) سورة النور: الآية: (٣٠).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٥).

٧- أنه يورث القلب ثباتاً وشجاعة وقوة، فيجمع الله له بين سلطان النصره والحجة وسلطان القدرة والقوة، كما فى الأثر: «الذى يخالف هواه، يَفَرِّقُ^(١) الشيطان من ظله».

وضد هذا تجدد فى المتبع هواه - من ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها - ما جعله الله سبحانه فىمن عصاه .
كما قال الحسن: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، فإن ذل المعصية فى رقابهم، أبى الله إلا أن يُذل من عصاه» .
وقد جعل الله سبحانه العزَّ قرين طاعته، والذل قرين معصيته .

٨- أنه يسد على الشيطان مدخله من القلب، فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب، أسرع من نفوذ الهواء فى المكان الخالى، فيمثل له صورة المنظور إليه، ويزينها ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب، ثم يعده وَيُمْنِيهِ، ويوقد على القلب نار الشهوة، ويلقى عليه حطب المعاصى التى لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة، فيصير القلب فى اللهب، فمن ذلك اللهب تلك الأنفاس التى يجد فيها وهج النار، وتلك الزفرات والحرقات، فإن القلب قد أحاطت به نيران بكل جانب فهو وسطها كالشاة فى وسط التنور، ولهذا كانت عقوبة أصحاب الشهوات بالصور المحرمة، أن جُعِلَ لهم فى البرزخ تنورٌ من نار وأودعت فيه أرواحهم إلى حشر أجسادهم، كما رآها النبى ﷺ فى المنام^(٢) .

٩- أنه يفرغ القلب للتفكر فى مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر ينسيه ذلك ويحول بينه وبينه، فينفرط عليه أمره، ويقع فى اتباع هواه وفى الغفلة عن ذكر ربه .

(١) يفرق: يخاف .

(٢) كما فى حديث سمرة عند البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير .

- ١٠- أن بين العين والقلب منفذاً أو طريقاً يوجب انتقال أحدهما عن الآخر، وأن يصلح بصلاحه، ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذلك في جانب الصلاح^(١).
- ١١- يجعل العبد يذوق حلاوة الإيمان؛ لأن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.
- ١٢- غض البصر يعين الإنسان على طلب العلم؛ لأن العلم لا يُنال إلا بطاعة الله، . . . كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾^(٢).
- ١٣- غض البصر ينجي العبد من الوقوع في حفرة من حفر النار.
- ١٤- فيه راحةٌ للنفس والبدن.
- ١٥- يصون المحارم ويُجنب الوقوع في الزلل.
- ١٦- يجعل المجتمع المتحلى بهذه الصفة مجتمعاً آمناً متحاباً.
- ١٧- يصون المجتمع من انتشار الزنى.
- ١٨- يضرُّ بالشيطان وأعوانه ويستجلبُ العفة^(٣).
- ١٩- غض البصر يحفظ عليك تلك النعمة، كما قال النبي ﷺ: «احفظ الله يحفظك»^(٤).
- ٢٠- غض البصر مهرٌ للحوار العين.
- ٢١- أرجو من الله أن يُنعم على كل من غض بصره في الدنيا بنعمة النظر إلى وجهه الكريم (سبحانه وتعالى).



(١) الداء والدواء (ص: ٢١٣: ٢١٦) بتصرف.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٢).

(٣) نضرة النعيم (٧/ ٣٠٧٦).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

فمن باب قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (١).

أريدك أيها الأخ الحبيب أن تقايس بين نعم الله عليك وبين جنائتك ومعصيتك. . مع أن مقتضى القياس أن نقايس بين نعم الله علينا وبين طاعتنا لله. لكنى أريدك أن تقايس بين نعم الله عليك التى لا تُعد ولا تُحصى، وبين ذنوبك وآثامك، فخيرُهُ إلينا نارل، وشرنا إليه صاعد، ومع ذلك يعطينا ويرزقنا ويعافينا ويغفر لنا، وهو الذى لا تنفعه طاعتنا ولا تضره معصيتنا.

* ففى الحديث القدسى أن الله (جل وعلا) قال: «...يا عبادى، إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك فى مُلكى شيئاً، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من مُلكى شيئاً...» (٢).

* وإن من أعجب الأشياء أن العبد لا يعصى الله إلا بنعم الله. فلو لم يرزقك الله بنعمة البصر هل كان من الممكن أن تنظر إلى النساء؟ بالطبع لا... ومع ذلك استعملت نعمة البصر فعصيت بها ربك ونظرت بها إلى الحرام.

* ماذا تصنع لو حرمك الله من نعمة البصر؟ هل ترضى أن تكون عالة على الناس يأخذونك يميناً ويساراً...؟!!

إذن؛ فلماذا لا تحفظ النعمة وتحافظ عليها بطاعة الله، فهو القائل: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٣).

(١) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

* أما تستحيى عندما تنظر إلى رجلٍ أعمى قد امتلأ قلبه شكراً لله، مع أن الله حرمه نعمة البصر... وأنت تعصى الله بنعمة البصر؟

* أما علمت أن الله الذى رآك وأنت تنظر إلى امرأة فى الحرام.. هو هو الذى سيحاسبك يوم القيامة على تلك النظرة، ولن تستطيع أن تنكر، أو أن تكذب عليه، وهو الذى رآك.

* إذن؛ فلماذا لا تحافظ على تلك النعمة بأن تشكر الله عليها، وبأن تستعملها فى طاعة الله (جل وعلا).

أقسام النظر إلى النساء وأحكامها

* ونظر الرجل إلى النساء ينقسم إلى ثمانية أقسام:

الأول: نظر الرجل البالغ حتى ولو كان مجبوباً ^(١) إلى الحرة البالغة الأجنبية بغير داعٍ لذلك.

حكمه: هذا القسم حرام، ولا يجوز له أن ينظر إلى شيء منها، ولا حتى ظُفرها، ولا أطراف شعرها، وهذا القسم هو المقصود بالأدلة السابقة، فكل أدلة التحريم لإطلاق البصر ووجوب غضه مُنصبةً على هذا النوع.

الثانى: أن ينظر لامرأة لا تُشهى لكونها عجوزاً فانية، أو دميمة الخلقة جداً... سبحانه من سواها.

حكمه: يجوز النظر لوجهها فقط ولا يتعداه؛ لدخولها تحت قوله تعالى:

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٢).

الثالث: أن ينظر إليها لعرض الشهادة عليها أو لمعاملتها.

(١) المجبوب: مقطوع الذكر.

(٢) سورة النور: الآية: (٦٠).

حكمه: يجوز أن ينظر في هاتين الحالتين فقط للوجه والكفين؛ لأن هذه حاجة، وهو محتاج إلى معرفتها بعينها للمطالبة بحقوقه وحقوق العقد أو لتحمل الشهادة وأدائها، ولكن هذا الجواز مشروط بثلاثة شروط:

١- فقدُ جنس: أى لا بدَّ أن تكون التى تنظر إليها امرأة مثلها لتتعرف عليها؛ فإن فُقدَتِ المرأة التى تنظر، وتعذر الوصول إلى امرأة؛ جاز أن ينظر إليها رجل، وللوجه والكفين فقط.

٢- فقدُ محرم صالح: فيحرم أن ينظر إليها أجنبى إلا فى وجود المحرم، أما إذا فقد المحرم أو تعذر؛ فيجوز النظر للوجه والكفين، لكن بدون خلوة.

٣- أن يتعذر النظر إليها من وراء حجاب: لأن الأصل أن ينظر إليها عند الحاجة من وراء حجاب... للآية؛ فإن تعذر الحجاب جاز النظر بقدر الحاجة.

الرابع: أن ينظر إلى امرأة بالغة بقصد أن يخطبها لنفسه فيجوز النظر منها إلى الوجه والكفين ولا يتعدها.

الخامس: النظر إلى ذوات المحارم وهن كل امرأة يحرم عليك نكاحها أبداً بنسب كالأم والأخت، أو بسبب كالرضاع والمصاهرة والنظر إلى بنت صغيرة أو أمة.

حكمه: يجوز النظر لما يظهر منهن غالباً كالشعر والوجه والرقبة ونصف الذراع ونصف الساق.

السادس: أن ينظر إليها لغرض المداواة إن كان طبيياً، ولم توجد طيبة أنثى.

حكمه: يجوز لموضع الحاجة فقط ويستمر ما عداها، ولكن بشرط:

١- عدم الخلوة.

٢- وجود محرم صالح عاقل.

السابع: أن ينظر الرجل إلى أمة محرمة، أو إلى حرة مميزة دون تسع أو تنظر المرأة إلى المرأة أو إلى رجل أجنبي أو ينظر ولدٌ صغير لا شهوة له للمرأة، أو ينظر الرجل إلى رجل مثله، فيجوز إلى ما عدا ما بين السرة إلى الركبة.

الثامن: أن ينظر الرجل إلى زوجته المدخول بها أو أمته، فيجوز له أن ينظر إلى جميع بدنهما بلا حرج^(١).

الوسائل المعينة على غض البصر

١- الاستعانة بالله (جل وعلا):

فإن العبد لا حول له ولا قوة إلا بالله... فينبغي على العبد أن ينخلع من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، فيلجأ إلى الله أن يعينه على غض البصر.. وإنه ليسيرٌ على من يسره الله عليه.

قال ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله؛ وإذا استعنت فاستعن بالله..»^(٢).

وانظر إلى نبي الله يوسف (عليه السلام) عندما قال: ﴿وَالْأَتَصَرَّفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣﴾.

٢- استحضار مراقبة الله للعبد:

فإن العبد إذا علم أن الله مُطلع عليه، وأنه سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور.. وأنه يعلم السر وأخفى.. وأنه يراقب العبد

(١) احذر إنها سهم سُم إلى القلب / إبراهيم فتحى (ص: ٣٩ : ٤٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٣) سورة يوسف: الآيتان: (٣٣، ٣٤).

فى سكناته وحركاته؛ فإن ذلك يجعل العبد يستحى أن يعصى الله بنعم الله (جل وعلا).

٣- الزواج أو الصيام؛ لقول النبى ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج؛ ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»^(١).

٤- معرفة فضائل غض البصر.

٥- التعرف على الشرور التى يجنيها العبد من مغبة إطلاق البصر فى النظر إلى النساء، فإن ذلك يردعه عن النظر إلى النساء.

٦- استحضار مشاهد يوم القيامة بدءاً من دخول ملك الموت.. وانتهاءً بدخول الجنة أو النار.

٧- مصاحبة الأخيار، وترك صحبة الأشرار.

فالرجل على دين خليله.. فالصاحب المؤمن يعينك على غض البصر، أما صديق السوء، فإنه يهون عليك الذنوب، ويأخذ بيدك إلى كل أسباب الهلاك.

٨- ملازمة المصحف فى كل مكان؛

فلا تخرج من بيتك إلا والمصحف فى جييك.. فأينما كنت فأخرج المصحف واقرأ فيه، فإن ذلك يعينك على غض البصر.

٩- ملازمة ذكر الله؛

اشغل لسانك دائماً بذكر الله؛ فإن ذلك يعينك على غض البصر؛ لأن الانشغال بالذكر يجعل قلبك موصولاً بالله، ومن ثم فإنك لن ترى النساء من حولك، فضلاً عن أن تفتن بواحدة منهن.

١٠- عدم الوقوف فى الأماكن التى تقرر منها النساء؛

لأن ذلك فيه استشراف للفتنة.. والأصل أن الإنسان لا يورد نفسه

(١) متفق عليه: وقد تقدم.

موارد الهلاك؛ لأن الميل الفطري الغريزي بين الرجل والمرأة لا ينتهى أبداً ومن ثم فإن الشيطان يزين لك الوقوف فى تلك الأماكن، ثم يأخذ بيدك إلى أن تقترب من أسباب الفتنة خطوة خطوة، ولذلك حذرنا الله (جل وعلا)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (١).

١١- الانشغال بهم الدعوة؛

فإن المسلم إذا كان صاحب هم وقضية تشغله، فإنه لا يفكر فى أى شىء آخر... وليس هناك قضية أعظم من أن ندعو الكون كله لعبادة الله (جل وعلا).

١٢- أن تربط عينك بقطعة قماش لمدة طويلة، وتتخيل أن الله قد حرمك نعمة البصر... ثم تنزع تلك القطعة لتشعر بقدر تلك النعمة؛ فلا تستعملها إلا فى طاعة الله.

١٣- التوبة؛ وذلك بأن تتوب من إطلاق البصر للنساء... وتبدأ صفحة جديدة مع الله (جل وعلا) تعاهده فيها على غرض البصر، وتصديق معه... وليكن لسان حالك ومقالك.

يا رب أنت أمرتني ونهيتني

وأريتني طرق الضلالة والهدى

وعلمت أنى لا أفر من الذى

قدرت لى إن كان خيراً أو ردى

وسلكت بى ما شئت للشىء الذى

فى الخلق ما أخفيته عنهم سدى

فاقبل بفضلك توبتى لك خالصاً

واغفر فإنى قد بسطت لك اليد

واصفح عن العبد الذى يا سيدى

قد جاء معترفًا وعاش موحدًا

١٤- استحضار ما أعدّه الله للمؤمنين فى الجنة: فمن بين النعيم الذى

يكرمك الله به فى الجنة الحور العين.

* قال ﷺ: «... ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض،

لأضاعت ما بينهما ولملأته ريحاً ولنصيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها» (١).

فماذا تساوى المرأة التى تنظر إليها بالنسبة لجمال الحور العين... فهل هناك عاقلٌ يضع على نفسه لذة الاستمتاع بالحور العين فى الجنة من أجل نظرة إلى امرأة من أهل الدنيا؟!!

ثم إن النفس لا تقف عند حدٍّ معين... فإذا رأى الإنسان امرأة جميلة فسوف يجد من هى أجمل منها... ومن ثم فالواجب عليك أن تصرف بصرك عن كل النساء؛ لأن النساء ليست غاية، وإنما غاية المؤمن أن يفوز برضوان الله وجنته.

معوقات غض البصر

١- عدم مراقبة الله (جل وعلا)؛

فإن العبد إذا لم يشعر بأن الله يراقبه ويراه ويعلم سره ونجواه، فإنه يكون جريئاً على معصية الله... قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (٢).

٢- نسيان الآخرة؛

فإن ذكر الآخرة والجنة والنار يجعل العبد يسعى إلى مرضاة الله، ويكثر

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٦) كتاب الجهاد والسير.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٣٥).

من أعماله الصالحة ليفوز بالجنة، ويهرب من الذنوب والمعاصي خوفاً من النار... فإذا نسي العبد آخرته، فلا شيء يردعه عن الوقوع في أى معصية صغيرة كانت أو كبيرة.

٣- أصدقاء السوء:

فإن صاحب صاحب، يجر صاحبه إلى كل معصية، إن لم يجتمعا على طاعة الله (جل وعلا)... فكم من صاحب أوقع صاحبه في حفرة من حفر النار بسبب تزيين المعاصي والبعد الشديد عن الله (جل وعلا).

٤- تبرج النساء:

فإن ذلك يثير الشهوات الكامنة في نفوس الشباب، مما يجعله ينظر إليهن بشهوة إن لم يكن عنده أى وازع ديني يردعه عن فعل ذلك:

* وهنا أهمس في أذن كل أخت مسلمة وأقول لها: هل رضيتى بأن تكونى سلاحاً فى يد أعداء الله ليدمروا به شباب المسلمين؟!.

يا حفيدة أسماء وخديجة وعائشة عودى إلى حجابك وحيائك وقولى لهم: ستعلمون غداً أنى أنا الحرة الأبية التى ستخرج للكون رجالاً أمثال عمر وخالد بن الوليد والزبير بن العوام.

* وأريد أن أهمس الهمسة الثانية فى أذن كل ولى أمر.

أقول له: اعلم أن النبى ﷺ دعا لك أو دعا عليك... فلقد دعا لك إن امتثلت أمره... ودعا عليك إن خالفته، فقال ﷺ: «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به»^(١).

فأنت قد ولاك الله أمر بنات من بنات المسلمين، فإذا تركت بناتك بلا حجاب ليفتن شباب المسلمين، فقد شققت على هؤلاء الشباب، وسوف تبوء بدعاء النبى عليك.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٨) كتاب الإمامة.

وإذا ألزمت بناتك بلبس الحجاب وحجبت ففتتهن عن شباب المسلمين فقد رفقت بهؤلاء الشباب وستفوز بدعاء النبي ﷺ لك .
بل إنني أخاف عليك أن تحرم من دخول الجنة، فقد قال ﷺ : «لا يدخل الجنة ديوث». قالوا: ومن الديوث يا رسول الله؟ قال: «الذي يُقر الحُبَّ في أهله»^(١).

* وهل هناك أعظم من أن تترك ابنتك أو زوجتك أو أختك ترتع في الشوارع كاشفة عن مفاتها، وهي تعرض جسدها كسلعة رخيصة لتفتن شباب المسلمين .

* والله أنا لا أَرْضَى لك بذلك أبداً . بل إنني أرجو الله (جل وعلا) أن يعينك على تربية بناتك على الحياء والحجاب والأخلاق الحميدة؛ لتفوز ببشرى النبي ﷺ لك، حيث قال: «من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين»^(٢).

* ألا تريد أن تكون مع النبي في الجنة؟

إذن فلا تضيع الأمانة . . . وألزم بناتك وأخواتك وزوجتك بالحجاب، وعلمهن سيرة الصحابيات وأمهات المؤمنين ليقنطين بهن، فهن الأسوة والقُدوة لنساء المسلمين .

٥- الدش والتلفاز والإنترنت:

فإن تلك الأجهزة على الرغم من أنها تحتوى على بعض المنافع إلا أن الفساد الذى فيها أكبر بكثير . . . فلقد استطاع كثير من الشباب والفتيات أن يطلعوا على العورات، وأن يفقدوا كثيراً من الحياء .

(١) حسن لغيره: رواه النسائي (٢٥٦٢) كتاب الزكاة، وأحمد (٦٠٧٨) مسند المكشرين من الصحابة، واللفظ له، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٥١٢)، وقال: حسن لغيره.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣١) كتاب البر والصلة والآداب.

وكان من جرّاء ذلك أن أُثِرت الشهوات الكامنة، مما جعل الشباب يبحثون عن الوسيلة التي يفرغون من خلالها تلك الشهوة فلم يجد أكثرهم إلا الزواج العرفي المحرم، والذي كان من جرائه اثنا عشر ألف طفل بلا أب شرعى يعيشون الآن فى الملاجئ ودور الإيواء.

والذى كان نتيجة لثلاثمائة ألف حالة من الزواج العرفي، وذلك حسب الإحصائيات الرسمية... فنسأل الله العفو والعافية.

٦- الاختلاط بين الشباب والبنات فى المدارس والكلليات وأماكن

العمل؛

ومن أشد الوسائل ضرراً وشرّاً: اختلاط النساء بالرجال، فإن هذا الاختلاط أنكى وسيلة فى الانغماس فى الفواحش والقاذورات، وقد كثر فى هذا الزمان من يطالب بهذا الاختلاط ويدعو إليه، حيث ينادون بمزاحمة النساء للرجال فى جميع المجالات والأعمال، زاعمين أنهم يريدون الخير والإصلاح لمجتمعاتهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١)(٢).

قال ابن القيم متحدثاً عن مفاصد الاختلاط: «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بليّة وشرّ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة... وهو من أسباب الموت العام والطواعين المهلكة. ولما اختلط البغايا بعسكر موسى (عليه السلام) وفشت فيهم الفاحشة أرسل الله عليهم الطاعون، فمات فى يوم واحد سبعون ألفاً، والقصة مشهورة فى كتب التفسير، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال والمشى بينهم متبرجات متجملات» (٣).

(١) سورة البقرة: الآية: (١٢).

(٢) عبودية الشهوات/ د. عبد العزيز بن محمد (ص: ٢٢).

(٣) الطرق الحكيمة (ص: ٢٥٩).

٧- هجر الذكر والقرآن:

فإن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.. فإن لم تشغل نفسك بالقرآن والذكر ودروس العلم شغلتك بالدش والتلفاز والنظر إلى النساء.

٨- الفراغ القلبي والعاطفى:

فإن المسلم إذا عاش بلا همٍّ ولا قضية تشغله، فإن قلبه يهيم فى أودية الدنيا، ويرتفع فى أحوال المعاصى.
فاشغل قلبك بمحبة الله، ومحبة رسول الله ﷺ.. واجعل الجنة والنار نصب عينيك، واجتهد قدر استطاعتك لتفوز برضوان الله وجنته.

وأخيراً

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

تعالوا بنا لتواعد من الآن على أن نفتح صفحة جديدة، ونتعاهد على غض البصر، عسى الله أن يرضى عنا، وأن يجمعنا فى الجنة إخواناً على سرٍّ متقابلين.
وعساه أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه فى غير ضراء مُضرة ولا فتنة مضلة.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

يا شباب.. احذروا العادة السيئة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).
 أما بعد:

أيها الأخ الحبيب الغالي: لقد رجعت بالذاكرة إلى عهد النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم وجلست أتذكر تلك التساؤلات التي كان النبي ﷺ يسمعها من أصحابه ويرد عليهم... فهذا رجل يسأله عن أحب الأعمال إلى الله... وآخر يقول له: ما الذي يضحك الرب من العبد؟. وثالث يقول: دُلّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس... ورابع وخامس... إلخ.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

* وإذا بنا نسمع في هذه الأيام سؤالاً يتردد ويتكرر في كل دروس العلم تقريباً... شباب يسألون: ما حكم العادة السرية؟!!!!
فجلست أقارن بين أسئلة السلف وأسئلة الخلف فامتلاً قلبي حزناً وكمدًا على إخواني وأحبابي من شباب أمتنا.

* أيها الأخ الحبيب: هل تعلم أنك ربما تكون حفيداً لأبى بكر أو لعمر أو لعثمان أو لعلى أو لطلحة أو للزبير رضي الله عنهم.

لقد كان أجدادك يعيشون الإسلام، فهل يجدر بك أن تعيش أنت لشهوتك وتنسى هموم أمة تكالب عليها الشرق والغرب؟!!!

أخي الحبيب: والله لو كنت تحمل في قلبك هم هذا الدين وتعيش من أجل قضية واحدة.. ألا وهي نصرة هذا الدين وتبليغ دعوة الحبيب صلوات الله عليه إلى الكون كله لما فكرت لحظة واحدة في شهوة أو متعة رخيصة تجلب لك الحسرة والندم حين لا ينفع الندم.

* يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): «الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة؛ فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما أن تُضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة، وإما أن تثلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإما تُذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألد وأطيب من قضاء الشهوة، وإما أن تجلب همًّا وغمًّا وخوفًا لا يقارب لذة الشهوة، وإما أن تُنسى علماً ذكره ألد من نيل الشهوة، وإما أن تُشمت عدوًّا وتُحزن وليًّا، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول؛ فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق»^(١).

* أخي الحبيب: إنني سأحاول جاهداً من خلال تلك الرسالة أن أضع

يدى على الداء، ثم أصف لك الدواء من القرآن والسنة عسى الله أن ينفعك بتلك الكلمات فتتوب إلى الله وتترك تلك العادة السيئة لنراك بعدها عابداً لله داعية إلى شرع الله وإلى سنة رسول الله ﷺ . . . ولسان حالك ومقالك كما قال ربى بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد جيوش الفرس حينما سأله: من أنتم؟ وما الذى جاء بكم إلى هنا؟ فقال له ربى بلسان الواثق فى موعود ربه: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

- فهيا أخى الحبيب لتتعايش بقلوبنا مع تلك الرسالة التى هى واحدة من بين مجموعة رسائل أوجهها لشباب الأمة المسلمة عسى الله أن ينفع بها وأن يجعلها فى ميزان حسناتى وأن يجمعنى وإياك بالحبيب محمد ﷺ فى جنات النعيم . . . إنه ولى ذلك والقادر عليه .
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

من هنا نبدأ

أيها الأخ الحبيب الغالى: اعلم أن الإسلام هو الدين الذى يوازن بين جانب الروح وجانب الجسد... فهو الدين الذى حرّم الرهبانية.. وفى نفس الوقت حرم الزنا، وشرع لنا الزواج الشرعى؛ لأن ديننا هو دين الوسطية، فهو لا يكبت أى شهوة وإنما يضعها فى موضعها الذى أحله الله لنا.

* وأنا أعلم جيداً أن سلطان الشهوة قوى وبخاصة أنه فطرة مُركّبة فى كل إنسان،... كما قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ﴾ (١).

لكن سلطان الإيمان والتقوى أعظم وأقوى من سلطان الشهوة، فالمسلم لا يمكن أن تقوده شهوة، وإنما يقوده قانون الإيمان الذى عاش فى رحابه سلفنا الصالح فسعدوا فى الدنيا والآخرة.

* وها أنا أقدم تلك الرسالة لكل شاب صالح يسعى لإعفاف نفسه ويدرك خطورة الشهوة المحرمة.. وهى رسالة إلى كل شاب أطلق العنان لشهوته ولكنه يبحث عن مخرج.

* أقول لهم جميعاً: إن الشهوة سرعان ما تمضى وتنقضى ولكن تبقى التبعات والذنوب والآثام، وأنا والله أريد لكم جميعاً أن تسعدوا فى الدنيا فى ظل تعاليم هذا الدين العظيم وأن تسعدوا فى الآخرة فى جنة الرحمن (جل وعلا) التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الأدلة على تحريم العادة السيئة

اعلم أيها الأخ الحبيب الغالى أنك مُستهدف من الأعداء الذين يخططون ليل نهار لتدمير الشباب المسلم؛ لأنهم يعلمون أن الشباب هم سواعد الأمة المسلمة وأملها فى مستقبلها، فلا تُشمت بك الأعداء، واثبت يا حفيد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وسائر أصحاب النبى ﷺ .

* اعلم أيها الأخ الحبيب أن الاستمناء (العادة السرية) حرام . . والأدلة على ذلك كثيرة ولكن سأكتفى بذكر بعضها:

١- الدليل الأول:

قال تعالى فى سورة «المؤمنون»: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿١﴾﴾.

* أقوال المفسرين وغيرهم فى هذه الآيات:

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآيات: وقد استدل الإمام الشافعى ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد . . بهذه الآيات الكريمة .

قال: فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين الأزواج وملك اليمين، وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٢).

وقال بعض العلماء: إنه كالفاعل بنفسه، وهى معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قبله ويا ليتها لم تُقل، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها.

(١) سورة المؤمنون: الآيات: (٥-٧).

(٢) سورة المؤمنون: الآية: (٧).

قال أبو حيان في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(١)، ويشمل قوله: ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ الزنا واللواط ومواقعة البهائم والاستمنااء... وقال أيضاً: والجمهور على تحريم الاستمنااء.

٢- الدليل الثاني:

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»^(٢).

قال الإمام ابن حجر في «فتح الباري» أثناء الكلام على هذا الحديث: «واستدل به بعض المالكية على تحريم الاستمنااء؛ لأنه أرشد عند العجز عن التزويج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة فلو كان الاستمنااء مباحاً لكان الإرشاد إليه أسهل».

وقال الإمام ابن القيم: «والصحيح عندي أنه لا يباح - أي: الاستمنااء - لأن النبي صلوات الله عليه وآله إنما أرشد صاحب الشهوة إذا عجز عن الزواج إلى الصوم ولو كان هناك معنى غيره لذكره». اهـ.

* وقد كان النبي صلوات الله عليه وآله إذا خُير بين أمرين اختار أيسرهما... فطالما أنه هنا عدل عن الأيسر إلى غيره فهذا دليل على أن الاستمنااء حرام؛ لأن الصيام فيه مشقة والاستمنااء أيسر وأحب إلى قلب كثير من الشباب ومع ذلك اختار النبي صلوات الله عليه وآله الصيام ليوضح لنا حرمة الاستمنااء.

٣- الدليل الثالث:

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعْظِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٣).

(١) سورة المؤمنون: الآية: (٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٥) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

(٣) سورة النور: الآية: (٣٣).

تدل هذه الآية على حرمة الاستمنا من وجهين:

الأول: أن الله تعالى أمر فيها بالاستعفاف، والأمر يدل على الوجوب فيكون الاستعفاف واجباً، وحيث وجب اجتناب ما ينافيه كالزنا واللواط والاستمنا فتكون هذه الأشياء واجبة الاجتناب محرمة الفعل؛ لأن الاستعفاف الواجب لا يتحقق إلا باجتنابها جميعاً.

الثاني: أن الله تعالى أوجب في الآية الاستعفاف على من لم يستطع القيام بتكاليف النكاح ولم يجعل بين النكاح والاستعفاف واسطة فاقضى ذلك تحريم الاستمنا ولو كان مباحاً لبيّنه في هذا المقام؛ لأن هذا مقام بيان، إذ أحوج ما يكون الرجل إلى جواز الاستمنا إذا لم يجد سبيلاً إلى النكاح لا سيما عند توقان نفسه إلى الوطء، فلما سكت عنه في هذا المقام الذي يقتضى بيانه دلّ على أنه حرام.

٤- الدليل الرابع:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني رجل شاب، وأنا أخاف على نفسي العنت، ولا أجد ما أتزوج به النساء، فسكت عني، ثم قلت ذلك، فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة، جف القلم بما أنت لاق، فاخصص على ذلك أو ذر»^(١).

يقول الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: «قوله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة «فاخصص على ذلك أو ذر» فليس الأمر فيه لطلب الفعل - أي: فعل الاختصاص - بل هو للتهديد، وهو كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢) وليس إذنًا في الخصاء، بل فيه إشارة إلى النهي عن ذلك، كأنه قال: إذا علمت أن كل شيء بقضاء الله فلا فائدة في

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٠٧٦) كتاب النكاح.

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

الاختصاص، وقد تقدم أنه عليه السلام نهى عثمان بن مظعون لما استأذنه في ذلك . وكانت وفاته قبل هجرة أبي هريرة بمدة . .

وهذا الحديث يدل على حرمة الاستمناء؛ لأن أبا هريرة اشتكى إلى النبي عليه السلام شبابه وخوفه من العنت وكرر شكايته ثلاث مرات ومع هذا لم يرشده النبي عليه السلام إلى الاستمناء كما لم يرخص له في الاختصاص وهذا أبلغ ما يكون في الدلالة على التحريم .

أسباب تحريم العادة السيئة

أيها الأخ الحبيب الغالي: اعلم قبل أى شىء أننا نمثل أمر الله وأمر رسول الله عليه السلام وننتهى عما نهانا الله عنه، وما نهانا عنه رسول الله عليه السلام، ولو لم نعلم العلة من ذلك فنحن عبيدٌ لله نفعل ما يريد وننتهى عما يكره .

لكن على الرغم من ذلك فإننى سأذكر لك بعض الأسباب التى من أجلها حرم الله (جل وعلا) تلك العادة القبيحة:

١- الاستمناء حرام؛ لأنه معصية لله (جل وعلا)؛

فطاعة الله (جل وعلا) واجبة على كل مسلم، ومعصيته حرام بإجماع العلماء والعقلاء، فلقد خلقنا الله لطاعته وعبادته فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١) .

✽ وأنا أعلم جيداً أن الشهوة محببة إلى النفس، ولكن لذة الطاعة أعظم . فإن العبد الذى عاش على معصية الله سينسى كل نعيم عاشه فى الدنيا مع

أول غمسة فى نار جهنم، . . . والعبد الذى عاش على طاعة الله وحرّم نفسه من المتع المحرمة سينسى كل شقاء وبلاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن .

- فاصبر أيها الأخ الحبيب على هذا البلاء، واغتنم كل لحظة فى طاعة الله لتعيش فى جنة الدنيا التى تُثمر لك جنة الآخرة .

- قال الإمام ابن تيمية (رحمه الله): «إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة، قيل: ما هى؟ قال: إنها جنة الإيمان» .

٢- الاستمناء حرام:

لأنه تضييع لماء الحياة، ووضع فى غير المكان الذى خلقه الله له:

- فالله (عز وجل) جعل هذا الماء سبباً لإيجاد الذرية الصالحة الذين يملأون الكون عبادة وطاعة لله (جل وعلا) . . فإذا فعل الشاب تلك العادة السيئة فإنه بذلك يضع ماء الحياة فى غير الموضع الذى خلقه الله له، وهذا تضييع وإسراف فى نعم الله (جل وعلا) .

٣- لأن فيه تضييع للفرائض والواجبات:

فكم من شاب ضيع الصلاة أو الصيام بسبب تلك العادة القبيحة، كأن يمارس تلك العادة القبيحة قبل صلاة الفجر (الصبح) فيجد الماء فى الصنبور بارداً، فلا يستطيع أن يغتسل فيضيع تلك الفريضة الغالية، أو يمارس تلك العادة القبيحة فى نهار رمضان فيضيع صيامه، . . . وغير ذلك كثير وكثير .

٤- الاستمناء حرام لأنه يذهب الحياء:

أيها الأخ الحبيب: أنا أريد أن أسألك سؤالاً واحداً: هل تستطيع أن تمارس تلك العادة القبيحة أمام أحد من الناس؟! !!

طبعاً سيكون الجواب: كلا . . لأنك تستحيى من الناس!!! .

- أقول لك: إن كنت تستحيى من الناس فلماذا لا تستحيى من الخالق (جل وعلا)؟! . . ألا تعلم أنه يراك ويطلع عليك فهو الذى يعلم السر

وأخفى وهو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

* ألا تعلم أيها الأخ الحبيب أن عنوان ديننا هو الحياء... فقد قال ﷺ :
«وإن لكل دين خلقاً وإن خلق الإسلام الحياء» (١) .

* ولقد جاء فى الأثر (٢) أن العبد إذا غاب عن أعين الناس، وفعل أى معصية فإن الله (عز وجل) ينادى عليه من فوق سبع سماوات ويقول:
«عبدى أجعلتنى أهون الناظرين إليك؟!!!!» .

* أيها الأخ الحبيب: ألا تستحى من الملائكة الذين يكتبون عليك الحسنات والسيئات. . ألا تستحى من أن تُفضح يوم القيامة فى أرض المحشر أمام الخلائق يوم تشهد عليك الملائكة بل وتشهد عليك جوارحك؟!!

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٩) حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون (٢٠) وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون (٢١) وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون (٢٢) وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (٢٣) فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين (٥) .

(١) حسن: رواه ابن ماجه (٤١٨١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٤٩) .

(٢) وهو أثر ضعيف، ونحن نذكره هنا من باب الاستئناس وليس من باب الاستدلال .

(٣) سورة النور: الآية: (٢٤) .

(٤) سورة يس: الآية: (٦٥) .

(٥) سورة فصلت: الآيات: (١٩-٢٤) .

٥- الاستمناء حرام لأنه تدمير لنسل المسلمين:

وذلك لأنه يحول ماء الرجل من ماء غليظ كما هو المعتاد في منى الرجل إلى ماء رقيق ولهذا يأتي ولده ضعيفاً وهذا تدمير لذرية المسلمين .

* فماء الرجل كبذور الحياة، ورحم المرأة هو الأرض الخصبة التي تُغرس فيها تلك البذور، فإذا كان الرجل يمارس تلك العادة القبيحة قبل الزواج فإنه إذا تزوج تأتي ثمرته ضعيفة مريضة، وهذه خيانة لأمة الحبيب محمد ﷺ لأن الأمة في أشد الحاجة إلى شباب أقوياء يحملون هم هذا الدين ويدعون إلى الله ويجاهدون في سبيل الله (جل وعلا).

٦- الاستمناء حرام لأنه إهدار لحق الزوجة:

فالشاب الذي يمارس تلك العادة السيئة فإنه يصاب بضعف شديد في العضو، كما أنه يصاب بسرعة القذف مما يتسبب في الإضرار بالزوجة . . بل قد يصل الأمر أحياناً إلى الطلاق (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

* والسبب في ذلك تلك المعصية التي وقع فيها الشاب قبل الزواج .

- أجل والله أيها الأخ الحبيب فلقد قال ﷺ: «احفظ الله يحفظك»^(١)

فلو حفظت الله في شبابك لحفظك في كبرك .

- ولقد كان الرجل من أجدادنا يتزوج إذا ماتت زوجته وهو في سن السبعين؛ لأنه حفظ الله في شبابه فلم يفعل تلك العادة السيئة فحفظه الله في كبره وبارك في صحته وعافيته .

٧- الاستمناء حرام لأنه يدمر الجسد:

أيها الأخ الحبيب: إنك إذا نظرت بعين البصر والبصيرة إلى كثير من الشباب الذين يمارسون تلك العادة السيئة لرأيت أنهم قد تحولوا من شباب أقوياء إلى شيوخ ضعاف مهازيل .

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه

العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

* ولقد أخبرنا النبي ﷺ أننا جميعاً سنسأل عن مرحلة العمر عامة وعن مرحلة الشباب خاصة... فقال ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟» (١).

* ومع أن الشباب هو جزء من العمر فالعبد يُسأل عن العمر ثم يُسأل عن الشباب وذلك لخطورة مرحلة الشباب فيها الفتوة والقوة والشهوة.

* قال عبد الله بن محمد الغماري: في كتابه الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء (ص ٤٥): ثبت في علم الطب أن الاستمناء يورث عدة أمراض منها:

- ١- أنه يُضعف البصر، ويقلل من حدته المعتادة إلى حدٍّ بعيد.
- ٢- أنه يُضعف عضو التناسل، ويحدث فيه ارتخاءً جزئياً أو كلياً، بحيث يصير فاعله أشبه بالمرأة لفقد أهم مميزات الرجولة التي فضل الله بها الرجل على المرأة فهو لا يستطيع الزواج، وإن فرض أنه تزوج فلا يستطيع القيام بالوظيفة الزوجية على الوجه المطلوب فلا بد أن تتطلع امرأته إلى غيره؛ لأنه لم يستطع إعفافها وفي ذلك مفسد لا تخفى.
- ٣- ومنها: أنه يحدث ضعفاً في الأعصاب عامة، نتيجة الإجهاد الذي يحصل من تلك العملية.

- ٤- ومنها: أنه يحدث اضطراباً في آلة الهضم، فيضعف عملها ويختل نظامها.
- ٥- ومنها: أنه يوقف نمو الأعضاء خصوصاً الإحليل والخصيتين، فلا تصل إلى حد نموها الطبيعي.

- ٦- ومنها: أنه يحدث التهاباً منوياً في الخصيتين، فيصير صاحبه سريع الإنزال إلى حدٍّ بعيد بحيث يُنزل بمجرد احتكاك شيء بذكره أقل احتكاك.

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٤١٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والدارمي (٥٣٧) في مقدمة سننه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٤٦).

٧- ومنها: أنه يورث أماً في فقار الظهر، وهو الصلب الذى يخرج منه المنى وينشأ عن هذا الألم تقويس فى الظهر وانحناء.

٨- ومنها: أنه يحل ماء فاعله، فبعد أن يكون منه غليظاً ثخيناً كما هو المعتاد فى منى الرجل يصير بهذه العملية رقيقاً فيتكون منه جنين ضعيف، ولهذا تجد ولد المستمنى - إن وُلد له - ضعيفاً بآدى الأمراض، ليس كغيره من الأولاد الذين تولدوا من منى طبعى.

٩- ومنها: أنه يحدث ضعفاً فى الغدة المخية فتضعف القوة المدركة ويقفل فهم فاعله، وبعد أن يكون ذكياً، وربما يبلغ ضعف الغدد المخية إلى حد يحصل معه خبل فى العقل.

١٠- ومنها: أنه يحدث على الوجه صفرة تنذر بحلول السل، والعياذ بالله تعالى.

١١- ومنها: ما ذكره الشيخ داود الأنطاكى فى تذكرته: أنه يورث غمماً فى الصدر.

٨- الاستمناء حرام لأنه من الزنا.

فقد قال عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزنى»^(١). وفى رواية قال عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّانِ مَدْرَكُ ذَلِكَ لَا مُحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زَانَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زَانَاهُمَا السَّمْعُ، وَاللِّسَانُ زَانَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَانَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجْلُ زَانَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يَكْذِبُهُ»^(٢).

٩- الاستمناء حرام لأنه طريق إلى الزنا واللواط:

فإذا كانت السجارة هى أول طريق المخدرات فكذلك الاستمناء هو

(١) صحيح: رواه أحمد (٣٩٠٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤١٥٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٤٣). كتاب الاستئذان، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

البوابة التي يدخل منها الشاب إلى الزنا واللواط . . وقد حذرنا الحق (جل وعلا) من خطوات الشيطان فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (١).

* أيها الأخ الحبيب الغالي: من أجل ذلك كله كان الاستمناء حراماً.

الأسباب التي تدفع الشباب إلى ممارسة العادة السيئة

ولو بحثنا عن الأسباب التي تدفع أكثر الشباب إلى ممارسة تلك العادة السيئة لوجدناها كثيرة ولكن حسبنا أن نقف على أهم الأسباب:

١- ضعف الإيمان:

فلا شك أن العبد كلما ازداد رصيد الإيمان في قلبه فإنه ينأى بنفسه عن الوقوع في مثل تلك البلايا والمعاصي . . وكلما نقص الإيمان في قلبه فإنه لا يجد ما يردعه عن أى معصية فتجده يرتع في أحوال المعاصي .

* قال ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن...» (٢).

- فأهل المعاصي يزينون لأنفسهم فعل أى معصية بل ويتكبرون الأعذار التي تدفعهم لفعلها، أما أهل الإيمان فإن الواحد منهم إذا فعل أى معصية ولو كانت صغيرة فإن الدنيا تضيق عليه ويشعر وكأنه قاعدٌ تحت أصل جبل يوشك أن يقع عليه .

٢- الجهل بأسماء الله وصفاته:

فالله هو السميع البصير الرقيب .

فإذا علم العبد أن الله (عز وجل) يرى كل أفعاله ويسمع كلامه كله وأنه

(١) سورة النور: الآية: (٢١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

هو الذى يعلم السر وأخفى، وأنه يعلم خائنة الأعين، وما تُخفى الصدور، ولو استشعر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (١) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢) وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٣) لم يتجرأ على فعل أى معصية أبداً.

ولذلك فنحن فى أشد الحاجة إلى العلم بأسماء الله وصفاته لنستحضر عظمة الله فلا نتجرأ أبداً على معصيته.

٣- أصدقاء السوء:

فالساحب صاحب.. فإذا صحبت أهل الصلاح فإنهم دائماً يذكرونك بالله ويأخذون بيدك إلى كل طاعة.. وإذا صحبت أهل الفساد فإنهم يأخذون بيدك إلى كل ما يُغضب الله (جل وعلا) ولذا قال ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (٤).

* فيجد الشاب صاحبه الذى يسكن بجواره أو زميله فى الدراسة.. إذا كان غير ملتزم فإنه قد يأتیه بصورة عارية أو فيلم جنسى يستحى منه أصحاب الفطر النقية فيفتح عليه باب فتنة كبير فيتأثر هذا الشاب بتلك الصور وتتأجج نار الشهوة بداخله فيزين له الشيطان فعل العادة السيئة ليقضى شهوته.. والسبب فى ذلك مصاحبة أهل الفساد.

- واعلم أيها الأخ الحبيب أن صاحبك هذا الذى زين لك تلك المعصية سيكون عدواً لك يوم القيامة بين يدي الله (جل وعلا)، ولذا قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ

(١) سورة الحديد: الآية: (٤).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة ق: الآية: (١٦).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٩٦٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿١﴾.

- فاحذر أخى الحبيب من الصحبة السيئة فإنها باب شر مستطير واحرص كل الحرص على صحبة أهل الصلاح.

٤- عدم غص البصر:

فإطلاق البصر باب شر مستطير وهو ذريعة إلى الوقوع فى الفاحشة ولذا أمر الله (عز وجل) بغص البصر من باب تحريم الوسائل إلى المحرم فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾.

- وقد نفّر النبي ﷺ من إطلاق البصر فيما حرم الله (جل وعلا) وسمى إطلاقه زنى العينين فقال ﷺ: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر...» (٣).

- وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال: «أصرف بصرك» (٤).

* ولا شك أن الشاب الذى يقضى نهاره وليله فى النظر إلى الصور

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٢٧-٢٩).

(٢) سورة النور: الآيات: (٣٠-٣١).

(٣) متفق عليه: وقد تقدم.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٥٩) كتاب الآداب.

المحرمة فى المجالات وعلى الشاشات فإنه يشحن قلبه بهذا الكم الهائل من الصور المحرمة فيحتاج أن يفرغ شهوته فى الحلال فإن لم يجد فإنه يصرفها فى الحرام من خلال تلك العادة السيئة.

- ولو أنه سدَّ على نفسه كل أبواب الفتنة وغمض بصره عن الحرام لكان هذا أسلم لدينه ودنياه.

فوائد غمض البصر

ولقد ذكر أهل العلم باقة عطرة من فوائد غمض البصر منها:
* أنها تخلص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتهي طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه.

وكنتم متى أرسلت طرفك رائداً

لقلبك يوماً أتعبتكم المناظرُ

رأيت الذى لا كُله أنت قادرُ

عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ

والنظرة تفعل فى القلب ما يفعل السهم فى الرمية، فإن لم تقتله جرحته، وهى بمنزلة الشرارة من النار ترمى فى الحشيش اليابس، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه، كما قيل:

كل الحوادث مبداها من النظرِ

ومعظم النار من مستصغر الشررِ

كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها

فتك السهام بلا قوسٍ ولا وترِ

والمرء ما دام ذا عين يُقلبها

فى أعين الغيد موقوف على الخطرِ

يسر مقلته ما ضر مهجته

لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

* أنه يورث صحة الفراسة؛ . . . فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرأة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبد نظره تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها، كما قيل:

مرآة قلبك لا تريك صلاحه

والنفس فيها دائماً تنفس

* أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض، ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم، وانسد عليه باب العلم وطرقه.

* أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة.

* أنه يورث القلب سروراً وفرحة، وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه، بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، وأيضاً فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمانة بالسوء، أعاضه الله سبحانه مسرة ولذة أكمل منها، . . . كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب.

* أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه.

* أنه يسد عنه باباً من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقععة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى

هتك الحجاب ضرى على المحذور، ولم تقف نفسه منه عند غاية.

* أنه يقوى عقله ويزيده ويثبته.

* أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع فى سكرة العشق^(١).

* ومنها أنه امتثال لأمر الله تبارك وتعالى، وما سَعِدَ مَنْ سَعِدَ إِلَّا بامتثال أوامره، وما شقى من شقى إِلَّا بتضييع أوامره.

* ومنها أنه يورث القلب أنساً بالله (عز وجل) وجمعية عليه، وإطلاقه يشمت القلب ويبعده عن الله (عز وجل).

* ومنها أنه يكسب القلب نوراً وإشراقاً، وإذا استنار القلب أقبلت عليه وفود الخيرات من كل جانب.

* ومنها أنه يفرغ القلب للتفكر والعبادة، وإطلاقه يوقع فى الغفلة واتباع الهوى، . . . وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (٢)(٣).

٥- الاختلاط بين الشباب والبنت:

ولا شك أن الاختلاط المحرم بين الشباب والبنت فى المدارس والجامعات وفى العمل والمواصلات يثير الشهوات الكامنة ويكسر حاجز الحياء كسراً حتى إن الشاب عندما يرى هذا التبرج الصارخ الذى انتشر فى زماننا هذا فإنه تغلى نيران الشهوة فى عروقه، فإن لم يكن عنده وازع دينى فإنه يصرف تلك الشهوة فى الحرام، من خلال العادة السيئة، أو الزواج العرفى المحرم - الذى انتشر الآن فى الجامعات بشكل يجعلنا نشعر بخطر شديد يداهم مجتمعاتنا - .

(١) روضة المحبين (١٠٧-١٠٩) بتصرف.

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٨).

(٣) الطريق إلى العفاف، للمصنف (ص: ٣٨-٣٩) بتصرف.

وتحت شعار (محاربة الكبت الجنسي) استطاع أعداء الدين أن يُخرجوا المرأة من خدرها لتزاحم الرجال في كل الميادين ولينتشر الفجور في بلاد المسلمين (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

٦- الفراغ القلبي والعمل:

فإن القلب هو الملك الذي إذا صلح صلحت رعيته وإذا فسد فسدت رعيته، كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ .
* ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، ولذا قال ﷺ :
«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(١).

* فالشباب والفراغ والمال مفسدة عظيمة تهوى بصاحبها إلى كل المهالك .
- أما إذا كان القلب قد امتلأ بالإيمان والتقوى فإن صاحب هذا القلب لا ينشغل إلا برضوان الخالق (جل وعلا) فلو أحاطت به الفتن من كل حذب وصوب، فإنه لا يبرح صراط الله المستقيم، بل يسرع إلى طاعة الله بقلبه وجوارحه، ولسان حاله ومقاله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٢).

* فيا أيها الأخ الحبيب: احرص كل الحرص على غذاء الروح والقلب، فإنه إذا كان الجسد يجوع ويعطش ويعرى ويتعب فكذلك الروح تحتاج إلى الغذاء والزاد ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٣)، والروح تحتاج إلى الكساء ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(٤)، وهكذا لا بد أن تحرص على غذاء القلب والروح؛ لأن القلب إذا فرغ من الإيمان ستجد نفسك تنساق وراء الشهوات المحرمة.

٧- الاسترسال في الخواطر والأمانى:

كأن يجلس الشاب ويتخيل امرأة جميلة كان قد رآها أو رأى صورتها

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٢) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (٢٦).

فيتخيل أنه يفعل معها الفاحشة، وهذا كله من تزوين الشيطان.

* لذا يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): «إياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك، فإنه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه، ويلقى إليك أنواع الوسوس والأفكار المضرة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذى أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك، فمثالك معه مثال صاحب ربحى يطحن فيها جيد الحبوب، فأتاه شخص معه حمل تراب وبعر وفحم وغشاء ليطحنه فى طاحونه، فإن طرده ولم يُمكنه من إلقاء ما معه فى الطاحون استمر على طحن ما ينفعه، وإن مكّنه من إلقاء ذلك فى الطاحون أفسد ما فيها من الحب وخرج الطحين كله فاسداً» (١).

* وقال (رحمه الله) فى موضع آخر:

وأما الخطرات فشأنها أصعب فإنها مبدأ الخير والشر، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم، فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه، ومن غلبته خطراته فهو هواه ونفسه له أغلب، ومن استهان بالخطرات قاده قهراً إلى الهلكات ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير منى باطلة ﴿كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٢)، وأخس الناس همة وأوضعهم نفساً من رضى من الحقائق بالأماني الكاذبة واستجلبها لنفسه وتحلّى بها، وهى لعمر الله رءوس أموال المفلسين ومتاجر البطالين وهى قوت النفس الفارغة التى قد قنعت من الوصل بصورة الخيال ومن الحقائق بكواذب الآمال، وهى أضمر شئ على الإنسان، ويتولد منها العجز والكسل، ويتولد التفريط والحسرة والندم... والمتمنى لما فاتته مباشرة الحقيقة بجسمه حول صورتها فى قلبه وعانقها وضمها إليه فقنع بوصال صورة وهمية خيالية صورها فكره، وذلك

(١) الفوائد (ص: ٢٥١-٢٥٢).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٩).

لا يجدى عليه شيئاً، وإنما مثله مثل الجائع والظمآن يصور فى وهمه صورة الطعام والشراب، وهو لا يأكل ولا يشرب والسكون إلى ذلك واستجلابه يدل على خساسة النفس ووضاعتها^(١).

٨- التعلق بشهوات الدنيا ونسيان الآخرة:

إن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب معالى الأمور وأشرافها، ويكره سفاسفها»^(٢).

فلا شك أن الشاب إذا تعلق قلبه بنعيم الجنة وما فيها من الخور العين، والأشجار والأنهار، وقبل ذلك كله برضوان الله (جل وعلا) والنظر إلى وجهه (سبحانه وتعالى) فإنه سيزهد فى أى متعة.

ولذلك كان النبي ﷺ دوماً وأبداً يحدث أصحابه عن الجنة والنار لتتعلق قلوبهم بالدار الآخرة، وما فيها من النعيم المقيم.

* أما إذا نسى الشاب نعيم الجنة ورضوان الرب الرحيم (جل وعلا) فإنه سرعان ما يسقط أمام أى فتنة فتراه ينظر إلى النساء، ويشرب الخمر والمخدرات، ويمارس العادة السيئة - هذا إن لم يقع فى الفاحشة.

* فلا بد إذن أن يتعلق القلب بالدار الآخرة ليسلم من الوقوع فى الفتن والشهوات.

٩- تبرج النساء:

وإن من الأسباب الرئيسية لوقوع الشباب فى تلك العادة السيئة تبرج النساء؛ لأن الشاب لا تتحرك شهوته إذا نظر إلى أخت فاضلة تلبس نقابها، وإنما تتحرك شهوته إذا رأى فتاة متبرجة متعطرة تتمايل فى مشيتها.

(١) الداء والدواء (ص: ١٨٥).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (٣/ ١٣١، رقم ٢٨٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٩٠).

*ولذلك فنحن ننادى من أعماق قلوبنا ونناشد كل فتاة مسلمة أن تلبس الحجاب الذى فرضه الله عليها وتحجب فتنها عن شباب المسلمين ليستطيع الشاب أن يخرج من بيته ويرجع إليه سليم الصدر لم يتلوث قلبه برؤية المناظر القبيحة التى تشعل نار الشهوة فى قلبه، فتكون الأخت المسلمة بذلك ثمرة صالحة فى تربة الإسلام وتكون بذلك لبنة طيبة فى مجتمع الطهر والعفاف.

١٠- اتباع خطوات الشيطان:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (١).

*اعلم أيها الأخ الحبيب أن الشيطان له خطوات مأكرة، فهو لا يقول لك: افعل الفاحشة مرة واحدة ولكنه يزين لك النظر إلى فتاة متبرجة أو إلى صورة عارية حتى يتشبع قلبك بهذه الفتنة ثم ينقلك إلى التى بعدها، فاحرص على أن تقطع عليه خُططه ووساوسه وذلك بأن تستعين بالملك (جل وعلا) ليصرفه عنك.

١١- ضعف رقابة الآباء على الأبناء:

أيها الوالد الكريم: هل تعرف أصدقاء ولدك؟ وهل تعرف أخلاقهم وسلوكياتهم؟ إن ضعف رقابة الآباء على الأبناء تجعل الأبناء يفعلون ما يشاءون فى أى وقت؛ لأنه ليس هناك من يحاسبهم على أفعالهم وبالتالي يكون الولد عُرضة لأن يصحب أهل الفساد الذين يأخذون بيديه إلى كل معصية، ومنها تلك العادة السيئة.



كيفية الإقلاع عن هذه العادة السيئة

وبعد كل ما ذكرناه عن أضرار العادة السيئة وعن الأسباب التي تجعل كثيراً من الشباب يقعون فيها كان لا بد من أن نصِفَ العلاج، وأن نذكر السُّبُل التي نستطيع من خلالها أن نوضح للشباب كيفية الإقلاع عن هذه العادة السيئة.

١- الاستعانة بالله (جل وعلا)؛

* قال الإمام ابن القيم في المدايح: «وأول معاني التوبة: أن تنظر إلى ما كان من انخلاعك عن الاعتصام بالله حال إتيان الذنب، وأن الله منع عصمته عنك، وأن تنظر إلى ما كان من فرحك عند ظفرك بذلك الذنب وقعودك عن تداركه، مُصراً عليه، مع تيقنك نظر الحق إليك، فإن العبد لو اعتصم بالله لما خرج عن هداية الطاعة، . . . قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١) فلو كملت عصمته بالله لم يخذله أبداً، . . . قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٢) أي متى اعتصمتم به تولاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد، وعداوتهما أضر من عداوة العدو الخارج، فالنصر على هذا العدو أهم، والعبد إليه أحوج، وكمال النصر على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله، . . . ونقص هذا الاعتصام يؤدي إلى الانخلاع من عصمة الله، وهو حقيقة الخذلان فما خلَّى الله بينك وبين الذنب إلا بعد أن خذلك، وخلَّى بينك وبين نفسك، ولو عصمك ووفقك، لما وجد الذنب إليك سبيلاً.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠١).

(٢) سورة الحج: الآية: (٧٨).

فقد أجمع العارفون بالله على أن الخذلان: أن يكلك الله إلى نفسك، ويخلي بينك وبينها، والتوفيق: أن لا يكلك الله إلى نفسك، وله سبحانه في هذه التخلية - بينك وبين الذنب وخذلانك حتى واقعته - حكم وأسرار.

٢- تجنب أسباب الوقوع في تلك العادة؛

وذلك بأن تعرف الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع في تلك العادة السيئة، وتحرص كل الحرص على أن تتجنب تلك الأسباب قدر استطاعتك وهي الأسباب التي ذكرناها في بداية هذا الفصل.

٣- التعرف على الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی؛

اعلم أيها الأخ الحبيب أن الجهل بأسماء الله وصفاته من أعظم الأسباب للوقوع في المعاصي، فإذا أراد العبد أن يرتقى في مدارج التوبة ويرتفع عن حضيض المعاصي فلا بد أن يتعرف على الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی.

* تأمل معي أيها الأخ الحبيب حال نبي الله يوسف (عليه السلام) حين راودته امرأة العزيز ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ (١) بل قال حين اجتمعت عليه نسوة المدينة ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (٢).

* فإذا علمت أن الله هو الخبير العليم البصير السميع فإنك حينئذ تستحي أن يراك على تلك المعصية، أما إذا لم تعرف أسماء الله وصفاته ولم تقدر الله حق قدره فحينئذ قد تجاهر بالمعصية ولا تستحي من أحد.

* يقول الإمام ابن القيم: وأشد من هذا كله: المجاهرة بالذنب، مع تيقن نظر الرب جل جلاله من فوق عرشه إليه، فإن آمن بنظره إليه، وأقدم على المجاهرة فعظيم... وإن لم يؤمن بنظره إليه واطلاعه عليه، فذلك كفر، وانسلاخ من الإسلام بالكلية، فهو دائر بين الأمرين بين قلة الحياء، ومجاهرة

(١) سورة يوسف: الآية: (٢٣).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٣٣).

نظر الله إليه، وبين الكفر والانسلاخ من الدين، فلذلك يشترط في صحة التوبة تيقنه أن الله كان ناظرًا - ولا يزال - إليه مُطلعًا عليه، يراه جهره عند واقعة الذنب؛ لأن التوبة لا تصح إلا من مسلم، إلا أن يكون كافرًا بنظر الله إليه جاحدًا له، فتوبته دخوله في الإسلام، وإقراره بصفات الرب جل جلاله، إذ حقيقة التوبة: الرجوع إلى الله، ولا يصح الرجوع ويتم إلا بمعرفة الرب وأسمائه وصفاته وآثارها في نفسه وفي الآفاق، ومعرفة أنه كان فارًّا من ربه، أسيرًا في قبضة عدوه، وأنه ما وقع في مخالف عدوه إلا بسبب جهله بربه، وجرأته عليه.

* لذلك كان لا بد لأي شاب يريد الله والدار الآخرة أن يتعلم العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح (رضوان الله عليهم)... وذلك بأن تتعلم توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

وسوف تعلم وقتها أنك عبدٌ لله وحده ولست عبدًا لشهواتك .
يقول الإمام ابن القيم: اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور قوة وضعفًا - لا يحصيه إلا الله تعالى .
فمن الناس: مَنْ نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس .
ومنهم: مَنْ نورها في قلبه كالنور الدري .

وآخر: كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة، علمًا وعملاً، ومعرفة وحالًا .

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى أنه ربما وصل الموحد إلى حال لا يصادف معها

شبهة ولا شهوة، ولا ذنبًا، إلا أحرقه ذلك النور، وهذا حال الصادق في توحيده، الذى لم يشرك بالله شيئًا، فأى ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقتها.

وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شىء ومليكه، كما كان عبَاد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن - محبة الله، والخضوع له والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع، والعطاء، والحب والبغض ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصى، والإصرار عليها. اهـ.

٤- السعى لإرضاء الله (جل وعلا):

يجب أن يكون الدافع للتخلص من هذه العادة: هو السعى لإرضاء الله تعالى بطاعته واجتناب أسباب سخطه أكثر من الدافع الدنيوى الناتج عن سماع الأضرار الطبية والنفسية لهذه العادة.

٥- دفع الخواطر الرديئة والوساوس:

قال الإمام ابن القيم: دافع الخطرة فإن لم تفعل صارت شهوة فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة فإن لم تدافعها صارت فعلاً فإن لم تداركه بضده صارت عادة فيصعب عليك الانتقال عنها.

* ولذا فإنه يجب على المسلم منع الشيطان من إلقاء الخواطر والأفكار التى تدفع إلى تلك العادة كتحليل صورة عارية أو أوضاع محرمة وشاذة، فهذه التى تهيج النفس على الوقوع فى السوء.

* وإذا أتى الشيطان بها وتسلل، فلا بد من طردها وإبعادها وعدم الاسترسال فيها خصوصاً وأنَّ تصوُّر شخص معين فى الذهن فى وضع محرم

مع تمنى الوصول إليه بالحرام، وأنه لو كان عنده لفعل معه ذلك الأمر المحرم، فإن هذا يعتبر عملاً قلبياً يُخشى على صاحبه وليس مما يُعفى عنه من حديث النفس... ذلك لأنه تضمن نية جازمة، وعزماً على فعل الحرام.

* لا بد من مزاحمة تلك الخواطر الرديئة بأفكار وخواطر حسنة كالتفكير في أعمال الخير وأنجح السبل لتحقيقها، والتفكير في آلاء الله ومخلوقاته، ومحاسبة النفس، والتفكير في المسائل العلمية، وفهم استنباطات أهل العلم، والتفكير في أوضاع المسلمين وطريق الخلاص، وكذلك سبل تحصيل الرزق الحلال وهكذا، ولا شك أن صرف الذهن عن الأفكار الرديئة إلى التفكير في وسيلة دعوية أو قضية تربوية أو مسألة علمية؛ هو حماية للنفس من الوقوع في مثل تلك الترهات^(١).

٦- الزواج الشرعى:

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٢).

* أجل: فالزواج هو العلاج الشرعى والشفاء الربانى والحل الجذرى الذى جاء به الحبيب النبى ﷺ من عند الرب الكريم العظيم العلى (جل جلاله).

قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

* واعلم أيها الأخ الحبيب: أن الله (عز وجل) يسر لنا كل سبل الزواج بل وجعل معونة خاصة (فوق الرزق) لكل شاب يريد الزواج الحلال.

(١) العادة السيئة/ للشيخ محمد صالح المنجد (ص: ١٤-١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٥) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

(٣) سورة النور: الآية: (٣٢).

قال ﷺ: «ثلاثة حقٌّ على الله تعالى عونهم - من بينهم - والناكح الذي يريد العفاف» (١).

* ومهما كان الأمر عسيراً في بدايته فكن على يقين من أن الله (عز وجل) يوشك أن يرزقك برزق عاجلٍ أو آجل.

٧- الصيام:

* ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (٢).

* فإن كان النبي ﷺ قد أخبر أن الصيام وقاية من الوقوع في الفاحشة فكُن على يقين من هذا... فهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ثم إن الصيام مفيد على جميع الأحوال، فهو عبادة يؤجر عليها ولو لم يجد لها أثراً مباشراً وسريعاً،... وأجر الصيام يمكن أن يمحو سيئات تلك الأعمال وزيادة.

* فإن قال قائل: جربنا الصيام فلم نجد أى نتيجة!!!
أقول: لعلك لم تصم صياماً حقيقياً، بمعنى أنك صمت عن الطعام والشراب فقط ولم تصم عينك عن النظر إلى النساء، ولم تصم أذنك عن سماع الغناء، فلو صمت صياماً حقيقياً لوجدت هذا الأثر الطيب الذي أخبر عنه النبي ﷺ.
- ثم إنك لا بد أن تصوم فترة طويلة حتى تجد نتيجة ترضيك أما أن تصوم يوماً أو يومين في الشهر فلن تجد أى نتيجة.

٨- استحضار الحياء من الله (جل وعلا):

أيها الأخ الحبيب: أريدك الآن أن تُمسك بقلم وورقة وتكتب كل النعم

(١) حسن: رواه الترمذى (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣٢١٨) كتاب النكاح، وابن ماجه (٢٥١٨) كتاب الاحكام، وأحمد (٩٣٤٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٢) متفق عليه: وقد تقدم.

التي أنعم الله بها عليك، منذ أن خلقت وإلى يومنا هذا. . . بالله عليك هل تستطيع أن تُحصي تلك النعم؟ والجواب: كلا. . . فقد قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(١).

- فإن كان الأمر كذلك، ألا تستحي أن تقابل تلك النعم بهذه المعصية ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾^(٢).

- ثم هل تعلم أنك تعصى الله بنعم الله؟! . . . فالله أعطاك هذه القدرة والطاقة لتستعملها في الحلال الطيب. . . وإذا بك تستعملها في معصية الله (جل وعلا).

- ومن المعلوم أنك لا تستطيع بل ولن تستطيع أن تمارس تلك العادة السيئة أمام أحد من البشر فلماذا لا تستحي من الله (جل وعلا).

٩- طرح الأعذار الواهية:

لقد اقتنع كثير من الشباب أنه يجوز له ممارسة هذه العادة حماية لنفسه من الفواحش العظام: كالزنا، واللواط، وهم عندما يتكلمون بذلك يخيلون إليك أنهم قاب قوسين أو أدنى من الوقوع في الفاحشة، وأن أسبابها حاضرة بين أيديهم، وأنهم سيقعون فيها الآن للتو واللحظة، وإذا تأملت واقعهم وجدت بينهم وبين الفاحشة أمداً بعيداً، لكن يهولون الوضع لأنفسهم ليقنعوا أنفسهم أن ما يقومون به ضرورة، ويتناقلون أن بعض العلماء أباحوه للضرورة^(٣) ولتوضيح هذه المسألة ننقل هنا فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع.

قال رحمه الله في الفتاوى^(٤): «وكذلك من أباح «الاستمناء» عند

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣٤).

(٢) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

(٣) العادة السيئة (ص: ٢٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠ / ٥٧٣).

الضرورة، فالصبر عن الاستمناأ أفضل، فقد روى عن ابن عباس: أن نكاح الإماء خير منه، وهو خير من الزنا، فإذا كان الصبر عن نكاح الإماء أفضل، فعن الاستمناأ بطريق الأولى أفضل.

لا سيما وكثير من العلماء أو أكثرهم يجزمون بتحريمه مطلقاً، وهو أحد الأقوال في مذهب أحمد، واختاره ابن عقيل في المفردات والمشهور عنه - يعنى عن أحمد - أنه محرم إلا إذا خشى العنت، والثالث أنه مكروه إلا إذا خشى العنت.

فإذا كان الله قد قال في نكاح الإماء: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (١) ففيه أولى، وذلك يدل على أن الصبر عن كليهما ممكن.

١٠- غَضُّ الْبَصَرِ:

أن مما لا شك فيه أن الشاب إذا أطلق لبصره العنان في النظر إلى النساء فإن هذا الفعل يجعل تلك الصور محفورة في الذهن والقلب مما يؤدي إلى سهولة استدعاء تلك الصور في أى لحظة بشكل يثير شهوة الشاب مما يدفعه إلى ممارسة تلك العادة.

* وإليك بعض الوسائل لغض البصر:

١- امثال أمر الله لما قال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢).

٢- استحضار سعة علم الله، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.
قال ابن عباس: هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة، فيريهم أنه يغض بصره عنها، فإن رأى منهم غفلة نظر إليها، فإن خاف أن يفتنوا إليه غض بصره، وقد اطلع الله عز وجل من قلبه أنه يود لو أنه نظر إلى عورتها.

(١) سورة النساء: الآية: (٢٥).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٠).

٣- أن يعلم الناظر أن الإثم في النظرة الثانية؛ لحديث على مرفوعاً: «لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»^(١).

* ولكن هذا لا يعنى أن تنظر إلى المرأة لمدة عشرين دقيقة وتقول: هذه الأولى!!!.. بل المقصود بالنظرة الأولى أنها نظرة الفجأة فإذا حدث هذا فاصرف بصرك عنها فى التو واللحظة.

٤- أن يعلم الإنسان شهادة عينه عليه يوم القيامة، بما ينظر بها إلى الحرام،... وهذا نوع من الزنا... قال ﷺ: «العينان زناهما النظر»^(٢).

٥- الاقتداء بالسلف الصالح، وحالهم العجيب فى هذا الأمر.
عن سفيان قال: كان الربيع بن خثيم يغض بصره، فمر به النسوة فأطرق حتى ظن النسوة أنه أعمى، فتعوذن بالله من العمى.
ولما خرج سفيان إلى صلاة العيد قال: إن أول ما نبدأ به يومنا هذا غض أبصارنا.

* الابتعاد عن الأماكن التى يوجد فيها ما يغرى البصر بالانطلاق يمينا وشمالاً، والتحفظ الشديد من ذلك ما أمكن كالأسواق والمتنزعات والشواطئ والطائرات، وأبواب مدارس البنات، وصالات الأعراس، وكذا أغلفة المجلات فى المحلات والأفلام المعروضة على الشاشات، فإنه لا معنى لأن يُعرض المسلم نفسه لمواطن الفتن ثم يحاول غض بصره فأنى يكون له النجاح.
ولابد من التذكير بالتخلص من جميع المقتنيات المحرمة؛ كالصور والأفلام وغيرها من مخلفات الجاهلية،... والمسلم ينبغى أن يخلع على عتبة الإسلام كل تلك الأردية الرديئة^(٣).

(١) حسن: رواه أبو داود (٢١٤٩) كتاب النكاح، والترمذى (٢٧٧٧) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٤٨٢) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٣).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) العادة السيئة / للمنجد (ص: ١٧-١٨).

٦- الاستئذان عند الدخول، حتى لا تقع عينه على ما لا يجوز له النظر إليه . . . كما قال ﷺ: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»^(١).

١١- البعد عن أصدقاء السوء؛

وإن من أعظم الخطوات التي تُبعدك عن تلك العادة السيئة أن تتخلص من أصدقاء السوء، وأن تصحب أهل الصلاح الذين يُذكرونك بالله ويأخذون بيدك إلى مرضاة الله وإلى جنته.

١٢- تجنب الوحدة؛

أيها الأخ الحبيب: احرص قدر استطاعتك على أن تتجنب الوحدة؛ فإنها مظنة التفكير في تلك الأشياء التي تثير الشهوة عند أكثر الشباب.

- واعلم أن من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(٢) فبدلاً من أن تجلس وتفكر في تلك الأشياء فاحرص على أن تجلس لتفكر في نعم الله عليك وتذكر تقصيرك في حق الله، بل وتذكر تلك المعاصي التي كنت تبارز بها ربك (عز وجل) واستشعر مدى رحمة الله بك حيث إنه أمهلك ولم يعاقبك وفتح لك باب التوبة . . حينها ستجد دموعك على خديك لتكون يوم القيامة من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

- فاحرص على تجنب الوحدة . . وإذا اضطرت لذلك فافعل ما قلته لك . . واعلم أن النبي ﷺ «نهى أن يبيت الرجل وحده»^(٣) (لهذا السبب).

١٣- الالتزام بالآداب الشرعية عند النوم؛

حيث إن الشيطان يأتي أشد ما يأتي بوسوسته بمثل هذه الأمور عند

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٤١) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢١٥٦) كتاب الآداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥٦١٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٩١٩).

النوم؛ لذا كان من وسائل المحاربة تطبيق الهدى النبوى والآداب الشرعية فى تلك الحال ومن ذلك .

١- النوم على الجانب الأيمن:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن (١) . . .

٢- تجنب النوم على البطن:

عن يعيش بن طخفة الغفارى رضي الله عنه قال: قال أبى: بينما أنا مضطجع فى المسجد على بطنى، إذا رجل يحركنى برجله، فقال: «إن هذه ضجعة يبغضها الله» قال: فنظرت فإذا رسول الله ﷺ (٢) .

قال فى عون المعبود: وفى الحديث أن النوم على البطن لا يجوز (٣)، ولعل من سيئات هذه الوضعية فى النوم، ما ينتج من تحريك الشهوة، بخلاف ضجعة السنة .

٣- الوضوء:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن..» (٤) . ولا شك أن الوضوء مما يسكن النفس ويباعد من وسوسة إبليس خصوصاً فى هذا الموضع .

٤- المحافظة على الأذكار الشرعية:

التأمل لمعانى الأذكار الشرعية عند النوم؛ يجد فيها رهبة تمنع من مزاوله مثل تلك الدنيا فمن ذلك: «اللهم باسمك أموت وأحيا» (٥) . . .

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣١٥) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار .

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٤٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٥١١٥) مسند المكيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٧١) .

(٣) عون المعبود (١٣ / ٣٨٣) .

(٤) متفق عليه: وقد تقدم .

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٣١٢) كتاب الدعوات .

وكذلك: «اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وأجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت» رواه البخاري، وفي رواية: «واجعلن آخر ما تقول» (١)(٢).

١٤- ممارسة بعض الألعاب الرياضية:

أيها الأخ الحبيب: ومن بين العلاجات أن تمارس بعض الألعاب الرياضية المباحة كالسباحة وركوب الخيل والرمية، وغيرها (لكن بالضوابط الشرعية).
* وإن كنا نتكلم عن الرياضة من أجل تصريف تلك الطاقة. . فما رأيك أن نُصرف الطاقة بشكل جديد يضمن لك الجنة (إن شاء الله).
- وذلك بأن تمشي إلى المساجد البعيدة على قدميك، فبكل خطوة تأخذ حسنة ويمحو الله عنك سيئة ويرفعك في الجنة درجة.
- وكذلك أن تحرص على قيام الليل فهو يطرد الداء عن الجسد كما أخبر بذلك الصادق الذي لا ينطق عن الهوى عليه السلام.
- وكذلك تمشي لزيارة المرضى في المستشفيات ليستغفر لك سبعون ألف ملك كما أخبر بذلك الصادق عليه السلام.
- وكذلك تذهب لزيارة المقابر لتتذكر الآخرة وما أعده الله لك في الجنة إن عشت على طاعته ومُت على ذلك.
- وكذلك تذهب لبعض الأماكن الخالية من المعاصي للتنزه بنية أن تتقوى على طاعة الله (جل وعلا).
- وكذلك أن تسعى في خدمة فقراء المسلمين لتدخل عليهم البسمة والسعادة.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٤٦) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود.

(٢) العادة السيئة (ص: ٣٠-٣٢).

نصيحة غالية

* سمعت أن بعض الشباب يستعمل بعض الأدوية المسكنة للشهوة، وفي الحقيقة إن هذا الحل قد يكون فيه بعض المخاطر عليه في المستقبل إن تيسر له الزواج بعد ذلك.. وعلى كلٍّ فإن أراد شاب أن يستعمل مثل هذه الأدوية فليحرص على ألا تؤدي تلك الأدوية إلى القضاء على شهوة النكاح بالكلية.

* قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد أن حكى قولاً عن بعضهم في مسألة استعمال المعالجة بالأدوية لقطع الشهوة قال: «وينبغي أن يحمل على دواء يُسكِّن الشهوة دون ما يقطعها أصالة؛ لأنه قد يقدر بعدُ فيندم لفوات ذلك، وقد صرح الشافعية بأنه لا يكسرها بالكافور ونحوه، والحجة فيه أنهم اتفقوا على منع الجب والخصاء، فيلحق بذلك ما في معناه من التداوى بالقطع أصلاً (١).

١٥- عدم الاستسلام لأي فتنة:

أيها الأخ الحبيب الغالي: من المفترض أنك طالب جنة فلا ينبغي أن ترضى بشهوة عاجلة رخيصة تكون سبباً في حرمانك من دخول الجنة، فلا بد أن تكون صاحب إرادة وعزيمة فولاذية فلا تستسلم أبداً لأي فتنة.

- وتذكر معي كيف ثبت يوسف (عليه السلام) أمام إغراء امرأة العزيز وكيف أنه أثر أن يدخل السجن على أن يعصى الله (عز وجل).

- وتذكر معي أيضاً قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة وهم في الغار فتوسل كل واحد منهم إلى الله بعمله الصالح حتى فرج الله عنهم. فكان من بينهم هذا الشاب الذي قال: «اللهم إنه كانت لي ابنة عم كنت أحبها

كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألّمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها - وفي رواية: فلما قعدت بين رجلها، قالت: - اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلىّ وتركت الذهب الذي أعطيتها... اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه» (١).

* فانظر إلى أصحاب العزائم واصنع مثلما صنعوا لتظفر في دنياك وآخرتك.

١٦- الحذر من فتح أبواب الفتن:

جديرٌ بك أيها الأخ الحبيب أن تنأى بنفسك عن أى شىء يفتح عليك أى بابٍ من أبواب الفتن... كالنظر إلى المجلات الخليعة أو الكتب المشبوهة أو الأفلام والمسلسلات الهابطة أو الاختلاط المحرم بالنساء، إلى غير ذلك من الأبواب التى تُمرض القلب وتجعل العبد فريسة للوقوع فى تلك العادة السيئة.

١٧- التحلى بالصبر والعفة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما الصبر عن المحرمات فواجب، وإن كانت النفس تشتهيها وتهواها،... قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ تَعْفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٢) والاستعفاف هو ترك المنهى عنه، كما فى الحديث الصحيح، عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر» (٣) (٤).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٧٢) كتاب الإجارة، ومسلم (٢٧٤٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) سورة النور: الآية: (٣٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٧٠) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

(٤) مجموع الفتاوى (١٠ / ٥٧٤).

١٨- قراءة سير السلف الصالح من أهل العفاف.

أيها الأخ الحبيب: اعلم أن قراءة سير السلف الصالح من أهل العفاف والتأسي بهم تعينك على التحلى بخلق العفاف.

* وسأكتفى بذكر ثلاثة أمثلة فقط:

عبد الله بن حذافة.. شامة في جبين التاريخ

جاء في السير أن عمر بن الخطاب وجه جيشاً لحرب الروم على مشارف قيسارية، وقد علم قيصر الروم من أخبار جند المسلمين وما يتحلون به من صدق إيمان ورسوخ عقيدة واسترخاض للنفوس في سبيل الله ما علم، فأمر رجاله أن إذا ظفروا برجل من المسلمين أن يُبقوا عليه حياً ويأتوه به. وشاء الله أن يقع في الأسر عدد من المسلمين من بينهم «عبد الله بن حذافة» الذي أدرك معنى العبودية لله عز وجل فتخلص من رِقِّ المخلوقين فلا تراه إلا وهو يصوم النهار ویتلو القرآن ويقوم في جنح الليل ويستغفر بالأسحار فقليلاً ما يهجع - وراقبوه فرأوا منه ما أدهشهم، ورأوا إن كسبوه لدينهم أنهم حققوا نصراً وكسباً عظيماً، فذكروه لقيصرهم فقال: ائتوني به، فجاءوا به فنظر إليه فوجد فيه عزة المؤمن ونجاة الأبطال فبادره قائلاً إني أعرض عليك أمراً.

قال: ما هو؟ قال: أن تتنصر فإن فعلت خلّيت سبيلك، وأكرمت مثواك، فقال في حزم وعزة: هيهات هيهات، إن الموت أحب إليّ مما تدعونني إليه!! فقال قيصرهم: ائتوني بملكة جمال البلاد، فجاءوا بها «ولك أن تتصور يا أخى الحبيب حال هذا الصحابي فهو شاب في كامل رجولته وشبابه، وفوق ذلك فهو غائب عن أهله منذ شهور» فأدخلوها عليه فتجردت من ملابسها بعد تجردها من الإيمان، ولا ذنب بعد كفر!!.

فقامت ترتقي في أحضانها فيهرب منها قائلاً: معاذ الله!! ويقرأ القرآن

ولسان حاله ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾^(١) حتى يُست منه تلك المرأة... ونقله الأخبار يقفون على الباب يريدون أن يشمتوا بهذا الصحابي.

- وإذا بها تصرخ وتقول: أخرجوني أخرجوني، ففتحوا لها وسألوها ما الخبر؟ يريدون أن ينقلوا خبر فتنة هذا الصحابي للملك.

قالت: والله ما يدري أأنثى أنا أم ذكر، والله ما أدري أأدخلتموني على بشر أم على حجر!

الله أكبر... الإغراء بالشهوة يسقط أمام عبودية الله جل وعلا، نعم فكيف به يرضى بمتعة زائلة وهو يحلم بالخور العين.

فتأمل يا أخى كيف أنه ثبت أمام تلك الفتن والشدائد وأمام تلك الشهوة، فبذلك يكون من السبعة الذين يظلمهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله رب العالمين»^(٢).

الربيع بن خثيم (رحمه الله)

أراد جماعة من المفسدين إغواء العابد الزاهد «الربيع بن خثيم» - رحمه الله - فذهبوا إلى امرأة من البغايا وأعطوها ألف دينار، فسألت عن سبب ذلك! فقالوا لها: هذا ثمن قُبلة واحدة تأخذينها من الربيع بن خثيم.

ففرحت هذه المرأة البغى وقالت: ولكم فوق ذلك أن يزنى.

ذهبت المرأة إلى هذا العابد الزاهد، وتعرضت له بعد أن تجردت من ملابسها وحيائها المترتب على تجردها من الإيمان، فقام إليها «الربيع» مسرعاً وقال لها: كيف بك يا أمة الله إذا نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل

(١) سورة يوسف: الآية: (٣٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

الوتين؟ أم كيف بك يوم يسألك منكر ونكير؟ أم كيف بك يوم تقفين بين
يدى العزيز الجليل؟ أم كيف بك إن لم تتوبى يوم تُرَمين فى الجحيم!!
ففزعت المرأة وخرجت من عنده تائبة عابدة قائمة صائمة حتى لُقت بعد
ذلك بعبادة الكوفة.

فقال هؤلاء الفُجَّار الذين أرسلوها لإفساد الربيع بن خثيم: أردنا منها أن
تفسد الربيع بن خثيم، فأفسدها الربيع علينا.

أبو بكر المسكى.. وعفة تفوق الخيال

كان هناك رجل صالح يقال له: أبو بكر.. فبينما هو يسير يوماً فى أحد
الشوارع، وإذا بفتاة تنادى عليه وتقول له: إن سيدتى تدعوك للشهادة فدخل
الرجل وإذا به يجد أن المرأة قد أغلقت خلفه الأبواب وقالت له: أنا ما
دعوتك للشهادة وإنما دعوتك لفعل الفاحشة.. فصمت الرجل من هول
المفاجأة ثم هداه الحق (جل وعلا) إلى فكرة عجيبة تُخرجه من ذلك المأزق
فقال لها: لك ما أردت يا سيدتى لكنى أريد أن أدخل الحمام لأنظف
جسدى. فقالت: لك ما شئت. فدخل الحمام وأخذ الغائط^(١) ودهن به
جسده كله ثم خرج ونادى عليها قائلاً: ها أنا قد تهيأت لك!!! فصرخت
فى وجهه عندما وجدت تلك الرائحة الكريهة وقالت: اخرج أيها المجنون،
فخرج وهو يحمد الله على أن عافاه من فعل الفاحشة.

فلما وصل إلى بيته ظل يغتسل عشرات المرات ومع ذلك لم تذهب
الرائحة فنام وهو فى غاية السعادة لأنه ترك هذا الشيء لله، لكنه كان حزيناً
لأنه خشى أن يتأذى الناس فى صلاة الصبح من رائحته فلما نام أتاه آت فى
منامه وقال له: أما إنك فعلت هذا من أجلنا لنُطِينَّ رائحتك فى الدنيا

(١) الغائط هو: الفضلات التى تخرج من الإنسان من فتحة الدُّبر.

والآخرة.. فأصبح وقد فاحت من جسده رائحة المسك فسُمي منذ ذلك اليوم بأبى بكر المسكى.

أرأيت أيها الأخ الحبيب ماذا صنع هذا الرجل الصالح،... إنه لم يستسلم لتلك الفتنة، ولم يرجع إلى بيته ليمارس تلك العادة السيئة، بل إنه حمد الله على أن عافاه من فعل تلك الفاحشة.

أيها الأخ الحبيب: إن من كمال محبتك لله (جل وعلا) ألا تفعل شيئاً يغضبه لأن هذا يقدر في محبتك لله.

١٩- الاشتغال بالعبادة والانهماك في الدعوة:

أيها الأخ الحبيب: إن نفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، وإنك إذا كنت تنتقل بين منازل الطاعات من صلاة وصيام وبرٍّ للوالدين وصلة للأرحام، وعيادة مريض وتشيع جنازة وزيارة مقابر وطلب علم، ودعوة إلى الله (جل وعلا) فإنك لن تجد حتى الوقت الذي تفكر فيه في أى معصية فكيف تجد وقتاً للوقوع فيها.

* ولذلك كان من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «وشاب نشأ في عبادة الله»^(١).

* وإذا ظل الشاب يتقرب إلى الله بالنوافل حتى ينال محبته فإن الله سيوفقه إلى كل ما يحبه ويرضاه، وسيحول بينه وبين الوقوع في مثل تلك المعصية، وذلك لأن الله هو الذى وعد بذلك كما فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى أن الرب الكريم العلى قال: «.... فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، ولئن سألتنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيزنه»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

٢٠- التطلع إلى الجزاء المترقب على تركها:

فإنك إن تركت تلك العادة السيئة فسوف يبدلك الله (عز وجل) مكانها حلاوة للإيمان تجدها في قلبك ؛ لأنك تغلبت على نفسك وشيطانك في آن واحد .
 * روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً»^(١) فإذا رضيت بكل ما جاء من عند الله ورسوله ﷺ وامثلت الأمر وفعلته فسوف تذوق حلاوة الإيمان . وإذا رضيت بكل ما نهى عنه الله ورسوله ﷺ وانتهيت عن هذا الفعل فسوف تذوق حلاوة الإيمان .

٢١- كثرة الدعاء:

أيها الأخ الحبيب: اعلم أن من أعظم الأسباب لرفع هذا البلاء عنك أن تقوم في وقت السحر وتقف بين يدي الحق (جل وعلا) خاشعاً متذلاً فتلجأ إلى الله وتبكي بين يديه ليخلصك من تلك العادة السيئة، فلقد أخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»^(٢).

- فقم أيها الأخ الحبيب وقل بلسان الحال:

لبثت ثوب الرجا والناس قد رقدوا

وبت أشكو إلى مولاي ما أجد

وقلت يا أملى في كل نائبة

ومن عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك ذنوباً أنت تعلمها

مالى على حملها صبر ولا جلد

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٤) كتاب الإيمان .

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

وقد مددت يدي بالذل مبتهلاً
إليك يا خير من مُدَّتْ إليه يدُ
فلا تردنّها يا رب خائبةً
فبحر جودك يروى كل من يردُّ

٢٢- عدم اليأس والقنوط؛

إن المؤمن مهما عصى الله ومهما تكرر منه وقوع الذنب فلا يجوز له أن ييأس، وليعلم بأن القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله هو كبيرة توقع في الشرك، فتكون أعظم من الوقوع في أسر تلك العادة السيئة. وتكرار الوقوع في هذه العادة يذكرنا بحديث فيه رجاء من جهة، وخوف من جهة أخرى، نسوقه هنا لإنقاذ من أصيب بالإحباط التام، من كثرة وقوعه في هذا الذنب... قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة أو ذنب هو مقيم عليه، لا يفارقه حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خلق مفتتاً تواباً نسياً، إذا ذُكِّرَ ذكر» (١).

وهذه ليست دعوة للرضا بالواقع، كلا! ولا استحسان الوضع والإقامة عليه، إنما هو تذكير بالرجاء في موضع اليأس، ودعوة إلى التوبة عند النسيان، والتذكر عند الذكرى (٢).

٢٣- كثرة العمل الصالح بعد كل ذنب؛

أيها الأخ الحبيب: تأمل معي قول النبي ﷺ حين يقول: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» (٣).

(١) صحيح: الطبراني في الكبير (٣٠٤/١١) رقم ١١٨١٠ ، ٥٦/١٢ ، رقم ١٢٤٥٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧٣٥).

(٢) العادة السيئة (ص: ٣٥).

(٣) حسن: رواه الترمذی (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، والدارمی (٢٧٩١) كتاب الرقاق، وأحمد (٢٠٨٤٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٥٠٨٣).

* فإذا وقعت فى تلك المعصية بدون قصدٍ ولا تعمد - وإنما كان ذلك فى لحظة من لحظات الضعف التى تصيب النفس البشرية، أو بسبب نزعة من نزعات الشيطان - فقم وتب إلى الله وأكثر بعدها من فعل الطاعات . . . فإذا رأى الشيطان منك ذلك فلن يزين لك تلك المعصية أبداً؛ لأنها تجلب لك بعدها مباشرة ألواناً من العبادات.

* وتذكر معى ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جادل النبی صلی الله علیه وسلم فى بنود الصلح فى الحديبية . . . فقال عمر بعدها: فعملت لذلك أعمالاً . . . وذلك من أجل أن يكفر عن هذا الذنب العظيم حين جادل النبی صلی الله علیه وسلم .
* ومن أمثلة هذه الأعمال الصالحة التى تكون بعد أى ذنب أن تصلى ركعتى التوبة.

٢٤- الخوف من سوء الخاتمة؛

أيها الأخ الحبيب الغالى: ألا تعلم أن الإنسان قد يموت فجأة؟
ألا تعلم أن ملك الموت لا يستأذن على أحد؟
ألا تعلم أن الموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً؟
أخى الحبيب: هل فكرت مرة أنك ربما يأتيك ملك الموت وأنت على تلك المعصية . . . بالله عليك قل لى: كيف يكون حالك لو قبض ملك الموت روحك، وأنت تمارس تلك العادة السيئة!!!

* والله: لقد سمعنا عن كثيرٍ ممن خُتم لهم بخاتمة أهل الشقاوة . . . فمنهم من مات وهو يشرب الخمر، ومنهم من مات وهو يزنى . . . ومنهم . . . ومنهم .
* لكنى والله أحبك فى الله وأتمنى لك خاتمة أهل السعادة فاحرص على أن تترك تلك المعصية لله (جل وعلا) وسوف تجنى الخير كله فى الدنيا والآخرة.

٢٥- تذكر نعيم الجنة والحدور العين؛

أيها الأخ الحبيب: هل نسيت الجنة ونعيمها؟ . . . هل تعلم أن الله (عز

وجل) أعد لعباده المؤمنين فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟ . . . فلماذا لا تترك تلك المعصية لتفوز بهذا النعيم المقيم وتتمتع بالخور العين فى الجنة .

فالحوراء فى الجنة لو بدا بعض بنائها لطمس ضوءه ضوء الشمس والقمر، ولو أن خُصلة من شعرها ظهرت للأرّيحها ما بين المشرق والمغرب، ولو نظر إليها زوجها لرأى مخ سوقها من وراء سبعين حُلة .
* أخى الحبيب: لا تنسَ نعيم الجنة . . وارك تلك المعصية لتفوز بجنة الدنيا التى تثمر لك جنة الآخرة .

وأخيراً

أيها الأخ الحبيب الغالى: لو أقسمت لك بالله أنى أحبك فى الله فهل تصدقنى؟ فأنا أقسم لك بالله أنى أحبك فى الله وأخشى عليك من عذاب الله، وأريدك أن تكون من أهل الجنة بل وفى صحبة الحبيب محمد ﷺ .
أخى الحبيب: كانت هذه رسالة من أخٍ يحبك فى الله . . . فهيا لتواعد من الآن على أن تترك تلك العادة السيئة، لكى يجمعنا الله فى الجنة ونجلس سوياً على الأرائك فنحمد الله على نعمة الهداية ونعمة الإسلام ونعمة العيش فى الجنة . وفوق ذلك نحمده على الفوز برضوانه، ولذة النظر إلى وجهه الكريم .
* أسأل الله (جل وعلا) أن ينفع بتلك الرسالة كل شاب مسلم، وأن يجعلها فى ميزان حسناتى يوم أُدرج فى أكفانى .
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه الفقير إلى عضو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

الشباب والطريق إلى العفاف

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).
 أما بعد:

ففي هذا الزمان الذي انتشرت فيه الشبهات والشهوات وانصرف فيه كثير من الناس عن طاعة رب الأرض والسموات، واشتدت فيه الفتن وكثرت، حتى شاعت الفاحشة بين كثير من المسلمين - ولا حول ولا قوة إلا بالله - من أجل ذلك كان لابد لنا من وقفة صادقة مع تلك الفتنة التي كادت أن تعصف بشبابنا وفتياتنا لنضع لهم علامات على طريق العفاف عسى الله أن ينفع بها.

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

- فإن من أعظم المصائب أن يَفْرُغَ قلب الشاب من محبة الله وذكره وشكره وعبادته، وأن يترك صراط الله المستقيم ويتبع سبيل الشياطين فيصبح أسير شهوته، فيقع في تلك الجريمة التي تُفسد عليه دنياه وآخرته.

تلك الجريمة الكبرى التي تتسبب في زوال الصحة والعافية، وحلول البلايا والأسقام، وتتسبب كذلك في محو البركة ومحق الأرزاق!!

تلك الجريمة النكراء، التي تتسبب في قطع الأرحام، واختلاط الأنساب، وزوال الإيمان، تلك الكبيرة الشنعاء التي تُلحق العار والشنار، وتوجب في الآخرة عذاب النار.

فكم من نفسٍ قد أزهقت بسببها، وكم من رحمٍ قد قُطعت، وكم من امرأة قد طُلقت، وكم من صداقات قد مُزقت، وكم من مولود قد أُلحق بغير أبيه.

وكم من وجه قد سُلِبَ بهائمه، وكم من عين قد سُلِبَت ضياؤها، وكم من قلب قد اضطرب وانقلب، وكم من إيمان قد زال وانكمش بسبب هذه الفاحشة المنكرة^(١).

* فتعالوا بنا لتعيش بقلوبنا مع تلك الرسالة لنقف مع تلك العلامات التي وضعناها لنصل من خلالها إلى طريق العفاف.

* أسأل الله «جل وعلا» أن يحفظنا جميعاً من الفواحش، وأن يرزق شبابنا وفتياتنا العفاف.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

أبو عمار

(١) ولا تقربوا الزنا / الشيخ مصطفى العدوي ص: (٤ - ٥).

فتنة النساء

لقد أشار القرآن الكريم إلى خطر الفتنة بالمرأة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ﴾ (١).

فقدم سبحانه النساء لعراقتهم في هذا الباب، ولأن أكثر الرجال إنما دخل عليهم الخلل من قبل هذه الشهوة، ولعله لأجل ذلك أيضاً قدم سبحانه وتعالى المرأة على الرجل في قوله جل وعلا: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (٢) الآية، وقال سبحانه وتعالى حاكياً عن عزيز مصر: ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنَ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٣).

وبين النبي ﷺ خطر فتنة النساء قبل أربعة عشر قرناً من الزمان. فقال ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» (٤). وقال ﷺ: «ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء» (٥). وقال ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان» (٦). قال الطيبي: «والمعنى المتبادر أنها ما دامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها، وفي إغواء الناس، فإذا خرجت طمع؛ وأطمع لأنها حباثلة، وأعظم فخوخه».

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤).

(٢) سورة النور: الآية: (٢).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٢٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٩٦) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٤٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) صحيح: رواه الترمذي (١١٧٣) كتاب الرضاع، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٦٩٠).

قال المنذرى: «أى ينتصب ويرفع بصره إليها، ويهم بها، لأنها قد تعاطت سبباً من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنما النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها ما بها بأس، فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضاً، أو أشهد جنازة، أو أصلى فى مسجد، وما عبت امرأة ربها مثل أن تعبدته فى بيتها».

الترهيب من الزنا

ولقد جاءت النصوص الكثيرة من القرآن والسنة لترهب الناس من الوقوع فى الزنا.

✽ قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (١).

✽ وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ (٢).

✽ ولعظيم جرم هذه الفاحشة وشدة نكارتها جعلت عقوبتها من أشد العقوبات وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله.

فجعلت عقوبة هذه الجريمة النكراء الرجم بالحجارة حتى الممات لمن زنى وهو مُحَصَّن، والجلد والإبعاد عن البلاد عاماً لمن زنى ولم يكن قد أُحْصِن.

والدليل على ذلك ما أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٢).

(٢) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨ - ٧٠).

سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»^(١).
 * بل وجاءت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ لتحمل الوعيد الشديد للزناة... قال ﷺ: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظُّلَّة - السحابة - فإذا أقلع رجع إليه»^(٢).

* وقال ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن»^(٣).
 * وقال ﷺ في صلاة الخسوف: «... يا أمة محمد ما من أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو أن تزنى أمته»^(٤).

- وأخبر النبي ﷺ أن انتشار الفاحشة من أسباب كثرة الأمراض فقال ﷺ: «يا معشر المهاجرين! خصالٌ خمسٌ إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا...»^(٥).

- بل وأخبر النبي ﷺ عن عذاب الزناة في قبورهم فقال ﷺ: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالَا لي: انطلق وإني انطلقت معهما..» فذكر الحديث، وفيه: «فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فإذا فيه لغط وأصوات، قال: فاطلعا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا، قال قلت لهما: ما هؤلاء؟..» فذكر الحديث وفيه: «وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فهم الزناة والزواني»^(٦).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٠) كتاب الحدود.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٢٥) كتاب الإيمان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٤٤) كتاب الجمعة، ومسلم (٩٠١) كتاب الكسوف.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠١٩) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٧٨).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

* ولما كانت معصية هؤلاء بأجزائهم السفلى كانت النار تأتيهم من أسفل منهم، ولما كانت نيران الشهوات تثور عليهم فى الدنيا بين حين وآخر فيقارفون المعصية كانت النار تثور عليهم بين حين وآخر، وكانوا كلما أرادوا الخروج من المعصية والتوبة إلى الله عز وجل والانطلاق فى فضاء الطاعة قصرت بهم هممهم، وغلبت عليهم شهواتهم فعادوا إليها مرة ثانية، فهم كذلك فى تنور فى البرزخ كلما همُّوا بالخروج عادوا إليه مرة ثانية (١).

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر» (٢).

قال القاضى عياض: سببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يُعذر أحدٌ بذنب، لكن لما لم يكن لهذه المعاصي ضرورة مزعجة ولا دواعٍ معتادة، أشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى، وقصد معصيته لا حاجة غيرها، فإن الشيخ لكامل عقله، وتام معرفته بطول ما مر عليه من الزمان، وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء، واختلال دواعيه لذلك، وعنده ما يريحه من دوى الحلال فى هذا ويخلى سره منه، فكيف بالزنا الحرام، وإنما دواعى ذلك الشباب والحرارة الغريزية، وقلة المعرفة وغلبة الشهوة، لضعف العقل، وصغر السن (٣).



(١) مواقف إيمانية (ص ٢٨٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٧) كتاب الإيمان.

(٣) مسلم بشرح النووي (٢/ ١١٧).

يزداد الجرم وتزداد العقوبة

أما إذا كان الزانى الخائن يزنى بحليلة جاره فجريمته أشد وعقوبته أكبر وأعظم فقد قال ﷺ : «لأن يزنى الرجل بعشر نسوة، خير له من أن يزنى بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر له من أن يسرق من بيت جاره»^(١).
وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله: أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قال: قلت: ثم أى؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك. قال: قلت: ثم أى؟ قال: أن تزنى بحليلة جارك»^(٢).

- ويزداد الأمر قُبْحاً وسوءاً إذا كان الرجل يزنى بالمحارم كأن يزنى بأخته أو أمه أو ابنته.. وهذا الأمر قد انتشر فى هذا الزمان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الزنا يجمع خلال الشركاها

قال ابن القيم رحمه الله: ويكفى فى قُبْح الزنا أن الله سبحانه وتعالى مع كمال رحمته شرع فيه أفحش القتلات وأصعبها وأفضحها، وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله، ومن قبحه أن الله سبحانه فطر عليه بعض الحيوان البهيم الذى لا عقل له كما ذكر البخارى فى صحيحه عن عمرو بن ميمون قال: رأيت فى الجاهلية قرداً زنى بقردة فاجتمع عليهما القروء فرجموهما حتى ماتا، وكنت فيمن رجمهما»^(٣).

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٣٣٤٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٢٠) كتاب التوحيد، ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان.

(٣) روضة المحبين (ص: ٣٥٩).

ثم قال رحمه الله ما ملخصه: والزنا يجمع خلال الشر كلها: من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، فلا تجد زانياً معه ورع ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، . . . ومن موجباته غضب الرب بإفساد حرمه وعياله. ومنها سواد الوجه، وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت، الذي يبدو عليه للناظرين، ومنها ظلمة الوجه وطمس نوره.

ومنها الفقر اللازم.

ومنها أنه يذهب حرمة فاعله، ويسقطه من عين ربه، ومن أعين عباده. ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء، وهو اسم العفة والبر والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر، والفاسق والزاني، والخائن.

ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن... كما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» (١)(٢).

ومنها أنه يعرض نفسه لسكنى التنور الذي رأى النبي ﷺ فيه الزناة والزواني (٣).

ومنها أنه يفارقه الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزناة... كما قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (٤).

وقد حرم الله الجنة على كل خبيث، بل جعلها مأوى الطيبين، ولا يدخلها إلا طيب.

ومنها الوحشة التي يجعلها الله عز وجل في قلب الزاني، وهي نظير الوحشة التي تملو وجهه، فالعفيف على وجهه حلاوة، وفي قلبه أنس، ومن

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

(٢) روضة المحبين (ص: ٣٥٩).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) سورة النور: الآية: (٢٦).

جالسه استأنس به، والزاني تعلو وجهه الوحشة، ومن جالسه استوحش به .
ومنها قلة الهيبة التي تُتزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم، وهو أحقر
شئ في نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف فإنه يُرزق الخلاوة والمهابة .
ومنها أن الناس ينظرونه بعين الخيانة، ولا يأمنه أحد على حرمة ولا
على ولده .

ومنها الرائحة التي تفوح عليه، يشمها كل ذى قلب سليم .
ومنها ضيقة الصدر وحرجه، فإن الزناة يُعاملون بضد قصودهم، فإن من
طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند
الله لا يُنال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سبباً إلى خيرٍ قط .
ولو علم الفاجر ما فى العفاف من اللذة والسرور، وانشرح الصدر،
وطيب العيش، لرأى أن الذى فاته من اللذة أضعاف ما حصل له، مع ربح
العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته .

ومنها أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالخور العين فى المساكن الطيبة
فى جنات عدن .

ومنها أن الزنا يُجرئه على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب
الحرام، وظلم الخلق، وإضاعة أهله وعياله، وربما قاده قسراً إلى سفك الدم
الحرام، وربما استعان عليه بالسحر وأشرك وهو يدرى أو لا يدرى، فهذه
المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصى قبلها و معها، ويتولد عنها أنواع أخر
من المعاصى بعدها، فهى محفوفة بجند من المعاصى قبلها وجند بعدها وهى
أجلب شئ لشر الدنيا والآخرة، وأمنع شئ لخير الدنيا والآخرة، وإذا
علقت بالعبد فوق فى حبالها وأشراكها عزَّ على الناصحين استنقاذه وأعياء
الأطباء دواؤه، فأسيرها لا يُفدى، وقتيلها لا يُودى - أى ليس له دية - وقد
وكلها الله سبحانه بزوال النعم، فإذا ابتلى بها عبد فليودع نِعَم الله، فإنها

ضيف سريع الانتقال، وشيك الزوال، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).
وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ﴾ (٢)(٣).

كان النبي ﷺ يبايع الرجال والنساء على ترك الزنا :
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).
وقال النبي ﷺ كذلك للرجال: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا.....» (٥).

* فأخذ النبي ﷺ البيعة من النساء والرجال على ترك الزنا. . فيا من وقعت في تلك الجريمة تخيل أن النبي ﷺ أخذ منك البيعة على ترك الزنا فهل تستطيع أن تنقض مبايعتك للنبي ﷺ؟ .

كما تدين تدان

وعن أبي أمامة أن فتى من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال: «ادنه» فدنا منه قريباً قال: فجلس، قال: «أتجبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتجبه لابتك؟» قال: لا

(١) سورة الأنفال: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الرعد: الآية: (١١).

(٣) روضة المحبين (ص ٣٦٠ - ٣٦٣).

(٤) سورة الممتحنة: الآية: (١٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٨) كتاب الإيمان، ومسلم (١٧٠٩) كتاب الحدود.

والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلنى الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلنى الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلنى الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(١).

* وفى قصص بنى اسرائيل أن رجلاً تاجرًا ذهب يوماً إلى متجره فجاءته امرأة جميلة لتشتري منه شيئاً فلما أرادت أن تعطيه الثمن أمسك بيديها ثم تذكر فجأة أن هذا لا يحل له وأنه سوف يسأل أمام ربه «جل وعلا» عما فعله فعاد إلى بيته مسرعاً فاستقبلته زوجته وهى تبكى وتقول له: لقد حدث اليوم شيء عجيب. فقال لها: ما هو؟ قالت: لقد جاء السقا ليضع الماء فى الحوض كعادته فلما وضع الماء فتح الباب فجأة على غير عادته وأمسك بى ثم تركها وانصرف. فابتسم زوجها وقال: دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا.

* نعم أيها الأخ الحبيب.. كما تدين تدان وكما تزرع تحصد.

قال المناوى: من عقوبة الزانى ما لا بد أن يُعجّل فى الدنيا، وهو أن يقع فى الزنا بعض أهل داره حتماً مقضياً، وذلك لأن الزنا يوجب هتك العرض، مع قطع النظر عن لزوم الحد فى الدنيا والعذاب فى الآخرة فيكون سيئة وجزاء سيئة سيئة مثلها، فيلزم أن يسلط على الزانى من يزنى به بنحو حليلته،... والله عزيز ذو انتقام، فإن لم يكن للزانى من يُزنى به أو يُلاط به من نحو حليلة أو قريب عوقب به بوجه آخر.

(١) صحيح: رواه أحمد (٢١٧٠٨) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٧٠)، وقال: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

وعلم مما تقرر مكافأة الزانى بهتك عرضه بالزنا، هبة لنفسه أو لشخص من أتباعه، والظاهر أن المرأة كالرجل فإذا زنت عوقبت بزنا زوجها، ووقع الزنا فى أبويها، وحصول الغيرة لها (١).

يا هاتكاً حرم الرجال وتابعاً

طرق الفساد فأنت غير مُكرم

من يزنى فى قومٍ بألفى درهم

فى أهله يُزنى بربع الدرهم

إن الزنا دين إذا استقرضته

كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

الضمانات الوقائية لعدم الوقوع فى الزنا

لقد اتخذت الشريعة الإسلامية اتجاهين لضمان عدم وقوع الأفراد فى الزنا:
الأول: اتجاه وقائى يمنع وقوع الفاحشة عن طريق سد المنافذ المؤدية إليها سداً محكمًا.

والثانى: اتجاه علاجى عن طريق فتح أبواب التعفف والحصانة على مصاريعها، وشق الطرق المُعبَّدة الموصلة إلى ما أحله الله.

❖ فأما عن الضمانات الوقائية فهى (٢):

❖ أن الله سبحانه منع الزواج ممن عرف - أو عرفت - بالفاحشة إذا لم يتب، فقال سبحانه: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)، أخذًا بالحيلة إذ من اعتاد الفاحشة لا يأمن أن يعاودها.

(١) سورة فيض القدير (٦ / ١٤٣).

(٢) سأذكرها باختصار من كتاب (عودة الحجاب) للدكتور محمد إسماعيل المقدم - حفظه الله -.

(٣) سورة النور: الآية: (٣).

* **حرم البذاء، ومنع الفحش في القول، وكره التلفظ بالسوء.**

قال عز وجل: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ (١)، وقال عليه السلام: «ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا بالفاحش، ولا بالبذي» (٢).

* **وحرّم أن يظن بمؤمن سوء، وأوجب على المؤمن إذا سمع عن أخيه سوءاً أن يظن به البراء من الإثم، والطهارة من السوء كما هو طاهر وبريء، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (٣).**

والقصد من وراء هذا عدم السماح للفاحشة أن تظهر، ولو على السنة المتكلمين، أو في أذهان السامعين تركيزاً للطهارة وتثبيتاً لها في جو البلاد والعباد، وفي هذا من معنى محاربة الفاحشة بالوقاية ما لا يخفى على عاقل.

* **وحرّم قذف المؤمن أو المؤمنة بالفاحشة، ووضع لذلك عقوبة زاجرة** «الجلد ثمانين جلدة»، . . . قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٤).

وعليه فمن قذف امرأة مؤمنة عفيفة أو مؤمناً عفيفاً بكلمة الفاحشة، وجب عليه أن يحضر أربعة شهود على صحة ما قاله، أو يُجلد حداً على ظهره ثمانين جلدة، مع إسقاط عدالته حتى يتوب توبة نصوحاً.

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذی (١٩٧٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٣٩٣٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٥٣٨١).

(٣) سورة النور: الآيتان (١٢، ١٣).

(٤) سورة النور: الآيتان (٤، ٥).

* وحرّم مجرد حب إشاعة الفاحشة في البلاد والعباد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

* ومن إجراءات الإسلام في هذا الشأن تحريم التحدث بما يكون بين الزوجين متعلقاً بالوقوع ونحوه.

* حظر على الرجل أن يغيب عن زوجته مدة طويلة.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

فإذا حلف الرجل ألا يطاء زوجته أربعة أشهر فأكثر كان مولياً، فإذا أن يرجع في تلك المدة فيطؤها، ويكفر عن يمينه، وإلا تطلّق منه بمجرد مضي المدة حتى لا تتضرر الزوجة.

* فرض الحجاب على النساء، واعتبار قرارهن في البيت هو الأصل الأصيل في دائرة عملهن، قال ﷺ: «والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسئولة عن رعيتها» (٣) وما عداه استثناء، ثم إن هي خرجت تخرج محجوبة، لا تخالط الرجال.

* ومن ذلك أيضاً: تحريم التبرج، وإظهار الزينة، والتجمل للفت نظر الأجانب، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (٤).

* ومنها تشريع الاستئذان، فقد حرم الله عز وجل الدخول إلى البيوت إلا بعد الإذن، . . . قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا

(١) سورة النور: الآية: (١٩).

(٢) سورة البقرة: الآيتان: (٢٢٦، ٢٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٥١) كتاب الوصايا، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

ووضحت السنة الهدف من الاستئذان، وهو خشية أن تقع عين آثمة على عورة غافلة، فتلد تلك النظرة الخاطفة فاحشة فاضحة.

* **ومنها الأمر بغض البصر**، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (٢).

فالله سبحانه يعلم مدى تأثير النظرة المحرمة في القلب، وما تحدثه من تحويل النفس إلى بركان، وما تحركه من الاندفاع نحو المرأة، والواقع يصدق ذلك.

* **ومنها تحريم مس الأجنبية ومصافحتها.**

وإذا كان الإسلام يطارد الحرام أنى وجد، ويطرصد المنكر حيثما كان ليقضى عليه، فلمس المرأة باليد يحرك كوامن النفس، ويفتح أبواب الفساد، ويسهل مهمة الشيطان، من أجل ذلك توعد الله من يفعل ذلك بصارم عقابه، وشديد عذابه:

فعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» (٣).

وإذا كان هذا في مجرد المس إذا كان بغير شهوة، فما بالك بما فوقه؟! وهذا أظهر ولد آدم ﷺ وأخوفهم لله، وأرعاهم لحدوده، يقول وهو المعصوم: «لا أمس أيدي النساء» (٤)، ويمتنع من ذلك حتى في وقت البيعة

(١) سورة النور: الآيتان: (٢٧-٢٨).

(٢) سورة النور: الآيتان: (٣٠-٣١).

(٣) صحيح: رواه الطبراني (٢٠/٢١١، رقم ١٧٢٤٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠٤٥).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط (٦/٢١٧، رقم ٦٢٢٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧١٧٧).

الذى يقتضى عادة المصافحة، فكيف يباح لغيره من الرجال مصافحة النساء مع أن الشهوة فيهم غالبية، والفتنة غير مأمونة، والشيطان يجرى منهم مجرى الدم؟! .

*** ومن ذلك: تحريم الخلوة بالأجنبية؛** وحقيقة الخلوة أن ينفرد رجل بامرأة فى غيبة عن أعين الناس .

إن الخلوة بالأجنبية من أعظم الذرائع، وأقرب الطرق إلى اقتراف الفاحشة الكبرى .

إن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية مدرجة الهلاك، وداعية الإثم والفجور، وكيف لا يكون ذلك، والفرصة سانحة، وقد مهدت الخلوة للغريزة أن تستيقظ؟

وقد تكون القرابة إلى المرأة أو زوجها سبيلاً إلى سهولة الدخول عليها أو الخلوة بها، كابن العم وابن الخال مثلاً، ولذلك حذرنا النبي ﷺ من ذلك؛ لأنه من مداخل الشيطان، ومسارب الفساد، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمى؟ قال: «الحمى الموت»^(١) .

- والحمى هو قريب الزوج الذى لا يحل للمرأة، فبين النبي ﷺ أنه يفسد الحياة الزوجية كما يفسد الموت البدن .

*** فلا يحل لشخص بعد هذه النصوص أن يخلو بامرأة لا تحل له .**

*** فلا يحل لقريب الزوج كأخيه وابن عمه أن يأتى إلى البيت فى غياب الزوج ويخلو بالزوجة .**

*** ولا يحل لصديق الزوج أن يأتى إلى المنزل فى غياب الزوج ويخلو بالزوجة، ولا يحل له أن يخلو بها فى حضور الزوج فى البيت ويغلق على**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٣٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٧٢) كتاب السلام.

الأجنبي مع الزوجة باب.

* لا يحل لمدرس أن يخلو بفتاة يعلمها، ولا أن يُغلق عليهما باب، فهذا باب عظيم من أبواب البلاء.

* وكذلك لا يحل لمحفظ القرآن أن يخلو بامرأة يعلمها القرآن.

* وكذلك لا يحل لمعالج يعالج بالقرآن أن يخلو بامرأة يعالجها.

* ولا يحل لطبيب أن يخلو بمريضة ولا بممرضة.

* وقبيح أيما قبح أمر صيدلى يستأجر فتاة للعمل معه حيث هناك مكان يخلو بها فيه.

* وكذلك لا يحل ثم لا يحل لمدير أن يخلو بسكرتيرة، ولا أن يغلق عليهما باب، فالشيطان ثالث هؤلاء.

* ولا يحل كذلك لخاطب أن يخلو بمخطوبته، فهو لا يزال رجلاً أجنبياً عنها.

* كذلك لا يحل لرجل أن يخلو بالخادمة التى تخدم فى بيته، فليست هى من محارمه.

* ولا يحل لسائق أن يخلو بامرأة من يعمل عنده فهو رجل أجنبى كذلك^(١).

*** ومن الضمانات الوقائية: قرار المرأة فى بيتها:**

فلما كان احتكاك النساء بالرجال واختلاط النساء بالرجال من أكبر أسباب هذه الفاحشة وأعظمها جاء الحثُّ على قرار النساء فى البيوت.

قال الله تعالى لأزواج نبيه ﷺ اللواتى هن خير أسوة لنسائنا وبناتنا: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٢).

(١) ولا تقربوا الزنا / الشيخ مصطفى العدوى (ص: ٦٩ : ٧١) بتصرف.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

وقال النبي ﷺ: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها»^(١).

وانظر إلى جميل الاعتذار الذي اعتذرت به هاتان المرأتان لما سألهما موسى عليه السلام: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(٢). فذكرتا عذرهما في خروجهما، وأوضحتا السبب الذي من أجله كان الخروج ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

شيخ كبير لا يطيق سقى الأنعام، ولا يطيق العمل ولا الخروج، ولولا ذلك ما خرجتا. ولكنهما مع هذا الخروج «تذودان» تصرفان الأنعام والمواشى والأغنام عن الاحتكاك بالناس!!.

*** ومن ذلك: أنه حرم سفر المرأة بغير محرم:**

فإن المرأة مظنة الشهوة والطمع، وهي لا تكاد تقى نفسها لضعفها ونقصها، ولا يغار عليها مثل محارمها، الذين يرون أن النيل منها نيل من شرفهم وعرضهم وسفرها بدون محرم يعرضها إلى الخلوة بالرجال ومحادثتهم، وقد يطمع فيها من فى قلبه مرض، وربما سهل خداع المرأة وربما يعتريها مرض، وإذا سلمت من كل هذا فلن تسلم من القيل والقال إذا سافرت بدون محرم يصونها ويرعاها.

*** ومنها تحريم خروج المرأة متطيبة متعطرة:**

فمن المعلوم أن من دواعى فتنة الرجل بالمرأة، ونزوعه إليها، ما يشم منها من الطيب، الذى يفوح شذاه فيجر إلى الفتنة، ويكون رسولا من نفسٍ شريرة إلى نفوس أخرى شريرة.

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (١٠١/٨ ، رقم ٨٠٩٦)، وابن حبان (٤١٢/١٢ ، رقم ٥٥٩٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٤).

(٢) سورة القصص: الآية: (٢٣).

قال ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرْتُ، ثُمَّ خَرَجْتَ فَمَرْتَ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلَّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ» (١).

*** ومنها: تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها:**

فقد قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلَ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ لَعَنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَصْبِحَ» (٢).

وفى رواية لمسلم: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا» (٣).

*** ومنها: عدم وصف المرأة لامرأة أخرى:**

قال ﷺ: «لَا تَبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنَعْتَهَا لَزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا» (٤).

فقد قال ذلك رسول الله ﷺ، وذلك خشية أن يفضى هذا الوصف إلى افتتان الزوج بهذه الموصوفة.

*** ومنها تحريم الخضوع بالقول:**

فقد يكون صوت المرأة رخيماً، يحرك النفوس المريضة، فيجرها إلى التفكير في المعصية، أو يوقعها ويقع بها في بلية العشق.

وقد سدَّ الإسلام على المرأة كل سبيل للتسبب في هذا الباب حينما جعل أمهات المؤمنين محلاً للقدوة، فلم يبق هناك عذر لمعتذر،... قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٥).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤١٧٣) كتاب الترجل، والترمذي (٢٧٨٦) كتاب الأدب، والنسائي (٥١٢٦) كتاب الزينة، والدارمي (٢٦٤٦) كتاب الاستئذان، وأحمد (١٩٠٨١) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٧٠١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٩٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٣٦) كتاب النكاح.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٣٦) كتاب النكاح.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٢٤٠) كتاب النكاح.

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٣٢).

ومن أعظم وسائل الإسلام لتجفيف منابع الفتنة بالمرأة: تحريم الاختلاط المستهتر:

وقد حذر القرآن الكريم من هذا الاختلاط كما في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (١) فخير حجاب للمرأة بيتها. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لو تركنا هذا الباب للنساء؟» قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات» (٣).

قال أبو داود في «سننه»: «باب انصراف النساء قبل الرجال من الصلاة» ثم ساق حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا سلم مكث قليلاً، وكانوا يرون أن ذلك كيما ينفذ النساء قبل الرجال» (٤). وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان يسلم فينصرف النساء فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله ﷺ» (٥).

قال الدكتور محمد بن إسماعيل المقدم: والآن نستطيع أن نجزم بحقيقة لا مرأ فيها، وهي أنك إذا وقفت على جريمة فيها نهش العرض، وذبح العفاف، وأهدر الشرف، ثم فتشت عن الخيوط الأولى التي نسجت هذه الجريمة وسهلت سبيلها، فإنك حتماً ستجد أن هناك ثغرة حصلت في الأسلاك الشائكة التي وضعتها الشريعة الإسلامية بين الرجال والنساء، ومن

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٢) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٥٨).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٠٤٠) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٨٥٠) كتاب الأذان.

خلال هذه الثغرة دخل الشيطان، . . . وصدق الله العظيم: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿١﴾ (٢).

* ومنها: الحُضُّ على الزواج لمن استطاع إليه سبيلاً والحض على الصيام لمن لم يستطع إلى ذلك سبيلاً؛

قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» (٣).

وعن ابن مسعود رضِيَ اللهُ عنه قال: «لو لم يبق من أجلى سوى عشرة أيام أعلم أنى أموت بعدهن، ولى طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة».

* ومنها الحض على تعاون المسلمين على تزويج الشباب والفتيات: حتى لا يبقى بين المسلمين عزب تخشى فتنته.

قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤).

والأَيَامَى جمع أَيْم، وهو من ليس متزوجاً من ذكر أو أنثى، فالرجل أَيْم، والمرأة أَيْم إذا لم يكن لهما زوج، . . . قال ابن مسعود رضي الله عنه: «التمسوا الغنى فى النكاح»، وتلا هذه الآية، . . . وقال عمر رضي الله عنه: «عجبنى ممن لا يطلب الغنى فى النكاح، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾».

* * *

(١) سورة النساء: الآيتان: (٢٧، ٢٨).

(٢) عودة الحجاب (٣/ ٥٩ - ٦٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٥) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

(٤) سورة النور: الآية: (٣٢).

تيسير الزواج وعدم المغالاة في المهور

ومن أعظم أسباب نشر العفاف بين المسلمين: تيسير الزواج وعدم المغالاة في المهور، فلقد جعل الإسلام من المهر رمزاً لتكريم المرأة ولم يجعله عائقاً في سبيل النكاح. ولعله لأجل هذا لم يضبطه بحدٍّ لا يزيد ولا ينقص بل ترك تحديده إلى الناس، كل واحد على قدره.. ورغب النبي ﷺ في أن يكون المهر مما يدفع بيسر،... قال ﷺ: «خير النكاح أيسره»^(١).

وقال ﷺ للرجل الذي طلب منه أن يزوجه بامرأة قد وهبت نفسها للنبي ﷺ: «اذهب فالتمس ولو خاتماً من حديد»^(٢) وهكذا أوجب الإسلام المهر لكن لم يجعله عائقاً في سبيل النكاح، ومع هذا فالناس يغالون في المهور لدرجة أصبح معها المهر عائقاً في سبيل النكاح، مما ترتب عليه أن بقي الكثير من الشباب بدون زواج رغم رغبتهم الشديدة فيه.

قال ﷺ: «إن من يُمّن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها»^(٣). قال عروة رضي الله عنه: وأنا أقول من عندي: ومن أول شؤمها أن يكثر صداقها. وقال عمر رضي الله عنه: لا تغلوا في صداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي ﷺ. وما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أصدق امرأة من بناته بأكثر من أربعمائة درهم، أو خمسمائة^(٤).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢١١٧) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٠٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٢١) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٢٥) كتاب النكاح.

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٣٩٥٧) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٣٥).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢١٠٦) كتاب النكاح، والترمذي (١١١٤) كتاب النكاح، والنسائي (٣٣٤٩) كتاب النكاح، وابن ماجه (١٨٨٧) كتاب النكاح، والدارمي (٢٢٠٠) كتاب النكاح، وأحمد (٢٨٧) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن النسائي.

ولقد زوّج النبي ﷺ علياً من ابنته فاطمة بدرع مكسورة، وزوّج رجلاً بما معه من القرآن. وكل ذلك يجعل الألفة تخيم على المجتمع المسلم بدلاً من الحقد والضعينة.

ولقد جاء الأمر من الله جل وعلا بتزويج الفقراء من المؤمنين ووعد بأن يغنيهم من فضله، فقال جل وعلا: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

يقول ابن العربي في تفسير هذه الآية: «في هذه الآية دليل على تزويج الفقير، ولا يقولن كيف أتزوج وليس لى مال، فإن رزقه ورزق عياله على الله تعالى،... وقد زوّج النبي ﷺ الموهوبة من بعض أصحابه، وليس له إلا إزار واحد».

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى. قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وذكر أبو بكر الجصاص قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ما رأيت مثل من يجلس أيماً بعد هذه الآية ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ التمسوا الغناء في الباءة.

وقد عَنَوَنَ الإمام البخارى فى صحيحه باباً أسماه «باب تزويج المعسر» لقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، ويقول الحافظ ابن حجر فى شرح قول الإمام البخارى: «إن الآية تعليل لحكم الترجمة ومحصله أن الفقر فى الحال لا يمنع التزويج لاحتمال حصول المال فى المآل، والله أعلم» (٢).

* ومن هنا فنحن نوجه نداءً عاجلاً للآباء والأمهات بأن يرحموا شباب

(١) سورة النور: الآية: (٣٢).

(٢) فتح البارى (٩ / ١٣١).

المسلمين وأن ييسروا لهم سُبُل الزواج ولا يغالوا في المهور.

سعيد بن المسيب يزوج ابنته على درهمين

وها هو سعيد بن المسيب الذي زوّج ابنته على درهمين فكان مثلاً عظيماً للاتباع لنهج الحبيب ﷺ... وها هي القصة كما أوردها الإمام الذهبي في السير.

* قال أبو بكر بن أبي داود: كانت بنت سعيد قد خطبها عبد الملك لابنه الوليد، فأبى عليه، فلم يزل يحتال عبد الملك عليه حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد، وصَبَّ عليه جرة ماء، وألبسه جبة صوف.

قال كثير بن أبي وداعة في قصة زواجه من ابنة سعيد بن المسيب: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أياماً فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، ثم حمد الله، وصلى على النبي ﷺ، وزوجني على درهمين - أو قال: ثلاثة - فقمتم وما أدرى ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر فيمن أستدين. فصليت المغرب، ورجعت إلى منزلي، وكنت وحدي صائماً، فقدمت الطعام لكي أفطر، وكان خبزاً وزيتاً، فإذا بابي يُقرع، فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد، فأفكرت في كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجت، فإذا سعيد، فظننت أنه قد بدا له، - أي بدا له أن يرجع عن هذه الزيجة - فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إليّ فآتيك؟ قال: لا، أنت أحق أن تُؤتَى، إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك. فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب، وردَّ الباب.

فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم وضعت القصعة في ظل السراج لكي لا تراه، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران، فجاءوني فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتهم. ونزلوا إليها، وبلغ أُمى، فجاءت وقالت: وجهى من وجهك حرام إن مستتها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثاً، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق زوج. فمكثت شهراً لا أتى سعيد بن المسيب. ثم أتيته وهو في حلقتة، فسلمت، فردَّ علىَّ السلام، ولم يكلمنى حتى تقوَّض المجلس، فلما لم يبق غيرى قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خير يا أبا محمد، على ما يحب الصديق، ويكره العدو، قال: إن رابك شيء، فالعصا. فانصرفت إلى منزلى، فوجه إلىَّ بعشرين ألف درهم^(١).

كان مهرها الإسلام

إنها أم سليم بنت ملحان التي سارعت إلى الدخول في الإسلام وكان من أوائل من وقف في وجهها زوجها «مالك» الذي غضب وثار عندما رجع من غيبته وعلم بإسلامها، فقال لها بغضب بالغ: أصبوت؟ فقالت بيقين وثبات: ما صبوت، ولكنى آمنت.

وجعلت تلقن أنساً «ابنها وهو أنس بن مالك رضى الله عنه» قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمداً رسول الله، ففعل، فيقول لها أبوه، لا تُفسدى علىَّ ابنى، فتقول: إني لا أفسده.

ولما سمع مالك زوجته تردد بعزيمة أقوى من الصخر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، خرج من البيت غاضباً فلقه عدو له فقتله. ولما علمت أم سليم بمقتل زوجها احتسبت وقالت: لا جرم، لا أفطم

أنساً حتى يدع الثدى، ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس.

وذهبت أم أنس إلى الرسول ﷺ على استحياء وعرضت عليه أن يكون أنس خادماً عنده، فرحب وأقر عينها بذلك.

ومضى الناس يتحدثون عن أنس بن مالك وأمه بإعجاب وتقدير.

ويسمع أبو طلحة بالخبر، فيتقدم للزواج من أم سليم ويعرض عليها مهراً غالباً، إلا أن المفاجأة أذهلته وعقلت لسانه عندما رفضت أم سليم كل ذلك بعزة وكرامة وكبرياء، وهى تقول: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركاً. أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها آل فلان، وإنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحتترقت. فأحس أبو طلحة بضيق شديد، فانصرف وهو لا يكاد يصدق ما يرى ويسمع، ولكنه عاد فى اليوم التالى يمينها بمهر أكبر وعيشة رغيدة عساها تلين وتقبل. ولكن أم سليم الداعية اللبية الذكية - التى ترى الدنيا تتراقص أمام عينيها، حيث المال والجاه والشباب - تشعر بأن قلعة الإسلام فى قلبها أقوى من كل نعيم الدنيا، فقالت بأدب جم: «والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرد. ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لى أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهرى ولا أسألك غيره».

لقد هزت هذه الكلمات أعماقه وملأت كيانه، فقد تمكنت أم سليم من قلبه تماماً، فليست هى بالمرأة اللعوب التى تنهار أمام المغريات، إنها المرأة العاقلة التى تفرض وجودها، وهل يجد خيراً منها تكون زوجاً له، وأمّاً لأولاده؟!!

ما شعر إلا ولسانه يردد «أنا على مثل ما أنت عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله». فالتفت أم سليم إلى ابنها أنس، وهى تقول بسعادة بالغة بعد أن هدى الله على يديها أبا طلحة: قم يا أنس فزوج أبا طلحة. فزوجها، وكان صداقها الإسلام.

وبذلك قال ثابت راوى الحديث عن أنس: «فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم كان مهرها الإسلام»^(١).

التزويج على القرآن وبغير صداق

والإسلام يضرب لنا الأمثلة العظيمة فى تيسير الزواج على المسلمين، فهذا هو رسول الله ﷺ يزوج رجلاً على القرآن وبغير صداق. وقد أورد الحديث الإمام البخارى فى صحيحه، وقال فى عنوان هذا الباب: «باب التزويج على القرآن وبغير صداق».

عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: إني لفي القوم عند رسول الله ﷺ إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول الله! إنها قد وهبت نفسها لك، فرأيتها رأيك، فلم يجبها شيئاً، ثم قامت فقالت: يا رسول الله! إنها قد وهبت نفسها لك فرأيتها رأيك، فلم يجبها شيئاً ثم قامت الثالثة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك، فرأيتها رأيك. فقام رجل فقال: يا رسول الله! أنكحنيها. قال: «هل عندك من شيء؟» قال: لا، قال: «اذهب فاطلب ولو خاتماً من حديد» فذهب وطلب ثم جاء فقال: ما وجدت شيئاً ولا خاتماً من حديد. فقال: «هل معك من القرآن شيء؟» قال: معى سورة كذا وسورة كذا. قال: «اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن» وفى رواية: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»^(٢).



(١) صحيح: رواه النسائي (٣٣٤١) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله فى صحيح سنن النسائي.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٢١) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٢٥) كتاب النكاح.

لا تتبعوا خطوات الشيطان

أخي الحبيب: اعلم يقيناً أن الشيطان لن يأمر بك بفعل الفاحشة مباشرة، ولكنه سوف يزين لك فعل المقدمات التي توصلك إليها. فتراه يزين لك النظر إلى التلفاز، ثم إلى النساء في الطرقات، ثم يزين لك الاختلاط بالنساء، ولو على سبيل الدعوة، وهذا كله من مكائد الشيطان حتى يوصلك إلى ما يريد، فاحذر أيها الأخ الحبيب.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١).

ولما أراد الله - عز وجل - أن ينهانا عن الفاحشة لم يقل: (ولا تزنوا)، ولكن قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ﴾^(٢) فهذا أبلغ، لأنه نهى عن مجرد الدنو منه عن طريق ذرائعه ومقدماته، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾^(٣). فما بالك بمن يتخطاها.

ومن أجل ذلك كله كان «الحفاظ على العرض» أحد المقاصد الأساسية العليا للشريعة الإسلامية.

إطلاق البصر ذريعة إلى الوقوع في الفاحشة

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٤) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ.....^(٥) فغض البصر استعفاف، لأن غضه وسيلة إلى حفظ

(١) سورة النور: الآية: (٢١).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٣٢).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٨٧).

(٤) سورة النور: الآيتان: (٣٠، ٣١).

الفرج والعفة، فالعين رائد القلب كما قال بعضهم:
ألم تر أن العين للقلب رائد

فما تألف العينان فالقلب آلف

فإطلاق البصر ذريعة إلى الوقوع في الفاحشة، لذا أمر الله - عز وجل - بغضه من باب تحريم الوسائل إلى المحرم؛ و ما حُرِّم سداً للذريعة أُبِيح للمصلحة الراجحة، فأباح الشرع للخاطب أن ينظر إلى من أراد أن يخطبها، كما قال النبي ﷺ: «انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^(١).

وكذا إذا احتيج إلى ذلك للتطبب والشهادة، وذلك بالضوابط الشرعية، وقد نفّر النبي ﷺ من إطلاق البصر، وسمى إطلاقه زنى العينين فقال ﷺ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزَّانَا فَهُوَ مَدْرُكُ ذَلِكَ لَا مُحَالَةَ: الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا السَّمْعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُمَا الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْخُطَى، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يَكْذِبُهُ»^(٢).
وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال: «اصرف بصرك»^(٣).

فضل العفة والاستعفاف

ولقد مدح الله (جل وعلا) أهل العفاف في كتابه فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٤).
وكذا قوله عز وجل في سورة المعارج: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩)

(١) صحيح: رواه الترمذی (١٠٨٧) كتاب النکاح، والنسائی (٣٢٣٥) كتاب النکاح، وابن ماجه (١٨٦٦) كتاب النکاح، والدارمی (٢١٧٢) كتاب النکاح، وأحمد (١٧٦٧١) أول مسند الکوفیین، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله فی صحیح الجامع (٨٥٩).

(٢) متفق علیه: رواه البخاری (٦٦١٢) كتاب القدر، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٥٩) كتاب الآداب.

(٤) سورة المؤمنون: الآيات: (١-٧).

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١﴾ .
 وأثنى على مريم «عليها السلام» فقال: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ
 فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الْقَانِنُ﴾ ﴿٢﴾ .
 - بل لقد أخبر النبي ﷺ أن من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا
 ظل إلا ظله: «ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله» ﴿٣﴾ .
 وقال النووي: وخصَّ ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر
 حصولها، وهى جامعة للمنصب والجمال، لاسيما وهى داعية إلى نفسها
 طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها
 لخوف الله تعالى، وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من
 أكمل المناصب وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله فى ظله .
 وذات المنصب هى ذات الحسب والنسب الشريف، ومعنى «دعته» أى: دعت
 إلى الزنا بها، وهذا هو أصوب فى معناه، وذكر القاضى فيه احتمالين
 أصحهما هذا، والثانى أنها دعت لنكاحها، فخاف العجز عن القيام بحقوقها،
 وأن الخوف من الله تعالى شغله عن لذات الدنيا وشهواتها ﴿٤﴾ .

العفة سبب لتفريج الكربات

ولقد توسل أقوام إلى الله «جل وعلا» بتعففهم وتركهم لهذه الفاحشة،
 ففرج الله عنهم الكربات .

فها هو أحد هؤلاء الثلاثة أصحاب الغار الذين كانوا على سفر، فأخذهم
 المطر فأووا إلى غار فى جبل، فانحطَّت على فم غارهم صخرة من الجبل،
 فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله

(١) سورة الماعارج: الآيتان: (٢٩-٣٠) .

(٢) سورة التحريم: الآية: (١٢) .

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة .

(٤) مسلم بشرح النووي (٧/ ١٧١) .

فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم.. فذكر الحديث وفيه:
 قال النبي ﷺ: «وقال الآخر: اللهم كانت لي بنتٌ عمٌ كانت أحب الناس إليَّ، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني، حتى أَلَمْتُ بها سنة من السنين فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها»^(١).

قال الشيخ الألباني «رحمه الله»: وتوسَّلُ الثَّانِي بعفته من الزنا بابنة عمه التي أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء بعد ما قدر عليها، استسلمت له مُكْرَهَةً بسبب الجوع والحاجة، ولكنها ذكَّرتَه بالله عز وجل فتذكر قلبه، وخشعت جوارحه، وتركها والمال الذي أعطاهَا^(٢).

* وهذه أيضاً سارة - عليها السلام - لما أُدْخِلَتْ على الجبار قامت تتوضأ وتصلِّي، فقالت: «اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجي فلا تسلط على هذا الكافر.... ففرج الله همها، وأزال كربها»^(٣).

النبي ﷺ يحض الأمة على العفة

- وما هو الحبيب يحض الأمة على العفاف فيقول: «أربعٌ إذا كُنْ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحُسن خليقة، وعفة في طُعمَة»^(٤).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٧٢) كتاب الإجارة، ومسلم (٢٧٤٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) التوسل (ص ٣٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٢١٧) كتاب البيوع.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٦٦١٤) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٧٣).

- وكان من دعاء النبي ﷺ الذي علمه لأُمته: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»^(١).

- بل ولما سأل هرقل أبا سفيان بن حرب - قبل أن يُسلم - عن النبي ﷺ وقال له: فبماذا يأمركم به؟ قال له أبو سفيان: «يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة..»^(٢).

- بل وأخبر النبي ﷺ أن العفاف من صفات أهل الجنة فقال ﷺ: «..وأهل الجنة ثلاثة - وذكر من بينهم - وعفيف ذو عيال..»^(٣).

- وقال ﷺ: «من يضمن لى ما بين رجله وما بين لحييه أضمن له الجنة»^(٤).

وقال ﷺ: «اضمنوا لى ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اتُّمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»^(٥).

ثلاثة حق على الله عونهم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح الذي يريد العفاف، والمكاتب الذي يريد الأداء - أى: العبد الذي يريد أن يحرر رقبته ببذل مقدار من المال يكاتب عليه سيده - والغازي

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٤١) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٤٧٤) كتاب الرقاق.

(٥) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح

الجامع (١٠١٨).

في سبيل الله»^(١).

قال الأستاذ حسين سليم أسد: لقد ذكر رسول الله ﷺ ما يحتاج إليه المؤمن من العفة: من عفة الفرج، وتخليص الرقبة، وبراءة الذمة، وإعلاء كلمة الله، وأخبر أن هذه الواجبات لا تتم إلا بالمال.

ولذا قال سعيد بن المسيب: «لا خير فيمن لا يحب المال، يعبد به ربه، يؤدي به أمانته، ويصون به نفسه، ويستغنى به عن الخلق»^(٢).

أخى الحبيب: اعلم علم اليقين أن كل من أراد أن يترك طريق الفواحش وأن يسلك طريق العفاف فإن الحق «جل وعلا» يعينه ويرزقه فقد قال ﷺ: «تنزل المعونة من السماء على قدر المؤنة وينزل الصبر على قدر المصيبة»^(٣).

- فما عليك إلا أن تختار زوجة صالحة تعينك على أمر دينك ودنياك، وسترى كيف تنزل عليك المعونة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

أنواع العفة

قال الماوردي - رحمه الله تعالى: العفة والنزاهة والصيانة من شروط المروءة... والعفة نوعان: أحدهما العفة عن المحارم، والثاني العفة عن المآثم، فأما العفة عن المحارم، فنوعان: أحدهما: ضبط الفرج عن الحرام، والثاني: كف اللسان عن الأعراض.

وأما العفة عن المآثم فنوعان أيضاً: أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النفس عن الإسرار بخيانة^(٤).

(١) حسن: رواه الترمذي (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائي (٣٢١٨) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٥١٨) كتاب الأحكام، وأحمد (٩٣٤٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٢) هامش مسند أبى يعلى (١١ / ٤١١).

(٣) صحيح: رواه ابن عساكر من طريق الحسن بن سفيان (٤٠٠ / ١٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٠١).

(٤) أدب الدنيا والدين (ص: ٣٩٠).

تمام العفة

لا يكون الإنسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر، فمن عدمها في اللسان: السخرية والتجسس والغيبة والهمز والنميمة والتنازير بالألقاب، ومن عدمها في البصر: مد العين إلى المحارم وزينة الحياة الدنيا المولدة للشهوات الرديئة، ومن عدمها في السمع: الإصغاء إلى المسموعات القبيحة. وعماد عفة الجوارح كلها أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص بكل واحد منها إلا فيما يسوغه العقل والشرع دون الشهوة والهوى.

شروط العفة

واعلم أنه لا يكون المتعفف عفيفاً إلا بشرائط: وهي أن لا يكون تعففه عن الشيء انتظاراً لأكثر منه أو لأنه لا يوافق، أو لجمود شهوته، أو لاستشعار خوف من عاقبته، أو لأنه ممنوع من تناوله، أو لأنه غير عازف به لقصوره، فإن ذلك كله ليس بعفة (١).

لذة العفة أعظم من لذة قضاء الوطر

* قال ابن القيم رحمه الله: إن للعفة لذة أعظم من لذة قضاء الوطر، لكنها لذة يتقدمها ألم حبس النفس، ثم تعقبها اللذة، أما قضاء الوطر فبالضد من ذلك.

ولم يزل الناس يفتخرون بالعفة قديماً وحديثاً: قال بعضهم:

إذا ما هممنا صدنا وازع التقى

فولّى على أعقابهم الهمة خاسراً (٢)

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٣١٩).

(٢) روضة المحبين (ص ٣٤٧).

الدوافع التي تدفع إلى العفة والاستعفاف

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه الطائفة لعفتهم أسباب أقواها:

- إجلال الجبار، ثم الرغبة في الحور الحسان في دار القرار، فإن من صرف استمتاعه في هذه الدار إلى ما حرم الله عليه من الاستمتاع بالحور الحسان هناك...، قال عليه السلام: «من يلبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»^(١)، «ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة...»^(٢).
- فلا يجمع الله للعبد لذة شرب الخمر ولبس الحرير والتمتع بما حرم الله عليه من النساء والصبيان ولذة التمتع بذلك في الآخرة، فليختر العبد لنفسه إحدى اللذتين، وليطب نفساً عن إحداهما بالأخرى، فلن يجعل الله من أذهب طبيباته في حياته الدنيا واستمتع بها كمن صام عنها ليوم فطره من الدنيا إذا لقي الله.

- ودون ذلك مرتبة أن يتركها لمجرد خوف العقوبة.
- ثم أدنى من ذلك أن يحمله عليها خوف العار والشار.
- ومنهم من يحمله على العفة الإبقاء على محبته خشية ذهابها بالوصال.
- ومنهم من يحمله عليها عفة محبوبه ونزاهته.
- ومنهم من يحمله عليها الحياء منه والاحتشام له وعظمته في صدره.
- ومنهم من يحمله عليها الرغبة في جميل الذكر، وحسن الأحداث.
- ومنهم من يحمله عليها الإبقاء على جاهه ومروءته وقدره عند محبوبه وعند الناس.
- ومنهم من يحمله عليها كرم طبعه وشرف نفسه وعلو همته.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨٣٢) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٧٣) كتاب اللباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٧٥) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة.

- ومنهم من يحمله عليها لذة الظفر بالعفة، فإن للعفة لذة أعظم من لذة قضاء الوطر، لكنها لذة يتقدمها ألم حبس النفس، ثم تعقبها اللذة، وأما قضاء الوطر فبالضد من ذلك.

- ومنهم من يحمله عليها علمه بما تعقبه اللذة المحرمة من المضار والمفاسد، وجمع الفجور خلال الشر كلها^(١).

إنهم حقاً أصحاب قلوب طاهرة

إننا في هذا الزمان قد نجد شاباً أو فتاة وقعاً في جريمة الزنا ومع ذلك لا يشعر واحد منهما بجريمته وجنائته.. أما أصحاب الرسول ﷺ فلو وقع أحدهم في الزنا - وكان ذلك نادراً ما يحدث - فإنه يشعر كأنه جالس تحت أصل جبل يوشك أن يقع على رأسه، فكان يبحث عن أى شيء يفعله ليفوز بمغفرة الله ورضوانه.

* ففي الحديث الذى رواه مسلم أن ماعز بن مالك الأسلمى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنى قد ظلمت نفسى وزنيت وإنى أريد أن تطهرنى، فردّه، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله! إنى قد زنيت، فردّه الثانية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه فقال: «أتعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً؟» فقالوا: ما نعلمه إلا وفى العقل - من صالحينا - فيما نرى، فأتاه الثالثة، فأرسل إليهم أيضاً فسأل عنه، فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له، ثم أمر به فرُجم.

قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله! إنى قد زنيت فطهرنى، وإنه ردّها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله! لم تردنى؟ لعلك أن تردنى كما رددت ماعزاً، فوالله إنى لحبلى، قال: «إما لا، فاذهبى حتى تلدى» فلما

(١) روضة المحيين (ص: ٣٤٣ - ٣٤٤).

ولدت أخته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: «اذهبي فأرضعيه حتى تفتطميه»، فلما فطمته أخته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله! قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفعت الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد، فسبها، فسمع نبي الله سبه إياها، فقال: «مهلاً يا خالد! فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس لغفر له» (١).

وبالمثال يتضح المقال

وها أنا أسوق لحضراتكم باقة عطرة من سيرة أهل العفاف الذين ملؤوا الكون بعبير العفاف في زمنٍ عزَّ فيه العفاف.

يوسف «عليه السلام»... قمة في الإحسان والمراقبة؛

كان يوسف عليه السلام فتياً وشاباً بارع الفتوة والجمال، وكان مملوكاً عند امرأة من أهل التبرج والسفور، وتزينت له المرأة وكانت ذات منصب وجمال، وغلقت الأبواب وقالت: هيت لك، فقال يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢) فأبى يوسف أن يميل مع الهوى، فإن من اتبع الهوى هوى به، ومن استعمل التقوى تقوى بها.

* قال ابن القيم رحمه الله:

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن يوسف الصديق عليه السلام من العفاف أعظم ما يكون، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره؛ فإنه عليه السلام كان شاباً والشباب مُركَّب الشهوة، وكان عزباً ليس عنده ما

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٥) كتاب الحدود.

(٢) سورة يوسف: الآية: (٢٣).

يعوضه، وكان غريباً عن أهله ووطنه، والمقيم بين أهله وأصحابه يستحي منهم أن يعلموا فيسقط من عيونهم، فإذا تغرب زال هذا المانع، وكان في صورة المملوك، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال، والداعى مع ذلك أقوى من داعى من ليس كذلك، وكانت هى المطالبة فيزول بذلك كلفة تعرض الرجل، وطلبه، وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمراودة التى يزول معها ظن الامتحان والاختبار، لتعلم عفافه من فجوره، وكانت فى محل سلطانها وبيتها، بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذى لا تناله العيون، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب، لتأمن هجوم الداخل على بغتة وأتته بالرغبة والرغبة، ومع هذا كله فعفَّ لله ولم يُطعها، وقَدَّم حق الله وحق سيدها على ذلك كله، وهذا أمر لو ابتلى به سواه لم يعلم كيف كانت تكون حاله. فإن قيل: فقد همَّ بها. قيل عنه جوابان: أحدهما: أنه لم يهم بها بل لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ، هذا قول بعضهم فى تقدير الآية.

والثانى وهو الصواب: أن همه كان هم خطرات فتركه لله، فأثابه الله عليه، وهما كان همَّ إصرار بذلت معه جهدها فلم تصل إليه، فلم يستوِ الهمَّان (١).

ولم يقتصر الأمر على موقف عابر، ولحظات انتصر فيها يوسف عليه السلام على نفسه، ورفع راية الإيمان... بل استمر التحريش والتحضيض، والترغيب، والترهيب بيوسف عليه السلام ليس من المرأة وحدها، بل منها ومن نساء المدينة، فلما بلغ نساء المدينة أن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حُبًّا، أرادت المرأة أن ترى النساء جمال يوسف عليه السلام حتى يلتمنس لها العذر فى شدة محبتها وبذلها نفسها له

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾^(١)، فلما رأت امرأة العزيز مدى انبهار النساء بيوسف عليه السلام صرّحت لهن، واعترفت بين أيديهن ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾^(٢).

فاستمر الكيد والمكر بيوسف عليه السلام من المرأة ومن نساء المدينة، وهو يعتصم بالإيمان، ويلجأ إلى الرحمن ويقول: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٣)، وفي ذلك أدب رفيع للمؤمن عند كثرة الفتن، لا يحسن الظن بنفسه، ولكنه يسيء الظن بنفسه، ويعترف بضعفه، ويلجأ إلى ربه عز وجل أن يصرف عنه الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ييأس من حوله وقوته ويلجأ إلى الله عز وجل، يلوذ إليه ويعوذ به، فالمؤمن لا ينكس راية الإيمان بحجة أن الفتن جارفة، والشهوات عارمة، بل عليه أن يرفع راية الإيمان، ويستعين بالرحمن. اختار يوسف عليه السلام السجن لبدنه على سجن الهوى والشهوة لقلبه.

قال ابن القيم رحمه الله: فتأمل كيف جزاه الله سبحانه وتعالى على ضيق السجن أن مكّنه في الأرض ينزل منها حيث يشاء، وأذل له العزيز وامراته، وأقرت المرأة والنسوة ببراءته، وهذه سنته تعالى في عباده قديماً وحديثاً إلى يوم القيامة.

ولما عقر سليمان بن داود عليهما السلام الخيل التي شغلته عن صلاة

(١) سورة يوسف: الآية: (٣١).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٣٢).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٣٣).

العصر حتى غابت الشمس سخر الله له الريح يسير على متنها حيث أراد .
ولما ترك المهاجرون ديارهم لله وأوطانهم التي هي أحب شيء إليهم ،
أعاضهم الله أن فتح عليهم الدنيا وملّكهم شرق الأرض وغربها (١) .

عثمان بن طلحة.. وعفة تفوق الخيال

تروى أم سلمة رضي الله عنها قصة هجرتها فتقول: ففرقوا بيني وبين زوجي، إذ
واصل هو سيره إلى المدينة، . . . وبينى وبين ولدى، إذ أخذه رهط زوجي،
فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح فأجلس أبكى، حتى مر بي رجل من بنى
عمى أحد بنى المغيرة فرأى ما بى فرحمنى . فقال لبنى المغيرة: ألا تُخرجون
هذه المسكينة! فرّقتم بينها وبين زوجها، وبين ولدها .

قالت: فقالوا لى: الحقى بزواجك إن شئت . قالت: وردّ بنو عبد الأسد
إلىّ عند ذلك ابنى . فارتحلت بغيرى، ثم أخذت ابنى فوضعتة فى حجرى،
ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة، وما معى أحد من خلق الله .

فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم
لقيت عثمان بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار . فقال لى: إلى أين يا بنت أبى
أمية؟ قلت: أريد زوجى بالمدينة، قال: أوّ ما معك أحد؟ قلت: لا والله إلا
الله وبُنَىّ هذا . قال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معى
يهوى بى، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه،
كان إذا بلغ المنزل أناخ بى، ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى
فحطّ، ثم قيده فى الشجرة، ثم تنحّى عنى إلى شجرة أخرى فاضطجع تحتها،
فإذا دنا الرواح قام إلى بغيرى فقدمه فرحّله، ثم استأخر عنى، وقال: اركبى،
فإذا ركبت واستويت على بغيرى أتى وأخذ بخطامه فقاده، حتى ينزل بى، فلم

يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقاء قال: زوجك فى هذه القرية - وكان أبو سلمة نازلاً بها - فادخلها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة، وهو يومئذ على الشرك، وما أسلم إلا فى هدنة الحديبية، والله ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة.

* قال الجزائرى حفظه الله: حقاً ما قالت: ما أعلم أهل بيت أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، هذه واحدة،... وأخرى فى كمال عثمان بن طلحة الذى يضرب الرقم القياسى فى الكرم النفسى، إنه يجد امرأة على بغيرها تريد السفر مسافة عشرة أيام فى صحراء لا خضراء به ولا ماء، فيقول وقد سألها عن حالها: والله ما لك من مترك، ويقود بغيرها، ويحسن إليها فى ركبها ونزولها، ويرىها من العفة والكرم ما لم تره امرأة مثلها قط.

آه!! أين هؤلاء الرجال الأعفاء الكرماء ذوو النجدة؟! لقد أقفرت منهم الحياة، وأجذبت منهم ساحة الوجود، ولا خير فى دنيا يُفقد فيها أمثال هؤلاء^(١).

إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم

عن إبراهيم النخعى قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعب والاجتهاد. فنزل فى جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم جميلة فهوىها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل بالفتى.. فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مُسمّاة لابن عمِّ لها، فلم اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلت إليه الجارية: «قد بلغنى شدة محبتك لى، وقد اشتد بلائى بك. فإن شئت زرتك، وإن شئت سهّلتُ لك أن تأتيني إلى بيتى.

فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين ﴿إِنِّى أَخَافُ إِنِّ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ

(١) هذا الحبيب يا محب (ص ١٥١ - ١٥٢).

يَوْمٍ عَظِيمٍ^(١)؛ أخاف نارا لا يخبو سعيها، ولا يخمد لهيبها.
فلما أبلغها الرسول قالت: وأراه مع هذا يخاف الله!! والله ما أحد أحق
بهذا من أحد، وأن العباد فيه لمشركون... ثم انخلعت من الدنيا، وألقت
علائقها خلف ظهرها، وجعلت تتعبد.
أيها الأخ الحبيب: إذا حدثتك نفسك بأى معصية فيأليتك ترفع شعار
﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إنه شعار لا يرفعه إلا من
وصل إلى مرتبة الإحسان وهى: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه
فإنه يراك.

عطاء بن يسار.. والمرأة البدوية

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن
يسار حاجين من المدينة، ومعهما أصحاب لهما، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا
منزلاً، فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم، وبقي عطاء بن يسار قائماً
فى المنزل يصلى.

قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فلما رآها عطاء ظن أن لها
حاجة، فأوجز فى صلاته ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قال: ما هى؟
قالت: قُم فأصِبْ منى فأنى قد ودقت ولا بعل لى^(٢). فقال: إليك عنى لا
تحرقينى ونفسك بالنار.

ونظر فإذا هى امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسها، ويأبى أن يجيبها
إلى ما تريد، قال: فجعل عطاء يبكى ويقول: ويحك! إليك عنى.
واشتد بكاءه، فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت
المرأة لبكائه. قال: فجعل يبكى، والمرأة بين يديه تبكى، فبينما هو كذلك إذ

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥).

(٢) ودقت: أى اشتدت عليها الشهوة، وليس لها زوج يعفها.

جاء سليمان من حاجته، فلما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكي فى ناحية الدرس بكى لبكائهما، لا يدرى ما أبكاهما، وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكى لبكائهم، لا يسألهم عن أمرهم، حتى كثر البكاء، وعلا الصوت فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت .

قال: فقام القوم فدخلوا . فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالاً له وهيبة . قال: وكان أسنّ منه .

قال: ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله، فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكى . فقال سليمان: ما يبكيك يا أخى؟ قال: فاشتد بكاؤه . قال: ما يبكيك يا أخى؟ قال: فاشتد بكاؤه . قال: ما يبكيك يا أخى؟ قال: رؤيا رأيته الليلة . قال: وما هى؟ قال: لا تخبر بها أحداً ما دُمت حياً: رأيت يوسف النبى ﷺ فى النوم، فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه، فلما رأيت حسنه بكيت، فنظر فى الناس فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبى أنت وأمى يا نبى الله ذكرك وامرأة العزيز، وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وفرقة يعقوب فبكيت من ذلك، وجعلت أتعجب منه، قال: فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذى أراد فبكيت، واستيقظت باكياً .

قال سليمان: أى أخى، ما كان من حال تلك المرأة؟ فقصّ عليه عطاء القصة، فما أخبر بها سليمان أحداً حتى مات عطاء، فحدث بها بعده امرأة من أهله . قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار رحمهما الله (١) .



عبيد بن عمير.. قمة في المراقبة

ذكر أبو الفرج ابن الجوزي أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يُفْتَن به؟ قال: نعم. قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فائذن لي فيه فلافتننه، قال: قد أذنت لك. فأنته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية في المسجد الحرام، فأسفرت عن وجهه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله استتري، فقالت: إني قد فُتنت بك. قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقتيني نظرت في أمرك. قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضى لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو دخلت قبرك، وأجلست للمسألة أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم، ولا تدرين أتأخذين كتابك يمينك أم بشمالك أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: فلو أردت الممر على الصراط، ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: فلو جىء بالميزان، وجىء بك، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: اتقى الله، فقد أنعم عليك وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها. فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطل ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لي ولعبيد بن عمير أفسد على امرأتي، كانت في كل ليلة عروساً فصيرها راهبة^(١).

ثمرات العفة والاستعفاف

أما عن ثمرات العفة فهي كثيرة، وسنذكر بعضها في تلك النقاط:

١- النجاة من عقوبات المعاصي في الدنيا والبرزخ، فللمعاصي عقوبات دنيوية كالوحشة في القلب، وحرمان نور العلم، وحرمان الرزق، وذهاب الغيرة والحياء، والذل، وضيق الصدر، وظلمة القبر، وحرمان الطاعة، ونسيان العبد لنفسه، والتعرض للعنة الله عز وجل ولعنة رسول الله ﷺ، وزوال الأمن والأمان، وظهور الأوجاع والطواعين، ومحقق البركة، والعقوبات الشرعية، وغير ذلك، وقد مضى كيف يُعَذَّبُ الزناة والزواني في التنوير وتأتيهم النار من أسفل منهم في القبور، أما عقوبة الآخرة فقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿ (١)﴾.

٢- الفوز بثمرات التقوى العاجلة والآجلة، فلا شك في أن العفة من تقوى الله عز وجل، وقد وعد الله عز وجل المتقين بثمرات طيبة.

- فمن الثمرات العاجلة: المخرج من كل ضيق، والرزق من حيث لا يحتسب، والسهولة واليسر في كل أمر، وتيسير تعلم العلم النافع، وإطلاق نور البصيرة، ومحبة الله عز وجل، ومحبة ملائكته، والقبول في الأرض، ونصرة الله عز وجل وتأييده وتسديده، والبركات من السماء والأرض، والبشرى وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له، والحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، وحفظ الذرية الضعاف بعناية الله عز وجل، وقبول الأعمال، والنجاة من عذاب الدنيا، وما يجعله الله عز وجل لهم من الهيبة والشرف والمعرفة.

- أما الثمرات الآجلة، فمن ذلك: تكفير السيئات، وعز الفوقية فوق الخلق يوم القيامة، وميراث الجنة، والفوز بأعلى الدرجات، والسعادة بالصحبة والمحبة مع أحبائهم في الله وهم يُساقون إلى الجنة زُمراً.

٣- ومن ثمرات العفة طهارة الفرد، ونقاء المجتمع، فالعفيف يحيى حياة اجتماعية مستقرة، يتمتع بالسمعة الطيبة والذكر الحسن، والزواج السعيد، ويهنأ بنفسية مستقرة مطمئنة بأنس الطاعة، وبهجة القرب من الله، ولذة العبادة، وحلاوة الإيمان، يسعد ويسعد مجتمعه بأخلاقه الفاضلة، بحيائه وعفافه، وحشمته وتقواه، وستره، وصبره، فقل لى بربك: ألا يسعد المجتمع بأمثال هؤلاء!

أم أن سعادة المجتمع في ذلك الذى استمرأ العيش فى الظلام، وأكل اللحم الحرام، لا يرفعى المحرمات، ولا هم له إلا إشباع الشهوات.

٤- ومن ثمرات العفة النجاة من الإصابة بالأمراض الخبيثة، التى تلاحق أصحاب الشهوات والنزوات، كالإيدز، والزهرى، والسيلان، . . . نعوذ بالله من الخذلان.

٥- ومن ثمرات العفة التدرب على مخالفة الهوى، . . . والله عز وجل لم يجعل للجنة طريقاً إلا فى مخالفة الهوى فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (١).

٦- ومن ثمرات العفة التدرب على قوة الإرادة والعزيمة على فعل الطاعات وترك المعاصى، فمن استطاع مخالفة هوى نفسه، تقوى إرادته فى سائر الطاعات، وكذا يقوى على قهر نفسه وكفها عن سائر المعاصى.

٧- ومن ثمرات العفة أن يطمئن المؤمن على إيمانه وإخلاصه لله عز وجل، . . . قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢).

(١) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠، ٤١).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٢٤).

وروى عن عبد الله بن عمر قال: «صدق الإيمان أن يخلو الرجل بالمرأة الحسنة فيدعها لا يدعها إلا لله». وقوله: «يخلو» لا يقصد به أنه يتعمد الخلوة بها، ولكن المقصود إذا خلا بها في ظرف من الظروف. والله أعلم.

٨- ومن ثمرات العفة أنها برهان على الصبر، بل هي من الصبر، فالصبر ثلاثة أنواع: صبر على الطاعات حتى يؤديها، وصبر على المعاصي حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار حتى لا يتسخطها.

٩- ومن ثمرات العفة أن يصون العبد عرضه، فمن حافظ على أعراض الناس حفظ الله عرضه، ومن عبث بأعراض الناس عبث الناس بعرضه.

١٠- ومن ثمرات العفة الوصول إلى الزواج المثالي: فإن الشاب الذي أرخى العنان لشهواته، وتعود على تدنيس الأعراض، وإشباع رغباته بألوان متعددة من المفسد لن يطيق صبراً عنها وإن تزوج، إلا أن يتوب، ويبدأ بزواجه صفحة جديدة من حياته، وكذلك الفتاة التي خرجت من حصنها العفيف وخالطت الرجال وعاشرتهم من الصعب بعد ذلك أن تخضع لزوج تهب له كل حياتها، إلا بعد توبة نصوح، أما أهل العفاف من الرجال والنساء فإن المودة والرحمة والسكن تتبادل بين الزوجين، ويرى كل منهما في الآخر الحب المخلص، والمنحة الأبدية، وعنوان الرخاء، فيتعلق كل منهما بالآخر حتى النهاية.

١١- ومن ثمرات العفة أن يجعل الله للعبد الذي خالف هواه وأطاع مولاه من الضيق مخرجاً، كما في قصة الثلاثة الذين انسدت عليهم فوهة الغار، فتوسل أحدهم بعفته فانفرت الصخرة.

١٢- ومن ثمرات العفة أن يستظل العبد العفيف بظل عرش الرحمن يوم القيامة كما في قوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله....» (١) الحديث.

(١) متفق عليه: وقد تقدم.

فمن استظل بتقوى الله ومخافته في الدنيا، استظل بظل عرشه يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة. نسأل الله السلامة^(١).

الطريق إلى العفاف

ويبقى السؤال الذي نحتاج أن نجيب عليه: ما الطريق إلى العفاف؟
والجواب: أننا نحتاج أن نوجه تلك النصائح الغالية لكل أفراد المجتمع.
فنقول أولاً للآباء: ليعلم كل واحد منكم أنه راعٍ وأنه مسئول عن رعيته
فليحرص كل أب أن يحافظ على زوجته وبناته، وأن يأخذ بأيديهن إلى طاعة
الله وإلى الحجاب والحياء، لينتشر الخير في المجتمع كله، وذلك من باب قوله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا
مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢).

* فيا أيها الوالد الكريم احذر من أن تترك ابنتك تخرج بغير حجاب، أو
أن تسمح لها بالاختلاط بالرجال، فإن ذلك يذهب بحيائها، واحرص على
أن تكون رقيباً على تصرفات أولادك وبناتك وأن تسددهم وتدلهم على
الطريق الذي يقربهم من الله «جل وعلا».

واحرص على أن تنتقى لابنتك زوجاً صالحاً ولا تشغل بغيره أو بفقره،
فالمال لن يجلب لها السعادة، والفقر لن يجلب لها الشقاء إن كانت مؤمنة،
واحرص على تيسير زواجها ولا تعضلها وتمنعها من الزواج؛ لأن هذا فيه
شروع للفواحش، وإذا استطعت أن تُعين ابنك على الزواج فجزاك الله خيراً،
فأنت بذلك تُعينه على إنشاء بيتٍ مسلم يعيش على طاعة الله «جل وعلا».
* ويا أيها الأم الفاضلة احرصى على أن تكوني قدوة صالحة لأولادك.

(١) العفة ومنهج الاستعفاف (٩٨ : ١٠٠) بتصرف. نقلاً من وقفات تربوية للدكتور/ أحمد فريد.

(٢) سورة التحريم: الآية: (٦).

وبناتك وذكريهم دائماً بالله (جل وعلا)، واجعلى قلوبهم موصولة بالله. وعلمى بناتك الحياء والبعد عن مخالطة الرجال وعلمى بناتك كل شئون المنزل من طهى وغيره، لتكون زوجة مثالية فى بيتها، وعلمىها حسن التبعل لزوجها، وعلمىها أن طاعتها لزوجها واجبة.

* وأنت أيتها الأخت الفاضلة: اعلمى أن الله «عز وجل» سيرزقك بالزوج الصالح الذى يعينك على طاعته إذا عشت على طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ، فاحرصى على الحجاب لتكونى عوناً لإخوانك على العفاف ولا تكونى سبباً لفتنة أى شاب مسلم، واحرصى على غض البصر والبعد عن مخالطة الرجال فهذا أحفظ لدينك وحياتك.

* وأنت أيها الأخ الحبيب: اعلم أن الزواج رزق وأن الرزق يأتى بكل يسر وسهولة إذا عشت على تقوى الله وطاعته.

جاهد نفسك قدر استطاعتك واحرص على غض البصر، وأغلق على نفسك أبواب الفتن، فإن استطعت الزواج فأسرع الخطا وإن لم تستطع فعليك بكثرة الصيام، واحرص على طلب العلم والدعوة إلى الله. - فإذا رزقك الله بزوجة صالحة فكن عوناً لها على طاعة الله «جل وعلا».

* وأخيراً: فإنى أسأل الله «جل وعلا» أن يبارك فى إخوانى وأخواتى وأن يرزقهم جميعاً العفاف وأن يملأ بيوتهم بركة وإيماناً. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى
(أبو عمار)

الشباب.. واللقمة الحلال

ويرزقه من حيث لا يحتسب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).
 أما بعد:

فإن قضية الرزق في تلك الأيام أصبحت ظلمات بعضها فوق بعض، فلقد تعدّر الحلال واستشرى الحرام، مما جعل الكثير من بنى جلدتنا يصيبه اليأس الشديد من أن يتحصل على لقمة عيش من رزق حلال.. ومن أجل ذلك رأيت أن نتناول موضوع الرزق بنظرة إسلامية، ثم نُسْقِط ذلك على أرض الواقع من أجل أن يدب اليقين في القلب بأن الله هو الرازق، وأن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته.. فقد قال ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الاحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّ أحدكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته»^(١).

ما هو الرزق؟!!!

إننا حينما نتحدث عن قضية الرزق؛ فإن الفكر ينصرف بلا تردد إلى الرزق المتمثل في الدرهم والدينار، مع أن قيمته في مؤخرة الأرزاق التي يسوقها الله إلى عباده.

فنعمة الإسلام هي أعظم نعمة ساقها الله إليك أيها الأخ الحبيب وأيتها الأخت الفاضلة.. وكذلك إذا جعلك الله من أتباع الحبيب ﷺ فهذا رزق عظيم.. وحفظ القرآن وحُسن الخلق والرحمة ونقاء النفس وسلامة الصدر والصحة والستر وراحة البال والأمانة وحُب الخير للناس والشجاعة والدعوة إلى الله على بصيرة، وكذلك فالقناعة رزق عظيم لمن تدبر.

كل هذه الأرزاق غفل عنها الكثير من المسلمين وشغلوا أنفسهم باللهث وراء الدرهم والدينار.. بل إن الصبر نعمة عظيمة، فقد قال الحبيب ﷺ: «من يتصبر يُصبره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»^(٢).

نعم والله، فالصبر نعمة لا يعلم قدرها إلا من لامس الإيمان شغاف قلبه... أما المال فإنه قد يجعل الإنسان ينشغل عن طاعة ربه.

ولذا قال ﷺ: «ما قلّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى»^(٣).

ومن أجل ذلك كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٧/١٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٠٨٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢١٢١٤) مسند الأنصار رحمهم الله، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٥٣).

قوتاً»^(١)، أى: ما يكفى لقوت اليوم ولا يزيد عليه.

ولما كان الإنسان فى سن الشيخوخة أشد احتياجاً إلى تيسير الرزق، وذلك لأن قدرته على السعى لا توازى قدرته فى فترة الشباب، فكان من دعاء النبى ﷺ: «اللهم اجعل أوسع رزقك علىَّ عند كبر سنِّى وانقطاع عمري»^(٢).

بل إن النبى ﷺ يخبر عن حال أنعم أهل الدنيا يوم القيامة فيقول: «يُؤْتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغُ فى جهنم صبغةً، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغُ فى الجنة صبغةً، فيُقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب! ما مرَّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدةً قط»^(٣).

ومن أجل ذلك كان لازماً علينا أن نعلم أن نعمة الإسلام هى أعظم نعمة وكفى بها والله.. فاللهم أمتنا على التوحيد والإيمان.

وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها

والله لو أيقنت القلوب بتلك الآية لما وجدنا رجلاً يخاصم أخاه على مالٍ أو جاهٍ أو أى شىء من حطام الدنيا؛ فلقد تكفل الله بأن يرزق الناس والدواب والهوام، فكيف بالمؤمن الذى رفع راية التوحيد فى قلبه ورسخت العقيدة بين جوانحه، فظهرت على جوارحه؟!

قل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟ فقال: من عند الله، فقل له: الله

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٠) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥٥) كتاب الزكاة.

(٢) حسن: رواه الحاكم (٧٢٦/١)، رقم (١٩٨٧)، والطبرانى فى الأوسط (٦٢/٤)، رقم (٣٦١١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٥٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

يُنْزَلُ لَكَ دَنَانِيرُ وَدِرَاهِمُ مِنَ السَّمَاءِ؟ فَقَالَ: كَأَنَّ مَا لَهُ إِلَّا السَّمَاءُ! يَا هَذَا الْأَرْضُ لَهُ وَالسَّمَاءُ لَهُ، فَإِنْ لَمْ يُؤْتَنِي رِزْقِي مِنَ السَّمَاءِ سَاقَهُ لِي مِنَ الْأَرْضِ، وَأَنْشُدُ يَقُولُ:

وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ وَاللَّهُ رَازِقِي

وَرَازِقُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

تَكْفُلُ بِالْأَرْزَاقِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ

وَلِلضَّبِّ فِي الْبَيْدَاءِ وَالْحَوْتِ فِي الْبَحْرِ

وذكر الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» بإسناده عن زيد بن أسلم: أن الأشعريين أبا موسى وأبا مالك وأبا عامر في نفرٍ منهم، لما هاجروا وقدموا على رسول الله ﷺ في ذلك وقد أرمَلوا من الزاد (أى: نفد زادهم)، فأرسلوا رجلاً منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله، فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ سمعه يقرأ هذه الآية ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١) فقال الرجل: ما الأشعريون بأهون الدواب على الله، فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ، فقال لأصحابه: أبشروا أتاكم الغوث... ولا يظنون إلا أنه قد كلم رسول الله ﷺ فوعده، فبينما هم كذلك؛ إذ أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوؤة خبزاً ولحماً، فأكلوا منها ما شاءوا، ثم قال بعضهم لبعض: لو أنا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ ليقضى به حاجته، فقالوا للرجلين: اذهبا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ فإننا قد قضينا منه حاجتنا، ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ما رأينا طعاماً أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به، قال: «ما أرسلت إليكم طعاماً» فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم، فسأله رسول الله ﷺ فأخبره ما صنع، وما قال

(١) سورة هود: الآية: (٦).

لهم، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك شيء رزقكموه الله»^(١).

* وروى أن رجلاً جلس تحت أشجار من النخيل ثم استلقى على ظهره، فإذا به يرى عصفوراً بفمه ثمرة من نخلة مثمرة إلى أخرى غير مثمرة، ثم رأى هذا العمل يتكرر، فعجب لذلك وقال في نفسه: لأصعدن هذه النخلة لأتبين الأمر، فصعد فإذا به يرى داخل سعف النخلة حية عمياء فاتحة فمها والعصفور يلقي بالثمر في فمها، فعجب من ذلك وقال: صدق الله حيث يقول: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٢).

* ويحكى أن ابن أبشاذ النحوي كان يوماً على سطح جامع مصر، وهو يأكل شيئاً وعنده ناس فحضرهم قط فقدموا له لقمة فأخذها في فمه وغاب عنهم، ثم عاد إليهم، فرموا له شيئاً آخر، ففعل كذلك وتردد مراراً وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب، ثم يعود من فوره حتى عجبوا من ذلك القط، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرة فلما شكوا في أمره تبعوه، فوجدوه يصعد إلى حائط في سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع خراب وفيه قط آخر أعمى، وكل ما يأخذ من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله. فعجبوا من تلك الحال فقال ابن أبشاذ: إذا كان هذا حيوان أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفائته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلي؟! *

* * *

(١) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (٩/ ١٠-١١) بتصرف.

(٢) سورة هود: الآية: (٦).

إن أعظم رزق بعد الإسلام.. أن تتوق نفسك للجنة فتعمل بعمل أهلها

إن السعادة هدف لكل إنسان يعيش على أرض الله، سواءً كان مسلماً أو كافراً.. وتلك السعادة تتفاوت بتفاوت العقول والأشخاص، ولكن السعادة الحقيقية التي لا يختلف عليها اثنان لن تكون إلا في جنة الرحمن. سئل الإمام أحمد: متى الراحة؟ فقال: لا راحة إلا في الجنة... ولذلك فإن النفس إذا تاقَت للجنة فهي تعمل وتجتهد لتكون من أهلها، وهذا هو أعظم رزق بعد نعمة الإسلام والإيمان.

* وأهدى لحضراتكم تلك القصة لعمر بن عبد العزيز ونفسه التواقّة. قال رجاء بن حيوة - (الوزير المخلص لعمر بن عبد العزيز) -: كنت مع عمر بن عبد العزيز لما كان والياً على المدينة. فأرسلني لأشتري له ثوباً. فاشتريته له بخمسمائة درهم. فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه رخيص الثمن!

فلماً صار خليفة للمسلمين، بعثني لأشتري له ثوباً فاشتريته له بخمسة دراهم!! فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه غالي الثمن! قال رجاء: فلما سمعت كلامه بكيت.

فقال لي عمر: ما يُيكيك يا رجاء؟ قلت: تذكرت ثوبك قبل سنوات وما قلت عنه. فكشف عمر لرجاء بن حيوة سرّاً هذا الموقف. وقال: يا رجاء إن لي نفساً تواقّة، وما حققت شيئاً إلا تاقَت لما هو أعلى منه. تاقَت نفسي إلى الزواج من ابنة عمي فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها. ثم تاقَت نفسي إلى الإمارة فوليتها، وتاقَت نفسي إلى الخلافة فنلتها. والآن يا رجاء تاقَت نفسي إلى الجنة... فأرجو أن أكون من أهلها.

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن أحد أبنائه اتخذ خاتماً، واتخذ له فصاً بألف درهم فكتب إليه: بلغني أنك اشتريت فصاً لخاتمك بألف درهم، فبعه، وأشبع بثمانه ألف جاع، واتخذ خاتماً من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

كثرة الأموال ليست دليل الكرامة على الله

إن كثرة الأموال ليست دليل الكرامة على الله، وكذلك فإن الفقر ليس دليل الهوان على الله، وإلا لما ابتلى سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ بالفقر. في الوقت الذي ساق الله فيه الأرزاق إلى أبناء القردة والخنازير. فاليهود هم أكثر الناس أموالاً... ولقد قال الكفار من قبل: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾، فردّ الله عليهم ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١)﴾.

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٣)﴾.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥)﴾

(١) سورة سبأ: الآيات: (٣٥ : ٣٩).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٥٥ : ٥٦).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٥٥).

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ (١٧)
وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا
جَمًّا ﴿١﴾.

فالابتلاء بالنعمة أشد من الابتلاء بالنقمة. فقد يرزق الله العبد لكي يستدرجه بالنعم، كما قال تعالى عن هؤلاء الكفار: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

ولذا قال ﷺ: «إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا ما يحب، وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج» (٣).

النعم ثلاثة

وتحت هذا العنوان يقول الإمام ابن القيم:

النعم ثلاثة: نعمةٌ حاصلةٌ يعلم بها العبد، ونعمةٌ منتظرةٌ يرجوها، ونعمةٌ هو فيها لا يشعر بها. فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده، عرفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيداً يقيد بها حتى لا تشرد؛ فإنها تشرد بالمعصية وتقيّد بالشكر. ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصره بالطرق التي تسدّها وتقطع طريقها ووفقه لاجتنابها. وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه، وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها.

ويُحكى أن أعرابياً دخل على الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها بإدامة شكرها، وحقّق لك النعم التي ترجوها بحسن الظنّ به ودوام طاعته، وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها

(١) سورة الفجر: الآيات: (١٥ : ٢٠).

(٢) سورة الأنعام: الآيتان: (٤٤ : ٤٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٦٨٦٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦١).

لتشكرها. فأعجبه ذلك منه، وقال: ما أحسن تقسيمه^(١).

تحرى الحلال أمانة واجبة

إن الواجب على كل مسلم أن يسلك سبل الحلال وينأى بنفسه عن مواطن الشبهة، فلا يأكل إلا الحلال، ولا يدخل بيته إلا الحلال... قال عليه السلام: «يأتى على الناس زمان ما يُيالى الرجل من أين أصاب المال؟ من حلال أم حرام»^(٢).

وقال عليه السلام: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس - وذكر منهم - وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق»^(٣). وتأمل معى كيف كان ورع أصحاب النبى عليه السلام وعلى رأسهم (الصدّيق) رضي الله عنه... فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبى بكر الصديق رضي الله عنه غلام يُخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراج، فجاء يوماً بشيء، فأكل منه أبو بكر... فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟... فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أحسن الكهانة إلا أنى خدعته، فلقينى فأعطانى لذلك. هذا الذى أكلت منه... فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء فى بطنه»^(٤)...

والواجب على المسلم أيضاً ألا يعتدى فى طلبه للحلال على حقوق الآخرين... قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾^(٥). أى: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل.

(١) كتاب الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٢٤٨).

(٢) صحيح: رواه النسائي (٤٤٥٤) كتاب البيوع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٠٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤٢) كتاب المناقب.

(٥) سورة البقرة: الآية: (١٨٨).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعنى باليمين الباطلة... الكاذبة يقطع بها الرجل مال أخيه بالباطل».

※ يقول الإمام ابن القيم:

ما أخذ العبد ما حُرِّم عليه إلا من جهتين:

إحداهما: سوء ظنه بربه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيراً منه حلالاً.
والثانية: أن يكون عالماً بذلك، وأن من ترك لله شيئاً أعاضه خيراً منه،
ولكن تغلب شهوته صبره، وهواه عقله.

فالأول من ضعف علمه، والثاني من ضعف عقله وبصيرته^(١).

المال الحرام يحول بينك وبين قبول العبادة ورفع الدعاء

ففى صحيح مسلم ذكر النبى صلّى الله عليه وآله: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»^(٢)...

وروى: «أن من لم يبال من أين اكتسب المال، لم يبال الله من أى باب أدخله النار».

وروى: «أن من اشترى ثوباً بعشرة دراهم، وفيه درهم من حرام؛ لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه».

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «لأن يجعل أحدكم فى فيه تراباً خيراً من أن يجعل فى فيه حراماً».

وقد روى عن يوسف بن أسباط - رحمه الله - قال: «إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء؛ قال: دعوه يتعب ويجهتد، فقد كفاكم نفسه، إن اجتهداه مع أكل الحرام لا ينفعه».

(١) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٧٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة.

وروى أن ملكاً على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة: «من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرماً ولا عدلاً».

والصرف: النافلة، والعدل: الفريضة.

وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أردّ درهماً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف... حتى عدّ ستمائة ألف».

وقال وهيب بن الورد: «لو قمت قيام السارية ما نفعتك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يقبل الله صلاة امرئ، وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله - تعالى - منه».

وقال سفيان الثوري: «من أنفق الحرام في الطاعة كان كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال».

وقال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام».

وروى أن من حج بمال حرام فقال: لبيك، قال ملك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك.

وعن بعض الصالحين أنه رأى بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً، غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها^(١).

المعاصي تزيل النعم

* يقول الإمام ابن القيم:

ومن عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم وتحلّ النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلّت به نعمة إلا بذنب،... كما قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رُفِعَ إلا بتوبة».

(١) الكبائر للإمام الذهبي - تحقيق: د. أسامة عبد العظيم (ص: ١١٢، ١١٣).

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (١).
وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٢).

فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمه التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو
الذى يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه
بأسباب سخطه، فإذا غير غير عليه، ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ (٣) ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ﴾ (٤).

فإن غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز.
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ
سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن آلٍ﴾ (٥).

وفى بعض الآثار الإلهية، عن الرب - تبارك وتعالى - أنه قال: «وعزتي
وجلالى لا يكون عبد من عبيدى على ما أحب، ثم ينتقل عنه إلى ما أكره، إلا
انتقلت له مما يحب إلى ما يكره، ولا يكون عبد من عبيدى على ما أكره ثم ينتقل
عنه إلى ما أحب، إلا انتقلت له مما يكره إلى ما يحب».

وقد أحسن القائل حيث يقول:

إذا كنت فى نعمة فارعها

فإن الذنوب تُزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد

فرب العباد سريع النقم

(١) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٥٣).

(٣) سورة النبأ: الآية: (٢٦).

(٤) سورة فصلت: الآية: (٤٦).

(٥) سورة الرعد: الآية: (١١).

وإياك والظلم مهما استطعت
فُظِّلِم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى
لُتَبَصَّر آثار مَنْ قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم
شهودٌ عليهم، ولا تنهم
وما كان شىء عليهم أضر
من الظلم وهو الذى قد قصم
فكم تركوا من جنان ومن
قصور، وأخرى عليهم أطم
صلُّوا بالرحيم وفاتوا النعيم
وكان الذى نالهم كالحلم

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن للحسنة ضياءً فى الوجه ونوراً فى القلب وسعة فى الرزق وقوة فى البدن ومحبة فى قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً فى الوجه وظلمة فى القلب ووهناً فى البدن ونقصاً فى الرزق وبغضة فى قلوب الخلق».

* وفى موضع آخر يقول الإمام ابن القيم:

ومن عقوباتها: أنها تُزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتزيل الحاصل وتمنع الواصل، فإن نعم الله ما حُفِظَ موجودها بمثل طاعته، ولا استُجلب مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عنده لا يُنال إلا بطاعته، وقد جعل الله سبحانه لكل شىء سبباً وآفة: سبباً يجلبه وآفة تبطله. فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته، وآفات المانعة منها معصيته. فإذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها.

ومن العجيب: علم العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره. وسماعاً لما غاب عنه من أخبار من أزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه، وهو مقيم على معصية الله، كأنه مُستثنى من هذه الجملة، أو مخصوص من هذا العموم. وكأن هذا أمر جارٍ على الناس لا عليه، وواصل إلى الخلق لا إليه. فأى جهل أبلغ من هذا؟ وأى ظلم للنفس فوق هذا؟ فالحكم لله العلي الكبير^(١).

المعاصي تمحق بركة الرزق

إن الإنسان في تلك الأيام في أشد الحاجة للبركة في الرزق والعمر، بل في كل شيء؛ لأننا لا نستطيع أبداً أن نعيش في تلك الحياة الدنيا بغير بركة من الله جل وعلا.

ولذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم إني لا أسألك رزقاً قد قدرته لي، ولكنني أسألك البركة في هذا الرزق.

ويحكى رسول الله ﷺ عن نبي الله أيوب عليه السلام هذا المشهد فيقول: «بينما أيوب يغتسل عرياناً خراً عليه جرادٌ من ذهب، فجعل أيوبُ يحثي في ثوبه، فناداه ربه تبارك وتعالى: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك»^(٣).

ومن هنا فإن الإنسان إذا بارز الله بالمعاصي فإن الله ينزع البركة من

(١) كتاب الداء والدواء للإمام ابن القيم (ص: ٩٦، ٩٧، ١٣٧، ١٣٨ بتصرف) ط. مكتبة أبي بكر الصديق.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٣٩١) كتاب أحاديث الأنبياء.

عمره وعلمه ورزقه، بل من حياته كلها.

* يقول الإمام ابن القيم عن أثر الذنوب في محق البركة:

ومن عقوباتها: أنها تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة.

وبالجملة أنها تمحق بركة الدين والدنيا، فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما مُحقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ (١٦) لِنَفْتِهِمْ فِيهِ (٢).

وقال ﷺ: «وإن العبد ليُحرم الرزق بالذنوب يصيبه» (٣).

وقال ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته» (٤).

وليست سعة الرزق والعمل بكثرتة، ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوام، ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيه.

وقد تقدم أن عُمر العبد هو مدة حياته، ولا حياة لمن أعرض عن الله

(١) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٢) سورة الجن: الآيتان: (١٦-١٧).

(٣) ضعيف: رواه ابن ماجه (٩٠) في مقدمة سننه، وأحمد (٢١٨٨١) باقى مسند الأنصار، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (١٤٥٢).

(٤) صحيح: رواه أبو نعيم فى الحلية (٢٧/١٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٨٥).

واشتغل بغيره، بل حياة البهائم خير من حياته، فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ومحبه وعبادته وحده، والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد خسر كله، ولو تعوض عنها بما تعوض مما فى الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضاً عن هذه الحياة، فمن كل شىء يفوت العبد عوض، وإذا فاتته الله لم يعوض عنه شىء ألبتة.

وإنما كانت معصية الله سبباً لمحق بركة الرزق والأجل؛ لأن الشيطان موكل بها وبأصحابها، فسلطانه عليهم وحوالته على هذا الديوان وأهله وأصحابه. وكل شىء يتصل به الشيطان ويقارنه فبركته محققة، ولهذا شرع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والركوب والجماع، لما فى مقارنة اسم الله من البركة، وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة، ولا معارض له... وكل شىء لا يكون لله فبركته منزوعة، فإن الرب هو الذى يبارك وحده والبركة كلها منه، وكل ما نُسب إليه مبارك، فكلامه مبارك، ورسوله مبارك، وعبد المومن النافع لخلقه مبارك، وبيته الحرام مبارك، وكنانته من أرضه وهى الشام أرض البركة وصفها بالبركة فى ست آيات من كتابه، فلا مبارك إلا هو وحده، ولا مبارك إلا ما نُسب إليه، أعنى: إلى محبته وألوهيته ورضاه، وإلا فالكون كله منسوب إلى ربوبيته وخلقه، وكل ما باعده من نفسه من الأعيان والأقوال والأعمال فلا بركة فيه ولا خير فيه، وكل ما كان قريباً من ذلك ففيه من البركة على حسب قربه منه^(١).



(١) الداء والدواء للإمام ابن القيم (ص: ١٠٨ : ١١٠) بتصرف.

وبالمثال يتضح المقال

وها أنا أسوق لحضراتكم مثالين نعرف من خلالهما كيف تزول النعمة... أما المثال الأول فهو فردى والثانى جماعى. فالأول يحكى عن قصة قارون الذى يُضرب به المثل فى كثرة المال والطغيان، والثانى يحكى عن قصة قوم سبأ الذين أنعم الله عليهم بصنوف النعيم فعصوا ربهم فأذاقهم الله العذاب فى الدنيا قبل الآخرة ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(١).

قصة قارون

يقول الحق - جل جلاله - مخبراً عن قصة قارون.. تلك القصة التى تجسّد الطغيان المادى الذى يتكرر فى كل زمان ومكان.. والتى تصور وتجسّد كفر النعمة فى أعلى صورها ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾^(٢) أى: من عشيرته وجماعته. قال ابن عباس: كان ابن عم موسى ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾^(٣) أى: تجبر وتكبر على قومه، واستعلى عليهم بسبب ما منحه الله من الكنوز والأموال.

قال الطبرى: أى: تجاوز حدّه فى الكبر والتجبر عليهم ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾^(٤) أى: أعطيناه من الأموال الوفيرة، والكنوز الكثيرة ما يثقل على الجماعة أصحاب القوة حمل مفاتيح خزائنه لكثرتها وثقلها، فضلاً عن حمل الخزائن والأموال... والآية تصوير لما كان عليه قارون من كثرة المال والغنى والثراء ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾^(٥) أى: لا تأثر ولا تبطر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٦) أى: لا يحب البطرين الذين لا يشكرون الله على إنعامه، ويتكبرون بأموالهم على عباد الله ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ

(١) سورة الكهف: الآية: (٤٩).

(٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦) سورة القصص: الآية: (٧٦).

اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴿١﴾، أى: اطلب فيما أعطاك الله من الأموال رضى الله، وذلك بفعل الحسنات والصدقات والإنفاق من الطاعات ﴿وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٢﴾.

قال الحسن: أى: لا تضيع حظك من دنياك فى تمتعك بالحلal وطلبك إياه ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ﴿٣﴾، أى: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿٤﴾، أى: لا تطلب بهذا المال البغى والتطاول على الناس، والإفساد فى الأرض بالمعاصى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٥﴾، أى لا يحب من كان مجرمًا باغيًا مفسدًا فى الأرض ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ﴿٦﴾ لَمَّا وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والتكبر عن قبول الموعدة... والمعنى: إنما أعطيت هذا المال على علم عندى بوجوه المكاسب، ولولا رضا الله عنى ومعرفته بفضلى واستحقاقى له ما أعطانى هذا المال!

قال تعالى ردًّا عليه: ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ ﴿٧﴾، أى: أو لم يعلم هذا الأحمق المغرور أن الله قد أهلك من قبله من الأمم الخالية من هو أقوى منه بدنًا وأكثر مالًا؟!!

قال البيضاوى: والآية تعجبٌ وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله، مع علمه بذلك لأنه قرأه فى التوراة، وسمعه من حفاظ التواريخ ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٨﴾ أى: لا حاجة أن يسألهم الله عن كيفية ذنوبهم وكميتها؛ لأنه عالمٌ بكل شىء، ولا يتوقف إهلاكه إياهم على سؤالهم، بل متى حقَّ عليهم العذاب أهلكهم بغتة، ثم أشار تعالى إلى أن قارون لم يعتبر بنصيحة قومه، بل تمادى فى غطرسته وغيه، فقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ ﴿٩﴾ أى: فخرج قارون على قومه فى أظهر زينةٍ وأكملها.

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥) سورة القصص: الآية: (٧٧).

(٦)، (٧)، (٨) سورة القصص: الآية: (٧٨).

(٩) سورة القصص: الآية: (٧٩).

قال المفسرون: خرج ذات يوم فى زينة عظيمة بأتباعه الكثيرين، ركباًناً مُتَحَلِّينَ بملابس الذهب والحرير، على خيول موشحة بالذهب، ومعه الجوارى والغلمان فى موكبٍ حافلٍ باهر ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ (١) أى: فلما رآه ضعفاء الإيمان ممن تخدعهم الدنيا ببريقها وزخرفها وزينتها قالوا: يا ليت لنا مثل هذا الثراء والغنى الذى أعطيه قارون ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٢) أى: ذو نصيب وافٍ من الدنيا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (٣)، أى: وقال لهم العقلاء من أهل العلم والفهم والاستقامة ﴿وَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (٤) أى: ارتدعوا وانزجروا عن مثل هذا الكلام، فإن جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين خير مما ترون وتتمنون من حال قارون.

قال الزمخشري: أصل (ويلك) الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع، والبعث على ترك ما لا يرتضى ﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (٥)، أى: ولا يُعطى هذه المرتبة والمنزلة فى الآخرة إلا الصابرون على أمر الله.

قال تعالى تنبيهاً لنهايته المشئومة: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ (٦)، أى: جعلنا الأرض تغور به وبكنوزه. جزاءً على عتوه وبطره ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٧)، أى: ما كان له أحد من الأنصار والأعوان يدفعون عنه عذاب الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (٨) أى: وما كان من المنتصرين بنفسه، بل كان من الهالكين ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ (٩) أى: وصار الذين تمنوا بمنزلته وغناه بالأمس القريب بعد أن شاهدوا ما نزل به من الخسف ﴿يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ (١٠).

(١)، (٢) سورة القصص: الآية: (٧٩).

(٣)، (٤)، (٥) سورة القصص: الآية: (٨٠).

(٦)، (٧)، (٨) سورة القصص: الآية: (٨١).

(٩)، (١٠) سورة القصص: الآية: (٨٢).

أى: يقولون ندمًا وأسفًا على ما صدر منهم من التمنى: اعجبوا أيها القوم من صنع الله، كيف أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده - بحسب مشيئته وحكمته - لا لكرامته عليه، ويضيّق الرزق على من يشاء - لحكمته وقضائه ابتلاءً - لا لهوانه عليه!!

قال الزمخشري: (ويكأن) كلمتان «وى» مفصولة عن «كأن» وهى كلمة تنبيه على الخطأ والتندّم، ومعناه أن القوم تنبهوا على خطئهم فى تمنّهم منزلة قارون وتندموا. وقالوا: ﴿لَوْلا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنًا﴾^(١)، أى: لولا أن الله لطف بنا، وتفضل علينا بالإيمان والرحمة، ولم يعطنا ما تمنّيناه ﴿لَخَسَفَ بَنًا﴾^(٢) أى: لكان مصيرنا مصير قارون، وخسف بنا الأرض كما خسفها به ﴿وَيَكَّانَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، أى: أعجب من فعل الله حيث لا ينجح ولا يفوز بالسعادة الكافرون لا فى الدنيا، ولا فى الآخرة.

والى هنا تنتهى «قصة قارون» وهى قصة الطغيان بالمال، بعد أن ذكر تعالى قصة الطغيان بالجاه والسلطان فى قصة فرعون وموسى، ثم يأتى التعقيب المباشر فى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾^(٤) الإشارة للتفخيم والتعظيم، أى: تلك الدار العالية الرفيعة التى سمعت خبرها، وبلغك وصفها هى دار النعيم الخالد السرمدى، التى فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نجعلها للمتقين الذين لا يريدون التكبر والطغيان ولا الظلم والعدوان فى هذه الحياة الدنيا ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥)، أى: العاقبة المحمودة للذين يخشون الله ويراقبونه ويتبعون رضوانه ويحذرون عقابه^(٦).



(١)، (٢)، (٣) سورة القصص: الآية: (٨٢).

(٤)، (٥) سورة القصص: الآية: (٨٣).

(٦) نقلًا من صفوة التفسير - للشيخ محمد على الصابوني (٢/ ٤٤٥ : ٤٤٧).

قصة قوم سبأ

وها هي قصة أخرى تمثل الطغيان المادى الجماعى . وكيف أن الله - عز وجل - قادر على أن يسلب النعمة من الناس إذا لم يشكروا الله عليها، وإذا لم يطيعوا ربهم ويعبدوه حق عبادته، ويعرفوا قدره وعظمته.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ (١) اللام موطئة للقسم، أى: والله لقد كان لقوم سبأ فى موضع سُكْنَاهُمْ باليمن آية عظيمة دالة على الله جل وعلا وعلى قدرته على مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فإن قوم سبأ لما كفروا نعمة الله خرب الله ملكهم، وشتت شملهم، ومزقهم شرّ ممزق، وجعلهم عبرة لمن يعتبر، ثم بين تعالى وجه تلك النعمة فقال: ﴿جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ (٢) أى: حديقتان عظيمتان فيهما من كل أنواع الفواكه والثمار عن يمين الوادى بساتين ناضرة، وعن شماله كذلك.

قال قتادة: كانت بساتينهم ذات أشجار وثمار، تسرُّ الناس بظلالها، وكانت المرأة تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها مكمل أو زنبيل، فيتساقط من الأشجار ما يملؤه من غير كلفة ولا قطاف لكثرتة ونضجه.

قال البيضاوى: ولم يرد بستانين اثنين فحسب، بل أراد جماعتين من البساتين، جماعة عن يمين بلدهم، وجماعة عن شماله سُميت كل جماعة منها جنة لكونها فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ (٣)، أى: وقبلنا لهم على لسان الرسل: كلوا من فضل الله وإنعامه واشكروا ربكم على هذه النعم ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ (٤) أى: هذه بلدتكم التى تسكنونها بلدة طيبة، كريمة التربة، حسنة الهواء، كثيرة الخيرات، وربكم الذى رزقكم وأمركم بشكره رب غفور لمن شكره

﴿فَاعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾^(١)، أى: فأعرضوا عن طاعة الله وشكره، واتباع أوامر رسله، فأرسلنا عليهم السيل المدمر المخرب الذى لا يطاق لشدته وكثرته، فغرق بساتينهم ودورهم.

قال الطبرى: وحين أعرضوا عن تصديق الرسل، ثقب ذلك السد الذى كان يحبس عنهم السيول، ثم فاض الماء على جناتهم فغرقها، وخرب أرضهم وديارهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ﴾^(٢).

أى: وأبدلناهم بتلك البساتين الغناء، بساتين قاحلة جرداء، ذات أكلٍ مرٍّ بشع ﴿وَأَثَلِ وَشَىءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾^(٣) وشىء من الأشجار التى لا ينتفع بثمرها كشجر الأثل والسدر.

قال الرازى: أرسل الله عليهم سيلاً غرق أموالهم، وخرب دورهم. والخمط: كل شجرة لها شوك وثمرتها مرة، والأثل: نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة إلا فى بعض الأوقات، يكون عليه شىء كالعفص أو أصغر منه فى طعمه وطبعه، والسدر معروف. وقال فيه ﴿قَلِيلٍ﴾؛ لأنه كان أحسن أشجارهم، وقد بين تعالى بالآية طريقة الخراب، وذلك لأن البساتين التى فيها الناس تكون فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة، فإذا تركت سنين تصبح كالغيضة والأجمة تلتف الأشجار بعضها ببعض وتنبت المفسدات فيها، فتقل الثمار وتكثر الأشجار.

قال المفسرون: وتسمية البدل «جنتين» فيه ضربٌ من التهكم؛ لأن الأثل والسدر وما كان فيه خمط لا يسمى جنة؛ لأنها أشجار لا يكاد يُتفَع بها، وإنما جاء التعبير على سبيل المشاكلة ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾^(٤) أى: ذلك الجزاء الفظيع الذى عاقبناهم به إنما كان بسبب كفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾^(٥)؟ أى: وما نجازى بمثل هذا الجزاء الشديد إلا الكافر المبالغ فى كفره.

(١)، (٢)، (٣) سورة سبأ: الآية: (١٦).

(٤)، (٥) سورة سبأ: الآية: (١٧).

قال مجاهد: أى: ولا يُعاقَب إلا الكفور؛ لأن المؤمن يُكفِّر الله عنه سيئاته، والكافر يُجازى بكل سوء عمله ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾^(١) هذا من تنمة ذكر ما أنعم الله به عليهم، أى: وجعلنا بين بلاد سبأ وبين القرى الشامية التى باركنا فيها للعالمين قرى متواصلة من اليمن إلى الشام، يرى بعضها من بعض لتقاربها، ظاهرة لأبناء السبيل ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾^(٢)، أى: جعلنا السير بين قراهم وبين قرى الشام سيراً مقدراً من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾^(٣)، أى: وقلنا لهم سيروا بين هذه القرى متى شئتم لا تخافون فى ليل ولا فى نهار.

قال الزمخشري: كان الغادى منهم يقيّل فى قرية، والرائح يبيت فى قرية إلى أن يبلغ الشام، لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدواً، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، وكانوا يسيرون آمنين لا يخافون شيئاً ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾^(٤) إخبارٌ بما قابلوا به النعم من الكفران، أى: أنهم حين بطروا النعمة، وملّوا العافية، وسئموا الراحة طلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا فى المفاوز ويتزودوا للأسفار، فعجّل الله إجابتهم بتخريب تلك القرى وجعلها مفاوز قفاراً ﴿وَزَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٥)، أى: وظلموا أنفسهم بكفرهم وجحودهم النعمة ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾^(٦)، أى: جعلناهم أخباراً تُروى للناس بعدهم ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾^(٧)، أى: وفرقناهم فى البلاد شذر مذر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٨)، أى: أن فيما ذكر من قصتهم لعبراً وعظات لكل عبد صابرٍ على البلاء، شاكر فى النعماء... والمقصود من ذكر قصة سبأ تحذير الناس من كفران النعمة لئلا يحل بهم ما حلّ بمن قبلهم، ولهذا أصبحت قصتهم يُضرب بها المثل فيقال: «ذهبوا أيدي سبأ»^(٩).

(١)، (٢)، (٣) سورة سبأ: الآية: (١٨).

(٤)، (٥)، (٦)، (٧)، (٨) سورة سبأ: الآية: (١٩).

(٩) نقلا من صفوة التفاسير، للشيخ محمد على الصابونى (٢/ ٥٥٠ : ٥٥١).

وضرب الله مثلاً

وفى سورة النحل يضرب الله المثل بتلك القرية التى كفرت بنعم الله، فقال جل وعلا: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾^(١) هذا مثلٌ ضربه الله لأهل مكة وغيرهم، يقوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فعصوا وتمردوا، فبدل الله نعمتهم بنقمة ﴿كَانَتْ أَمَنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾^(٢)، أى: كان أهلها فى أمنٍ واستقرار، وسعادة ونعيم ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾^(٣)، أى: تأتيتها الخيرات والأرزاق بسعة وكثرة من كل الجهات ﴿فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾^(٤)، أى: لم يشكروا الله على ما آتاهم من خير، وما وهبهم من رزق ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾^(٥).

أى: سلبهم الله نعمة الأمن والاطمئنان، وأذاقهم آلام الخوف والجوع والحرمان ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٦)، أى: بسبب كفرهم ومعاصيهم.

قال الرازى: وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا فى الأمن والطمأنينة والخصب، ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد ﷺ فكفروا به، وبالغوا فى إيذائه، فعذبهم الله بالقحط والجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام^(٧).

وهكذا فإن الله لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون. . فتلك عقوبة الله لكل من كفر به وبنعمته، ولم يشكر الله على تلك النعم التى لا تعد ولا تحصى. . فنسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة.

هكذا الدنيا وأهلها

يقول ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(٨).

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦) سورة النحل: الآية: (١١٢).

(٧) التفسير الكبير للرازى (١٢٨/٢٠) نقلاً من صفوة التفاسير (١٤٦/٢).

(٨) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، وصححه العلامة

الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٩٢).

فالدنيا ليس لها أى قيمة عند الله - جل وعلا - بل إن الدنيا لهوانها عند الله أعطائها للكفار أكثر من المؤمنين .

قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ۖ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۖ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (٤) .

وقال تعالى: مخاطباً عباده المؤمنين ومحذراً لهم من الركون إلى الدنيا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ غَيْثٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٥) .

وذلك لأن الإنسان بطبعه يميل ويركن إلى حب الدنيا، ولذا قال ﷺ: «لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانياً، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٦) .

(١) سورة التوبة: الآية: (٥٥) .

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٥٥ : ٥٦) .

(٣) سورة آل عمران: الآيتان: (١٩٦ : ١٩٧) .

(٤) سورة محمد: الآية: (١٢) .

(٥) سورة الحديد: الآية: (٢٠) .

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٣٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٤٨) كتاب الزكاة .

وأسوق لحضراتكم تلك القصة لتعلموا أن الدنيا لا قيمة لها.

قال وهب بن منبه: خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض، فصاحبه يهودى، وكان معه رغيفان، ومع عيسى رغيف، فقال له عيسى: تشاركنى فى طعامك؟ قال اليهودى: نعم. فلما علم أن ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم.. فقام إلى الصلاة.. فذهب صاحبه وأكل رغيفاً.. فلما أتم عيسى قدماً طعامهما.. فقال عيسى لصاحبه: أين الرغيف الآخر؟ فقال: ما كان إلا رغيفاً واحداً.. فأكل عيسى رغيفاً وصاحبه رغيفاً ثم انطلقا، فجاءوا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه: لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال: افعل. فباتا ثم أصبحا منطلقين فلحقيا أعمى فقال له: أرأيت إن أنا عاجلتك حتى يرد الله بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم. فمسَّ بصره ودعا الله له فأبصر.. فقال عيسى لليهودى: بالذى أراك الأعمى يبصر أما كان معك من رغيف؟ فقال: والله ما كان إلا رغيفاً واحداً. فسكت عيسى عنه.. فمرراً بظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام ظبياً منها فذبحه، ثم أكل منه ثم قال عيسى للظبي: قم بإذن الله فقام، فقال الرجل: سبحان الله، فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث؟. فقال: ما كان إلا رغيفاً واحداً. فمضيا فمرراً بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزاه. فقال الرجل: سبحان الله. فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: والله ما كان إلا رغيفاً واحداً.. فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة، وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب فقال عيسى عليه السلام: واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث، فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى. فقال عيسى هى لك كلها... وفارقه، فأقام الرجل عليها ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الذهب، فقال

اثنان منهم لواحد: انطلق إلى القرية فأتنا بطعام، فذهب فقال أحد الباقيين: نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا. قال الآخر: نعم... قال الذى ذهب يشتري الطعام: أجعل فى الطعام سمًا فأقتلهما وأخذ الذهب وحدى. ففعل ما أملاه عليه شيطانه. فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه، فماتا هما أيضاً بجوار الذهب، فمر سيدنا عيسى عليه السلام بعد ذلك، وعندما رأى الأربعة صرعى عند الذهب أشار إليهم وإلى الذهب قائلاً لمن معه من الحواريين: هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها.

أسباب الرزق الحلال

إننا فى زمن تعذر فيه الرزق الحلال، وذلك بعد أن اتسعت دائرة الحرام بشكل لا يخطر على عقل بشر!!! ولكن من أراد أن يأكل حلالاً فسوف يسوق الله إليه الرزق الحلال شريطة أن يكون هذا الإنسان ورعاً تقياً، وألا يكون حريصاً كل الحرص على الدنيا وزينتها الفانية... فدرهمٌ من حلال خيرٌ من الدنيا وما فيها. والحصول على الرزق الحلال يحتاج إلى إعانة وتوفيق من الله - جل وعلا.

وها أنا أسوق لحضراتكم باقة من الأسباب التى جعلها الله سبباً للحصول على الرزق الحلال، بل ولزيادة الرزق الحلال، بل وللبركة فى هذا الرزق.

١- الإيمان والتقوى:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١).

قال الإمام الرازي: «بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار وكثرة المواشى والأنعام وحصول الأمن والسلامة، وذلك لأن السماء تجرى مجرى الأب، والأرض تجرى مجرى الأم، ومنهما يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتديره»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٢).

قال الحافظ ابن كثير: «أى: ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، أى: من جهة لا تخطر بباله»^(٣).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن أكبر آية في القرآن فرجاً ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾»^(٤).

قال الحسين بن الفضل: «﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى أداء الفرائض، ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من العقوبة ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ الثواب ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، أى: يبارك له فيما آتاه».

وقال سهل بن عبد الله: «﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى اتباع السنة ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من عقوبة أهل البدع، ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب. وقيل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجاً بالكفاية».

وقال عمر بن عثمان الصّدفي: «﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يخرج به من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى الجنة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ من حيث لا يرجو».

(١) التفسير الكبير (١٢/١٨٥) - تفسير الخازن (٢/٢٦٦).

(٢) سورة الطلاق: الآيتان: (٢-٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٤٠٠).

(٤) تفسير ابن مسعود (٢/٦٥١).

وقال ابن عيينة: هو البركة في الرزق.

وقال أبو سعيد الخدري: «ومن يبرأ من حوله وقوته بالرجوع إلى الله يجعل له مخرجاً مما كلفه بالمعونة له».

وتأول ابن مسعود ومسروق الآية على العموم.

وقال أبو ذر: «قال النبي ﷺ: «إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم -

ثم تلا - ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿١﴾. فما زال يكررها ويعيدها.

وقال ابن عباس: قرأ النبي ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿١﴾ قال: مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة (٢).

وقال أكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي: إنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي (٣).

وعن جابر بن عبد الله قال: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابناً له يُسمى سالماً، فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقة، وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت الأم، فما تأمرني؟ فقال عليه السلام: «اتق الله واصبر وأمرك وإياها أن تستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله». فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالت: نعم ما أمرنا به. فجعلا يقولان؛ فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه؛ وهي أربعة آلاف شاة. فنزلت الآية، وجعل النبي ﷺ تلك الأغنام له.

(١) ذكره ابن كثير بمعناه في تفسير (٣٧٩/٤) من رواية الإمام أحمد.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٣٢/٦) من رواية أبي يعلى وأبي نعيم والديلمي.

(٣) راجع: جامع البيان (٨٩/٢٨) وتفسير ابن كثير (١٧٣/٨) والمحزر الوجيز (٣٨/١٦) وتفسير الماوردي (٣١/٦).

فى رواية: أنه جاء وقد أصاب إبلاً من العدو وكان فقيراً (١).

قال الكلبي: أصاب خمسين بعيراً.

وفى رواية: فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقصة للقوم، ومرّ فى طريقه بسرح لهم فاستاقه.

وقال مقاتل: أصاب غنماً ومتاعاً فسأل النبى ﷺ: أيحل لى أن أكل مما أتى به ابنى؟ قال: «نعم». ونزلت: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٢- إقامة شرع الله:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

فإقامة شرع الله فى أرضه سبب للرخاء وسعة الرزق.

ولذا فإننى أقول لك أيها الأخ الكريم: حَكِّم شرع الله فى نفسك وفى بيتك وستجد رزقك تحت رجليك يأتىك فى يسر وسهولة.

ولعل من قرأ سيرة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ممن سار على هدى رسول الله ﷺ - مثل عمر بن عبد العزيز - لراى الخير الذى كان يأتى للمسلمين من كل مكان حتى كثر المال ولم يجد من يأخذه وحتى كان الذئب ينام فى حضن الغنم، فلما سألوا عمر بن عبد العزيز عن ذلك قال: «لا عجب فى ذلك فلقد أصلحت ما بينى وبين ربى فأصلح الله ما بين الذئب والغنم».

٣- التفرغ لعبادة الله - جل وعلا -

وليس معنى التفرغ للعبادة أن يترك الإنسان السعى على العمل ويجلس

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/١٥٤ : ١٥٦) ط. دار الحديث.

(٢) سورة المائدة: الآية: (٦٦).

للعادة ويقول: إن الله سيبعث الرزق إلى!!!

ولكن المقصود أن يسعى الإنسان على الرزق، ولكن قلبه يكون متعلقاً بربه في كل لحظة من عمره.. وإذا كان في العادة فلا بد أن يكون خاضعاً وخاشعاً لله تعالى، بل ومستحضراً لعظمة الرب - جل جلاله - ممثلاً قول النبي ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

إنها الحقيقة التي نراها في حياتنا جلية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار أنه كلما ازداد القلب تعلقاً بالله كلما كان الرزق سهلاً ميسوراً بلا تعب ولا نصب.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾^(٢).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك»^(٣).

ولذا قال الإمام ابن القيم: «فرغ خاطرك لله بما أمرت به، ولا تشغله بما ضمن لك؛ فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان. فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً. وإذا سد عليك بحكمته طريقاً من طرقه فتح لك برحمته طريقاً أنفع لك منه».

فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم، من طريق واحد وهو السرة، فلماً خرج من بطن الأم، وانقطع ذلك الطريق، فتحت له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقاً أطيب وألذ من الأول لبناً خالصاً سائغاً. فإذا تمت مدة

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الذاريات: الآيات: (٥٦ : ٥٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٦٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب

الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٣٥٩).

الرضاع، وانقطع الطريقان بالفطام، فتح طُرُقًا أربعًا أكمل منها: طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربع. لكنه سبحانه فتح له - إن كان سعيداً - طُرُقًا ثمانية، وهى أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

فهكذا الرب سبحانه، لا يمنع عبده المؤمن شيئاً من الدنيا، إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغير المؤمن. فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس. والعبد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه، لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذُخر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيئاً، وبقلة الرغبة فى الآجل وإن كان علياً. ولو أنصف العبدُ ربه، وأتَى له بذلك؟! لعلم أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليُحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه. ف ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (١) ﴿أَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٢) والله المستعان (٣).



(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٩٩).

(٣) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٨٧: ٨٨) د. دار الحانئ.

وبالمثال يتضح المقال

تأمل معي أخى الكريم قصة مريم عليها السلام حينما انشغلت قلباً وقالباً بربها - جل وعلا - فكانت ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ (١) فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف، وفاكهة الصيف فى الشتاء ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢).

ثم تأمل معي مرة أخرى عندما حملت بعبسى عليه السلام وانشغل قلبها بعض الشيء بوليدها فأمرها ربها أن تأخذ بالأسباب ﴿وَهَزِيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا﴾ (٣).

إلا أن الله يسر لها الأسباب وعاملها معاملة الأولياء والمقربين . وهكذا يتضح لك أيها الأخ الحبيب أنه على قدر تعلق قلبك بالله فإن الرزق يأتيك سهلاً ميسوراً بإذن الله .

وفى السماء رزقكم وما توعدون

إننا إذا وقفنا عند تلك الآية؛ فإننا نجد سؤالاً يطرح نفسه . فقد يسأل سائل ويقول: إذا كان الرزق فى السماء فلماذا نطلبه من الأرض؟! والجواب على ذلك: أن الرزق فى السماء وأنت تطلبه من رب السماوات والأرض، ولكن المخزون فى الأرض . . والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِّلسَّائِلِينَ﴾ (٤).

(١)، (٢) سورة آل عمران: الآية: (٣٧).

(٣) سورة مريم: الآية: (٢٥).

(٤) سورة فصلت: الآية: (١٠).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١).

ولكى يطمئن قلبك قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٢).

فكم من الناس يتعب ولا يحصل إلا على القليل، وكم من الناس يحصل على المال الكثير بالسعى القليل.. وذلك لأن قلبه متعلق بالله. ولذا فإنني أضرب لكم مثلاً (ولله المثل الأعلى) فإذا كان هناك رجل يعمل عند (ملك) ولكنه يأخذ الراتب من أمين المخزن، فهل يتعلق قلب الرجل بالملك أم بأمين المخزن؟

والجواب عن ذلك: أن الرجل إذا تعلق قلبه بأمين المخزن، فهو جاهل لأنه لا يستطيع أن يعطيه شيئاً إلا بأمر الملك. (ولله المثل الأعلى) فالدنيا كلها لا تستطيع أن تعطيك شيئاً إلا بأمر مالك الملك وملك الملوك سبحانه وتعالى.

فإذا تعلق قلبك برب السماوات والأرض فسوف يسخر لك أمين المخزن لتحصل على رزقك بغير عناء ﴿وَيَرْزُقُهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٣). واعلم أيها الأخ الحبيب وأيتها الأخت الفاضلة أن الرزق ضمنه الله لنا حتى أننا لا نستطيع أن نهرب من الرزق، كما أننا لا نستطيع أن نهرب من الموت.

ولذا قال ﷺ: «لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت» (٤).

(١) سورة الملك: الآية: (١٥).

(٢) سورة هود: الآية: (٦).

(٣) سورة هود: الآية: (٣).

(٤) حسن: رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٤٠).

فعسى بعد كل هذا أن تطمئن القلوب وأن تتعلق بعلام الغيوب سبحانه وتعالى .

قال الأصمعي: أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة إذ طلع أعرابي جلف جافٍ على قعودٍ له متقلداً سيفه وبيده قوسه، فدنا وسلّم وقال: ممن الرجل؟ قلت: من بنى أصمع، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلامُ الرحمن؛ قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ قلت: نعم. قال: فاتلُ عليّ منه شيئاً، فقرأت: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ إلى قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾^(١) فقال: يا أصمعي حسبك!! ثم قام إلى ناقته فنحراها وقطعها بجملدها، وقال: أعنّي على توزيعها، ففرّقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرها ووضعها تحت الرّحل وولى نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فقال الأصمعي: فمقت نفسي ولمتها، ثم حجبت مع الرشيد، فبينما أنا أطوف إذا أنا بصوتٍ رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي وهو ناحلٌ مُصفر، فسلم عليّ وأخذ بيدي وقال: اتل عليّ كلام الرحمن، وأجلسني من وراء المقام فقرأت: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فقال الأعرابي: لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقاً، وقال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَرَوَّبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾^(٢) قال: فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله! من الذي أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصدقوه في قوله حتى ألجؤوه إلى اليمين؟ فقالها ثلاثاً وخرجت بها نفسه.

(١) سورة الذاريات: الآيات: (١-٢٢).

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٢٣).

وروى أن قومًا من الأعراب زرعوا زرعًا فأصابته جائحة فحزنوا لأجله، فخرجت عليهم أعرابية فقالت: ما لى أراكم قد نكستم رءوسكم، وضأقت صدوركم، هو ربنا والعالم بنا، رزقنا عليه يأتينا به حيث شاء! ثم أنشأت تقول:

لو كان فى صخرةٍ فى البحر راسية
صمًّا مُلمَّلةٌ ملسا نواحيها
رزقٌ لنفسٍ براها الله لانفلقت
حتى تؤدى إليها كل ما فيها
أو كان بين طباق السبع مسلكها
لسهلَّ الله فى المرقى مراقيها
حتى تنال الذى فى اللوح خطَّ لها
إن لم تنله وإلا سوف يأتيها^(١)

٤- الاستقامة:

قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٢).
فمن استقام على الطاعة فإن الله ييسر له أسباب الرزق ويملأ قلبه رضا بما يأتيه من الرزق، سواء كان قليلاً أم كثيراً. بل إن أهل الاستقامة تأتيهم الملائكة عند الموت تبشرهم برزقهم فى الجنة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾^(٣).

(١) نقلاً من الجامع لأحكام القرآن - للإمام القرطبي (١٧/٤٥-٤٦).

(٢) سورة الجن: الآية: (١٦).

(٣) سورة فصلت: الآيات: (٣٠: ٣٢).

٥- التوكل:

التوكل هو: صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (١).

وقال ﷺ: «لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» (٢).

ففي هذا الحديث لطيفة: أن كل الحيوانات والهوام يدّخرون الطعام إلا الطيور، فهي لا تدّخر شيئاً، فإذا أصبحت سبّحت بحمد ربها وخرجت متوكلة عليه ثم ترجع برزقها ورزق أولادها.

وليس معنى الحديث أن نترك الأخذ بالأسباب بحجة أننا نتوكل على الله وأنه سيرسل لنا الأرزاق.

قال الإمام أحمد: «ليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير» (٣).

ولقد كان النبي ﷺ يأخذ بالأسباب في كل شيء حتى في هجرته عندما دخل الغار، وكان من الممكن أن يدعو ربه فيطمس أعين الكفار فلا يرونه، ولكنه ﷺ يُعَلِّمُ أمته أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل أبداً. وكان أصحاب النبي ﷺ يتجرون ويعملون في نخيلهم وهم أسوتنا وقدوتنا بعد رسول الله ﷺ.

قال الإمام أبو القاسم القشيري: «اعلم أن التوكل محله القلب، وأما

(١) سورة الطلاق: الآية: (٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذی (٢٣٤٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٦٤) كتاب الزهد، وأحمد (٢٠٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٥٤).

(٣) نقلاً عن تحفة الأحوذی (٨/٧).

الحركة بالظاهر فلا تنافى التوكل بالقلب بعدما يتحقق العبد أن الرزق من قبل الله تعالى؛ فإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر شيء فبتيسيره»^(١).
ولذا لما جاء رجل للنبي ﷺ وقال له: «أرسل ناقتي أو أتوكل» قال له: «اعقلها وتوكل»^(٢).

* وأخيراً تأملوا معنى ثمرة التوكل على الله.

رُوى أن حاتم الأصم قال لأولاده: إنى أريد الحج فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا؟. وكان له بنت، فقالت: دعوه يذهب فليس برازق، فخرج فباتوا جوعاً فجعلوا يوبخون تلك البنت، فقالت: اللهم لا تُخجلنى بينهم، فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه: اطلب لى ماء... فناولهم أهل حاتم كوزاً جديداً وماءً بارداً فشرب فقال: دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم فرمى فيها صرة من ذهب وقال: من أحبنى وافقنى، فرمى العسكر ما معهم من المال فى هذا الإناء، فجعلت البنت تبكى فقالت أمها: ما يبكيك وقد وسع الله علينا؟! فقالت: لأن مخلوقاً نظر إلينا نظرة فاغتنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟!

وقال ابن عباد الصيرفى البغدادى: بينما أنا نائم إذ قيل لى فى المنام: يا عبّاد قم فأغث الملهوف، فقلت: وأين هو؟ فقيل لى: اركب دابتك فهو حيثما وقفت. قال: فانتبهت من نومى وركبت دابتي وجعلت أتخلل أزقة بغداد حتى انتهيت إلى مسجد فوقفت الدابة ونزلت عنها ودخلت المسجد، فإذا برجل مستقبل القبلة فسلمت عليه وقلت: ما قضيتك؟. قال: إنى رجل ذو عيال ولم يكن عندهم الليلة شيء، فجلست هاهنا وطلبت من الله الفرج. قال: فأعطيته مائة دينار، وقلت له: أنا ابن عباد الصيرفى فإذا احتجت إلى

(١) نقلاً عن مرقاة المفاتيح (١٥٧/٥).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٥١٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

شيء فائتني، . . . فقال سبحانه الله: أترك الذى أقامك من فراشك وأتى بك إلى فى ظلمة الليل وأذهب إلى غيره!!! فودعته وانصرفت. .
إنها القلوب التى أحبت ربها وتوكلت عليه فكفاها.

٦- الاستغفار والتوبة:

ولقد شرع الله لنا الاستغفار هنا؛ لأننا إذا قصرنا فى أسباب الرزق؛ فإن الاستغفار يجبر هذا التقصير. . . قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾.

قال الشعبى: خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا فقالوا: ما رأيك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يُسْتَنْزَلُ بها المطر؛ ثم قرأ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١)﴾.

وقال الأوزاعى: خرج الناس يستسقون؛ فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم إنا سمعناك تقول: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٢)، وقد أقرنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟! اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا! فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا.

وقال ابن صبيح: شكى رجل إلى الحسن الجدوبة، فقال له: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: استغفر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقنى ولدًا؛ فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه؛ فقال له: استغفر الله. فقلنا له فى ذلك؟ فقال: ما قلت من عندى شيئًا؛ إن الله

(١) سورة نوح: الآيات: (١٠ : ١٢).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٩١).

تعالى يقول فى سورة «نوح»: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (١)(٢).

ويقول الحافظ ابن كثير فى تفسيره: «أى: إذا تبتم إلى الله واستغفرتوه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرّ لكم الضرع، وأمدّكم بأموال وبنين، أى: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخلّلها بالأنهار الجارية بينها» (٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٤).
ففى الآية الكريمة وعدٌ من الله القادر المقتدر بالمتاع الحسن لمن استغفر وتاب. والمراد بقوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما يتفضل عليكم بالرزق والسعة (٥).

وقال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٦).

وقال عليه السلام: «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار» (٧).

(١) سورة نوح: الآيات: (١٠ : ١٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (١٨ / ٢٩٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٤٩).

(٤) سورة هود: الآية: (٣).

(٥) زاد المسير (٤ / ٧٥).

(٦) سورة هود: الآية: (٥٢).

(٧) حسن: رواه الطبراني فى الأوسط (١ / ٢٥٦، رقم ٨٣٩)، والبيهقى فى الشعب (١ / ٤٤٠، ٦٤٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩٥٥).

٧- صلة الرحم:

قال عليه السلام: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه»^(١).

وفى رواية: «من سرّه أن يُعظم الله رزقه، وأن يمدّ في أجله فليصل رحمه»^(٢).

قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣).

* والجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتة عن تضييعه في غير ذلك.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة للملك الموكل بالعمر. وأما الأول الذي دلّت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلاً: «إن عمر فلان مائة مثلاً إن وصل رحمه، وستون إن قطعها» وقد سبق في علم الله تعالى أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدّم ولا يتأخّر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٤) فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول:

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٨٦) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٦٩٣) كتاب الزكاة، وأحمد (١٢١٧٨) باقى مسند المكثرين، وصححه

العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٩١).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).

(٤) سورة الرعد: الآية: (٣٩).

القضاء المعلق (١).

وقال ﷺ: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأثر» (٢).

وقال ﷺ: «من سره أن يمدّ له في عمره، ويوسع عليه في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه» (٣).

بل لقد بلغت بركة صلة الرحم في تكثير الأموال ونمائها وزيادتها حتى وإن كان أصحاب البيت فجّاراً لا يطيعون ربهم (ولكنهم يصلون الرحم).

قال ﷺ: «إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى إن أهل بيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون» (٤).

«وصلة الرحم تكون بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالدعاء» كما قال الإمام ابن أبي جمرة.

٨- الصلاة:

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (٥).

وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٦).

(١) شرح النووي (١١٤/١٦) - فتح الباري (٤١٦/١٠) باختصار.

(٢) صحيح: رواه الترمذی (١٩٧٩) كتاب البر والصلة، وأحمد (٨٦٥١) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٦٥).

(٣) حسن لغيره: رواه أحمد (١٢١٧) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٨)، وقال: حسن لغيره.

(٤) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان (١٨٢/٢-١٨٣) وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط لشواهده.

(٥) سورة طه: الآية: (١٣٢).

(٦) سورة إبراهيم: الآية: (٣٧).

وإذا كان الله عز وجل يرزق أهل الفساد والمعاصي، فهل يمنع رزقه عن أهل الإيمان والتقوى الذين يسجدون لله ليلاً ونهاراً؟
إن الصلاة من أحب العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه .
كما جاء في الحديث القدسي: «.. وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه...»^(١).

٩- الشكر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

قال قتادة الدوسي - رحمه الله - : «كان هذا الحى من العرب أشد الناس ذلاً، وأشقاهاهم عيشاً. وأجوعهم بطوناً، وأعراهم جلوداً، وأبينهم ضللاً، من عاش منهم عاش شقياً، ومن مات منهم ردى فى النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشد منزلاً منهم؛ حتى جاء الله بالإسلام فمكّن به فى البلاد، ووسّع به فى الرزق، وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس. وبالإسلام أعطى الله ما رأيتهم فاشكروا الله على نعمه. فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر فى مزيد من الله»^(٤).

١٠- المتابعة بين الحج والعمرة:

قال ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٢٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٢٦١).

الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» (١).
يقول الشيخ أبو الحسن السندی: «اجعلوا أحدهما تابعاً للآخر واقعاً على عقبه، أى: إذا حججتم فاعتمروا وإذا اعتمرتم فحجوا فإنهما متتابعان» (٢).
وقال الإمام الطيبي فى شرح قوله ﷺ: «فإنهما ينفيان الفقر والذنوب»: إزالته للفقر كزيادة الصدقة للمال.

١١- الهجرة فى سبيل الله:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (٣).
وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤).
وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٥٨) لِيَدْخِلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥).
فإن كان النبي ﷺ قال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية...» (٦).
إلا أن هناك هجرة أخرى شرعها الله لمن كان يعيش فى مجتمع فاسد يبارز الله بالذنوب والمعاصى. . وهذا هو الذى فعله الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفساً، بل ويفعله كل مؤمن لا يتمكن من عبادة ربه - عز وجل - فعليه أن يترك أرضه ويعيش فى مكان يستطيع أن يعبد ربه فيه ويؤمن على نفسه فيه من الفتن.

-
- (١) صحيح: رواه الترمذى (٨١٠) كتاب الحج، والنسائى (٢٦٣١)، وأحمد (٣٦٦٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٠١).
(٢) فيض القدير للمناوى (٢٢٥/٣) - حاشية السندى على سنن النسائى (١١٥/٥).
(٣) سورة النساء: الآية: (١٠٠).
(٤) سورة النحل: الآية: (٤١).
(٥) سورة الحج: الآيتان: (٥٨ - ٥٩).
(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٨٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٣٥٣) كتاب الإمارة.

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (١).

«والحاصل كأنه قيل: يا أيها الإنسان! إن كنت إنما تكره الهجرة عن وطنك خوفاً من أن تقع في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فإن الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب العظيمة في مهاجرتك ما يصير سبباً لرغم أنوف أعدائك ويكون سبباً لسعة عيشك» (٢).

ولعل من قرأ التاريخ الإسلامي يعلم ما الذي حدث لأصحاب النبي ﷺ حينما هاجروا من مكة إلى المدينة وتركوا أموالهم وديارهم وأرضهم فعوضهم الله خيراً منها ففتح لهم قلوب الأنصار وديارهم ثم أعطاهم بعد ذلك مفاتيح الشام وفارس واليمن وقصور الشام الحمر وقصر المدائن الأبيض وسخر لهم خزائن قيصر وكسرى.. وهذا هو الذي أخبر عنه النبي ﷺ حيث قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» (٣).

١٢- الجهاد في سبيل الله:

إن الله تعالى حرم الغنائم على الأمم من قبلنا ثم أحلها لنا فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

قال ﷺ: «ثلاثة حق على الله تعالى عونهم - وذكر منهم -: المجاهد في سبيل الله...» (٥).

(١) سورة النساء: الآية: (١٠٠).

(٢) التفسير الكبير (١٥/١١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٢٠) كتاب فرض الخمس، ومسلم (٢٩١٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٦٩).

(٥) حسن: رواه الترمذي (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائي (٣١٢٠) كتاب الجهاد، وابن ماجه

(٢٥١٨) كتاب الأحكام، وأحمد (٩٣٤٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله

فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

وقال ﷺ عن المرباط في أرض الشرف والجهاد: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات مرباطاً جرى عليه عمله الذي كان يعملهُ وأُجرى عليه رزقه وأمن من الفتان» (١).

وقال ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري» (٢).

ويوم أن تركت الأمة جهادها أذلها الله لأذل الأمم من الشرق الملحد ومن الغرب الكافر. فأصبحت الأمة تتسول على موائد أهل الكفر بعد أن تركت طريق العزة، وبعد أن كانت بالأمس القريب تسير في مقدمة القافلة وتقود البشرية كلها بجداره واقتدار... ولذا قال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» (٣).

١٢- الزواج؛

إن الزواج سبب عظيم من أسباب الرزق، وذلك لأن الله حرّم الفواحش وحضّر على المكارم... ولذلك فإنه حرّم الزنا وأحلّ النكاح. قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤).

ففي تلك الآية يرغب الله سبحانه وتعالى في النكاح، بل ويسكب البشري في قلوب الذين يقبلون على النكاح بأنه سيغنيهم من فضله ويغدق عليهم من نعمه ما يكفيهم ويسدّ فقرهم وحاجتهم، وذلك حرصاً على

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥٠٩٣) مسند الكثيرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تخريج أحاديث مشككة الفقر (٢٤).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٦٢) كتاب البيوع، وأحمد (٤٨١٠) مسند الكثيرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١١).

(٤) سورة النور: الآية: (٣٢).

العفاف وسدًّا لباب الغواية والفتنة .

ولذا قال عليه السلام : «ثلاثة حقُّ على الله تعالى عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»^(١).

وقال عليه السلام : «إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة»^(٢).

فأبشر أيها الأخ الكريم؛ فإن الذي سيعينك على زواجك هو الله - عز وجل - .

١٤- الدعاء:

إن الدعاء من أهم أسباب الرزق؛ لأن المؤمن عندما يدعو ربه أن يرزقه فهو ينخلع من حوله وقوته إلى حول الله وقوته .

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٣).

وقال عليه السلام : «إن ربي حيٌّ كريم يستحي أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صِفراً»^(٤).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «... يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم....»^(٥).

(١) حسن: رواه الترمذی (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائي (٣١٢٠) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٥١٨) كتاب الأحكام، وأحمد (٩٣٤٨) باقی مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٢) صحيح: رواه البزار كما في كشف الأستار (١٩٥/٢)، رقم ١٥٠٦، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩١/٧)، رقم ٩٩٥٦، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (١٩٥٢).

(٣) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٤) حسن: رواه أبو داود (١٤٨٨) كتاب الصلاة، والترمذی (٣٥٥٦) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٦٥) كتاب الدعاء، وأحمد (٢٣٢٠٢) باقی مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٢٠٧٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

فتوجه إلى الله واسأله سبحانه وتعالى أن يرزقك وأن يوسع عليك بما ينفعك في دينك ودنياك.

١٥- الصدقة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيْسِرْهُ لِلْيَسْرَى (١)﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٣)﴾.

وقال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» (٤).

وقال ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلماً صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعِلْماً فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله تعالى علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لى مالاً، لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً،

(١) سورة الليل: الآيات: (٥) : (٧).

(٢) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

فهو يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء» (١).
 وقال تعالى فى الحديث القدسى: «أنفق يا ابن آدم أنفق عليك» (٢).
 وقال ﷺ: «بيننا رجلٌ بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً فى سحابة يقول: اسق حديقة فلان؛ ففتح ذلك السحاب، فأفرغ ماءه فى حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتبع الماء فإذا رجل قائمٌ فى حديقته يحوّل الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذى سمع فى السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى؟ قال: إني سمعت صوتاً فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإنى أنظر إلى ما يخرج منها، فأصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالى ثلثاً، وأرد فيها ثلثاً» (٣).

* ولتقف وقفة مع قول النبى ﷺ: «ما نقص مال عبد من صدقة».
 أقول يا إخوانى: إن أكثر أهل هذا الزمان أحسنوا الظن بأنفسهم وأساءوا الظن بالله - جل وعلا - .

وأكبر دليل على هذا الكلام أنه عندما ظهرت شركات توظيف الأموال وعرضت على الناس أن يعطوهم أموالهم ليستثمروها مقابل فائدة وريح كبير؛ فإن الناس أسرعوا ووضعوا أموالهم طمعاً فى الربح الوفير... وفى المقابل فإن الملك - جل جلاله - ينادى على عباده منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، ويقول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (٤).

ومع ذلك لا تجد أحداً (إلا من رحم الله) يتاجر مع ربه تلك التجارة

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٥) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٢٢٨) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٥٧٠)

مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٢) كتاب النفقات، ومسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٠٣٦) كتاب الأدب.

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٤٥).

- ويذكر الشيخ (على الطنطاوى) أنه عندما دخل الاستعمار إلى بعض بلاد الشام.. قام الشيخ ليجمع التبرعات لشراء الطعام والسلاح للشعب.. وبينما كان الشيخ يمر على التجار ليطلب منهم المساعدة لإخوانه المسلمين، إذ قال له تاجر من الأثرياء: أنا لن أدفع شيئاً؛ لأن الأمر لا يهمنى.

يقول الشيخ: وتمر الأيام، وبينما أنا فى أحد المعسكرات أوزع الماء والطعام على الناس وإذا بى أرى رجلاً يهرب منى، فلما اقتربت منه وقدمت له الطعام وجدته يبكى، فنظرت فى وجهه؛ فإذا هو التاجر الثرى الذى رفض مساعدة إخوانه.. فقال لى ودموعه على خده: يا ليتك أخذت مالى كله فى سبيل الله، فقد استولى المستعمرون على مالى ولم يبق لى درهم ولا دينار.

وإذا أردنا أن نتكلم عن تلك الصور فليس هناك أجود من النبي ﷺ فيها هي بعض مواقفه عليه السلام .

فعن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببرة، فقالت: يا رسول الله! أكسوك هذه، فأخذها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم محتاجاً إليها، فلبسها فراها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها فقال: «نعم». فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها، ثم سأله إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئاً فيمنعه. فقال: رجوتُ بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلني أُكفَّنُ فيها^(١).

وقد كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان،

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٠٣٦) كتاب الأدب.

كما فى حديث ابن عباس رضي الله عنهما (١).

وكان من هديه عليه السلام أنه لا يُسأل شيئاً فيقول: لا .

وفى صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «ما سُئِلَ رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا؛ فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة» (٢).

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ

ثَنَّاها لَقَبِضَ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ

تَراهِ إِذَا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً

كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الذِّى أَنْتَ سَائِلُهُ

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَىِّ النِّوَاحِي أُنَيْتِهِ

فَلَجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجَوْدُ سَاحِلُهُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِى كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ

لَجَادَ بِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

* وهذا صديق الأمة رضي الله عنه.... فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول

الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي. فقلت: اليوم أسبق أبا

بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت

لأهلك؟» فقال: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله

ﷺ: «ما أبقيت لأهلك» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسألك

إلى شيء أبداً (٣).

فقد كان أبو بكر رضي الله عنه أجود الصحابة الكرام، وأسبقهم إلى كل خير.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦) كتاب بدء الوحي، ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل - الفاقة: أى الفقر.

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٦٧٨) كتاب الزكاة، والترمذى (٣٦٧٥) كتاب المناقب، والدارمى (١٦٦٠)

كتاب الزكاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦٠٢١).

وكان عمر رضي الله عنه يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً سيدنا.

أبو بكر حَبَا في الله مالاً

وأعتق في محبته بلالاً

وقد واسى النبي بكلّ فضل

وأسرع في إجابته بلا: لا

بل لقد كان هذا هو دأب أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله.

فعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي صلّى الله عليه وآله بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي صلّى الله عليه وآله جيش العسرة، قال: فَصَبَّهَا في حجر النبي صلّى الله عليه وآله، قال: فجعل النبي صلّى الله عليه وآله يُقْلِبُهَا وهو يقول: «ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يردد ذلك مراراً (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «خيركم خيركم لأهلي من بعدى». قال: فباع عبد الرحمن بن عوف حديقه بأربعمائة ألف، فقسمها في أزواج النبي صلّى الله عليه وآله (٢).

وعن أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك في فقراء بني زهرة، وفي ذى الحاجات من الناس، وفي أمهات المؤمنين.

قال المسور: فأتيت عائشة بنصيبها من ذلك، فقالت: من أرسل بهذا؟ قلت: عبد الرحمن بن عوف. فقالت: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «لا يحنو عليكن بعدى إلا الصابرون» سقى الله ابن عوف من سلسيل الجنة (٣).

وعن أم ذرة وكانت تغشى عائشة قالت: بعث إليها ابن الزبير بمالٍ في غرارتين.

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٧٠١) كتاب المناقب، وأحمد (٢٠١٠٧) أول مسند البصريين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦٠٦٤).

(٢) حسن: رواه الحاكم (٣٠٢/٣)، رقم ٥٣٥٩، وابن أبى عاصم (٦١٦/٢)، رقم ١٤١٤، وأبو يعلى (٣٣٠/١٠)، رقم ٥٩٢٤، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣١٥).

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٤٢٠٣) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٠٢).

قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهى يومئذ صائمة، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم. فلما أمست قالت: يا جارية هلمى فطرى، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تعنيني، لو كنت ذكرتينى لفعلت^(١).

ولقد مدح الله - عز وجل - الأنصار بالإيمان والإيثار فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفٍ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أى: من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ أى: لا يجدون فى أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم فى الذكر والرتبة^(٣).

وقال القرطبي: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، . . . أى: يؤثرون على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم، لا عن غنى، بل مع احتياجهم إليها^(٤).

وقال رحمه الله: والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال، ومن الأمثال السائرة: والجود بالنفس أقصى غاية الجود^(٥).

(١) صفة الصفوة (٢/ ٢٩-٣٠).

(٢) سورة الحشر: الآية: (٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٣٧) دار المعرفة بيروت.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٦٥٠٥) ط. الشعب.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٦٠٥٧).

وأخيراً فلا نستطيع أن ننسى أبداً ذلك الموقف الذى سجله التاريخ .
 إنه موقف الإيثار الذى حدث من سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه فعن أنس رضي الله عنه قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فأخى النبي صلى الله عليه وسلم
 بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله .
 فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك^(١).

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: «لما قدموا المدينة آخى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع . . . قال لعبد الرحمن: إني
 أكثر الأنصار مالاً فاقسم مالى نصفين، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك
 فسمّها لى أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال: بارك الله لك فى
 أهلك ومالك. أين سوقكم؟ فدلّوه على سوق بنى قينقاع، فما انقلب إلا
 ومعه فضل من أقطٍ وسمن، ثم تابع الغدو يوماً، ثم جاء يوماً وبه أثر
 صُفْرَةٍ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَهْمِيمٌ؟» قال: تزوجت. قال: «كم سقت
 إليها؟» قال: نواةً من ذهب - أو وزن نواةٍ من ذهب^(٢).

* يقول الإمام ابن القيم:

الدراهم أربعة: درهم اكتسب بطاعة الله وأُخرج فى حق الله فذاك خير
 الدراهم، ودرهم اكتسب بمعصية الله وأُخرج فى معصية الله فذاك شرُّ
 الدراهم، ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأُخرج فى أذى مسلم فهو كذلك،
 ودرهم اكتسب بمباح وأنفق فى شهوة مباحة فذاك لا له ولا عليه.

هذه أصول الدراهم، ويتفرّع عليها دراهم أخر: منها: درهم اكتسب
 بباطل وأنفق فى حق فإنفاقه كفارته، ودرهم اكتسب من شبهة فكفارته أن
 ينفق فى طاعة. وكما يتعلق الثواب والعقاب والمدح والذم بإخراج الدرهم،

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٧٨٠) كتاب المناقب.

(٢) انظر السابق.

فكذلك يتعلق باكتسابه . وكذلك يُسأل عن مستخرجه ومصروفه : من أين اكتسبه وفيما أنفقه .

* وأما عن أنواع المواساة للمؤمنين فيقول الإمام:

والمواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم .

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة؛ فكلما ضَعُفَ الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قَوِيَ قَوِيَ . وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلا تباعه من المواساة بحسب اتباعهم له .

ودخلوا على (بشر الحافي) في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرتُ الفقراء وبردهم وليس لى ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم فى بردهم^(١) .

١٦- الإنفاق على طلبية العلم الشرعى؛

لقد ذكر الله - عز وجل - المصارف الشرعية للزكاة فى سورة التوبة فقال: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢) ، فكان من أولهم: الفقراء . . فإذا كان الفقير طالب علم مجتهد، فهذا أحق الناس بالصدقة؛ لأنه واقف على ثغري من ثغور الإسلام .

- وما يدل على أن الإنفاق على طلبية العلم من أسباب الرزق أنه:

«كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتى النبى ﷺ - أى: لطلب العلم - والآخر يحترف - يشتغل بحرفة - فشكا

(١) الفوائد للإمام ابن القيم (ص ٢٤٦: ٢٤٧) .

(٢) سورة التوبة: الآية: (٦٠) .

المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: لعلك تُرزق به»^(١).

فيوضح له النبي ﷺ أنه لا ينبغي له أن يَمُنَّ على أخيه، فلربما يأتيه الرزق بسبب إنفاقه على أخيه الذي تفرغ لطلب العلم الشرعي.

- وهنا لطيفة ينبغي أن ننبه عليها ليعلم المسلمون أهمية هذا الأمر، ألا وهي: أن الأطباء يقولون: إن من أخطر الأمراض التي فتكت بالأمة (مرض الإيدز) وذلك لأنه يصيب جهاز المناعة مباشرة.. فإذا أصيب مريض الإيدز بأي مرض؛ فإنه يقضى على حياته كلها.

- وطلبة العلم يمثلون الجهاز المناعي لتلك الأمة المسلمة، فهم يذودون عن حياض الإسلام ويحاربون البدع والمحرمات وينشرون القرآن والسنة بين المسلمين، ويأخذون بأيدي الناس إلى مرضاة الله - عز وجل -.

فإذا كان طالب العلم فقيراً؛ فإنه سرعان ما ينصرف عن طلب العلم، وينشغل بعملٍ ليسدَّ جوعته ولينفق على أسرته، وبذلك تُصاب الأمة في جهازها المناعي.. فسرعان ما تسرى فيها البدع والمعاصي والمخالفات، وذلك لغياب طلبة العلم من ساحة العلم والدعوة.

- ومن هنا أفتى الكثير من العلماء بتقديم طلبة العلم الفقراء في استحقاق زكاة المال.. بل أجازوا أن يُخرج الغنى زكاة ماله لطالب العلم على صورة راتبٍ شهري يدفعه لطالب العلم ويقول له: خذ هذا المال واستعن به على طلب العلم... ووقتكَ وقفٌ لله.. فإذا هدى الله على يدي طالب العلم مائة رجل؛ فإن ذلك يكون في ميزان حسناته وميزان حسنات المسلم الذي ينفق عليه.

واحذر أيها الأخ الكريم أن تمنَّ على طالب العلم بإنفاقك عليه؛ فوالله

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢٣٤٥) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠٨٤).

إنه يجد من المشقة في اليوم الواحد ما لا تجده أنت في شهرٍ بأكمله فهو يقف على ثغرٍ من ثغور الإسلام.. يسافر إلى هنا وهناك ليدعو إلى الله وليصلح بين المسلمين ويدافع عن دين الملك - جل جلاله.

- وقد ذكر بعض العلماء أن المتفرغين للعلم الشرعي يدخلون فيمن ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (١)(٢).

وقال الإمام الغزالي: «كما ينبغي أن يطلب بصدقته - صاحب المال - من تزكو به الصدقة كأن يكون من أهل العلم؛ فإن ذلك إعانة له على العلم. والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية».

وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم. ف قيل له: لو عمّمت. فقال: إنى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء. فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يُقبل على التعلم. فتفرغهم للعلم أفضل (٣).

١٧- الإحسان إلى الضعفاء:

قال ﷺ موضحاً أن الإحسان إلى الضعفاء من أسباب الرزق:

«هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟» (٤).

وفي رواية: «هل تنصرون إلا بضعفائكم؟ بدعوتهم وإخلاصهم» (٥).

ومن بين الضعفاء الذين يكرمنا الله ويرزقنا إذا أحسنّا إليهم: اليتامى والنساء.

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٧٣).

(٢) تفسير المنار (٣/ ٨٨).

(٣) نقلاً عن تفسير القاسمي: (٣/ ٢٥٠).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٨٩٦) كتاب الجهاد والسير.

(٥) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٩٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع.

(١٢٩٩٠).

فقد قال ﷺ: «إني أُحَرِّجُ عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»^(١).

وقال ﷺ موضحاً أن من أراد أن يدرك حاجته وأن يلين قلبه فعليه بالإحسان إلى اليتامى... فقد جاء رجل يشكو من قسوة قلبه، فقال له ﷺ: «أتحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك؟» قال: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: «ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتذكر حاجتك»^(٢).

وقال ﷺ موضحاً الأجر العظيم لكافل اليتيم في الآخرة: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»^(٣).

١٨ - السعى والأخذ بالأسباب:

إننا إذا كنا نتحدث عن أسباب الرزق فليس معنى ذلك أن نترك السعى والأخذ بالأسباب.. فالأصل أننا نجمع بين هذين الأمرين... السعى والأخذ بأسباب الرزق.

ولذا قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٤).

وقال ﷺ: «إن داود النبي كان لا يأكل إلا من عمل يده»^(٥).

وكان الحبيب ﷺ يرعى الغنم قبل البعثة، بل وكان يخرج في تجارة خديجة رضي الله عنها... وهكذا فالأصل هو السعى والأخذ بالأسباب شريطة أن يكون القلب متعلقاً بالله جل وعلا.

(١) - حسن: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨) كتاب الأدب، وأحمد (٩٣٧٤) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠١٥).

(٢) - صحيح: رواه عبد الرزاق فى الجامع عن معمر (٩٦/١١)، رقم (٢٠٠٢٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠).

(٣) - صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٨٤/٥)، رقم (٤٧٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٧٦).

(٤) - سورة الملك: الآية: (١٥).

(٥) - صحيح: رواه البخارى (٢٠٧٣) كتاب البيوع.

وقفة مع سورة الواقعة

وقد يسأل سائل ويقول: لماذا لم تذكر أن قراءة سورة الواقعة من أسباب الرزق. والجواب عن ذلك أنه لم يثبت فى حديث واحد عن النبى ﷺ أن قراءتها سببٌ للرزق.. وكل ما ذُكر فى هذا الأمر فهو ضعيف، ولذا فأنا أسوق لحضراتكم الحديث وحكم العلماء عليه.

ذكر أبو عمر بن عبد البر فى (التمهيد) و(التعليق) والثعلبى أيضاً: أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده فى مرضه الذى مات فيه، فقال: ما تشكى؟ قال: ذنوبى. قال: فما تشتهى؟ قال: رحمة ربى. قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضى. قال: أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لى فيه؛ حبسته عنى فى حياتى، وتدفعه لى عند مماتى؟ قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتى الفاقة من بعدى؟ إنى أمرتهن أن يقرأن سورة «الواقعة» كل ليلة؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تُصبه فاقة أبداً»^(١).

وهذا الحديث ذكره ابن كثير فى تفسيره (٢٨١/٤) من رواية ابن عساکر، والألوسى فى روح المعانى (٣١١/٨) هذا. وحديث: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تُصبه فاقة أبداً» أورده الشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة (ص ٣١١) وقال: فى إسناده كذاب.

وهنا لابد أن نعلم يا إخوانى أننا لا نقرأ القرآن إلا لأننا نحب الله ونحب كلامه تبعاً لمحبهته... وفى المجمل فإن قراءة القرآن طاعة لله.. والطاعة سبب من أسباب الرزق، فلا يلزم أن نخصص سورة الواقعة أو غيرها بالقراءة من أجل الرزق؛ فالقرآن وحده رزق لا توازيه الدنيا بما فيها.. فاللهم ارزقنا حفظ القرآن والعمل بما فيه.

(١) ضعيف: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٤٩٢/٢)، رقم ٢٥٠٠، وابن عساکر (٣٣/١٨٦)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (٥٧٧٣).

كلمة أخيرة

أخى الحبيب .. أختى الفاضلة ..

إن كل ما ذكرته من الأسباب تجعل الرزق يأتيك (إن شاء الله)، وذلك لأن كل ذلك يرجع إلى مشيئته .. فعلى الرغم من أن الله تعالى قال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾^(١) إلا أنه قال في آية أخرى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾^(٣).

فإن ابتلاك الله بالغنَى فاشكر الله على تلك النعمة، وإن ابتلاك بالفقر؛ فاصبر وأحسن الظن بالله.

* وتلك كلمة أخرى أوجهها إلى إخوانى وأخواتى.

هل المطلوب من المسلم أن يكون غنياً أم فقيراً؟

والجواب: المطلوب من المسلم أن يكون راضياً عن الله - عز وجل - سواءً كان غنياً أو فقيراً.

فإن بعض الناس يستغرق فى طلب الدنيا حتى ينسى دينه كله، والبعض الآخر يستغرق فى طلب العلم حتى يتسول على موائد الناس ... ولكن خير الأمور الوسط.

فعلى المؤمن أن يسعى ليتحصل على الرزق الذى يكفيه ولا يجعله فى حاجة للناس من حوله .. وفى نفس الوقت عليه أن يخصص وقتاً لطلب العلم وللدعوة إلى الله - جل وعلا -.

(١) سورة هود: الآية: (١٥).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (١٨).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٢٨).

أخي الكريم.. أختي الكريمة

إنني والله أسأل الله أن يوسع أرزاق المسلمين وأن يبارك لهم في تلك
الأرزاق، وأن يرد المسلمين إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ وألا يُذلهم إلى الشرق
الملحد أو الغرب الكافر، وأن يربط قلوبهم برب المشارق والمغارب.
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب
إليك، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

أبو عمار

خطر ممنوع الاقتراب

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٤).
 وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٥).
 وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة الحشر: الآية: (٧).

(٥) سورة النجم: الآيتان: (٣، ٤).

(٦) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿١﴾.

وعن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلوات الله عليه موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» ﴿٢﴾.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى». قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» ﴿٣﴾.

ولقد بلغ الاتباع مبلغاً عظيماً في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فكانوا لا يرفعون قدماً ولا يضعونها إلا بأمر من الله ورسوله صلوات الله عليه.

فعن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يُقْبَلُ الحجر - يَعْنِي: الْأَسْوَدَ - ويقول: أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يُقْبَلُكَ مَا قَبَلْتُكَ ﴿٤﴾.

ومن ثم كان لا بد من الوقوف على بعض المخالفات التي يقع فيها بعض المسلمين... وأنا في الحقيقة لا أخطب في هذه الرسالة الملتزمين فحسب وإنما أخطب عامة المسلمين سائلاً ربي (عز وجل) أن ينفع بها وأن يجعلها

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، والترمذي (٢٦٧٦) كتاب العلم، وابن ماجه (٤٢) في مقدمة سننه، والدارمي (٩٥) في مقدمة سننه، وأحمد (١٦٦٩٢) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٥٩٧) كتاب الحج، ومسلم (١٢٧٠) كتاب الحج.

خالصة لوجهه الكريم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
ملحوظة: لقد نسبته في تلك الرسالة على بعض الكبائر مثل اللواط وغيره من القبائح وذلك من باب العلم بقُبْح تلك الكبائر وليس من باب أنها شائعة بين المسلمين . . . ونسأل الله حُسْنَ الخاتمة .

كتبه

الفقيه إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار

الحلف بغير الله (جل وعلا)

قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»^(١).

وقال ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله وإلا فليصمت»^(٢).

وقال ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرضَ ومن لم يرضَ بالله فليس من الله»^(٣).

وقال ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهائكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون»^(٤).

أخي الحبيب: إن الحلف بالشئ تعظيمٌ له . . . وليس هناك أعظم من الله (عز وجل) فيجب ألا تحلف إلا بالله .

والله سبحانه وتعالى له أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته .

شد الرحال إلى مقابر الأولياء

قال ﷺ: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»^(٥).

فشدُّ الرحال إلى مقابر الأولياء أمرٌ يخالف العقيدة الصحيحة . . . بل إن شدَّ الرحال إلى قبر النبي ﷺ لا يجوز لأن شدَّ الرحال يكون لمسجد الحبيب ﷺ وليس لقبره .

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٢٥١) كتاب الأيمان، والنذور، والترمذي (١٥٣٥) كتاب النذور والأيمان، وأحمد (٦٠٣٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٠٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٠٨) كتاب الأدب، ومسلم (١٦٤٦) كتاب الأيمان.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٠١) كتاب الكفارات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٢٤٧).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٢٤٨) كتاب الأيمان والنذور، والنسائي (٣٦٧٩) كتاب الأيمان والنذور، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن النسائي.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١١٨٩) كتاب الجمعة، ومسلم (١٣٩٧) كتاب الحج.

أخى الحبيب: اعلم أن النافع الضار هو الله القائل فى كتابه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُسْتَظِرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

فلا يملك النفع والضرر (نبي أو ولى) بل لا يملك ذلك إلا الكريم العلى.

عقوق الوالدين وقطيعة الرحم

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢).

وعن أبى بكرة نُفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» - ثلاثًا - قلنا: بلى يا رسول الله: قال: «الإشراك بالله، وعقوقُ الوالدين» وكان مُتَكِنًا فجلس، فقال: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وشهادةُ الزُّورِ» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت (٣).

وعن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» (٤) - يعنى قاطع رحم -.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقامُ العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقْرَؤُوا إِن شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ

(١) سورة النمل: الآية: (٦٢).

(٢) سورة الإسراء: الآيتان: (٢٣-٢٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٧٦) كتاب الأدب، ومسلم (٨٧) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٨٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٦) كتاب البر والصلة والآداب.

فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿١﴾ (٢).

وفى رواية للبخارى: فقال الله تعالى: «من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته» (٣).

- واعلم يا أخى الحبيب أن عقوق الوالدين وقطيعة الرحم يوجبان العقوبة فى الدنيا والآخرة قال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم» (٤).

وفى رواية: «بابان مُعَجَّلَانِ عقوبتهما فى الدنيا: البغى والعقوق».

- وأما عن حسرة من عق والديه فى الآخرة فقد أخبر عنها ﷺ بقوله: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة - وذكر منهم - العاق لوالديه. وثلاثة لا يدخلون الجنة - وذكر منهم - العاق لوالديه» (٥).

مصاحبة أهل الفسوق والعصيان

قال ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (٦).

وقال ﷺ: «إنما مثلُ الجليس الصالح، وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وأما أن تجد ريحاً خبيثة» (٧).

(١) سورة محمد: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٣٢) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٤٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٩٨٨) كتاب الأدب.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٥١١) كتاب صفة القيامة والرقائق

والورع، وابن ماجه (٤٢١١) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٨٦١) أول مسند البصريين، وصححه

العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٠٤).

(٥) صحيح: رواه النسائى (٢٥٦٢) كتاب الزكاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع

(٣٠٧١).

(٦) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٩٦٨) باقى

مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٠١) كتاب البيوع، ومسلم (٢٦٢٨) كتاب البر والصلة والآداب.

ولذلك حضَّ النبي ﷺ على مصاحبة الصالحين فالؤمن يزداد إيمانه بمصاحبة الصالحين ولذلك قال ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(١).

فاحذر يا أخى من مصاحبة أهل الفسوق والعصيان - فالمرء على دين خليله .

الكذب

أخى الحبيب: إن الكذب قد شاع وانتشر بين الناس فى هذا الزمان كانتشار النار فى الهشيم... ولم يعلم الكاذب أنه سيجنى الحسرات فى الدنيا والآخرة.

فأما فى الدنيا فحسبه أن يكتب عند الله كذاباً كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ: «وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٢). وكذلك فإنه يدخل فى دائرة المنافقين كما قال ﷺ: «أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً - وذكر منه: وإذا حدث كذب»^(٣). بل لقد دعا النبى ﷺ على أهل الكذب فقال: «ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»^(٤).

وأما عن حسرة أهل الكذب فى قبورهم فلقد أخبر ﷺ بعذابهم فى قبورهم.

قال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيديَّ فأخرجاني إلى الأرض

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٠٩٤٤) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٨) كتاب الإيمان.

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٥١٩) أول مسند البصريين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٣٦).

المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم على رأسه بيده كُلوْبٌ من حديد فيدخله في شذقه فيشقّه حتى يُخرجه من قفاه ثم يُخرجه فيدخله في شذقه الآخر ويلتئم هذا الشدق فهو يفعل ذلك به، فقلت: ما هذا؟

فقالا في آخر الحديث ردّاً على السؤال: «أما الرجل الأول الذي رأيت فإنه رجل كذاب يكذب الكذبة فتُحمل عنه في الآفاق فهو يُصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة ثم يصنع الله تعالى به ما شاء» (١).

وأما عن حسرتهم يوم القيامة فقد قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر» (٢).

وقال ﷺ: «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» (٣).

بل إن الفضيحة تلازمهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٥).

الغيبة

أخي الحبيب: إن الغيبة صارت فاكهة كثير من المجالس، وهو أمر قد نهى الله عنه ونفّر عباده منه ومثّله بصورة كريهة تتقزز منها النفوس فقال عز

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٨٦) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٧) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٠٧) كتاب العلم.

(٤) سورة هود: الآية: (١٨).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٦٠).

وجل: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (١).

وقد بين معناها النبي ﷺ بقوله: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته» (٢).

والمغتاب يجنى الحسرة والندامة في الدنيا والآخرة.

فأما حسرته في الدنيا فإنه يجنى كراهية الخلق والخالق جل وعلا بل إن الله يسلط عليه من يقع في عرضه.

قال الإمام مالك: أعرف أناساً لم يكن لهم عيوب فخاضوا في عيوب الناس فأوجد الناس لهم عيوباً وأعرف أناساً لهم عيوبٌ فستروا عيوب الناس فستر الله عيوبهم.

وقد قال ﷺ: «الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه» (٣).

وأما عن حسرته في الآخرة يقول النبي ﷺ واصفاً تلك الحسرة: «لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» (٤).

قال الطيبي: لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلها جزاء من يقع في أعراض المسلمين إشعاراً بأنهما ليستا من صفات الرجل بل هما من صفة النساء في أقبح حالة وأبشع صورة.

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الطبراني (١٣/١٧٢ ، رقم ٤١١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٥٣٧).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٨) كتاب الأدب، وأحمد (١٢٩٢٧) باقي مسند المكثرين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢١٣).

وفى حديث أبى هريرة يرفعه: «من أكل لحم أخيه فى الدنيا قُرب له يوم القيامة فيقال له: كُلْهُ مِيتًا كما أَكَلْتَهُ حَيًّا فَيَأْكُلُهُ وَيَكْلَحُ وَيَصِيحُ»^(١).

وفى المقابل فإن النبى ﷺ قد رَغِبَ فى أن يدفع المسلم ويدافع عن عرض أخيه المسلم فقال ﷺ: «من ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»^(٢).

النميمة

أخى الحبيب: احذر من السعى بين إخوانك للإفساد بينهم فإن من يفعل ذلك فسوف يجنى الحسرة فى الدنيا والآخرة.

فأما حسرته فى الدنيا فإن الله ينزع الطمأنينة والسعادة من قلبه لأن الإنسان الذى يسعى بين الناس بالنميمة لا يفعل ذلك إلا لحقده وحسده ولذا فإن الله جل وعلا يشعل النار فى صدره ويشعلها عليه فى قبره كما أشعل نار الفتنة بين إخوانه المسلمين وتأمل معى هذا المشهد عندما مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليُعَذَّبَانِ وما يُعَذَّبَانِ فى كبير. أما أحدهما فكان لا يستتر من البول - وفى رواية: لا يستنزّه من البول - وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة»^(٣).

وأما عن حسرته فى الآخرة فقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات»^(٤).

والقتات هو المنام!!!



(١) رواه الطبرانى فى الأوسط (١٨٢/٢)، رقم (١٦٥٦)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (١٦٨٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٩٣١) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٦٩٨٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٦٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٨) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥) كتاب الإيمان.

عدم تحرى الحلال

قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١).
وقال ﷺ: «يأتى على الناس زمان ما يبالى الرجل من أين أصاب المال؟ من حلال أو حرام» (٢).
وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمورٌ مشتهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات، وقع فى الحرام...» (٣).
فيجب على كل مسلم أن يتقى الله فى نفسه وفى زوجته وأولاده فلا يُطعمهم إلا حلالاً... ولقد كانت المرأة من سلفنا الصالح تقول لزوجها إذا أراد الخروج فى الصباح: اتقِ الله فينا ولا تطعمنا حراماً فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على نار جهنم.

ترك الصلاة أو تأخيرها

بعض الرجال يتركون الصلاة أو يؤخرونها عن وقتها... وهذا حرام ولا يحل أبداً إلا إذا كان هناك عذر شرعى لتأخيرها... قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٤).
وإضاعة الصلاة هنا ليس تركها بالكلية وإنما تأخيرها عن وقتها أما من

(١) سورة النور: الآية: (١٥).

(٢) صحيح: رواه النسائي (٤٤٥٤) كتاب البيوع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٠٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٤) سورة مريم: الآيتان: (٥٩، ٦٠).

يترك الصلاة فقد قال تعالى عنه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيَّوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿١﴾.

فمن ترك الصلاة ولم يسجد لله يُحشر يوم القيامة في (وادي سقر) عياذا بالله.

فاحذر يا أخى الحبيب من ترك الصلاة أو تأخيرها.

ترك الطمأنينة فى الصلاة

قال عليه السلام: «أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته» قالوا: يا رسول الله: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها» (٢).
وفى الحقيقة إن هذا الأمر قد انتشر بشكل لا يخطر على قلب بشر. مع أن أكثر الناس يعلمون أن الخشوع والطمأنينة فى الصلاة ركن ولا تصح الصلاة بدونها ولذلك قال عليه السلام: «لا تُجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود» (٣).

وعن أبى عبد الله الأشعرى قال: صلى رسول الله صلّى الله عليه وآله بأصحابه ثم جلس فى طائفة منهم فدخل رجل فقام يصلى فجعل يركع وينقر فى سجوده فقال النبى صلّى الله عليه وآله: «أترون هذا؟ من مات على هذا مات على غير ملة محمد ينقر صلاته كما

(١) سورة المدثر: الآيات: (٣٨-٤٨).

(٢) صحيح: رواه الدارمى (١٣٢٨) كتاب الصلاة، وأحمد (٢٢١٣٦) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٨٦).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٨٥٥) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٦٥) كتاب الصلاة، والنسائى (١٠٢٧) كتاب الافتتاح، وابن ماجه (٨٧٠) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، والدارمى (١٣٢٧) كتاب، وأحمد (١٦٦٢٥) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٢٤).

ينقر الغراب الدم، إنما مثل الذى يركع وينقر فى سجوده كالجائع لا يأكل إلا التمرة والتمرتين فماذا تغنيان عنه»^(١)، وعن زيد بن وهب قال: رأى حذيفة رجلاً لا يتم الركوع والسجود قال: «ما صليت ولو مُتَّ مت على غير الفطرة التى فطر الله محمداً ﷺ عليها»^(٢). وينبغى على من ترك الطمأنينة فى الصلاة إذا علم بالحكم أن يعيد فرض الوقت الذى هو فيه ويتوب إلى الله عما مضى، ولا تلزمه إعادة الصلوات السابقة كما دل عليه حديث «ارجع فصل فإنك لم تُصل»^{(٣)(٤)}.

ترك صلاة الجمعة

كثير من الناس وصل بهم التهاون فى أمر دينهم أنهم يتركون صلاة الجمعة فى المسجد ويصلونها فى بيوتهم (ظُهرًا) أربع ركعات. وكل ذلك بسبب الجهل الشديد الذى حال بينهم وبين معرفة ثوابها وحال بينهم وبين معرفة إثم تاركها. قال ﷺ: «ليتنهين أقوامٌ عن ودعهم الجمعات: أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»^(٥).

وقال ﷺ: «من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كُتب من المنافقين»^(٦).

وقال ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه»^(٧).

(١) حسن: رواه ابن خزيمة (٣٣٢/١ ، رقم ٦٦٥) ، والبيهقى (٨٩/٢ ، رقم ٢٤٠٦) ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صلاة التراويح (ص ١١٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٩١) كتاب الأذان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٧) كتاب الأذان، ومسلم (٩٣٧) كتاب الصلاة.

(٤) محرمات استهان بها الناس / محمد صالح المنجد (ص: ٢٤ ، ٢٥).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨٦٥) كتاب الجمعة.

(٦) صحيح: رواه الطبرانى (١٧٠/١ ، رقم ٤٢٢) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٤٤).

(٧) رواه أبو داود (١٠٥٢) كتاب الصلاة، والترمذى (٥٠٠) كتاب الجمعة، والنسائى (١٣٦٩) كتاب الجمعة، وابن ماجه (١١٢٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، والدارمى (١٥٧١) كتاب الصلاة، وأحمد (١٥٠٧٢) مسند المكين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٤٣).

فتأمل يا أخى الكريم كيف أن الله يجمع على تارك صلاة الجمعة ثلاثة أنواع من العقوبات :

أولاً: أنه من أهل الغفلة .

ثانياً: أنه يكتب من المنافقين .

ثالثاً: أن الله يطبع على قلبه .

ترك صلاة الجماعة فى المسجد بغير عذر

وتلك مخالفة وقع فيها الكثير ممن زين لهم الشيطان هجر بيوت الله التى أثنى على أهلها فقال: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (١) .

وعن ابن عباس أنه عليه السلام قال: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر» (٢) .

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» (٣) .

وعن ابن مسعود أنه عليه السلام قال: «ولو أنكم صليتم فى بيوتكم، كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم...» (٤) . الحديث .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد هممت أن أمر

(١) سورة النور: الآيتان: (٣٦، ٣٧) .

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٧٩٣) كتاب المساجد والجماعات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٠٠) .

(٣) حسن: رواه أبو داود (٥٤٧) كتاب الصلاة، والنسائى (٨٤٧) كتاب الإمامة، وأحمد (٢١٢٠٣) مسند الأنصار رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٠١) .

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

فتيتى فيجمعوا الى حزمًا من حطب، ثم آتى قومًا يصلون فى بيوتهم، ليست بهم علة، فأحرقها عليهم»^(١).

قال الإمام ابن تيمية: «من اعتقد أن الصلاة فى بيته أفضل من صلاة الجماعة فى مسجد المسلمين فهو ضال مبتدع باتفاق المسلمين»^(٢).

أكل الثوم والبصل عند الذهاب إلى المسجد

بعض الناس يأكلون الثوم أو البصل أو الكراث عندما يذهبون إلى المسجد فيتسببون فى إيذاء من حولهم من المصلين، بل ومن الملائكة. قال ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة -يعنى الثوم- فلا يأتين المساجد»^(٣). وعن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكراث. فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها. فقال: «من أكل من هذه الشجرة المُنْتنة فلا يقربن مسجدنا. فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنسان»^(٤).

قال الإمام النووى: هذا تصريح بنهى من أكل الثوم ونحوه عن دخول كل مسجد، وهذا مذهب العلماء كافة. قال العلماء: ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

وقال العلماء: فى الحديث دليل على منع أكل الثوم ونحوه من دخول المسجد وإن كان خالياً؛ لأنه محل الملائكة، ولعموم الأحاديث^(٥). وأقول: فإن كان هذا النهى عن شئ أحله الله فما ظنك بمن يشرب الدخان الذى حرمه الله ثم يأتى ليصلى بين يدي الله فيؤذى كل من حوله^(٦).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤) كتاب الأذان، ومسلم (٦٥١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) الفتاوى الكبرى (١/ ١٢٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٨٥٤) كتاب الأذان، ومسلم (٥٦٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٥٦٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) مسلم بشرح النووى (٥/ ٦٧: ٦٩) بتصرف.

(٦) أخطاء المصلين / للمصنف (ص: ٢٠٩: ٢١١) بتصرف.

إفطار رمضان بلا عذر ولا رخصة

عن أبي أُمّة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينا أنا نائم أتاني رجلان، فأخذا بضبعي، فأتيا بي جبلاً وعراً، فقالا: اصعد. فقلت: إني لا أطيقه. فقالا: إنا سنسهله لك. فصعدت، حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار. ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشقة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا. قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم»^(١).

قال الإمام الذهبي: عند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عذر، أنه شر من المكّاس ومُدمن الخمر^(٢).

ترك الحج مع القدرة عليه

إنها الحسرة - والله - لكل من ترك الحج متعمداً مع قدرته عليه فإنه يُحرّم من الثواب الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»^(٤).

(١) صحيح: رواه الطبراني (١٥٥/٨ ، رقم ٧٦٦٦) ، والحاكم (٢٢٨/٢ ، رقم ٢٨٣٧) ، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص ٧٨ ، رقم ٩٨) ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٩٣).

(٢) الكبائر للذهبي (ص ٥٧) ، طبع مكتبة السنة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٧٣) كتاب الحج ، ومسلم (١٣٤٩) كتاب الحج.

(٤) حسن: رواه الترمذي (٨٤٠) كتاب الحج ، والنسائي (٢٦٣١) كتاب مناسك الحج ، وأحمد (٣٦٦٠) مسند المكثرين من الصحابة ، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١١٠٥).

وقال عمر رضي الله عنه: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً.

وقال أيضاً: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية... ما هم بمسلمين!!!^(١).

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون،

(١) وأنذرهم يوم الحسرة / للمصنف (ص ١٦٤، ١٦٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٣) سورة المائدة: الآيتان: (٧٨، ٧٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٩) كتاب الإيمان.

فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» (١).

وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (٢).

إيذاء الجار

وأما عن سوء الجوار فحدثت ولا حرج... فإنك لا تكاد تجد بيتاً ليس فيه جار يسىء إلى جيرانه - إلا من رحم الله - وهذا كله بسبب ضعف الإيمان في القلوب.

قال عابدين رضي الله عنه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره...» (٣).

وقال عابدين رضي الله عنه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره...» (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه» (٥) (٦).

وفي رواية لمسلم: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» (٧).

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٠) كتاب الإيمان.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢١٦٩) كتاب الفتن، وأحمد (٢٢٨١٦) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان، واللفظ له.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٥) البوائق: الغوائل والشور.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (١).
فاللهم اهد جيراننا وارزقنا الإحسان إلى جيراننا.

شهادة الزور

قال تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٢).
وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس، فقال: «ألا وقول الزور، وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت (٣).

أخذ الرشوة وإعطاؤها

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤).
وهذه جريمة تؤدي إلى ظلم أصحاب الحقوق وإلى انتشار الفساد في المجتمعات.

أما إذا كان الإنسان مقهوراً على دفع الرشوة ليتوصل إلى حقه أو لدفع الظلم عن نفسه، ولم يتمكن من فعل ذلك إلا من خلال الرشوة فالذنب على من أخذ الرشوة.

وقد تفتشت الرشوة في عصرنا تفتشاً واسعاً حتى صارت مورداً أعظم من

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٧٦) كتاب الأدب، ومسلم (٨٧) كتاب الإيمان.

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٨٨).

المرتبات عند بعض الموظفين، بل صارت بنداً من ميزانيات كثير من الشركات بعناوين مُغلّفة، وصارت كثير من المعاملات لا تبدأ ولا تنتهى إلا بها. وتضرر من ذلك الفقراء تضرراً عظيماً، وفسدت كثير من الذمم بسببها، وصارت سبباً لإفساد العمال على أصحاب العمل، والخدمة الجيدة لا تُقدّم إلا لمن يدفع، ومن لا يدفع فالخدمة له رديئة أو يُؤخّر ويُهمل، وأصحاب الرشاوى الذين جاؤوا من بعده قد انتهوا قبله بزمن، وبسبب الرشوة دخلت أموال هـى من حق أصحاب العمل فى جيوب مندوبى المبيعات والمشتريات، ولهذا وغيره فلا عجب أن يدعو النبى ﷺ على الشركاء فى هذه الجريمة والأطراف فيها أن يطردهم الله من رحمته... فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعنة الله على الراشى والمرشى» (١)(٢).

قذف المحصنات

قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات - وذكر منهم - قذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (٣)، وتأمل معى حسرتهم فى الآخرة فقد قال الحق جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

ويا له من خزى يوم تشهد الجوارح على الإنسان بكل ما عمل وقال... قال

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٨٠) كتاب الاقضية، والترمذى (١٣٣٧) كتاب الأحكام، وابن ماجه (٢٣١٣) كتاب الأحكام، وأحمد (٦٤٩٦) مسند الكثيرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١١٤).

(٢) محرمات استهان بها كثير من الناس / الشيخ: محمد صالح المنجد (ص: ٥٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٤) سورة النور: الآيتان: (٢٣، ٢٤).

عَلَيْهِ السَّلَامُ : «من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال» (١) .
وقال : «من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جُلد يوم القيامة حدةً إلا أن يكون كما قال» (٢) . فإن كان هذا هو الحال مع المملوك فكيف بالحررة الطاهرة؟

شرب الخمر

إنها الحسرة على من شرب الخمر في الدنيا .
فأما حسرته في الدنيا فحسبه (يعنى يكفيه) أنه مطرود من رحمة الله جل وعلا ، فقد قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أتانى جبريل فقال: يا محمد إن الله عز وجل لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقياها ومُسقيها» (٣) . . . واللعن هو الطرد من رحمة الله .
ثم إنه من شربها فتح له الشيطان باباً إلى ارتكاب الفواحش . . . قال عَلَيْهِ السَّلَامُ :
«الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها وقع على أمه وخالته وعمته» (٤) .
وكذلك فإن الملائكة لا تقرب شارب الخمر ، . . . وهذا والله عقاب أليم أن يُحرَم العبد صحبة الملائكة فقد قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «ثلاثة لا تقربهم الملائكة: السكران، والمتضمخ بالزعفران، والجُنُب» (٥) .
وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «الخمر أم الخبائث من شربها لم تُقبل صلاته أربعين يوماً فإن مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية» (٦) .

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٦٠) كتاب الإيمان .

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٨٥٨) كتاب الحدود .

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٨٩٢) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢) .

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير (١١/١٦٤ ، رقم ١١٣٧٢) ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٤٥) .

(٥) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٥/٢٥٢ رقم ٥٢٣٣) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٦٠) .

(٦) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/٨١ ، رقم ٣٦٦٧) ، والدارقطنى (٤/٢٤٧) ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٤٤) .

وفى رواية : «ومن تاب تاب الله عليه فإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من ردة الخبال يوم القيامة. عَصَاة أَهْلِ النَّارِ» (١).

وأما عن حسرتهم فى الآخرة فقد قال ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً» (٢): الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر» (٣).

وقال ﷺ : «من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حُرِّمَها فى الآخرة» (٤).

وقال ﷺ : «من مات وهو مدمن خمر لقي الله وهو كعابد وثن» (٥).

تتبع عورات المسلمين

وهناك صنف من الناس يشغلون أنفسهم بتتبع عورات المسلمين . . .

قال رسول الله ﷺ : «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته» (٦).
ولله در القائل :

لا تكشفن مساوى الناس ما ستروا

فيهتك الله سترًا عن مساويكا

(١) رواه الترمذى (١٨٦٢) كتاب الأشربة، والنسائى (٥٦٦٤) كتاب الأشربة، وابن ماجه (٣٣٧٧) كتاب الأشربة، والدارمى (٢٠٩١) كتاب الأشربة، وأحمد (٦٦٠٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣١٣).

(٢) المقصود منها أنه إذا استحل شرب الخمر أو أنكر حرمانية الخمر فهو كافر ومخلد فى النار وأما إن شربها وعلم أنه عاص لله فهو فى مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ولكنه لا يدخل الجنة مع أول الداخلين بل يؤخر عنهم لمعصيته وحكمه حكم أهل الكبائر.

(٣) صحيح لغيره: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٤١٢/٧)، رقم (١٠٨٠٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٧١)، وقال: صحيح لغيره.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٧٥) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة.

(٥) صحيح: رواه الطبرانى (٤٥/١٢)، رقم (١٢٤٥٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤٩).

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٨٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٢٧٧) أول مسند البصريين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٨٤).

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا

ولا تعب أحداً منهم بما فيكما^(١)

سمع أعرابي رجلاً يقع في الناس، فقال: قد استدلت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس؛ لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها.

لبس الحرير

وهذا من بين الأشياء المحرمة على الرجال.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»^(٢).

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له»^(٣).

وفي رواية للبخاري: «من لا خلاق له في الآخرة».

وعن علي رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وذهباً فجعله في شماله ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»^(٤).

لبس الذهب

وهذا من بين الأشياء التي حرمها الشارع على الرجال وأحلها للنساء

فعن علي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وذهباً فجعله في شماله ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»^(٥).

(١) تفسير القرطبي (١٤٨/٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٣٢) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٧٣) كتاب اللباس والزينة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٣٥) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٦٩) كتاب اللباس والزينة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٥٧) كتاب اللباس، والنسائي (٥١٤٤) كتاب الزينة، وابن ماجه (٣٥٩٥)

كتاب اللباس، وأحمد (٩٣٧) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في

صحيح الجامع (٢٢٧٤).

(٥) صحيح، انظر السابق.

وفى رواية قال ﷺ: «حُرِّمَ لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ» (١).

وعن ابن عباس رضيهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب فى يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: «يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فقليل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ (٢).

الغش فى البيع والشراء

ومن المخالفات الشائعة - الغش فى البيع والشراء - وهو من المحرمات التى نهى الشارع عنها.

عن أبى هريرة رضيه أن رسول الله ﷺ قال: «من حمل علينا السلاح، فليس منا، ومن غشنا فليس منا» (٣).

وفى رواية له: أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت (*) أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا» (٤). وقد ضرب سلفنا الصالح - رحمة الله عليهم - الأسوة والقُدوة فى الأمانة والسماحة فى البيع والشراء.

سماع الأغاني والمعازف

قال ﷺ: «ليكونن فى أمتي أقوام يستحلون الحرَّ والحريمَ والخمرَ والمعازفَ

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٧٢٠) كتاب اللباس، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٣٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٩٠) كتاب اللباس والزينة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠١) كتاب الإيمان.

(*) فنالت: أصابت بللاً مستوراً بالطعام اليابس - أصابته السماء: المطر.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٠٢) كتاب الإيمان.

ولينزلن أقوام إلى جنب علم، يروح عليه بسارحة لهم، يأتيهم حاجة. فيقولوا: ارجع إلينا غدا، فيبستهم الله تعالى، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»^(١).

يقول الإمام ابن القيم بعد ذكره لمُستحلّي الحرام بالحيلة وعقابهم بجنس عقوبات أمثالهم من العصاة: المسخ على صورة القردة والخنازير واقع في هذه الأمة ولا بد، وهو في طائفتين: علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله، الذين قلبوا دين الله وشرعه، فقلب الله تعالى صورهم، كما قلبوا دينه، والمجاهرين المتهتكين بالفسق والمحارم. ومن لم يُمسح منهم في الدنيا مسخ في قبره، أو يوم القيامة، وبكل حال فالمسخ لأجل الاستحلال بالاحتيال قد جاء في أحاديث كثيرة»^(٢).

فيا ليتنا نعرف قدر القرآن ونملاً بيوتنا به - تلاوة وسماعاً - بدلاً من الأغاني التي إن لم تُبعدك عن الله فلن تُقربك منه.

التدخين

وهذا أيضاً مما عمّت به البلوى - وهو من المحرمات - فقد قال تعالى في وصف النبي ﷺ: ﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ﴾^(٣). ولا يشك عاقل أن الدخان من الخبائث التي حرمها الله. بل قال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(٤). والتدخين ضارٌ بصاحبه مُضرٌ بمن حوله... بل هو تضییع للمال الذي جعله الله أمانة بين يديك ثم يسألك عنه يوم القيامة.

(١) صحيح: رواه البخاري معلقاً كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه،

وأبو داود (٤٠٢٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٤٦٦).

(٢) إغاثة اللهفان من مضائد الشيطان / الإمام ابن القيم (ص: ٣٤٦).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٥٧).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٣٤١) كتاب الأحكام، وأحمد (٢٨٦٢)، ومالك في الموطأ (١٤٦١).

كتاب الأقضية، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٥١٧).

اللعب بالنرد

إن من المحرمات التي انتشرت بين كثير من المسلمين - اللعب بالنرد - (المعروف بالزهر) الذين يلعبون به في الطاولة والسلم والثعبان وغيرهما من الألعاب .
وهذا النرد قد حرم النبي ﷺ اللعب به لأنه مفتاح لأبواب المقامرة والميسر . . . قال ﷺ : «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»^(١) .
وقال ﷺ : «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»^(٢) .

عدم غض البصر

ونجد كثيراً من الرجال يطلقون العنان لأبصارهم في النظر إلى النساء فتحرك شهوته فيفتح عليه باب شر مستطير .
قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾^(٣) ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٤) . وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٥) ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾^(٦) .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّانَا فَهُوَ مَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ: الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٩٣٨) كتاب الأدب، وابن ماجه (٣٧٦٢) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٠٢٧) أول مسند الكوفيين، ومالك في الموطأ (١٧٨٦) كتاب الجامع، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٦٠) كتاب الشعر.

(٣) سورة النور: الآية: (٣٠).

(٤) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

(٥) سورة غافر: الآية: (١٩).

(٦) سورة الفجر: الآية: (١٤).

وَيَتَمَنَّى، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يَكْذِبُهُ»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلی الله علیه وسلم قال: «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُدُّ: نتحدث فيها: فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٢).

* وعن جرير رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلی الله علیه وسلم عن نظر الفجأة فقال: «اصرف بصرك»^(٣).

الخلوة بالمرأة الأجنبية

وهذا أمرٌ لا يجوز شرعاً.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(٤).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»^{(٥)(٦)}.
وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»^(٧).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٤٣) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٦٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢١٢١) كتاب اللباس والزينة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٥٩) كتاب الآداب.

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

(٥) «الحمو» قريب الزوج كأخيه، وابن أخيه، وابن عمه.

(*) الحمو الموت: الخوف منه لوجود الشر والفتنة أكثر من غيره لتمكنه من الوصول إلى المرأة، أي الخلوة بالحمو مؤدية إلى الهلاك.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٣٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٧٢) كتاب السلام.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٣٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٣٤١) كتاب الحج.

التشبه بالنساء

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله صلی الله علیه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء (١).

وفى رواية: لعن رسول الله صلی الله علیه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله صلی الله علیه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل» (٣).

الديانة

لقد أمر الله المؤمنين بحمل تلك الأمانة العظيمة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٤). فخانوا تلك الأمانة فكان حالهم يوم القيامة كما أخبر الحق جل وعلا ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (٥).

فقد خسروا أنفسهم في الدنيا لبُعدهم عن الله جل وعلا وإدخال الفساد إلى بيوتهم فكان الواحد منهم سبباً في فساد أولاده وأزواجه وكان سبباً في

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٨٨٦) كتاب اللباس.

* المخنث: الذى يتشبه بالنساء فى الحركة والكلام واللباس فهو المؤنث من الرجال.

* المترجلات: اللاتى كالرجال تشبيهاً: قال الطبرى: المعنى أنه لا يجوز للرجال التشبه بالنساء فى لبس أو زينة مختصات بهن ولا العكس.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٨٨٥) كتاب اللباس.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٩٨) كتاب اللباس، وأحمد (٨١١٠) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٩٥).

(٤) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٥) سورة الزمر: الآية: (١٥).

حرمانهم من دخول الجنة فقضى الله بحرمانه من الجنة... والجزاء من جنس العمل كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة - وذكر منهم - والديوث الذي يُقر في أهله الخبث»^(١).

وكل ذلك لأن الآباء في زماننا هذا - إلا من رحم الله - قد قدموا استقالة جماعية من وظيفتهم الأساسية ألا وهي تربية الأبناء من خلال النبع الصافي: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فأصبح لسان حال كل واحد منهم:

بعضي على بعض يجرد سيفه
والسهم مني نحو صدرى يُرسلُ
النار توقد في خيام عشيرتى
وأنا الذي ياللمصيبة أشعلُ^(٢)

السفر لجمع المال... وترك الزوجة

وهذا مما عمّت به البلوى... فنرى الرجل يسافر لجمع المال ويترك زوجته عامًا أو عامين أو أكثر فيحرمها بذلك من حقوقها الشرعية بل قد تضعف وتعصى ربها وتخون زوجها - إن لم يكن عندها وازع ديني - فيكون بذلك قد هدم بيته كله في الوقت الذي كان يسعى فيه لرفع مستوى المعيشة.

أخي الحبيب: إذا أردت السفر فلا تترك زوجتك وإذا لم تسافر فحافظ على زوجتك وأحسن عشرتها.



(١) صحيح: رواه أحمد (٥٣٤٩) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٥٢).

(٢) وأنذرهم يوم الحسرة / للمصنف (ص: ١٥٧، ١٥٨).

مصافحة النساء الأجنيات

قال المصطفى ﷺ: «لأن يَطْعَنَ في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»^(١).

ولا شك أن هذا من زنا اليد كما قال ﷺ: «العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني»^(٢) وهل هناك أظهر قلباً من محمد ﷺ، ومع ذلك قال: «إني لا أصافح النساء»^(٣) وقال أيضاً: «إني لا أمس أيدي النساء»^(٤). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ولا والله ما مسّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام»^(٥).

ومن هنا نقول إنه لا يجوز لرجل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصافح يد امرأة أجنبية عنه لأن ذلك يفتح باب الفتنة على مصراعيها وبخاصة عند أصحاب القلوب المريضة.

اللواط

وهي جريمة من أبشع الجرائم ولا يرتكبها إلا أصحاب الفطر المنكوسة. ولشناعة هذه الجريمة وقبحها وخطورتها عاقب الله مرتكبيها بأربعة أنواع من العقوبات لم يجمعها على قوم غيرهم، وهي أنه طمس أعينهم، وجعل

(١) صحيح: رواه الطبراني (٢٠/٢١١، رقم ١٧٢٤٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠٤٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٩٠٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤١٥٠).

(٣) صحيح: رواه النسائي (٤١٨١) كتاب البيعة، وابن ماجه (٢٨٧٤) كتاب الجهاد، وأحمد (٢٦٤٦٦) باقي مسند الأنصار، ومالك في الموطأ (١٨٤٢) كتاب الجامع، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥١٣).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط (٦/٢١٧، رقم ٦٢٢٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧١٧٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٨٨) كتاب الطلاق، ومسلم (١٨٦٦) كتاب الإمارة.

عاليها سافلها، وأمطرهم بحجارة من سجيل منضود، وأرسل عليهم الصيحة .
وفى هذه الشريعة صار القتل بالسيف - على الراجح - هو عقوبة
الفاعل والمفعول به إذا كان عن رضا واختيار، . . . فعن ابن عباس مرفوعاً:
«من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»^(١).
وما ظهر فى زماننا من الطواعين، وأنواع الأمراض التى لم تكن فى
أسلافنا الذين مضوا بسبب الفاحشة كمرض الإيدز القاتل، يدل على شىء
من حكمة الشارع فى تعيين هذه العقوبة البليغة^(٢).

الزنا

ولقد انتشر الزنا بين كثير من الشباب - باسم الزواج العرفى - الذى ما
أنزل الله به من سلطان .
أخى الحبيب: هل ترضى لأختك أن تتزوج زواجاً عرفياً؟! بالطبع لا .
فلماذا ترضاه لبنات المسلمين .
وهل تعلم أن من مقاصد الشريعة حفظ العرض والنسل، ولذا حرم الله
الزنا فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٣).
بل وجاءت الشريعة لتسد جميع الطرق الموصلة إلى الفاحشة ففرضت
الحجاب وأمرت بغض البصر وحرمت الخلوة بالأجنبية . . . إلى غير ذلك
من السياج الواقية التى تحمى الشباب من الوقوع فى الرذيلة .
وأخيراً: ألا تعلم كيف يعاقب الله (الزناة) فى الدنيا وفى القبر ويوم
القيامة وفى النار؟!!

أسأل الله أن يرزق شبابنا وفتياتنا العفاف وأن ييسر لهم جميعاً سبل الحلال .

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٤٦٤) كتاب الحدود، والترمذى (١٤٥٦) كتاب الحدود، وابن ماجه (٢٥٦٤)

كتاب الحدود، وأحمد (٢٧٢٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٨٩).

(٢) محرمات استهان بها الناس / محمد صالح المنجد (ص: ٣١).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٣٢).

وطء الزوجة في حيضها

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾ (١). فلا يُحل له أن يأتيها حتى تغتسل بعد طهرها لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ (٢)، ويدل على شناعة هذه المعصية قوله ﷺ: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد» (٣).

ومن فعل ذلك خطأً دون عمد وهو لا يعلم فليس عليه شيء، ومن فعله عامداً عالماً فعليه الكفارة في قول بعض أهل العلم ممن صحح حديث الكفارة وهي دينار أو نصف دينار، قال بعضهم: هو مخير فيهما، وقال بعضهم: إذا أتاها في أول حيضها في فورة الدم فعليه دينار، وإن أتاها في آخر حيضها إذا خف الدم أو قبل اغتسالها من الحيض فعليه نصف دينار، يتصدق بها أو بقيمتها من الأوراق النقدية (٤).

إتيان الزوجة في دبرها

وهذا من الأفعال القبيحة المحرمة التي تأبأها الفطر السليمة بل هو من الكبائر التي تجلب اللعن والطرده من رحمة الله (جل وعلا) قال ﷺ: «ملعون من أتى امرأة في دبرها» (٥).

(١)، (٢) سورة البقرة: الآية: (٢٢٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٩٠٤) كتاب الطب، والترمذي (١٣٥) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٦٣٩) كتاب الطهارة وسننها، والدارمي (١١٣٦) كتاب الطهارة، وأحمد (٩٠٣٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩٤٢).

(٤) والصواب أنه مخير بين الدينار ونصفه سواء كانت فى أول الحيض أو فى آخره.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢١٦٢) كتاب النكاح، وأحمد (٩٤٤٠) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨٨٩).

وقال ﷺ: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد» (١).

وقد جاء فيها أن النبي ﷺ أخبر بأنه يجوز أن يأتيها كيف شاء من الأمام والخلف ما دام في موضع الولد، ولا يخفى أن الدبر مكان الغائط وليس موضعاً للولد.

ممارسة العادة السيئة

وهذا أمرٌ شائع بين كثير من الشباب بسبب الفراغ الديني الذي يعيشونه . . . وهذه العادة حرّمها الشارع (جل وعلا).

وقد استدل الإمام الشافعي ومن وافقه على تحريم الاستمنا باليد بهذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ﴾ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٢). قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين. وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٣)(٤).

وللتخلص من هذه العادة ينبغي على الشباب أن يراقب ربه وأن يكثر من الصيام فإنه يُضعف الشهوة - كما قال ﷺ - وعليه بغض البصر والسعى إلى الزواج الشرعي وتجنب الوحدة والالتزام بالآداب الشرعية عند النوم فلا ينام على بطنه . . . وعليه أن يمارس الألعاب الرياضية وأن يتحلى بالصبر والعفة وأن يكثر من الدعاء ليعصمه الله من هذه العادة القبيحة.



(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٥، ٦).

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٧).

(٤) تفسير ابن كثير. ط. دار الشعب (٥/٤٥٨).

حلق اللحية

وهذا أيضاً من المخالفات الشائعة بين المسلمين فالنبي ﷺ أمر بإطلاق اللحية فقال ﷺ: «جُزُوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا المجوس»^(١).

فإعفاء اللحية سنةٌ مُحَمَدِيَّةٌ وفطرةٌ إنسانيةٌ وحَلَقُهَا معصيةٌ وبعْدُ عن هدى الحبيب ﷺ وتغيير لخلق الله وتشبه بالكافرين.

أخى الحبيب: اعلم أن اللحية هى التى تربيك ولست أنت الذى تربيها فإنك إذا هممت بمعصية قالت لك اللحية بلسان الحال: اتقِ الله فإنه لا يليق بمثلك أن تفعل تلك المعصية فأنت قدوة لمن حولك.

نتف الشيب من اللحية أو الرأس

قال ﷺ: «لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم يوم القيامة»^(٢).

فقد يظن بعض الرجال أحياناً أن هذا الشيب يشوه منظره أو يجعل الناس يظنون أنه أصبح شيخاً كبيراً بسبب هذا الشيب... ولكن الحبيب ﷺ يخبر بأن هذا الشيب نور المسلم يوم القيامة.

وصل الشعر والوشم

قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَتَّكِنَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠) كتاب الطهارة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٠٢) كتاب الترجل، والترمذى (٢٨٢١) كتاب الأدب، والنسائى

(٥٠٦٨) كتاب الزينة، وابن ماجه (٣٧٢١) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى

صحيح الجامع (٧٤٦٣).

فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١﴾ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة (٢) .

فإن كان النبي صلی اللہ علیہ وسلم لعن من تلبس الباروكة ولعن من تفعل ذلك لها فكيف إذا كان الذى يلبس الباروكة - رجل - ؟! وهذا الأمر شائع فى الأوساط الفنية لأن الرجل فى هذا الوسط لابد أن يكون وسيماً فإذا سقط شعر رأسه فليس أمامه إلا الباروكة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .
وأما الوشم فهو شائع فى الأوساط التى ينتشر فيها الفقر والجهل معاً . فتجد الشاب إذا تعلق بفتاة - وهذا أمرٌ محرم - فإنه يذهب إلى من يضع له الوشم على كتفه أو ذراعه ليكتب له اسم الفتاة التى يحبها . . . فنسأل الله العفو والعافية .

القرع

والقرع هو حلق بعض الشعر وترك بعضه . . . كأن يحلقه من النصف ويترك الجوانب أو يحلقه من الجوانب ويتركه من النصف - وهو ما يسمى بحلقة الكابوريا - ولقد جاء النهى عن ذلك لما فيه من التشبه بالأمم الكافرة .
* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم عن القرع (٣) .
وعنه قال: رأى رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم صبياً قد حلق بعض شعر رأسه وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك وقال: «احلقوه كله أو اتركوه كله» (٤) .

(١) سورة النساء: الآيات: (١١٧-١١٩) .

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٣٧) كتاب اللباس، ومسلم (٢١٢٤) كتاب اللباس والزينة .

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٢١) كتاب اللباس، ومسلم (٢١٢٠) كتاب اللباس والزينة .

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤١٩٥) كتاب الترجل، والنسائى (٥٠٤٨) كتاب الزينة، وصححه العلامة

الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٢) .

إسبال الثياب

وإسبال الثياب إن كان للخيلاء فهو حرامٌ، وإن كان بغير قصد فهو مكروه (وهذا إن كان في غير صلاة، فإن كان في الصلاة فهو أشد كراهة). قال ﷺ: «من أسبل إزاره في صلاته خيلاء فليس من الله في حلٍّ ولا حرامٍ»^(١). وإن كان لغير الخيلاء فقد قال ﷺ: «ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار»^(٢).

وقد تهاون كثير من المصلين في هذا الأمر حتى وصل بهم الأمر أنهم لا يتوبون من تلك المعصية، بل ويسخرون من كل من يقصر ثيابه تشبهاً بالنبي ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان الذي لا يعطى شيئاً إلا منّة، والمنفق بالحلف الفاجر» - وفي لفظ آخر: «بالحلف الكاذب»^(٣).

عدم الاستتار عند قضاء الحاجة

وهذا مما عمت به البلوى.. فكثير من الناس يقضون حاجتهم أمام الناس في الطرقات لدرجة أن الناس يطلعون على عوراتهم.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة...»^(٤)، والذي يقضى حاجته أمام الناس يكون متسبباً في وقوعهم في معصية النظر إلى عورته (فهما في الوزر سواء).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٦٣٧) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٠١٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٧٨٧) كتاب اللباس.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٦) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٣٨) كتاب الحيض.

وكان من هدى النبي ﷺ عند قضاء الحاجة أنه كان يتعد عن أعين الناس وأسماعهم فلا يسمع له صوت ولا يُشم له رائحة .
 فعن جابر رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في سفر فكان لا يأتي البراز حتى يغيب فلا يرى» (١) .
 وعن عبد الله بن جعفر قال: «كان أحب ما استتر به النبي ﷺ لحاجة: هدف أو حائش نخل» (٢) .

عدم الاستنزاه من البول

وهذه المخالفة يترتب عليها بطلان الصلاة دون أن يشعر الرجل الذي يقع في تلك المخالفة .
 وقد حذرنا النبي ﷺ فقال: «تنزهوا من البول فإنه عامة عذاب القبر منه» (٣) .
 وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما يُعذَّبَان، وما يُعذَّبَان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول...» الحديث (٤) .
 وفي رواية: «أما أحدهما فكان لا يستنزه من بوله» (٥) .

منع الأجير حقه

لقد رغب النبي ﷺ في سرعة إعطاء الأجير حقه فقال: «أعطوا الأجير حقه قبل أن يجفَّ عرقه» (٦) . فمن خان تلك الأمانة فإنه يجنى الحسرة
 (١) صحيح: رواه أبو داود (٢) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٣٣٥) كتاب الطهارة وسننها، والدارمي (١٧) في مقدمة سننه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود .
 (٢) صحيح: رواه مسلم (٣٤٢) كتاب الحيض .
 (٣) صحيح: رواه الدارقطني (١٢٧/١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٠٢) .
 (٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢١٦) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة .
 (٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٠) كتاب الطهارة، والنسائي (٣١) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٢٤٧) كتاب الطهارة وسننها، وأحمد (١٩٨١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٤٠) .
 (٦) حسن: رواه ابن ماجه (٢٤٤٣) كتاب الأحكام، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٥٥) .

فى الدنيا بدعوة المظلوم ونزع البركة من ماله وأولاده وأما حسرته فى الآخرة فقد أخبر عنها النبى ﷺ بقوله: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة - وذكر منهم-: ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»^(١).

عدم العدل بين الزوجات

إن العدل المطلوب من الرجل هو أن يعدل بين أزواجه فى البيت والنفقة والكسوة... أما العدل فى الميل القلبى فهذا لا يستطيعه إنسان لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن وقد كان الحبيب ﷺ يحب عائشة رضي الله عنها أكثر من غيرها من أزواجه وعلى الرغم من ذلك كان أعدل وأفضل زوج فى الدنيا كلها. أما من لم يعدل بين أزواجه فإنه يجنى الحسرة فى الدنيا بأن يتعرض لدعوة المظلوم التى ليس بينها وبين الله حجاب وذلك لأنه ظلم إحدى زوجاته وفضل عليها الأخرى.

وأما حسرته فى الآخرة فإنه يأتى يوم القيامة أمام الخلائق وشقته مائل كما قال النبى ﷺ: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل»^(٢).

عدم العدل بين الأولاد

وهذا من الظلم الذى يجب على المسلم الرحيم أن يتجنبه... قال تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٣).

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٢٢٧) كتاب البيوع.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢١٣٣) كتاب النكاح، والترمذى (١١٤١) كتاب النكاح، والنسائى (٣٩٤٢)

كتاب عشرة النساء، وابن ماجه (١٩٦٩) كتاب النكاح، والدارمى (٢٢٠٦) كتاب النكاح، وأحمد

(٨٣٦٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٥).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٨).

وعدم العدل بين الأولاد يوغر صدور بعضهم على بعض ويزرع بينهم العداوة والبغضاء... بل ويجعل المظلوم من الأولاد يكون عاقاً لوالديه بسبب الظلم الذى وقع عليه.. وهذا بخلاف الذنب الذى يتحمله الوالدان بسبب هذا الظلم وعدم العدل بين الأولاد.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: «إني نحتلت ابني هذا غلاماً»^(١)، فقال رسول الله ﷺ: «أكل ولدك نحتله مثله؟ فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «فأرجعه»^(٢)، وفي رواية فقال رسول الله ﷺ: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم». قال: فرجع فردّ عطيته»^(٣)، وفي رواية: «فلا تشهدنى إذا فإنى لا أشهد على جور»^(٤) - أى على ظلم - .

المضارة فى الوصية

قال ﷺ: «إن الله تعالى قد أعطى كل ذى حق حقّه فلا وصية لوارث»^(٥). وإن من قواعد الشريعة أنه لا ضرر ولا ضرار فلا يجوز أبداً أن يوصى الرجل وصية يضر فيها الورثة الشرعيين أو بعضهم.. قال ﷺ: «من ضارّ ضارّ الله به ومن شاق شاقّ الله عليه»^(٦).

(١) أى: وهبته عبداً كان عندي.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٨٦) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ومسلم (١٦٢٣) كتاب الهبات.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٥٨٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٥٠) كتاب الشهادات، ومسلم (١٦٢٣) كتاب الهبات.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٨٧٠) كتاب الوصايا، والترمذى (٢١٢٠) كتاب الوصايا، وابن ماجه (٢٧١٣) كتاب الوصايا، وأحمد (٢١٧٩١) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه

الله فى صحيح الجامع (١٧٨٨).

(٦) حسن: رواه أبو داود (٣٦٣٥) كتاب الأقضية، والترمذى (١٩٤٠) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٢٢٤٢) كتاب الأحكام، وأحمد (١٥٣٢٨) مسند المكين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى

صحيح الجامع (٦٣٧٢).

أخي الحبيب: وفي نهاية تلك الرسالة القصيرة أسأل الله تعالى أن ينفعك بها وأن يجعلها حادياً لك إلى طاعة الله ومن ثم إلى جنته .
 سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك
 وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

يا شباب.. احذروا هازم اللذات

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أما بعد: فإن الإنسان في هذه الحياة الدنيا عابر سبيل يوشك أن تنتهي رحلته وأن يصل إلى دار القرار - إما في الجنة وإما في النار - ولكن تزخرفت الدنيا واستقرت في قلوب أكثر الناس ففسوا أو تناسوا أنهم سيتركون الدنيا لا محالة ويرتحلون عنها إلى دار القرار.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٤).
 وقال تعالى: ﴿وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (٥).

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة الانشقاق: الآية: (٦).

(٥) سورة النجم: الآية: (٤٢).

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (١).

فلا بد بعد تلك الحياة أن تجتمع الخلائق كلها للفصل والحساب بين يدي الكريم التواب ليجزى الذين أحسنوا بالحسنى ويذيق المجرمين ألوان العذاب . فتعالوا بنا لتعايش مع تلك الرسالة الصغيرة بقلوبنا وأرواحنا لتتعرف على حقيقة الموت وكيف نتأهب لهذا اليوم . . عسى الله أن يحيى قلوبنا وأن يوفقنا لطاعته وأن يرزقنا جميعاً حُسن الخاتمة .

* وهذه رسالة مختصرة من كتابي والذي هو بعنوان: «رحلة إلى الدار الآخرة» .

فأسأل الله (جل وعلا) أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم . . . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

الفقيه إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

لا تغفلوا عن الحقيقة الكبرى

الموت حتمٌ لازم، لا تمنع منه حصانة القلاع ولا يحول دونه الحجاب ولا تردّه الأبواب... قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٣).

قال صاحب الظلال: إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة في النفس: حقيقة أن الحياة في هذه الأرض موقوتة، محدودة بأجل؛ ثم تأتى نهايتها حتماً.. يموت الصالحون ويموت الطالحون. يموت المجاهدون ويموت القاعدون. يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد.. يموت الشجعان الذين يأبون الضيم، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن.. يموت ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص.

* قيل لبعض الزهاد: ما أبلغ العظاات؟ قال: النظر إلى الأموات.

وقد أحسن القرطبي في وصف الموت حيث يقول: «اعلم أن الموت هو الخُطب الأَفْطع، والأمر الأشنع، والكأس الذي طعمها أكره وأبشع، وأنه الأَهْزَم للذات. والأَفْطع للراحات، والأَجْلَب للكريهات، فإن أمراً يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويهدم أركانك، لهو الأمر الفظيع، والخطب الجسيم، وإن يومه لهو اليوم العظيم» (٤).

(١) سورة النساء: الآية: (٧٨).

(٢) سورة الجمعة: الآية: (٨).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٤) التذكرة: (ص: ٢٤).

أكثرُوا ذكرَها ذم اللذات

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾.

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ» وكان ابنُ عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك (٣).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يوصي فيه. يبيتُ ليلتين إلا ووصيته مكتوبةٌ عنده» (٤).

وقال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا ذكرَها ذم اللذات» يعنى: الموت (٥).
* وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ سئل: أى المؤمنين أكيس، قال: «أكثرهم للموت ذكراً وأشدّهم استعداداً له أولئك هم الأكياس» (٦).

(١) سورة المنافقون: الآيات: (٩-١١).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩، ١٠٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٣٨) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٢٧) كتاب الوصية.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد، والنسائى (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٥٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٦٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١٠).

(٦) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٣٥).

وقال الحسن البصرى: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذى لبُّ فيها فرحاً، وما ألزم عبدٌ قلبه الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها. وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذكرون الموت والقيامة ثم يكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: السعيد من وعُظ بغيره، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا ذكر الموتى، فعُدَّ نفسك كأحدهم.

أثر تذكر الموت فى إصلاح النفوس

إن لتذكر الموت أثر كبير فى إصلاح النفوس وتهذيبها، ذلك أن النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها، وتطمع فى البقاء المديد فى هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصى، وقد تقصر فى الطاعات، فإذا كان الموت دائماً على بال العبد، فإنه يصغر الدنيا فى عينه، ويجعله يسعى فى إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره... فقد روى البيهقى فى شعب الإيمان.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هاذم اللذات: الموت، فإنه لم يذكره فى ضيق من العيش إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره فى سعة إلا ضيقها»^(١).

ويذكر ابن المبارك أن صالحاً المرى كان يقول: «إن ذكر الموت إذا فارقتى ساعة فسد علىَّ قلبى».

وقال القرطبى: قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصى، ويلين القلب القاسى، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب.



(١) حسن: رواه البزار كما فى كشف الأستار (٤/ ٢٤٠، رقم ٣٦٢٣)، الطبرانى فى الأوسط (١/ ٢١٣، رقم ٦٩١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١١).

من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء

قال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

فتفكر يا مغرور فى الموت وسكراته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، وكفى بالموت مُقرحاً، ومُبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك وانتقالك من موضعك، وإذا نُقلت من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأخذت من فراشك، وغطائك إلى عرر، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد فى البنيان، ليس لك والله من مالك إلا الأكفان، بل هى والله للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذى جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا، بل تركته إلى من لا يحمذك، وقَدِّمت بأوزارك على من لا يعذرك، ولقد أحسن من قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ (١) أى: اطلب (٢).

استحباب زيارة القبور للرجال

ولأن أكثر الناس ينشغلون بالدنيا وحُطامها الزائل فيُستحب للرجال زيارة القبور لأنها تذكرهم بالآخرة.

* عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا» (٣).

(١) سورة القصص: الآية: (٧٧).

(٢) التذكرة: (١/ ٥٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٧٧) كتاب الجنائز.

وفى رواية: «فمن أراد أن يزور القبور فليزر فإنها تذكرنا بالآخرة».

* وعن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِلْآحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ» (١).

خير الناس من طال عمره وحسن عمله

واختلف السالكون أيما أفضل، مَنْ تَمَنَّى الموت شوقاً إلى لقاء الله أو مَنْ تَمَنَّى الحياة رغبة في طاعة الله؟ أو مَنْ فَوَّضَ الأمر إلى الله ورضى باختياره ولم يختار لنفسه شيئاً.

* فذهب قوم إلى تفضيل الموت على الحياة واستدل طائفة من الصحابة بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (٢).

* ولكن الأحاديث الصحيحة تدل على أن عمر المؤمن كلما طال ازداد بذلك ما له عند الله من خير، فلا ينبغي له أن يتمنى انقطاع ذلك، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَخْشَى الْفِتْنَةَ عَلَى دِينِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا خَشَى الْفِتْنَةَ عَلَى دِينِهِ فَقَدْ خَشَى أَنْ يَفُوتَهُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَيْرٍ، والموت خير له على هذه الحال.

* وعن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ، مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ» (٣).

* «الموتى فى قبورهم يتحسرون على زيادة فى أعمالهم بتسبيحة وبركة. ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك، فلا يقدرون على ذلك قد حيل بينهم وبين العمل».

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٧٥) كتاب الجنائز.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٩٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٣٠) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٩٠٢) أول مسند البصريين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٩٧).

ورؤى بعضهم فى المنام فقال: ندمنا على أمر عظيم، نعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون، والله لتسيححة أو تسيحجان، أو ركعة أو ركعتان فى صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها (١).

الموت كفارة لكل مسلم

إنما كان الموت كفارة، لكل ما يلقاه الميت فى مرضه من الآلام والأوجاع، وقد قال ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى، من مرض فما سواه إلا حطَّ الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» (٢).

* وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شُدَّ عليه الموت ليلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا فى الدنيا، هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار».

لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله

عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» (٣).

(وذكره) ابن أبى الدنيا فى كتاب (حسن الظن بالله تعالى)، وزاد: فإن قومًا قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤).

وعن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال: «كيف تجددك؟» فقال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله

(١) لطائف المعارف: (ص: ٣٢٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٤٨) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) سورة فصلت: الآية: (٢٣).

عائِدُ اللَّهِ ﷺ : « لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن في مثل هذا الوطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف » (١).

من أحب الجنة فليحب الموت

- * وقال ابن عبد ربه لمكحول: «أحبُّ الجنة؟ قال: وَمَنْ لا يحب الجنة؟!»، قال: فأحبَّ الموت، فإنك لن ترى الجنة حتى تموت».
- * وعن حبان بن الأسود قال: الموت خير يُوصل الحبيب إلى الحبيب.
- * وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ما من نفس برّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة، إن كان برًّا فقد قال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾» (٢)، وإن كان فاجرًا، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾» (٣).
- * وقال عمر بن عبد العزيز: «إنما خلقتُم للأبد، وإنما تُنقلون من دار إلى دار».
- * وعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ من آمن بك، وشهد أني رسولك فحبِّبْ إليه لقاءك، وسهِّلْ عليه قضاءك، وأقللْ له من الدنيا، وَمَنْ لم يؤمن بك، ولم يشهد أني رسولك، فلا تُحبِّبْ إليه لقاءك، ولا تُسهِّلْ عليه قضاءك، وأكثرْ له من الدنيا» (٤).

لا يكره الموت إلا أحد رجلين

واعلم أخى الحبيب أنه لا يكره الموت إلا أحد رجلين:
* أحدهما: من لا يؤمن بالآخرة وعنده أن لا حياة ولا نعيم إلا في الدنيا

(١) حسن: رواه الترمذى (٩٨٣) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٥٦١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٥١).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٩٨).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٧٨).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى (١٨/٣١٣ رقم ٨٠٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣١١).

كَمَنْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ (١).

* والثاني: يؤمن به ولكن يخاف ذنبه.

فأما من لم يكن كذلك فإنه يحبه، ويتمناه كما أحبه الصالحون وتمنوه.

* قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» (٢).

* وقال تعالى: ﴿فَتَمْنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣).

كراهة تمنى الموت بسبب كثرة الابتلاءات

ويكره للمؤمن أن يتمنى الموت عندما يشتد عليه البلاء إلا أن يخشى الفتنة في دينه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً، فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب» (٤).

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً» (٥).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فإن كان لأبد فاعلاً، فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» (٦).

(١) سورة البقرة: الآية: (٩٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٠٨) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٦٨٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٩٤).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٧٢٣٥) كتاب التمني.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٧١) كتاب المرضى، ومسلم (٢٦٨٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

تمنى الموت يقع على وجوه

والتحقيق فى تلك المسألة: أن تمنى الموت يقع على وجوه:

* منها: تمنى لضرر دنيوى ينزل بالعبد فينهى حينئذ عن تمنى الموت.

ووجه كراهيته فى هذا الحال أن المتمنى للموت لضرر نزل به إنما يتمناه تعجيلاً للاستراحة من ضره وهو لا يدرى إلى ما يصير بعد الموت فلعله يصير إلى ضرر أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وفى الحديث عن النبى ﷺ قال: «إنما يستريح من غفر له»^(١)، فلهذا لا ينبغي له أن يدعو بالموت إلا أن يشترط أن يكون خيراً له عند الله عز وجل.

* ومنها: تمنى خوف الفتنة فى الدين فيجوز حينئذ. وقد تمناه ودعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة وأئمة الإسلام... وفى حديث المنام: «وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون».

* تمنى الموت عند حضور أسباب الشهادة: فيجوز ذلك أيضاً، وسؤال الصحابة الشهادة وتعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور وكذلك سؤال معاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لما وقع بالشام.

* ومنها تمنى الموت لمن وثق بعمله شوقاً إلى لقاء الله عز وجل: فهذا يجوز أيضاً وقد فعله كثير من السلف.

* قال أبو الدرداء: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي.

وقال عنبسة الخولاني: كان من قبلكم لقاء الله أحب إليه من الشهد.

وقال بعضهم: طال شوقى إليك فعجل قدمى عليك.

وقال بعضهم: لا تطيب نفسى بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله عز وجل فإننى حينئذ أشتاق إلى الموت كشوق الظمآن الشديد ظمؤه فى اليوم الحار

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٤١٩٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧١٠)، وقال: صحيح لكثرة طرقه.

الشديد حره إلى الماء البارد الشديد برده .

* وفى هذا يقول بعضهم :

أشتاق إليك يا قريب نائي

شوق ظمأ إلى زلال الماء

* سئل أبو حازم: كيف القدوم على الله؟ قال: أما المطيع فكقدوم الغائب

على أهله المشتاقين إليه، وأما العاصى فكقدوم الآبق على سيده الغضبان .

* رُئى أحد الصالحين فى النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً لم

يُر مثل الكريم إذا حلّ به مطيع . . الدنيا كلها شهر الصيام للمتقين وعيد

فطرهم يوم لقاء ربهم . . . وصدق من قال:

وقد صُمت عن لذات دهرى كلها

ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلّى الله عليه وآله: «والذى نفسى بيده لا

تذهب الدنيا حتى يمرّ الرجل على القبر فيتمرّغ عليه ويقول: يا ليتنى كنت مكان

صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء»^(١).

الموت مصيبة... والغفلة عنه من أعظم المصائب

فالموت هائل وخطره عظيم والناس فى غفلة عنه لقلة فكرهم فيه

وذكرهم له .

* نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنّها، ثم بكى فقال: والله

لولا الموت لكنت بك مسروراً، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت

بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته .

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٥) كتاب الفتن، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشرط الساعة، واللفظ

قال القرطبي: قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سماه الله تعالى مصيبة، في قوله (تعالى) ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾^(١) فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى... قال علماؤنا: وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكير فيه، وترك العمل له.

قل يتوفاكم ملك الموت

* ومن بين الملائكة الملك الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه... قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾^(٣) ثم رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦) وغيرها من الآيات. وقد جاء في الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنًا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا

(١) سورة المائدة: الآية: (١٠٦).

(٢) سورة السجدة: الآية: (١١).

(٣) سورة الأنعام: الآيتان: (٦١-٦٢).

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٥٠).

(٥) سورة النساء: الآية: (٩٧).

(٦) سورة النساء: الآية: (٣٢).

يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحنوط يليق بها.

* قال ابن بطّة: «الإيمان بملك الموت أنه يقبض الأرواح، ثم تُرد في الأجساد في القبور... وهو يتصف بصفات من القدرة والسلطان وعظم الخلق وغيرهما من الصفات التي جعلته قادراً على قبض أرواح كثيرة في أماكن مختلفة بعيدة الأطراف في لحظة واحدة».

قال ابن عباس: «خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب».

وصح عن مجاهد أنه قال عن ملك الموت: «حُوت له الأرض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء».

مشهد السكرات ونداء ملك الموت

* قال القرطبي: «مَثَّلَ نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلاناً قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن قائل يقول: إن فلاناً ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، فكأنى، أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب. فحَيَّلْ لنفسك، يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك إلى لوح مغسلك، فغسلك الغاسل، وألبست الأكفان، وأوحش منك الأهل والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان، وقال الغاسل: أين زوجة فلان تحالله، وأين اليتامى ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبداً^(١).

ياله من مشهدٍ مهيب يتحدد من خلاله مصير العبد إما إلى ظلٍ ظليل وإما إلى شرٍّ مقيّل.



الذى يخفف عنه سكرات الموت

أخبرنا الرسول ﷺ أن الشهيد الذى يسقط فى المعركة تُخَفَّف عنه سكرات الموت، . . . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة»^(١).

لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله

قال عليه السلام: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله»^(٢).

قال القرطبي: قال علماؤنا: تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة، وليدخل فى عموم قوله عليه السلام: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٣).
* فإذا تلقنّها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تُعاد عليه لئلا يضر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنّها أو فهم ذلك عنه قال ابن المبارك: «لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه».
قال أبو محمد عبد الحق: وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لجّ عليه بها أن يتبرم ويضر، ويثقلها الشيطان عليه، فيكون سبباً لسوء الخاتمة.

يا لها من لحظات

قال القرطبي: وفى الخبر: أنه إذا دنت منية المؤمن نزل عليه أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه

(١) حسن: رواه الترمذى (١٦٦٨) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٦١) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٨٠٢) كتاب الجهاد، والدارمى (٢٤٠٨) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨١٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩١٦) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣١١٦) كتاب الجنائز، وأحمد (٢١٥٢٩) مسند الأنصار رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٧٩).

اليسرى، والنفس تنسلُّ انسِلَالُ القطرة من السَّقاء وهم يجذبونها من أطراف
البنان ورءوس الأصابع. والكافر تنسلُّ روحه كالسُّفود من الصوف المبتل.
فمَثَلُ نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأئين
والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلانًا قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن
قائل يقول: إن فلانًا ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، فكأنى
أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب، ثم تبكى ابتك وهى
كالأسيرة، وتتضرع وتقول: حبيبي أبى من ليتمى من بعدك؟ ومن لحاجتى؟
وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب (١).

لَيْسَ الْغَرِيبُ غَرِيبَ الشَّامِ وَالْيَمَنِ
إِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبُ اللَّحْدِ وَالْكَفَنِ
إِنَّ الْغَرِيبَ لَهُ حَقٌّ لِّغُرْبَتِهِ
عَلَى الْمُقِيمِينَ فِي الْأَوْطَانِ وَالسَّكَنِ
لَا تَنْهَرَنَّ غَرِيبًا حَالَ غُرْبَتِهِ
الدَّهْرُ يَنْهَرُهُ بِالذَّلِّ وَالْمِحَنِ
سَفَرِيْ بَعِيدٌ وَزَادِي لَنْ يُّبَلِّغَنِي
وَقَوَّتِي ضَعُفَتْ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُنِي
وَلِي بَقَايَا ذُنُوبٍ لَسْتُ أَعْلَمُهَا
اللَّهُ يَعْلَمُهَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ
مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَنِّي حَيْثُ أَمْهَلَنِي
وَقَدْ تَمَادَيْتُ فِي ذَنْبِي وَيَسْتُرْنِي
تَمْرُ سَاعَاتُ أَيَّامِي بِلَا نَدَمٍ
وَلَا بُكَاءٍ وَلَا خَوْفٍ وَلَا حَزَنٍ

وأنا الذى أُغلقُ الأبوابَ مُجتهداً
 على المعاصى وعينُ الله تنظرُنِي
 يا زلَّةً كُتبت فى غفلة ذهبت
 يا حسرةً بقيت فى القلب تحرقُنِي
 دعنى أنوحُ على نفسى وأندبُها
 وأقطعُ الدهرَ بالتذكيرِ والحزنِ
 دع عنك عدلى يا من كان يعذلُنِي
 لو كُنت تعلمُ ما بى كنت تعذرُنِي
 دعنى أسح دُموعاً لا انقطاع لها
 فهل عسى عبرةً منها تُخلصُنِي
 كأنى بين تلك الأهل منظرُحاً
 على الفراش وأيديهم تقلبُنِي
 كأنى وحولى من ينوح ومن
 يبكى علىَّ وينعانى ويندبُنِي
 وقد أتوا بطبيبٍ كى يُعالجُنِي
 ولم أرَ الطبيبَ اليوم يُنفعُنِي
 واشتد نزعى وصار الموتُ يجذبُها
 من كل عرقٍ بلا رفق ولا هونِ
 واستخرج الروح منى فى تغرُّرها
 وصار ريقى مُراً حين غرغرُنِي
 وغمضُونى وراح الكلُّ وانصرفوا
 بعد الإياس وجدوا فى شرا كفنِي

وقام مَنْ كان أحب الناس في عَجَلٍ
 نحو المَغْسَلِ يَأْتِينِي يُغَسِّلُنِي
 وقال يا قوم نبغى غاسلاً حَذَقًا
 حُرًّا أَدِيبًا أَرِييَا عَارِفًا فَطِنِ
 فجاءني رجلٌ منهم فجردني
 من الثياب وأعراني وأفردني
 وأودعوني على الألواح منظرًا
 وصار فوقى خريِرُ الماء ينظفني
 وأسكب الماء من فوقى وغسّلني
 غُسلًا ثلاثًا ونادى القوم بالكفنِ
 وألبسُوني ثيابًا لا كمام لها
 وصار زادي حنوطي حين حنطني
 وأخرجوني من الدنيا فوا أسفا
 على رحيلٍ بلا زادٍ يُبلّغني
 وحمّلُوني على الأكتاف أربعة
 من الرجال وخلفي من يُشيّعني
 وقدموني إلى المحراب وانصرفوا
 خلف الإمام فصلى ثم ودّعني
 صلوا على صلاةٍ لا رُكُوع لها
 ولا سُجُود لعل الله يرحمني
 وأنزلوني إلى قبري على مهلٍ
 وقدموا واحدًا منهم يلحدني

وكشف الثوب عن وجهي لينظرني
وأسبل الدمع من عينيه أغرقني
فقام مُحْتَزَمًا بالعزم مُشْتَمَلًا
وصَفَّفَ اللَّبَنَ من فوقى وفارقني
وقال هَلُّوا عليه التُّراب واغتنموا
حُسْنَ الثَّواب من الرحمن ذى المنى
فى ظلمة القبر لا أُمُّ هُناك ولا
أَبُّ شَفِيقٍ ولا أَخٌ يُؤْتِسِنِي
وهالنى صُورَةٌ فى العين إذ نظرت
من هول مطلع ما قد كان أدهشنى
من مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ ما أَقُولُ لَهُمْ
قد هالنى أمرهم جدًّا فأفزعنى
وأَقْعِدُونى وجِدُّوا فى سُؤْالِهِمْ
ما لى سِوَاكَ إلهى من يُخْلِصُنِي
فامْنُ على بَعْفٍ مِنْكَ يا أُملى
فإننى مُوْتَقٌّ بِالذَّنْبِ مُرْتَهَنٌ
تَقاسِمُ الأهلِ مالى بعدما انصرفوا
وصار وزرى على ظهرى فأثقلنى
واستبدلت زوجتى بعلًا لها بدلى
وحَكَمْتُهُ فى الأموال والسَّكَنِ
وصَيَّرْتُ ابْنى عَبْدًا لِيُخْدِمَهُ
وصار مالى لهم حلاً بلا ثمنٍ

فلا تغرنك الدنيا وزينتها
 وانظر إلى فعلها في الأهل والوطن
 وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها
 هل راح منها بغير الحنط والكفن
 خذ القنعة من دُنياك وارض بها
 لو لم يكن لك فيها، إلا راحة البدن
 يا زارع الخير تحصد بعده ثمرًا
 يا زارع الشر موقوفٌ على الوهن
 يا نفس كُفّي عن العصيان واكتسبي
 فعلاً جميلاً لعل الله يرحمنى
 يا نفس ويحك توبى واعملى حسناً
 عسى تجزين بعد الموت بالحسن
 ثم الصلاة على المختار سيدنا
 ما وضأ البرق في شامٍ وفي يمنٍ
 والحمد لله مُمسينا ومُصبحنا
 بالخير والعفو والإحسان والمنن^(١)

ويا لها من كرامة

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال:

«إذا توفى الله العبد المؤمن، أرسل إليه ملكين بخرقه من الجنة، وريحان الجنة، فقالا: أيتها الروح الطيبة، اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان.

(١) من شعر الإمام على زين العابدين بن الحسين بن على (رضى الله عنهم جميعاً).

اخرجى، فنعم ما قدمت .
فتخرج كأطيب رائحة مسك وجدها أحدكم بأنفعه .
وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون: سبحان الله، لقد جاء من الأرض
روح طيبة، فلا يمر بباب، إلا فتح له، ولا ملك إلا صلى عليه وشفع، حتى
يؤتى به ربه، فتسجد الملائكة قبله، ثم يقولون:
ربنا هذا عبدك فلان، توفينا، أنت أعلم به .
فيقول: مروه بالسجود، فتسجد النسمة، ثم يدعى ميكائيل، فيقال:
اجعل هذه النسمة، مع أنفس المؤمنين، حتى أسألك عنها يوم القيامة .
فيؤمر بقبره، فيوسع له، طوله سبعون، وعرضه سبعون، وينبذ فيه
الريحان، ويسط له فيه الحرير، وإن كان معه شيء من القرآن نور، وإلا
جعل له نور مثل نور الشمس، فيفتح له باب إلى الجنة، فينظر إلى مقعده
في الجنة بكرة وعشيا^(١) .

أتدرى ماذا يقول النعش

دخل بهاء الدين السبكي على الشيخ برهان الدين الإبناسى يعوده -
يزوره- وكان تجاههما نعش، فنظر السبكي إلى النعش، ثم قال للإبناسى: يا
شيخ برهان الدين: أتدرى ما يقول هذا النعش؟ فقال إنه يقول:

انْظُرْ إِلَى بَعْدِكَ

أَنَا الْمَعْدُ لِحَمْلِكَ

أَنَا سَرِيرُ الْمَنَايَا

كَمْ سَارَ مِثْلِي بِمِثْلِكَ

بعض القصص الذى يبين لنا مشاهد الحسرة والفرحة عند لقاء الموت

قال أشعث بن أسلم: سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت فقال: يا ملك الموت ما تصنع. إذا كان نفسٌ بالمشرق ونفسٌ بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع؟ قال: أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعي هاتين.

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام: ما لى أراك لا تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا؟ قال: ما أنا بذلك بأعلم منك! إنما هى صحف أو كتب تلقى إلى فيها أسماء، وقال وهب بن منبه: كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض، فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه -بعد مرات- وطلب دابة فأتى بها فلم تعجبه، حتى أتى بدواب فركب أحسنها، فجاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كبراً، ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبراً فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، فأخذ بلجام دابته فقال: أرسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً! قال: إن لى إليك حاجة قال: اصبر حتى أنزل قال: لا. . . الآن، فقهره على لجام دابته فقال اذكرها! قال، هو سر، فأدنى له رأسه فسارّه وقال: أنا ملك الموت! فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال: دعنى حتى أرجع إلى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم، قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبداً! فقبض روحه فخر كأنه خشبة، ثم مضى -ملك الموت- فلقى عبداً مؤمناً فى تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال: إن لى إليك حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات. . . .

فسارّه وقال أنا ملك الموت! فقال: أهلاً وسهلاً بمن طالت غيبته علىّ فوالله ما كان فى الأرض غائب أحبّ إلىّ أن ألقاه منك! فقال ملك الموت! اقض حاجتك التى خرجت لها، فقال ما لى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى! قال فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك! فقال: تقدر على ذلك؟ قال نعم إنى أمرت بذلك، قال: فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ثم أقبض روحى وأنا ساجد، فقبض روحه وهو ساجد.

وعن الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلىّ كأنه يريدنى قال: فماذا تريد؟ قال: أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى إلى أقصى الهند! ففعلت الريح ذلك، ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانية: رأيته تديم النظر إلى واحد من جلسائى قال: نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك!

﴿ فيا أخى الحبيب ألا تغتنم العمر فى طاعة الله جل وعلا قبل أن تسمع هذا النداء الذى يقرع القلوب والأسماع. ﴾

أيا عبدُكم يراك الله عاصيا

حريصاً على الدنيا وللموت ناسيا

أنسيت لقاء الله واللحد والثرى

ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصيا

لو أن المرء لم يلبس ثياباً من التُّقى

تجرد عرياناً ولو كان كاسيا

ولو أن الدنيا تدوم لأهلها
 لكان رسول الله حياً وباقياً
 لكنها تفنى ويفنى نعيمها
 وتبقى الذنوب والمعاصي كما هي

كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

حكى عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾ (١).
 وفرش المأمون رماداً واضطجع عليه وكان يقول: يا من لا يزول ملكه
 ارحم من قد زال ملكه.

ولما حضرت معاذاً رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم
 أرجوك، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى
 الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً الهواجر ومكابدة الساعات
 ومزاحمة العلماء بالرُّكْب عند حَلْق الذكر. ولما اشتد به النزع ونزع نزعاً لم
 ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أخنقني خنقك
 فوعزتكَ إنك تعلم أن قلبي يحبك.

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى ف قيل له ما يُبكيك؟ قال: ما أبكى جزعاً
 على الدنيا، ولكن عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون زاد أحدنا من الدنيا
 كزاد الراكب. فلما مات سلمان نظروا في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة
 عشر درهماً.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزنه فقال: بل واطرباه! غداً
 نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

(١) سورة الحاقة: الآيتان: (٢٨، ٢٩).

* ولقد وعظ الله تعالى رسوله ﷺ بالموت فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (١).

قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل، فقال: يا محمد، عش ما شئت. فإنك ميت. وأحبب من شئت فإنك مفارقة، واعمل ما شئت فإنك مجزى به. واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس» (٢).

* وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل».

تخير الأنبياء عند الموت

وهذا أمرٌ خاص بالأنبياء والرسل -صلوات ربي وسلامه عليهم- لا يشاركهم فيه أحدٌ من البشر.

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخير» (٣).

* وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختر ذلك العبد ما عند الله!»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يُخير رسول الله ﷺ عن عبدٍ خير... فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا» (٤).

يُخير الأنبياء بين البقاء في الدنيا والانتقال إلى ذلك المقام، ولا شك أن كل رسول يفضل النعيم المقيم على الدنيا وما فيها.

(١) سورة الزمر: الآية: (٣٠).

(٢) حسن: رواه الحاكم (٤/ ٣٦٠)، رقم (٧٩٢١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٤٩)، رقم (١٠٥٤١)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٣)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٣٧) كتاب المغازي، ومسلم (٢١٩٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

إنك ميت وإنهم ميتون

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (١).
وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢).
وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٣).
وقال تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (٤).

فالموت حق على الإنس والجن لا ينجو منه أحدٌ ولو نجا منه أحدٌ لنجا منه سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ.
وعن ابن عباس رضيهما قال ﷺ: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والإنس والجن يموتون» (٥).

وعن أنس قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاها، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل نعه، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب» (٦).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: «لما قالت فاطمة ذلك، يعني لما وجد رسول الله ﷺ من كرب الموت ما وجد، قالت فاطمة: واكرباه، قال رسول الله ﷺ:

(١) سورة الرحمن: الآيتان: (٢٦: ٢٧).

(٢) سورة القصص: الآية: (٨٨).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٣٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٨٣) كتاب التوحيد، واللفظ له، ومسلم (٢٧١٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٤٤٦٢) كتاب المغازي.

«يا بُنية! إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحدًا لموافاة يوم القيامة» (١).

إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمله

قال ﷺ: «إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمله»، قيل: ما يستعمله؟ قال: «يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عليه من حوله» (٢).
وقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا طهره قبل موته» قالوا: وما طهورُ العبد؟ قال: «عملٌ صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه» (٣).

وما تدري نفس بأي أرض تموت

ولا يعلم أى إنسان -مهما كانت منزلته- ميعاد موته فهذا من الغيب الذى استأثر الله بعلمه.

قال ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾» (٤) (٥).

وقال ﷺ: «إذا أراد الله قبض عبدٍ بأرضٍ جعل له فيها حاجة» (٦).

ولذلك فعلى العبد أن يجتهد دائماً فى طاعة الله لأنه لا يعلم متى يموت.

(١) حسن: رواه أحمد (١٢٠٢٦) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٣٨)، وقال: وأصله فى صحيح البخارى.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٤٤٢) مسند الأنصار رحمهم الله، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٤).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (٨/ ٢٣٠، رقم ٧٩٠٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٦).

(٤) سورة لقمان: الآية: (٣٤).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٤٦٢٧) كتاب تفسير القرآن.

(٦) صحيح: رواه البزار كما فى كشف الأستار (٣/ ٢٥، رقم ٢١٥٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١١).

ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣).

فكل إنسان له أجلٌ محدود لا يستطيع أن يتجاوزه بحال من الأحوال... فآجال العباد وأرزاقهم قد قدرها الله (عز وجل) قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وجرى بذلك القلم في اللوح المحفوظ.

قال ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء» (٤).

وقفة لطيفة

قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٥).

وقال ﷺ: «من سره أن يسطر له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» (٦).

فهناك من يسأل ويقول: إذا كان الله (عز وجل) يعلم كل شيء فما معنى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ (٧)؟ بل كيف يزيد الرزق والعمر إذا كان ذلك قد كُتب في اللوح المحفوظ.

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٥).

(٣) سورة المنافقون: الآية: (١١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر.

(٥) سورة الرعد: الآية: (٣٩).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٦٧) كتاب البيوع، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) سورة الرعد: الآية: (٣٩).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: وبَسَطُ الرزق توسيعه وكثرته وقيل: البركة فيه وأما التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مُقدرة لا تزيد ولا تنقص (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وأجاب العلماء بأجوبة الصحيح منها أن هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، والثاني أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك (١).

الذين تتوفاهم الملائكة طيبين

عن محمد بن كعب القرظي قال: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرئك السلام، ثم نزع بهذه الآية: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (٢).

* عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ فِي الْقَبْرِ عَلَى مَا مَاتَ، الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيْمَانِهِ، وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ» (٣).

* قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤).

* قال علماء السلف: إن العبد المؤمن وهو يتقلب في نعيم الجنة لا ينسى

(١) مسلم بشرح النووي: (١٦/١٧٢، ١٧٣).

(٢) سورة النحل: الآية: (٣٢).

(٣) إسناده جيد: رواه أحمد (١٤٣١٢) باقى مسند المكثرين، وقال الشيخ الألبانى فى ظلال الجنة (٨٦٥): وهذا إسناده جيد فى الشواهد والمتابعات، وجملة: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» قد أخرجها مسلم من طريق الأعمش عن أبى سفيان عن جابر.

(٤) سورة النحل: الآية: (٣٢).

طعم وحلاوة بشارة ملك الموت له عند خروج الروح... ونقيض ذلك للعاصي والكافر.

من مات فقد قامت قيامته

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «إن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجرى فيهما الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

فالبعث الأول: مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول. والبعث الثاني: يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها، ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار، وهو الحشر الثاني، ولهذا في الحديث الصحيح. «وتؤمن بالبعث الآخر فإن البعث الأول لا ينكره أحد، وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب».

«فالقيامة الصغرى هي الموت، فكل من مات فقد قامت قيامته، وحن حينه، عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسألونه عن الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «إن يعيش هذا، لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم» (١).

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (٢).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥١١) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) سورة فصلت: الآيات: (٣٠: ٣٢).

* يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(١) أى أخلصوا العقيدة والعمل لوجه الله تعالى على ما شرع سبحانه وتعالى لهم وبقوا على ذلك حتى لقوا الله... كما روى الحافظ أبو يعلى الموصلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٢) قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٣) على أداء فرائضه. وروى مسلم فى صحيحه والنسائى عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت: يا رسول الله - قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم» قلت يا رسول الله: ما أكثر ما تخاف على؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال: «هذا»^(٤).

رحلة أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين

* عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ مُستقبل القبلة، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفى يده عودٌ ينكتُ فى الأرض، فجعل ينظرُ إلى السماء، وينظرُ إلى الأرض، وجعل يرفعُ بصره ويخفضه، ثلاثاً، فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» - مرتين أو ثلاثاً -، ثم قال: «اللهم إني أعوذُ بك من عذاب القبر» - ثلاثاً - ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيضُ الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وحنوطٌ من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة - وفى رواية:

(١)، (٢)، (٣) سورة فصلت: الآية: (٣٠).

(٤) رواه بتمامه أحمد (١٤٩٩٢) مسند المكيين، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح. اهـ. والحديث

فى مسلم (٣٨) كتاب الإيمان بدون زيادة: «قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف على؟...».

المطمئنة - اخرجني إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، - وفي رواية - : (حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم) - ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (١)، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون - يعني بها - على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى في عليين، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ﴾ (١٩) كتاب مرقوم (٢٠) يشهده المقربون (٢) فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض، فإنني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده، قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهاز فينتهرانه، ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به، وصدقت، فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنه تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣)، فيقول:

(١) سورة الأنعام: الآية: (٦١).

(٢) سورة المطففين: الآيات: (١٩، ٢١).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

ربى الله، ودينى الإسلام؛ ونبى محمد ﷺ، فينادى مُناد فى السماء: أن صدق عبدى، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطبيها، ويُفسح له فى قبره مدَّ بصره، قال: ويأتيه -وفى رواية -: (يُمثلُ له رجلٌ حسنُ الوجه، حسنُ الثياب، طيبُ الريح، فيقول: أبشر بالذى يَسْرُكُ، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيمٌ مقيمٌ)، هذا يومك الذى كنت تُوعِدُ، فيقول له: وأنتَ فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فوالله ما علمتُك إلا كنت سريعاً فى طاعة الله، بطيئاً فى معصية الله، فجزاك الله خيراً، ثم يُفتح له بابٌ من الجنة، وبابٌ من النار، فيقال: هذا منزلُك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما فى الجنة قال: رب عجلّ قيام الساعةِ كيما أرجع إلى أهلى ومالى، فيقال له: اسكن.

قال: وإن العبد الكافر -وفى رواية-: (الفاجر) إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ، سودُ الوجوه، معهم المسوحُ من النار، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلسَ عند رأسه، فيقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ اخرجى إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق فى جسده فينتزعُها كما يُنتزعُ السُّفودُ الكثيرُ الشُّعب من الصوف المبلول، فتُقطعُ معها العروقُ والعصبُ، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك فى السماء، وتُغلق أبوابُ السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح، ويخرج منها كأنَّ ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ؟ فيقولون: فلانُ بن فلان -بأقبح أسمائه التى كان يُسمَّى بها فى الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له، فلا يُفتح له، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى

يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴿١﴾ فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، ثم يقال: أَعِيدُوا عَبْدِي إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وفيها أُعِيدُهُمْ، ومنها أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ مِنَ السَّمَاءِ طَرَحًا حَتَّى تَقَعَ فِي جَسَدِهِ، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٢) فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولَّوا عنه.

ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان: فَمَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد! فيقول: هاه هاه لا أدرى سمعتُ الناس يقولون ذاك! قال: فيقال: لا دريت، ولا تلوت، فينادي مُنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ: كَذِبَ، فَأَفْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وافتحوا له بابًا إِلَى النَّارِ، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه - وفي رواية - : (ويُمَثَّلُ لَهُ) رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتَنُّ الرِّيحِ، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كُنْتَ تُوعَدُ، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر! فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله، فجزاك الله شرًا، ثم يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مَرْزَبَةٌ! لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تَرَابًا، فيضربه ضربةً حَتَّى يَصِيرَ بِهَا تَرَابًا، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربةً أُخْرَى، فيصيحُ صيحةً يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ، وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرْشِ النَّارِ، فيقول: رَبِّ لَا تُقِمِّ السَّاعَةَ (٣).

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٨٠٦٣) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في

صحيح الجامع (١٦٧٦).

فأما إن كان من المقربين

* قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (١)﴾.

* يقول الطبري: «فأما إن كان الميت من المقربين الذين قربهم الله من جواره في جنانه ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، يقول: فله روح وريحان.

* عن علي، عن ابن عباس: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: راحة ومستراح.

* وقال ابن القيم -رحمه الله-: «ليس هذا سلام تحية ولو كان تحية لقال: فسلام عليه كما قال: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢). ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ (٣)، ولكن الآية تضمنت ذكر مراتب الناس وأقسامهم عند القيامة الصغرى حال القدوم على الله، فذكر أنهم ثلاثة أقسام:

* مقرب له الروح والريحان وجنة النعيم.

* ومقتصد من أصحاب اليمين له السلامة فوعده بالسلامة، ووعد المقرب بالغنيمة والفوز، وإن كان كل منهما سالماً غانماً.

* وظالم بتكذيبه وضلاله فأوعده بنزل من حميم وتصليّة جحيم.

فلما لم يكن المقام مقام تحية، وإنما هو مقام إخبار عن حاله، ذكر ما يحصل له من السلامة.



(١) سورة الواقعة: الآيات: (٨٨-٩٥).

(٢) سورة الصافات: الآية: (١٠٩).

(٣) سورة الصافات: الآية: (٧٩).

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْن

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْن (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُون (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢)﴾ (١).

* قال الإمام ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح»:

«أخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخصّ تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقرّبين من الملائكة والنبين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويهاً بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به، وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك تواقع من تعظمه بين الأمراء، وخواص أهل المملكة، تنويهاً باسم المكتوب له، وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده». وقال: «فهذا التوقيع والمنشور الأول. ويكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته».

* وعن الضحاك قال: «إذا قبض روح العبد المؤمن عُرِجَ بها إلى السماء، فينطلق معه المقربون، ثم عُرِجَ به إلى السماء الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، حتى ينتهوا إلى سدرة المنتهى، فيقولون: عبدك فلان - وهو أعلم به».

* فيأتيه صكٌّ، مَخْتُومٌ بأمنه من العذاب، فذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْن (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُون (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢)﴾ (٢).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن، إذا كان في إقبال من الآخرة، وإدبار من الدنيا، نزلت ملائكة من ملائكة الله -

كَأَن جُوهَهُمُ الشَّمْسُ - بِكَفَنِهِ وَحَنُوطِهِ، فَيَقْعُدُونَ مِنْهُ، حَيْثُ يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ، صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (١).

تلاقى أرواح المؤمنين

* وقال رسول الله ﷺ: «إِنِ الْمُؤْمِنَ إِذَا قُبِضَ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي، رَاضِيَةً مُرَضِيًّا عَنْكَ، إِلَى رُوحِ اللَّهِ تَعَالَى وَرِيحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانٍ.

فَتَخْرُجُ كَأَطِيبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَنَاقِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيُسَمُّونَهُ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ لَهُ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ:

مَا أَطِيبَ هَذِهِ الرِّيحُ، الَّتِي جَاءَتْ مِنَ الْأَرْضِ!!! كَلِمَا أَتُوا سَمَاءً، قَالُوا ذَلِكَ، حَتَّى يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ.

فَهُمْ أَفْرَحُ بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ إِذَا قَدِمَ. فَيَسْأَلُونَهُ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ حَتَّى يَسْتَرِيحَ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا» (٢).

بشارات للمؤمنين من رب العالمين

وَهَا هِيَ بَاقَةُ عِطْرَةِ مِنَ الْبَشَارَاتِ الَّتِي يُكْرِمُ اللَّهُ بِهَا أَوْلِيَائِهِ عِنْدَ أَصْعَبِ لَحْظَةٍ تَمُرُّ بِالْعَبْدِ - وَهِيَ لَحْظَةُ الْمَوْتِ -.

وَتَاللهُ إِنِّي أَجِدُ الْكَلِمَاتِ تَتَوَارَى خَجَلًا وَحَيَاءً أَمَامَ إِكْرَامِ اللَّهِ (عِزِّ وَجَلِّ) لِأَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ عَبَدُوهُ وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ.

(١) رُؤْيَا الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ لِمَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ . . . بَيْضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ جُوهَهُمُ الشَّمْسُ .

(١) صحيح: رواه أحمد (١٨١٤٠) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) صحيح: رواه النسائي (١٨٣٣) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٩٠).

- (٢) ملك الموت يبشره بمغفرة الله ورضوانه .
- (٣) ملك الموت يبلغه السلام من ربه (عز وجل) .
- (٤) خروج روحه بيسر وسهولة كما تسيل القطرة من فيء السقاء .
- (٥) خروج روحه فى كفنٍ من الجنة وحنوط من الجنة .
- (٦) أنه يرى مقعده من الجنة قبل الموت .
- (٧) خروج روحه فى ريحان الجنة ومسك الجنة .
- (٨) إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء .
- (٩) تُفتح لروحه أبواب السماء .
- (١٠) يخرج من روحه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض .
- (١١) الملائكة تناديه بأحب أسمائه إليه .
- (١٢) أنه يُشرق وجهه ويأتى ربه من الباب الذى كان يصعد عمله منه .
- (١٣) يسمع ثناء الناس عليه وهو محمولٌ على الأعناق .
- * وعن عمرو بن دينار قال: «ما من ميت يموت إلا روحه فى يد ملك ينظر إلى جسده، كيف يُغسل، وكيف يُكفن، وكيف يُمشى به، ويُقال له، وهو على سريرته: اسمع ثناء الناس عليك» .
- (١٤) يُشيعه من كل سماء مُقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى إلى السماء السابعة .
- (١٥) يقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين . . . وكل ذلك بمشهد من المقربين .
- (١٦) ينادى مناد من السماء: أن صدق عبدى .
- (١٧) تلتقى روحه بأرواح المؤمنين فيفرحون به ويفرح بهم .
- قال ثابت البنانى: «بلغنا أن الميت إذا مات احتوشه أهله وأقاربه الذين

- تقدّموه فلهو أفرح بهم وهم أفرح به من المسافر إذا قدم إلى أهله».
- (١٨) الملائكة تبشّره: ألا خوف عليه ولا حزن على ما ترك من حُطام الدنيا الزائل ولا خوف عليه من الأهوال الآتية لأن الله سيحفظه منها.
- (١٩) أنه يُبشّر بصلاح ولده.
- قال مجاهد: «إن المؤمن يُبشّر بصلاح ولده من بعده لتقرّ عينه».
- (٢٠) أن الله يثبته عند سؤال الملكين.
- (٢١) يُفرش له قبره من الجنة ويُفتح له باب إلى الجنة يأتيه من روحها وطيبها.
- (٢٢) يُفسح له في قبره مدّاً بصره.
- (٢٣) يُمثّل له عمله الصالح في صورة رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح.
- (٢٤) يرى منزله الذي كان في النار لو عصى ربه.
- (٢٥) يرى منزله في الجنة فيفرح ويقول: رب عجلّ قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلى ومالى.
- (٢٦) ومسك الختام: دخول روحه إلى جنة الرحمن ونعيم جسده في قبره حتى يدخل الجنة يوم القيامة بروحه وجسده.

مشاهد الحسرة عند الموت للعصاة والكافرين

وها هي نبذة يسيرة نلقيها على مشاهد الحسرة التي تحدث للعصاة والكافرين عند الموت.

* رؤيته للملائكة العذاب - وهم غلاظٌ شداد سود الوجوه - فيذوب قلبه من الحزن والفرع في آن واحد.. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (١).

(١) سورة الفرقان: الآية: (٢٢).

* ملك الموت يشره بسخط الله وغضبه وعذابه .

* يعلم مكانه من النار قبل نزع روحه .

* شدة نزع روحه من جسده حتى تتقطع العروق والأعصاب .

* الضرب والإهانة عند خروج الروح .

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢) .

* توضع روحه في مسوح من النار .

* يلعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء .

* يخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض .

* تُغلق أبواب السماء دونه . . . ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله

ألا تعرج روحه من قبلهم .

* تناديه الملائكة بأقبح أسمائه التي كان يُسمي بها في الدنيا .

* يقول الله تعالى: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى .

* يتمنى الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحاً .

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٣) .

* يدعو على نفسه بالويل عند حمل جنازته .

قال ﷺ: «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ

(١) سورة الأنفال: الآيتان: (٥٠ ، ٥١) .

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٩٣) .

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩ : ١٠٠) .

صالحه، قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة، قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمعُ صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه، لصعق» (١).

* تطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده.

* لا يستطيع الإجابة على أسئلة الملكين.

* ينادى مناد من السماء: أن كذب عبدى.

* يُفرش له قبره من النار ويُفتح له باب إلى النار.

* يُضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

* يُمثل له عمله الخبيث على صورة رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول له: أبشر بالذى يسؤوك.

* يُقيض له أعمى أصم أبكم فيضربه بمرزبة لو ضُرب بها جبل لكان تراباً.

* يُفتح له باب من النار ويُمهد من فرش النار.

* «تفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، كفى بالموت مفرعاً للقلوب، ومُبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهادماً للذات، وقاطعاً للأمنيات.

أسأل الله (جل وعلا) أن يوقظ قلوبنا من غفلتها وأن يرزقنا جميعاً حسن الخاتمة.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار

اقتربت الساعة يا شباب

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).
 أما بعد:

فإن الأمة المسلمة في تلك الأيام انقسم أفرادها إلى ثلاثة أقسام: قسم تمكن الإرجاء من سويداء قلبه، فهو بعيد عن الله كل البعد، ولكنه ينددن حول اسم الله (الغفور الرحيم) وقسم تملكه اليأس والقنوط من رحمة الله بسبب ذنوب ارتكبها يظن في قرارة نفسه أن الله لن يغفرها أبداً فهو ينددن حول اسم الله (المتقم) وقسم ثالث عاش على طاعة الله وهو يعلم أنه ليس معصوماً من الوقوع في المعاصي، فهو يستحضر عظمة الله ورحمته في آن

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

واحد فهو يعيش بالحب والخوف والرجاء، وهذا الصنف نادرٌ في تلك الأمة المسكينة، وهو الذى وفقه الله للصواب. وأرشده إلى طريق الحق.

ولذلك فإننى أهدى للصنف الأول قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٢).

وأهدى للصنف الثانى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٤).

وأهدى للصنف الثالث قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزَّلْنَا مِنَ الْغَفُورِ رَحِيمًا﴾ (٥).

ومن هنا جاءت الحاجة الماسة لأن يعرف المسلمون قدر نعمة العبودية لله -جل وعلا- ومن ثم ليعرفوا كيف يحاسبهم الله يوم القيامة على كل ما فعلوه فى تلك الحياة الدنيا.

وها أنا أسوق لحضراتكم فى تلك الوريقات صوراً من مشاهد الحساب يوم القيامة عسى الله أن ينفع بها من أراد أن ينجو من تلك الغفلة التى

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٨).

(٢) سورة الحجر: الآيتان: (٤٩ - ٥٠).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

(٥) سورة فصلت: الآيات: (٣٠ - ٣٢).

تملكت من قلوب أكثر الناس (ولا حول ولا قوة إلا بالله).
فأسأل القائم على كل نفسٍ بما كسبت -جل وعلا- أن يجعلنا من الذين
يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

كتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

الاستعداد ليوم الرحيل

يقول الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -:

يجب على من لا يدري متى ييغته الموت أن يكون مستعداً، ولا يغتر بالشباب والصحة، فإن أقل من يموت الأشياء، وأكثر من يموت الشباب، ولهذا ينذر من يكبر، فالحذر الحذر من المعاصي. فإن عواقبها سيئة، فكم من معصية لا يزال صاحبها في هبوط أبداً من تعثير أقدامه، وشدة فقره وحسراته على ما يفوته من الدنيا (١).

ولقد قال ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» (٢).

وقال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتجهزوا للعرض على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (٣).

ولذلك فإن على كل مسلم أن يقف مع نفسه وقفة يحاسبها في الدنيا على كل فعلة فعلها وعلى كل كلمة قالها، فإن من حاسب نفسه في الدنيا خفَّ عليه الحساب في الآخرة.

كلمات على فراش الموت

ولقد كان سلفنا الصالح يحاسبون أنفسهم حتى عند سكرات الموت!!!... فلتأمل سوياً تلك الكلمات.

قيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه: كيف تجدك يا أمير

(١) صيد الخاطر للإمام ابن الجوزي (ص: ٢٠٥-٢٠٦) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٤/٣٤١، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٦٣، رقم

١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٣) سورة الحاقة: الآية: (١٨).

المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (١). ثم مات.

ولما حضرت معاذاً رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزننا: فقال: بل واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

وحكى أن هارون الرشيد انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ﴾ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴿٢﴾.

هكذا كانوا يرون الحقيقة الكبرى (الموت) واضحة جليلة جلاء الشمس في رابعة النهار.

- بل هذا الإمام ابن الجوزي يبكي عند الموت فيقول له تلاميذه: يا إمام أألسنت قد فعلت كذا وكذا؟! فقال: والله إنني أخشى أن أكون فرطت ونافقت فيحقّ علىّ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٤٧) وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣﴾.

ثم قال: ولقد تاب على يديّ في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف. وأسلم على يديّ أكثر من مائتي نفس.

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٤).

(٢) سورة الحاقة: الآيتان: (٢٨ : ٢٩).

(٣) سورة الزمر: الآيتان: (٤٧-٤٨).

وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل . ويحق لمن تلمح هذا الإِنعام أن يرجو التمام .

وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي .

ولقد جلست يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا مَنْ قَدْ رَقَّ قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسي: كيف بك إن نجونا وهلكت: فصحت بلسان وجدى: إلهي وسيدى إن قضيت علىّ بالعذاب غدا فلا تُعلمهم بعذابى، صيانة لكرمك لا لأجلى، لئلا يقولوا عَذَّبَ الله من دَلَّ عليه^(١) .

سلفنا الصالح والاستعداد للآخرة

لقد ضرب سلفنا الصالح المثل الأعظم فى الاستعداد للآخرة بالعمل الصالح بكل أنواعه، سواءً كان من أعمال القلوب أو الألسنة أو الجوارح . فلم يتركوا باباً من أبواب الخير إلا وكانوا يتسابقون إلى الدخول منه، ولم يتركوا باباً من أبواب الشر إلا وكانوا يحذرون منه ومن الدخول فيه . . وكل ذلك لأنهم امثلوا قول الحق - جل وعلا-: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٢)﴾ .

* وكان استعدادهم للقاء الله لا يتوقف عند بعض الكلمات التى تخرج من الأفواه وليس لها رصيد من العبودية فى القلوب، بل كانت جوانحهم

(١) صيد الخاطر: (ص: ٢٤٩) .

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣-١٣٦) .

وجوارحهم تنقاد طوعاً أو كرهاً لطاعة الله ولسان حال كل واحدٍ منهم: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (١).

* فنجد أنهم يخلصون العمل لله؛ لأنهم قرؤوا قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (٢).

وقول النبي ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه» (٣).

وكان إبراهيم التيمي يقول: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته، وكان الشعبي رحمه الله يقول: من أدب العلماء إذا علموا أن يعملوا، فإذا عملوا شغلوا بذلك عن الناس، فإذا شغلوا فقدوا، وإذا فُقدوا طُلبوا، وإذا طُلبوا هربوا، خوفاً على دينهم من الفتن.

* وكانوا دائماً يؤثرون ويقدمون أعمال الآخرة على كل مصالحهم الدنيوية، لأن قلوبهم أيقنت وأذعنت لقول الله -جل وعلا- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (٤).

قال ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه وفرّق شمله، ولم يأتها من الدنيا إلا ما كتب له» (٥).

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول: «من خطب الدنيا طلبت منه دينه كله في صداقها، لا يرضيها منه إلا ذلك».

(١) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٣).

(٣) حسن: رواه النسائي (٣١٤٠) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٨٥٦).

(٤) سورة الإسراء: الآيتان: (١٨، ١٩).

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥١٠).

وقال على رضي الله عنه: ارتحلت الآخرة مقبلة، وارتحلت الدنيا مدبرة، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

* ومع ذلك كانوا يخافون من التقصير.. وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

* وكانوا يشعرون مع كل هذا بأن أعمالهم ضئيلة لا تصلح أن يقفوا بها بين يدي الله - جل وعلا - وذلك لأنهم يعلمون أن النبي صلی الله عليه وسلم قال: «لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله - عز وجل - لحقره يوم القيامة» (٣).

* وكل ذلك جعل قلوبهم رقيقة ودموعهم غزيرة من خشية الله تعالى . كان لعمر بن الخطاب في وجهه خطان أسودان من كثرة الدموع . وكان ابن عباس رضي الله عنهما أسفل عينيه مثل الشراك البالي من كثرة البكاء . وقال رسول الله صلی الله عليه وسلم: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فغطى أصحاب رسول الله صلی الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين (٤).

وقال على رضي الله عنه: رأيت أصحاب رسول الله صلی الله عليه وسلم فلم أر اليوم شيئاً يشبههم، كانوا يصبحون شعثاً صفرًا غبرًا، بين أعينهم أمثال ركب الماعز، قد باتوا سجدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا تهادوا كما

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

(٢) سورة الحشر: الآية: (١٨).

(٣) حسن: رواه أحمد (١٧١٩٧) مسند الشاميين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٤٩).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٦٢١) كتاب تفسير القرآن.

يميد الشجر يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع، فوالله لكأني بالقوم باتوا غافلين.

* وكان الواحد منهم إذا وقع فى ذنب فإنه يسارع بالتوبة والعودة إلى الله - جل وعلا -.

قال تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

سئل سفيان بن عيينة - رحمه الله - : ما علامة التوبة النصوح؟ فقال: أربعة أشياء: قلة الدنيا وذلة النفس، وكثرة التقرب إلى الله تعالى بالطاعات ورؤية القلة والنقص فى ذلك.

وكان عمر رضي الله عنه يقول: جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة.

* وكانوا يخافون من الرياء وغيره من الآفات التى تبطل الأعمال، فكان الواحد منهم يخفى عمله عن أخيه، بل عن زوجته وأولاده خشية أن يحبط عمله بالرياء وغيره.

كان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول: قد رضى علماء زماننا هذا بالكلام وتركوا العمل. وقد كان السلف رضي الله عنهم يفعلون ولا يقولون، ثم صار الذين بعدهم يفعلون ويقولون، ثم صار الذين بعدهم يقولون ولا يفعلون، وسيأتى زمان أهلهم لا يقولون ولا يفعلون.

بل لقد طلب الناس من سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أن يجلس يحدثهم فأبى وقال: ما أنا بأهل أن أحدث ولا أنتم بأهل أن تسمعوا، وما مثلى ومثلكم إلا كما قال القائل: افتضحوا فاصطلحوا.

وكانوا يخافون من مظالم العباد خوفاً شديداً، لأنهم يعلمون أن النبى صلوات الله عليه وآله قال: «من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر

مظلمته، وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه»^(١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة؛ ويأتي قد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»^(٢).

* وكانوا يخافون من التقصير في شكرهم لله - جل وعلا - .
قال تعالى: ﴿وَاتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٣).

وكان مجاهد ومكحول رحمهما الله تعالى يقولان في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٤) إنه الشراب البارد وظل المساكن، وشيع البطن، واعتدال الخلق، ولذة النوم.

وكان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول: أداء الشكر لله تعالى أنك لا تعصيه بنعمه عليك، فإن جوارحك كلها من نعمه عليك فلا تعصه بشيء منها.
* ولذلك امتن الله عليهم ورزقهم بنعمة التقوى التي لا توازيها الدنيا بما فيها.

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: «لا يبلغ أحدٌ مقام التقوى حتى لا يكون له فعل ولا قول يفتضح به في الدنيا والآخرة، وقد قال له رجل مرة: متى يبلغ العبد سنام التقوى؟ فقال: إذ وضع جميع ما في قلبه من الخواطر في طبق، وطاف به في السوق لم يستح من شيء فيه.

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٣٤).

(٤) سورة التكاثر: الآية: (٨).

وقال رجل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: أى البلاد تحب لى أن أقيم فيه؟ فقال: ليس بينك وبين بلد نسب، بل خير البلاد ما حملك على التقوى.

* وكانوا يخافون ربهم خوفاً عظيماً ويرجون ثواب هذا الخوف.
فقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٢) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣).

وقال عليه السلام: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» (٤).

وقد قيل للشعبي رحمه الله تعالى مرة: أفطنا أيها العالم، فقال: لا تقولوا لمثلى عالم، فإن العالم هو الذى تقطعت مفاصله من خشية الله.
وكان على بن الحسين إذا توضأ اصفر، فيقال له: ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم.

* وكانوا يخافون من سوء الخاتمة ويهتمون بأمر الموت اهتماماً عظيماً.
فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقبلها كيف يشاء» (٥).

وقال عليه السلام: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» (٦).

(١) سورة الرحمن: الآية: (٤٦).

(٢) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠ : ٤١).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢١٤٠) كتاب القدر، وابن ماجه (٣٨٣٤) كتاب الدعاء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٨٠١).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا رأى أحداً يحمل جنازة يقول لها: امضي إلى ربك فإننا على إثرك ماضون.

وكان مكحول الدمشقي يقول إذا رأى جنازة: اغدوا فإننا رائحون، موعظة بليغة قليلة، وغفلة شنيعة، يذهب الأول والآخر لا يعتبر.

وكان ثابت يقول: كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متلفعاً باكياً. وذلك لأنهم كانوا يتذكرون جنازة أنفسهم، فلا ييكون على الميت، ولكن على أنفسهم.

فجدير بمن الموت مصرعه، والقبر مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة مواعده، والجنة أو النار مورده، ألا يكون له فكر إلا في ذلك، ولا استعداد إلا له.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (١).

قال بعض السلف: إنما تقول الملائكة ذلك لمن طال خوفه من الله عز وجل وحزنه مما فرط منه، أما من لم يخف الله عز وجل ولم يحزن على ما فاته من الخير فلا يقال له شيء من ذلك (٢).

أخي الكريم.. أختي الفاضلة: كانت تلك بعض أحوال سلفنا الصالح رضي الله عنهم مع الاستعداد للقاء الله بالطاعة والحب والخوف والرجاء ومحاسبة النفس، فتلك هي مؤهلات النجاة في ذلك اليوم الذي يشيب لهوله الولدان.

فنسأل الله أن يتغمدنا بعفوه ومغفرته ورحمته.



(١) سورة فصلت: الآية: (٣٠).

(٢) مستفاد من رسالة (من أخلاق السلف) / دكتور أحمد فريد - حفظه الله -.

يا أيها المزمّل

وبعد تلك الرحلة القصيرة مع أحوال سلفنا الصالح -رحمة الله عليهم-
آن الأوان لتنفض غبار الغفلة ونقوم لتزود من الليل للنهار ومن الدنيا
للآخرة.. فلا ندع لحظة واحدة إلا ونملؤها بالطاعة والعبادة والعمل لهذا
الدين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (١)﴾.

إنها دعوة السماء، وكلام الكبير المتعال.. قُمْ.. قُمْ.. قُمْ للأمر العظيم الذي
ينتظرك والعبء الثقيل المهيأ لك.. قم للجهد والنَّصَب، والكَدِّ والتعب، قم
فقد مضى وقت النوم والراحة.. قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد.

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة، تنتزعه ﷺ من دفء الفراش في البيت
الهادئ؛ لتدفع به في الخضمِّ بين الرعازع والأنواء، وبين الشدِّ والجذب، في
ضمائر الناس، وفي واقع الحياة سواء.

قيل لرسول الله ﷺ: ﴿قُمْ﴾، فقام وظل قائماً بعدها أكثر من عشرين
عاماً! لم يسترح، ولم يسكن، ولم يعش لنفسه ولا لأهله، قام وظلَّ قائماً
على دعوة الله، يحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ، ولا ينوء به عبء
الأمانة الكبرى في هذه الأرض، عبء البشرية كلها، وعبء العقيدة كلها،
وعبء الكفاح والجهد في ميادين شتى.

حمل عبء الكفاح والجهد في ميدان الضمير البشري الغارق في أوهام
الجاهلية وتصوراتها، المُنْقَلَبُ بِأَثْقَالِ الْأَرْضِ وجواذبهها، المُكَبَّلُ بِأَوْهَاقِ الشَّهَوَاتِ

وأغلالها، وقام على دعوة الله، وعلى المعركة الدائبة في ميادينها المتفرقة؛ في شظف من العيش، والدنيا مقبلة عليه، وفي جهد وكدٍّ، والمؤمنون يستروحون من حوله ظلال الأمن والراحة، وفي نصَبٍ دائم لا ينقطع... وفي صبر جميل على هذا كله.

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً، ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً، فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير... فما له والنوم؟ وما له والراحة؟ ما له والفراش الدافئ، والعيش الهادئ والمتاع المريح؟! ولقد عرف رسولنا ﷺ حقيقة الأمر وقدره، فقال لخديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مضى عهد النوم يا خديجة». أجل! مضى عهد النوم، وما عاد منذ اليوم إلا السَّهر والتعب والجهاد الطويل الشاق^(١).

بادروا بالأعمال الصالحة

وها هو ميدان المنافسة الحقيقي الذي قال عنه الحق -جل وعلا-: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٢).

فما الذي يمنعك أن تقف في (مضمار السباق) لتسبق الكون كله إلى طريق الجنة وتعلنها قوية من قلبك قبل لسانك وتقول: لن أدع مسلماً يسبقني إلى الله.

قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ»^(٣).

وقال ﷺ: «بادروا بالأعمال الصالحة، فتناً كقطع الليل المظلم، يُصبح

(١) في ظلال القرآن/ سيد قطب (٦/ ٣٧٤٢).

(٢) سورة المطففين: الآية: (٢٦).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

الرجل مؤمناً ويُمسى كافراً، ويُمسى مؤمناً ويُصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل»^(١).

وعن الحسين بن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يُحبُّ معالي الأمور وأشرفها، ويكره سفاسفها»^(٢).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يُحبُّ معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها»^(٣).

وعن كليب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يُحبُّ من العامل إذا عمل أن يُحسن»^(٤).

فما ظنُّك بالعمل للآخرة، وهو العمل كُلُّ العمل.

وقال ﷺ: «المؤمن القوى خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»^(٥).

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفِّيكم إياها»^(٦).
وعن عتبة بن عبد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ رجلاً يُجرُّ على وجهه من يوم وُلد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة»^(٧).

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه الطبراني (١٨١/٦)، رقم (٥٩٢٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٨٩٠).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (١١١/١)، رقم (١٥١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٨٠١).

(٤) حسن: رواه الطبراني (١٩/١٩٩)، رقم (٤٤٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٨٩١).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) حسن: رواه أحمد (١٧١٩٧) مسند الشاميين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٤٩).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كما لا يُجتنى من الشوك العنب، كذلك لا ينزلُ الفجارُ منازل الأبرار، وهما طريقان، فأيهما أخذتم أدركتم إليه»^(١).

وقال ﷺ: «إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس ناساً مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جعل الهموم همّاً واحداً - همّ المعاد - كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا؛ لم يُبال الله في أى أوديتها هلك»^(٣).

أخى، من صفا صفّى له، ومن كدر كدّر عليه، ومن أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره، ومن أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله، وإنما يُكال للعبد كما كال.. فمن أراد المنزلة العليا من الجنة فعليه أن يكون فى المنزلة العليا فى العبادة.

وقال رسول الله ﷺ: «من أراد أن يعلم ما له عند الله، فليُنظر ما لله عنده»^(٤).

وقال ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، إلا إن سلعة الله الجنة»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليترءون أهل الغرف من فوقهم،

(١) صحيح: رواه ابن عساکر (٢٦٠/٦٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٧٦).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٢٣٧) فى مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٢٣).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٢٥٧) فى مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٨٩).

(٤) حسن: رواه أبو نعيم فى الحلية (١٧٦/٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣١٠).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

كما تراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم» (١).

لا ترض عن الجنة بديلاً

وعليك أخي الحبيب بالإخلاص وأنت تقطع هذا الطريق إلى الله..
واعلم بأن الناس إذا مدحوك فلن ينفعوك وإذا أهانوك فلن يضرّوك فعليك أن
تصبر على أذى البشر، فهذا هو طريق الأنبياء - صلوات ربي وسلامه
عليهم -.

قال تعالى حاكياً عن العبد الصالح (لقمان) وهو يعظ ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ
الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ
الْأُمُورِ﴾ (٢).

واعلم بأن الله سيجبر كسرَك مع أول غمسة تُغمسها في جنته.
قال ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي
جَهَنَّمَ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟
فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ
فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟
فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتَ شِدَّةً قَطُّ» (٣).

فاحذر أيها الأخ الكريم أن ترضى عن الجنة بديلاً.
قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ
مَشْكُورًا﴾ (٤).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٥٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة لقمان: الآية: (١٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) سورة الإسراء: الآية: (١٩).

الذى يُريد الآخرة لا بدَّ أن يسعى لها سعيها، فيؤدى تكاليفها، وينهض بتبعاتها، ويُقيم سعيه لها على الإيمان، وليس الإيمان بالتمنى، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل. والسعى للآخرة يُمدُّ بالبصر إلى آفاق أعلى، فلا يكون المتاع فى الأرض هو الهدف والغاية، ولا ضير بعد ذلك من المتاع حين يملك الإنسان نفسه، فلا يكون عبداً لهذا المتاع.

وإذا كان الذى يُريد العاجلة ينتهى إلى جهنم مذموماً مدحوراً، فالذى يُريد الآخرة ويسعى لها سعيها؛ ينتهى إليها مشكوراً، يتلقى التكريم من الملائكة الأعلى، جزاء السعى الكريم لهدف كريم، وجزاء التطلع إلى الأفق البعيد الوضىء. إن الحياة للأرض حياةٌ تليقُ بالديدان والزواحف والحشرات والهوام والوحوش والأنعام، فأما الحياة للآخرة فهى الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله، الذى خلقه فسوّاه، وأودع روحه ذلك السر الذى ينزع به إلى السماء، وإن استقرت على الأرض قدماء... إنها رفرفة الروح إلى آفاق لائقة بكمال الإنسان، أما الذين يقفون عند الحياة الدنيا؛ بما فيها من نقص وهبوط، ويرضونها ويستغرقون فيها، فلا يُنكرون فيها نقصاً، ولا يُدركون أنها لا تصلح أن تكون نهاية البشر، فإنها تهبط بهم ثم تهبط، لأنهم لا يرفعون رؤوسهم إلى قمة، ولا يتطلعون بأبصارهم إلى أفق، إنما يخفضون رؤوسهم وأبصارهم دائماً إلى هذه الأرض وما عليها.

قال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (١).

«من شاء التفاوت الحق، ومن شاء التفاضل الضخم، فهو هناك فى الآخرة. هنالك فى الرقعة الفسيحة، والآماد المتطاولة التى لا حدود لها... وفى ذلك فليتنافس المتنافسون، لا فى متاع الدنيا القليل الهزيل» (٢).

(١) سورة الإسراء: الآية: (٢١).

(٢) الظلال (٤/ ٢٢١٨ - ٢٢١٩).

وقامت القيامة

وبعد موت الخلائق من الملائكة والإنس والجن، فلا يبقى إلا الواحد الديان، فهو القائل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (١). ثم يحيى الله إسرافيل ويأمره بالنفخ في الصور ليقوم الناس من قبورهم إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلاً... الشمس فوق الرؤوس كمقدار ميل. قال تعالى: ﴿وَنَفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (٤).

(١) سورة الرحمن: الآيات: (٢٦-٢٧).

(٢) سورة الزمر: الآيات: (٦٨ : ٧٠).

(٣) سورة غافر: الآيات: (١٥-١٧).

(٤) سورة طه: الآيات: (١٠٢ : ١١١).

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْوَعَ مَا كَانُوا قَطْ، وَأَظْمَأَ مَا كَانُوا قَطْ، وَأَعْرَى مَا كَانُوا قَطْ، وَأَنْصَبَ مَا كَانُوا فَمَنْ أَطْعَمَ لِلَّهِ أَطْعَمَهُ وَمَنْ سَقَا لِلَّهِ سَقَاهُ وَمَنْ كَسَا لِلَّهِ كَسَاهُ وَمَنْ عَمِلَ لِلَّهِ كِفَاهَهُ، وَمَنْ نَصَرَ اللَّهَ أَرَاخَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ».

ويقف الناس في أرض المحشر حيث لا طعام ولا شراب ولا ظل حتى يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ لِلْخَلَائِقِ لِبَدْءِ الْحِسَابِ.. . ويقبل الله شفاعته ويبدأ الحساب.

وهذا اليوم يمر على الكفار والمنافقين خمسين ألف سنة كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (١). ولكنه يمر على المؤمنين، كما قال النبي ﷺ: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر» (٢).

والمؤمنون رغم هذا الوقت القصير يجلسون في ظل عرش الرحمن ويأكلون (زيادة كبد الحوت) تلك الوجبة التي أعدها لهم الرحمن -جل وعلا- ثم يشربون من حوض النبي ﷺ شربة هنيئة لا يظمأون بعدها أبداً.

صور من الحساب

لقد أخبر النبي ﷺ عن صور عديدة تحدث يوم القيامة من محاسبة الله لعباده.. . في ذلك اليوم الذي قال عنه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٣).

(١) سورة المعارج: الآية: (٤).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (١/١٥٨، رقم ٢٨٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨١٩٣).

(٣) سورة الحج: الآيتان: (١-٢).

وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعِ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (١).

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا
مستوحشا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق
على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبد على مهل
فهل ترى فيه حرفا غير ما كانا
فلما قرأت ولم تنكر قراءته
وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي
وامضوا بعبد عصي للنار عطشاناً
المشركون غداً في النار يلتهبوا
والموحدون بدار الخلد سكّانا
وتالله إن مجرد مناقشة الحساب (عذاب).

قال عليه السلام: «من نُوقِشَ الحساب عُذِّبَ» (٢)، وفي رواية: «من نُوقِشَ المحاسبة هلك» (٣).



(١) سورة المعارج: الآيات: (١-٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٣٦) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٧٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) رواه الطبراني في الكبير وأحمد والحاكم وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥٧٩).

اتقوا النار ولو بشق تمرة

قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة» (١).

فأعظم به من موقف وأعظم به من سائل سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (٢).

قال ﷺ: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ فيقول نعم؟ فيقول الله: كذبت قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك» (٣).

وقال ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب! خير منزل، فيقول: سل وتمنّ. فيقول: يا رب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات... لما يرى من فضل الشهادة... ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم: كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب! شرّ منزل فيقول له: أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهباً؟ فيقول: أي رب: نعم فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار» (٤).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥١٢) كتاب التوحيد، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٢) سورة الحاقة: الآية: (١٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٣٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٠٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) صحيح: رواه النسائي (٣١٦٠) كتاب الجهاد، وأحمد (١١٩٣٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٩٦).

سترُفى الدنيا.. ومغفرة فى الآخرة

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول فى النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يُدْنَى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه، فيقررهُ بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أى رب أعرف. قال: فإننى قد سترتها عليك فى الدنيا، وإنى أغفرها لك اليوم، فيُعْطَى صحيفة حسناته، وأما الكفّار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله» (١).

يا رب أين الكبائر؟!!!

إنه مشهدٌ من أجمل مشاهد الفرحة يوم القيامة.
فإن العبد فى ذلك اليوم يهرب من صغائر ذنوبه، ولكن هذا الرجل يبحث عن كبائر ذنوبه.. فيا ترى ما هو السبب؟!
فعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إننى لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يُؤْتَى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا وكذا، فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه. فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا،.... فلقد رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله ضحك حتى بدت نواجذه» (٢).



(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤١) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٧٦٨) كتاب التوبة، واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠) كتاب الإيمان.

يا ليتنى كنت تراباً

رَوَى أَبُو ذَرٍّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى شَاتَيْنِ يَنْتَطِحَانِ فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي فِيمَ يَنْتَطِحَانِ؟» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي وَسَيَقْضَى بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٢).
أَنَّهُ يُحْشَرُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - الْبَهَائِمُ وَالِدَوَابُّ وَالطَّيْرُ وَكُلُّ شَيْءٍ - فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَأْخُذَ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقِرْنَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ كُونُوا تَرَاباً، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَاباً.

ولله در القائل:

مَثَلُ لِقَلْبِكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ

قَدْ كُورَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُضْعِفَتْ

حَرًّا عَلَى رَأْسِ الْعِبَادِ تَقُورُ

وَإِذَا الْجِبَالُ تَعَلَّقَتْ بِأَصُولِهَا

فَرَأَيْتُهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ

وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ

وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كَدُورُ

وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا

خَلَّتْ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُورُ

(١) رواه أحمد (٢٠٩٢٧) مسند الأنصار رحمهم الله، حديث حسن وهذا إسناد ضعيف لجهالة أشياخ منذر الثوري.

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٣٨).

وإذا الوحوش لدى القيامة أُحضرت
وتقول للأملاك أين نسيرُ
فيقال سيروا تشهدون فضائلاً
وعجائباً قد أُحضرت وأمرُ
وإذا الجنين بأمه متعلقُ
خوف الحساب وقلبه مذعورُ
هذا بلا ذنبٍ يخافُ لهـوله
كيف المقيم على الذنوب دهورُ؟

الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان

بل إن الجوارح والأركان تنطق وتعترف بجُرم كل من كفر بالله جل
وعلا، وبذنب كل من عصى الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ
وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١). ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ
وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢). ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا
أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ
الَّذِي ظَنَّتُمْ لِبَرِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ
وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ (٣).

قال ﷺ: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟»

(١) سورة النور: الآية: (٢٤).

(٢) سورة يس: الآية: (٦٥).

(٣) سورة فصلت: الآيات: (١٩-٢٤).

قالوا: لا. قال: «هل تُضارّون، في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟»
 قالوا: لا. قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارّون في رؤية ربكم عز وجل إلا كما
 تضارون في رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول: أى فل ألم أكرمك وأُسودّك
 وأزوجك وأُسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب!
 فيقول: أظننت أنك ملاقى؟ فيقول: لا فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى. ثم يلقى
 الثانى فيقول له: أى فل؟ ألم أكرمك وأُسودّك وأزوجك وأُسخر لك الخيل والإبل
 وأذكرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب! فيقول: أظننت أنك ملاقى؟ فيقول:
 لا. فيقول: إنى أنساك كما نسيتنى. ثم يلقى الثالث. فيقول له مثل ذلك. فيقول:
 رب آمنت بك وبكتابك. وبرسلك وصليت وصُمت وتصدقت ويثنى بخير ما
 استطاع فيقول: ها هنا إذن. ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك ويتفكر في نفسه:
 من ذا الذى يشهد على؟ فيُختم على فيه ويقال لفخذه: انطقى فتنتطق فخذه ولحمه
 وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق الذى يسخط الله عليه»^(١).

قال أنس رضي الله عنه: كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله فضحك ثم قال: «أتدرون مما
 أضحك» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول: يارب
 ألم تُجرنى من الظلم؟» قال: «يقول: بلى» قال: «فيقول: فإنى لا أجيز على
 نفسى إلا شاهداً منى؛ فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين
 شهوداً» قال: «فيُختم على فيه ويقال لأركانه انطقى» قال: «فتنتطق بأعماله ثم
 يُخلّى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه: بُعداً لكنّ وسُحفاً فعنكنّ كنت
 أناضل»^(٢). فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء....
 إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره.



(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠٦) كتاب الأذان، ومسلم (٢٩٦٨) كتاب الزهد والرقائق، واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٩) كتاب الزهد والرقائق.

والوزن يومئذ الحق

إن موازين البشر ليس لها أى قيمة، إلا إذا كانت موافقة لميزان الشرع، ولذلك فإن المؤمن كلما ازداد إيماناً كلما ازداد وزنه فى الآخرة؛ لأنه يوضع فى ميزان ربانى لا يشبه موازين البشر.

ولك أن تتخيل مع ذلك المشهد المهيّب الذى حدث لذلك الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنت أجتنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الأراك (ليأتيه بالسواك) قال: فضحك القوم من دقة ساقى، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «م تضحكون؟» قالوا: من دقة ساقيه. فقال: «والذى نفسى بيده لهى أثقل فى الميزان من أحد»^(١)، أى من جبل أحد، وفى المقابل يقول النبى صلى الله عليه وسلم: «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾»^(٢)»^(٣).

وهذا مشهد نراه فى حياتنا فى كل يوم. . . فقد يرى الناس رجلاً فقيراً، ولكنه من أهل التقوى والصلاح فلا يلتفتون إليه مع أنه قد يكون من أحب الناس إلى الخالق جل وعلا.

قال صلى الله عليه وسلم: «رُبُّ أشعث مدفوعٍ بالأبواب. لو أقسم على الله لأبره»^(٤). . . وفى رواية: «رُبُّ ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره»^(٥).

(١) حسن: رواه أحمد (٣٩٨١) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٥٠).

(٢) سورة الكهف: الآية: (١٠٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٢٩) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٨٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٢) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٥٤) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٧٣).

وفى المقابل فقد يرى الناس رجلاً كافراً أو فاسقاً ولكنه من أصحاب الجاه والمال والرئاسة فيعظمون قدره مع أنه قد يكون من أبغض الناس إلى الخالق - جل وعلا - .

صفة الميزان

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ (٣).

* والقول فى الموزون على أربعة أوجه:

١- أن الأعمال هى التى تُوزن وأن أفعال العباد تُجسَّم فتوضع فى الميزان، . . . قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٤).

٢- أن صحائف الأعمال هى التى توزن، ويدل على ذلك حديث البطاقة .

٣- أن الموزون ثواب العمل .

٤- أن الموزون هو العامل نفسه .

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧) .

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠١-١٠٣) .

(٣) سورة الكهف: الآية: (١٠٥) .

(٤) سورة الزلزلة: الآيتان: (٧-٨) .

قال صاحب معارج القبول - رحمه الله -:

والذى استظهر من النصوص والله أعلم أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن بالجمع بين النصوص ولا منافاة بينهما . . والله أعلم .

سعادة لا شقاء بعدها أبداً

فمن أنس ﷺ قال: «يُؤْتَى بَابَن آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَوْقِفَ بَيْنَ كَفْتَيْ الْمِيزَانِ وَيُوَكَّلُ بِهِ مَلِكٌ، فَإِنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ نَادَى الْمَلِكُ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقُ . . . سَعَدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا، وَإِنْ خَفَّ مِيزَانُهُ نَادَى بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقُ . . . شَقِيَ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا . . .» .

فتفكّر الآن في نفسك إن خلت صحيفتك من المظالم أو تلطّف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد: كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء، وقد خلع عليك خلعة الرضا وعُدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء؟ وعند ذلك طار قلبك سروراً وفرحاً وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهّم تبخترك بين الخلائق رافعاً رأسك خالياً عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلأأ من جبينك، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك في حُسْنِك وجمالِك، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد: هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً . . . أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزنيك؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه، بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله، فلن تدرك ذلك إلا به .

الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

ففى الوقت الذى يحاسب الله فيه عباده.. وقد انقسم الناس فى نوع الحساب إلى صنفين ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾ (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿ (١١).

هنا نجد صنفًا كريمًا على الله سوف يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب... قال ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ^(٢)، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(٣).

وفى رواية: «وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربى»^(٤).

فاللهم اجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.



(١) سورة الانشقاق: الآيات: (٧: ١٢).

(٢) قال الشيخ الألبانى: قلت: قوله: «لا يرقون»، هو مما تفرد به مسلم دون البخارى وغيره، ثم هو شاذ سندًا ومثًا، كما بيته فى محل آخر! وحسبك دليلاً على شذوذه أن النبى ﷺ قد رقى غيره أكثر من مرة! - قلت (محمود): ورقاه جبريل (عليه السلام).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤١) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٣٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢٨٦) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٦٥٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٥٥٥٦).

محاسبة المؤمنين من أهل البلاء

قال الله تعالى: «وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمين ولا خوفين إن هو آمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمته يوم أجمع عبادي» (١).
 فيا من ابتلاك الله في الدنيا فصبرت واحتسبت وعشت على طاعته ولم تتسخط على قضائه.. أبشر بالجزاء الذي يحسدك عليه أهل العافية يوم القيامة... فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُنصب الموازين يوم القيامة، فيؤتى بأهل الصلاة، فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام؛ فيوفون أجورهم بالموازين؛ ويؤتى بأهل الصدقة، فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء، فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، ويُصب عليهم الأجر صباً بغير حساب ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢) حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا، أن أجسادهم تُقرض بالمقارض، مما يذهب به أهل البلاء من الفضل».
 وفي رواية: قال ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرِضت في الدنيا بالمقاريض» (٣).

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم

قال تعالى مصوراً هذا المشهد العظيم الذي يحدث بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة على الصراط: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٤).

(١) حسن: رواه أبو نعيم (١/ ٢٧٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٣٢).

(٢) سورة الزمر: الآية: (١٠).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٢٤٠٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨١٧٧).

(٤) سورة الحديد: الآية: (١٢).

فيخبر -جل وعلا- عن حال عباده الذين آمنوا أنهم يسعى نورهم بين أيديهم . . . وبأيمانهم كتبهم .

قال ابن مسعود: (على قدر أعمالهم يمرون على الصراط . . . منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه، يتقد مرة ويطفأ مرة).

ثم عقب -جل وعلا- بذكر أحوال المنافقين فقال: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١).

قوله: ﴿انظُرُونَا﴾، أى: انظروا إلينا، وقيل بمعنى انتظرونا.

والمراد حينئذ من الانتظار الاقتباس من نورهم، ورجاء شفاعتهم، أو دخول الجنة معهم، طمعاً في غير مطمع، يقولون لهم ذلك حين يسرع بهم إلى الجنة. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ قال الزمخشري: طرد لهم وتهكم بهم، أى: ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أُعطينا هذا النور فالتمسوه هناك فمن ثم يقتبس، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نوراً بتحصيل سببه، وهو الإيمان والعمل الصالح، أو ارجعوا خائبين وتَنَحَّوْا عَنَّا فَالْتَمِسُوا نُورًا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور، وقد علموا أنه لا نور وراءهم وإنما هو تخيب وإقناط لهم.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾، وهو سور الأعراف ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ من ناحية المؤمنين ﴿وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ من ناحية الكفار. ﴿يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٢).

(١) سورة الحديد: الآية: (١٣).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٤).

أى: ينادى المنافقون على المؤمنين، أما كنا معكم فى الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونقف معكم بعرفات، ونؤدى معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ لقد كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾.

أى: فتتم أنفسكم باللذات والمعاصى والشهوات، وتربصتم أى: أخرتم التوبة، وقال قتادة: تربصتم بالحق وأهله ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾، أى: برسالة محمد ﷺ، وبالبعث بعد الموت ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾، أى: قلتم سيغفر لنا ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، أى: مازلتُم فى هذه الحالة بغير توبة حتى جاءكم الموت ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾، أى الشيطان.

قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله فى النار.

قال بعض العلماء: إن للباقي بالماضى معتبراً، وللآخر بالأول مزدجرًا، والسعيد من لا يغتر بالطمع، ولا يركن إلى الخدع، ومن ذكر المنية نسي الأمنية، ومن أطال الأمل نسي العمل، وغفل عن الأجل.

فمعنى قول المؤمنين للمنافقين إنكم كنتم معنا، أى: بالأبدان لا بالقلوب. كنتم معنا بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم فى حيرة وشك وتربص وغرور. ثم بالغ المؤمنون فى توبيخهم وتقريعهم وتقنيطهم، فقالوا: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١)، أى: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبًا ومثله معه ليفتدى به من عذاب الله ما قبل منه، كما لا تقبل الفدية كذلك ممن أظهر كفره وعناده.

وقوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ هى مصيركم وإليها منقلبكم، وقوله تعالى:

﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾، أى: وأولى بكم من كل منزل على كفركم وارتياكم وبئس المصير، ثم قال عز وجل لكل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١).

يقول تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أى تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه...

عن ابن عباس قال: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾. ثم قال عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

فيه إشارة إلى أن الله عز وجل يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدى الحيارى بعد ضللتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيى الأرض الميتة المجذبة الهامدة بالغيث الوابل، كذلك يحيى القلوب ببراهين القرآن والدلائل ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادى لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذى هو لما يشاء فعّال، وهو الحكيم العدل فى جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال.

صرخة نذير

أخى الكريم.. أختى الفاضلة:

أحذركم وأحذر نفسى من النفاق، فإنه الداء العضال الذى يذهب بالدين كله ولا يبقى لصاحبه شيئاً، بل لا يتركه حتى يدخله نار جهنم (أجارنا الله وإياكم منها).

(١) سورة الحديد: الآية: (١٦).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٧).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١).
 بل لقد وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْتُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يَوْمُكُونَ﴾ (٢).

وبقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢) مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (٣).

سمع حذيفة رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهم أهلك المنافقين فقال: (يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك).
 تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين، ساءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحذيفة: (يا حذيفة! نشدتك بالله هل سمانى لك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم؟ قال: لا ولا أركى بعدك أحداً).
 وقال ابن أبي مليكة: (أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل)....
 وذكر عن الحسن البصري (ما أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وما خافه إِلَّا مُؤْمِنٌ).

القنطرة والقصاص بين المؤمنين

وبعد أن فصل الله -جل وعلا- بين أهل الجنة وأهل النار فدخل أهل النار منازلهم في نار جهنم، ويعبر المؤمنون الصراط إلى القنطرة التي بين الصراط والجنة فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، ثم يدخلون الجنة.

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٠).

(٢) سورة المنافقون: الآية: (٤).

(٣) سورة النساء: الآيات: (١٤٢-١٤٣).

إنها القنطرة التي لا يعلم عنها الكثير من الناس شيئاً. فهي القنطرة التي يقتصر فيها المؤمنون من بعضهم البعض... فبعد خروجك من تلك الأهوال وبعد مرورك من على الصراط تظن أن الأمر قد انتهى عند ذلك ولم يبق سوى دخولك الجنة وفجأة تجد نفسك على قنطرة المظالم التي قال عنها النبي ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نُقُوا وهُدِّبُوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدكم بمسكنه في الجنة أدلّ منه بمسكنه كان له في الدنيا» (١).

وإليك تلك الآيات التي تجمع لكم حال أهل النار وأهل الجنة.
قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبِّئَ مَا قَدْ دَخَلْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)﴾ (٢).

كيف ننجو من أهوال يوم القيامة؟

إن أعظم حسنة يأتي بها العبد يوم القيامة لكي ينجو من أهوالها هي حسنة التوحيد لله - جل وعلا -.

قال تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب.

(٢) سورة الزمر: الآيات: (٧١-٧٥).

غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» (١).

ومن هذا القبيل (مشهد البطاقة والسجلات)، فهذا المشهد يوضح لنا كيف ينجو صاحب التوحيد من أهوال يوم القيامة.

فعن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يارب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يارب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء» (٢).

وكذلك ينجيك بعد التوحيد (عملك الصالح) من الفرائض والنوافل وغيرها من سائر أنواع العبادات القلبية والبدنية والقولية.

ومن بين ذلك (على سبيل المثال) قوله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٣٩) كتاب الإيمان، وأحمد (٦٩٥٥) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٧٦).

تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (١)(٢).

وكذلك من أسباب النجاة: محاسبة النفس والبعد عن مظالم البشر.

قال الإمام الغزالي: ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل، لعلمت أنه لا يمضى عليك يوم إلا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام، والشهوات والتقصير في الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتصر فيه للجماء من القرناء؟ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٣)، فكيف بك يا مسكين في يوم ترى فيه صحيفتك خالية من حسنات، طال فيها تعبك؟ فتقول: أين حسناتي؟ فيقال: نُقلت إلى صحيفة خصمائك، وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك. فتقول: يارب هذه سيئات ما قارفتها قط. فيقال: هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المعاملة والمبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة، فاتقِ الله في مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع، ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم من حيث لا يطلع عليه إلا الله فليكثر من الاستغفار لمن ظلمه، فعساه أن يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذي أدخره لأرباب المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم.



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢) ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتابنا (لهيب النار ورياح الجنة) فقد جمعت فيه ما استطعت من أسباب دخول الجنة أو النار... فأسأل الله أن يجمعنا في جنته.

(٣) سورة النبأ: الآية: (٤٠).

وأخيراً... فهل من مشمّر للجنة؟!؟

وبعد أن تكلمنا بإيجازٍ شديدٍ عن الحساب والاستعدادِ ليوم الحسابِ كان لابد لنا من وقفةٍ مع أنفسنا -التي لا تأمرنا إلا بكل سوء ولا تحضننا إلا على كل شرٍّ- لكي نأخذ بزمامها إلى مرضاة الله فلقد علمنا أن يوم الحساب يوم عصيب، فمن أراد النجاة فليتخلص من رق النفس والدنيا والهوى والشيطان، وليكن عبدًا من عباد الرحمن وليحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة، فلقد قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٢).

فلنُسرع الخطأ إلى صراط الله المستقيم ولسان حالنا ومقالنا ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٣).

فأسأل الله -جل وعلا- أن يجمعني وإياكم في جنته إخوانًا على سرٍّ متقابلين... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) سورة الانبياء: الآية: (٤٧).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٤٩).

(٣) سورة طه: الآية: (٨٤).

الفهرس

الصفحة

الموضوع

التوبة يا شباب

- * مقدمة ٧
- * نبى عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ١٠
- * توبة العبد محفوفة بتوبتين من الله (عز وجل) ١٠
- * الله يفرح بتوبتك ١٢
- * كتب الله الرحمة بيده ليدل على عظم المغفرة ١٢
- * تيسير التوبة لأمة الحبيب ﷺ ١٣
- * لمثل هذا اليوم فأعدوا ١٥
- * لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ١٦
- * حملة العرش يستغفرون لك أيها الحبيب ١٧
- * النبى ﷺ خباً دعوته شفاعة لأئمة ١٨
- * خوف الصحابة ﷺ ١٨
- * أصحاب الأنبياء يسألون المغفرة ٢٠
- * النبى ﷺ يتوب فى اليوم مائة مرة وأنت لا تتوب مرة!! ٢١
- * اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عنا ٢١
- * كيف يجتمع اليقين بالمعاد والتخلف عن العمل ٢٢
- * الفرق بين حسن الظن والغرور ٢٣
- * إياك والمعصية ٢٤
- * كلا لا تطعه واسجد واقترب ٢٦
- * لا تشمت بك الأعداء ٢٨
- * لا تغتر بحلم الله (جل وعلا) ٢٩
- * لا تنظر إلى صغر المعصية ٣٠

- * الذنوب . . . وهلاك الأمم من قبلنا . . . ٣١
- * خصال خمس . . . أعوذ بالله أن تدركوهن . . . ٣٣
- * سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . . . ٣٥
- * التوبة . . . والنور على الصراط . . . ٣٦
- * أسألك بعزك وذلى إلا رحمتى . . . ٣٧
- * وقفة مع النفس . . . ٣٧
- * اتق دعوة المظلوم . . . ٤١

يا شباب.. حى على الصلاة

- * حال النبى ﷺ مع الصلاة . . . ٤٧
- * حال سلفنا الصالح مع الصلاة . . . ٤٨
- * الصلاة هى الركن الأعظم بعد الشهادتين . . . ٥١
- * الصلاة إيمان . . . ٥٢
- * الصلاة أم العبادات . . . ٥٢
- * الصلاة شأنها عظيم عند الله . . . ٥٣
- * الصلاة أفضل الأعمال . . . ٥٣
- * الصلاة امتثال لأمر الله (جل وعلا) . . . ٥٤
- * الصلاة تحرر البشرية من العبودية لغير الله . . . ٥٤
- * الصلاة هى عبودية كل الكائنات . . . ٥٥
- * الصلاة هى القاسم المشترك بين كل الأديان . . . ٥٦
- * الصلاة ميزان يُقاس به إيمان العبد . . . ٥٨
- * الناس فى الصلاة على مراتبٍ خمسٍ . . . ٥٨
- * الصلاة شعار ديار المسلمين . . . ٥٩
- * الصلاة . . . مدرسة خُلّقيّة . . . ٦٠
- * الصلاة تنهاك عن فعل المنكرات . . . ٦١
- * مَنْ حفظ الصلاة فقد حفظ دينه . . . ٦١
- * الصلاة صلة بين العبد وربّه (جل وعلا) . . . ٦٢
- * أسهم الإسلام ثلاثة . . . ٦٣

- ٦٤ * المصلى فى حماية الله وحفظه
- ٦٥ * الصلاة تجلب لك الرزق (بإذن الله)
- ٦٧ * الصلاة تجلب لك المزيد
- ٦٨ * الصلاة سبب للنجاة من النفاق ومن النار
- ٦٨ * الصلاة تُرغم أنف الشيطان وأعوانه
- ٦٩ * الصلاة كفارة للذنوب والخطايا
- ٧٠ * الصلاة يكشف الله بها الكربات
- ٧٢ * الصلاة علاج للأمراض النفسية
- ٧٢ * الصلاة سبب للنصر والتمكين
- ٧٤ * الذى ينتظر الصلاة كالفرس المجاهد .. فكيف وهو يصلى؟ ..
- ٧٤ * الملائكة تدعو لمن ينتظر الصلاة .. فكيف بمن يصلى؟ ..
- ٧٤ * خيركم من طال عمره وحسن عمله
- ٧٥ * من الصديقين والشهداء
- ٧٥ * من حافظ على الصلاة لقى الله مسلماً
- ٧٦ * عهد من الله بالمغفرة للمصلين
- ٧٦ * أهل الصلاة هم الفائزون برحمة الله
- ٧٧ * إذا أردت القرب من الله فعليك بالصلاة
- ٧٧ * وإذا أردت القرب من رسول الله ﷺ فعليك بالصلاة
- ٧٨ * الصلاة آخر وصية للنبي ﷺ
- ٧٨ * الصلاة من أسباب النجاة من عذاب القبر
- ٧٩ * الصلاة أمنية السموات والمعذبين
- ٨٠ * إذا صلحت صلاتك صلح سائر عملك
- ٨٠ * الصلاة نور وبرهان ونجاة يوم القيامة
- ٨٢ * الصلاة تحرم أجسادكم على النار
- ٨٢ * النار لا تأكل آثار السجود
- ٨٣ * الصلاة ترفع درجتك فى الجنة
- ٨٣ * الصلاة .. ولذة النظر إلى وجه الله (جل وعلا)

- * ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وهيئة من أعمال الصلاة ٨٤
- * عقوبة تارك الصلاة ٨٧
- ١- ترك الصلاة كفر ٨٧
- ٢- ترك الصلاة من أكبر الكبائر ٨٨
- ٣- تارك الصلاة برئت منه ذمة الله ٨٩
- ٤- ترك الصلاة خيانة للأمانة ٨٩
- ٥- عقوبات متلاحقة لمن ترك الصلاة ٨٩
- ٦- ترك الصلاة تضييع لحقوق عباد الله الصالحين ٩٠
- ٧- ترك الصلاة سبب للوقوع في الشهوات ٩٠
- ٨- تارك الصلاة يُحشر مع أئمة الكفر ٩١
- ٩- ترك الصلاة يُظلم القلب ويسود الوجه ٩١
- ١٠- ترك الصلاة يورث النفاق ٩١
- ١١- ترك الصلاة من أسباب سوء الخاتمة ٩٢
- ١٢- ترك الصلاة من أسباب عذاب القبر ٩٣
- ١٣- تارك الصلاة يُحشر في وادي سقر ٩٤
- * شبهات... والرد عليها ٩٥

القرآن يا شباب

- * مقدمة ١٠١
- * ثمرات حفظ القرآن ١٠٤
- * أهل القرآن هم أهل المنزل السامية ١٠٤
- * أهل القرآن يرجون تجارة لن تبور ١٠٤
- * لا غنى لنا عن كتاب الله (عز وجل) ١٠٥
- * حفظ القرآن يقودك إلى الصراط المستقيم ١٠٥
- * حفظ القرآن استثمار للحظات العمر ١٠٦
- * القرآن علاج لقسوة القلوب ١٠٦
- * القرآن يجعلك تزداد إيماناً ١٠٧
- * لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ١٠٧

- * حفظ القرآن من خصائص هذه الأمة ١٠٨
- * سلفنا الصالح .. وحفظ القرآن ١٠٨
- * حفظ القرآن سهلٌ وميسورٌ ١٠٩
- * حفظة القرآن هم أهل الله ١٠٩
- * لا يستمتع بقيام الليل إلا أهل القرآن ١١٠
- * القرآن يجعلك في صحبة الأخيار ١١٠
- * حافظ القرآن .. دليله بين يديه ١١١
- * كنوز من الحسنات في حفظ القرآن ١١١
- * القرآن حجة لك أو عليك ١١١
- * حفظ القرآن ييسر قراءته في كل وقت ١١٢
- * حفظ القرآن من أسباب النجاة من النار ١١٢
- * حفظ القرآن مهراً للصالحات ١١٢
- * يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ١١٣
- * لا حسد إلا في اثنتين ١١٤
- * إن من إجلال الله إكرام حامل القرآن ١١٤
- * إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ١١٤
- * حفظ القرآن خيرٌ من الدنيا وما فيها ١١٥
- * حافظ القرآن هو خير الناس ١١٦
- * أهل القرآن تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ١١٦
- * حافظ القرآن كالشجرة ذات الريح الطيب ١١٦
- * حفظ القرآن .. والنجاة من فتنة الدجال ١١٧
- * بالقرآن تنال محبة الله (جل وعلا) ١١٧
- * القرآن يفتح لك أبواب الخير ١١٧
- * والقرآن شفاء - بإذن الله - ١١٨
- * القرآن مأدبة الله (عز وجل) ١١٩
- * قارئ القرآن سبب في رحمة والديه ١١٩
- * القرآن .. وتفريج الهموم ١١٩

- * القرآن روحك في أهل السماء ١٢٠
- * قارئ القرآن لا يُرد إلى أرذل العمر ١٢٠
- * حافظ القرآن يُقدم في قبره على غيره ١٢١
- * بالقرآن تنجو من عذاب القبر وتدخل الجنة ١٢١
- * حافظ القرآن في ظل عرش الرحمن ١٢١
- * القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة ١٢٢
- * حافظ القرآن مع السفرة الكرام البررة ١٢٣
- * حافظ القرآن يرتقى في درجات الجنة ١٢٣
- * حال النبي ﷺ عند قراءة القرآن ١٢٤
- * حال السلف مع القرآن ١٢٤
- * حرص السلف على حفظ القرآن ١٢٥
- * الأوقات التي تستحب فيها كثرة القراءة ١٢٧
- * وصايا غالية لأهل القرآن ١٢٧
- * هلا فعلنا مثلما فعلت الجن ١٢٨
- * لا يؤخذ القرآن عن مصحفى ولا العلم عن صحفى ١٢٩
- * وقفة مع النفس ١٢٩
- * مظاهر هجر القرآن ١٣٠
- * أنواع هجر القرآن ١٣١
- * مغبة هجر القرآن ١٣١
- * هؤلاء لم يعرفوا قدر القرآن ١٣٢
- * الأسباب المعينة على حفظ القرآن ١٣٣
- ١- إقامة التوحيد لله (جل وعلا) ١٣٣
- ٢- إخلاص النية لله (جل وعلا) ١٣٣
- * أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ١٣٣
- ٣- الدعاء ١٣٤
- ٤- الاستغفار ١٣٤
- ٥- طهارة النفس من رذائل الأخلاق ١٣٤

- ٦- أن تقصد بتعلمه تحلية باطنك ونقاوة نفسك ١٣٥
- ٧- تحديد وقت معين للحفظ ١٣٥
- ٨- عليك بصاحب يعينك على المداومة ١٣٥
- ٩- لا تشغل بالحفظ عن التلاوة ١٣٥
- ١٠- صلاة الحاجة ١٣٦
- ١١- قراءة تفسير الآيات التي تريد حفظها ١٣٦
- ١٢- التدرج فى الحفظ ١٣٦
- ١٣- ملازمة شيخ مستقن تحفظ على يديه ١٣٦
- ١٤- التزم بمصحف واحد ١٣٦
- ١٥- المداومة على الأذكار والتحسينات ١٣٦
- ١٦- أن تصلى بما تحفظه ١٣٧
- ١٧- قيام الليل ١٣٧
- ١٨- لا تقدم شيئاً على القرآن ١٣٧
- ١٩- عاقب نفسك عند التقصير ١٣٧
- ٢٠- لا تبدأ فى الحفظ إلا بعد إجادة التلاوة ١٣٧
- ٢١- أن تعلم أن حفظ القرآن هو أول طريق العلم ١٣٨
- ٢٢- احذر من الكبر والغرور ١٣٨
- ٢٣- المحافظة على الوضوء مع إحسانه ١٣٨
- ٢٤- الحرص على حسن الخاتمة ١٣٩
- ٢٥- استحضار نعيم الجنة وعذاب النار ١٣٩
- * تعلموا القرآن قبل أن يرفع من المصاحف والصدور ١٣٩

يا شباب.. الوقت هو الحياة

- * قيمة الوقت فى الكتاب والسنة ١٤٦
- * اعرف قيمة الوقت وشرف الزمان ١٤٧
- * خير الناس من طال عمره وحسن عمله ١٤٩
- * نبينا ﷺ .. صاحب العمر المبارك ١٥٠
- * صديق الأمة الأكبر ﷺ ١٥١

- * فاروق الأمة عمر رضي الله عنه ١٥١
- * وقفة للتأمل ١٥٢
- * أبو هريرة رضي الله عنه ١٥٢
- * عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ١٥٣
- * خصائص الوقت ١٥٤
- ١- سرعة انقضاء الوقت ١٥٤
- ٢- أن الوقت أغلى ما يملك الإنسان ١٥٥
- * الخلطة مفسدة للقلب مضيعة للوقت ١٥٦
- ٣- أن الوقت إذا مضى لا يعود ١٥٧
- * سلفنا الصالح .. قيمة الوقت ١٥٨
- * حماد بن سلمة (رحمه الله) ١٥٨
- * عبيد بن يعيش (رحمه الله) ١٥٩
- * ابن عقيل (رحمه الله) ١٥٩
- * أبو يوسف القاضي (رحمه الله) ١٦٠
- * سليم الرازي (رحمه الله) ١٦٠
- * ابن جرير الطبري (رحمه الله) ١٦١
- * الخطيب البغدادي (رحمه الله) ١٦١
- * ابن الجوزي (رحمه الله) ١٦٢
- * شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) ١٦٣
- * النووي (رحمه الله) ١٦٤
- * ابن النفيس (رحمه الله) ١٦٤
- * وقفة مع النفس ١٦٥
- * الدقيقة من عمرك كيف تستثمرها ١٦٦
- * أسباب ضياع الوقت ١٦٩
- * نعوذ بالله من صحبة البطالين ١٧٠
- * واجب المسلم نحو الوقت ١٧٨
- ١- الحرص على الدقائق قبل الساعات ١٧٨

- * قتلة الوقت!! ١٧٩
- * فلا تقعد معهم ١٨٠
- ٢- اطرء الفراغ بالعمل ١٨٠
- ٣- تحرى الأوقات الفاضلة ١٨٢
- * ميزان اليوم .. وميزان العمر ١٨٤
- ٤- تنظيم الأوقات ١٨٥
- * هذا هو عمرك الثانى ١٨٧
- * الإنسان ابن ساعته ١٨٨
- * وأخيراً .. يومك يومك ١٨٩

الشباب.. ولذة الشوق إلى الله

- * مقدمة ١٩٣
- * أنواع الشوق ١٩٦
- * علامة الشوق ١٩٦
- * الشوق إلى لقاء الله .. رأس مال العبد ١٩٧
- * ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة ١٩٧
- * وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ١٩٨
- * والذين آمنوا أشد حبا لله ٢٠١
- * وقفة لطيفة ٢٠٢
- * درجات المحبة ٢٠٣
- * إحداهما فرض لازم ٢٠٣
- * الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين ٢٠٤
- * قلوب تشتااق إلى الله ٢٠٤
- * أبو بكر الصديق يسبق الأمة بحبه لله ٢٠٦
- * اللهم حبنى إليك وإلى ملائكتك ورسلك ٢٠٦
- * غداً نلقى الأحبة ٢٠٦
- * مرحباً بالموت مرحباً ٢٠٦
- * اللهم إنى أحب لقاءك فأحب لقاءى ٢٠٧

- * ٢٠٧ يتمنى أن يتمزق جسده حباً لله
- * ٢٠٨ حكيم بن حزام .. سيد شعاره الحب
- * ٢٠٩ إن تعذبني فإني أحبك
- * ٢١٠ ما وصلت حتى عملت ستة أشياء
- * ٢١١ يحيى بن معاذ .. صاحب الهمة العالية
- * ٢١٢ (الجنيد) تاج العارفين وسيد المحبين فى عصره
- * ٢١٣ كلامٌ من ذهب
- * ٢١٤ الذين أحبههم الله (عز وجل)
- * ٢١٤ محبة الله (جل وعلا) لإبراهيم (عليه السلام)
- * ٢١٤ محبته (جل وعلا) لموسى (عليه السلام)
- * ٢١٥ محبة الخالق للحبيب محمد ﷺ
- * ٢١٦ محبة الله (جل وعلا) لخديجة رضيها
- * ٢١٧ محبة الله (جل وعلا) لفاروق الأمة عمر
- * ٢١٨ رجلٌ يحبه الله ورسوله ﷺ
- * ٢١٨ عرش الرحمن (جل وعلا) يهتز لموته
- * ٢٢٠ ساقه أثقل من جبل أحد
- * ٢٢٠ الله يذكر أبى بن كعب من فوق سبع سماوات
- * ٢٢١ الجنة تشاق إليهم
- * ٢٢١ يطير بجناحيه فى الجنة مع الملائكة
- * ٢٢٢ الملائكة تظله بأجنحتها ... والله يكلمه بغير حجاب
- * ٢٢٤ البراء يقسم على الله .. فيرزقه الشهادة
- * ٢٢٤ علامة المحب على صدق المحبة ست خصال
- * ٢٢٧ وصف الله المحبين بخمسة أوصاف
- * ٢٢٨ المحب لا يفتر من عبادته لله (جل وعلا)
- * ٢٢٩ المحب يشتهى لقاء ربه فى الجنة
- * ٢٢٩ المحب يؤثر ما يحبه الله على كل شيء
- * ٢٣٠ هل يستويان؟! ..

- * والله لا يُلقى الله حبيبه فى النار ٢٣١
- * المحبُّ لا ينشغل عن الله (جل وعلا) ٢٣١
- * أين نحن من اتباع النبى ﷺ ٢٣٢
- * هؤلاء يبغضهم الله (جل وعلا) ٢٣٣
- * كيف تفوز بمحبة الله؟ ٢٣٥
- * أحباب الرحمن (جل وعلا) ٢٣٨
- ١- الحب فى الله ٢٣٩
- ٢- قوة الإيمان والطاعة ٢٣٩
- ٣- حب الأنصار ﷺ ٢٤٠
- ٤- حُب القرآن ٢٤٠
- ٥- تحقيق الإخلاص والتقوى ٢٤٠
- ٦- الزهد فى الدنيا ٢٤٠
- * ثمرات الفوز بمحبة الله (جل وعلا) ٢٤١
- * وأخيراً ٢٤٣

يا شباب ماذا قدمتم لرسول الله ﷺ ؟

- * بين يدى الكتاب ٢٤٧
- * من هنا كانت البداية ٢٤٩
- * الصراع بين الحق والباطل قديم ٢٥١
- * وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين ٢٥٢
- * قدر النبى ﷺ عند ربه (جل وعلا) ٢٥٤
- * إلا تنصروه فقد نصره الله ٢٦٢
- * صور من دفاع الله عز وجل عن نبيه ﷺ ٢٦٣
- * الله عز وجل ينتقم لنبيه ﷺ من أبى جهل ٢٦٤
- * أبو لهب وامراته حمالة الحطب ٢٦٦
- * إن شائنك هو الأبتى ٢٦٧
- * الآية تعم كل من آذى النبى ﷺ ٢٦٨
- * هلاك أبى لهب ٢٦٩

- * هلاك أم جميل (زوجة أبي لهب) ٢٦٩
- * هلاك ابن أبي لهب ٢٧٢
- * عقبة بن أبي معيط ٢٧٤
- * أبي بن خلف ٢٧٤
- * عبد الله بن قمئة ٢٧٥
- * الأرض تلفظ من أراد أن يخدع رسول الله ﷺ ٢٧٦
- * الله يرسل صاعقة على رجل رفض الاستجابة لرسول الله ﷺ ٢٧٧
- * حب الصحابة للنبي ﷺ ودفاعهم عنه ٢٧٨
- * أبو بكر الصديق ومحبه للنبي ﷺ ودفاعه عنه ٢٧٨
- * موقف يعجز القلم عن وصفه ٢٨٠
- * على بن أبي طالب رضي الله عنه يفدى النبي ﷺ ليلة الهجرة ٢٨١
- * الزبير بن العوام رضي الله عنه ودفاعه عن النبي ﷺ ٢٨٢
- * محمد بن مسلمة رضي الله عنه ودفاعه عن النبي ﷺ ٢٨٢
- * حسان بن ثابت رضي الله عنه ودفاعه عن النبي ﷺ ٢٨٣
- * الصحابة يبذلون حياتهم دفاعاً عن النبي ﷺ في يوم أحد ٢٨٤
- * سبعة من الأنصار يبذلون حياتهم دفاعاً عن النبي ﷺ ٢٨٥
- * أوجب طلحة رضي الله عنه يوم أحد ٢٨٥
- * أبو طلحة رضي الله عنه ودفاعه عن النبي ﷺ ٢٨٧
- * كعب بن مالك رضي الله عنه يفدى النبي ﷺ بحياته ٢٨٧
- * سعد بن الربيع رضي الله عنه ووصيته الغالية للأنصار ٢٨٨
- * الملائكة يدافعون عن النبي ﷺ ٢٨٨
- * أم عمارة رضي الله عنها تدافع عن النبي ﷺ ٢٨٩
- * عذراً يا رسول الله ٢٨٩
- * من نوادر الحب والتضحية ٢٩٠
- * من المحن تأتي المنح ٢٩١
- * لو عرف الغرب رسول الله ﷺ لأحبوه ٢٩٢
- * تذكروا مواقف أسلافكم مع النبي ﷺ ٢٩٥

- * أقوال المنصفين ٢٩٧
- * كيف ننصر رسول الله ﷺ ؟ ٢٩٨
- (١) مقاطعة أفكار الغرب ومعتقداته ٢٩٩
- (٢) المقاطعة الاقتصادية ٢٩٩
- (٣) أن نتعلم سيرة الرسول ﷺ ٣٠٢
- (٤) العودة إلى هدى رسول الله ﷺ وسنته ٣٠٢
- (٥) أن ندعو الكون كله إلى دين الله بخلق رسول الله ﷺ .. ٣٠٢

استجيبوا لربكم يا شباب

- * مقدمة ٣٠٧
- * والله يدعو إلى دار السلام ٣١٠
- * التوحيد أولاً ٣١١
- * شجرة في القلب ٣١٢
- * المؤمن يعبد إلهاً واحداً ٣١٣
- * ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ٣١٤
- * كلکم ضالٌّ إلا من هديته ٣١٤
- * الله يفرح بتوبتك ٣١٥
- * حكمة جليلة ٣١٦
- * لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها ٣١٨
- * من استطاع منكم أن يؤثر الله في كل مقام فليفعل ٣٢١
- * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً .. ٣٢٣
- * هيا نتخطى عتبة الأرقم ٣٢٤
- * من يستجيب لنداء الإيمان ٣٢٥
- * نحتاج أن نجدد بيعة العقبة ٣٢٦
- * وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ٣٢٨
- * السبيل إلى لذة الدنيا والآخرة ٣٢٩
- * ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ٣٣٠
- * وتوكل على الحى الذى لا يموت ٣٣١

- * وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ٣٣١
- * وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ٣٣٢
- * تلك هي الهجرة الباقية ٣٣٣
- * السبيل إلى دعوة الناس للاستجابة لأمر الله ٣٣٤
- * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ٣٣٥
- * استجب قبل فوات الأوان ٣٣٦
- * خمس دعوات لأهل النار ٣٣٧
- * خطبة إبليس في النار ٣٣٩
- * موانع الاستجابة ٣٤٠
- ١- الاغترار بكثرة أهل الباطل ٣٤٠
- ٢- اتباع الهوى ٣٤١
- ٣- النشأة في بيئة غير صالحة ٣٤٢
- ٤- الحاجة إلى القدوة الصالحة ٣٤٣
- ٥- عدم السماع ٣٤٣
- ٦- الانشغال بشهوات الدنيا وملذاتها ٣٤٤
- ٧- طول الأمل ٣٤٥
- * كيف نستجيب لأمر الله تعالى ٣٤٦
- * ثمرات الاستجابة في الدنيا والآخرة ٣٥٠
- * على قدر استجابتك تكون استجابة الله لدعائك ٣٥٠
- * هذا بلاغ ٣٥٥

الشباب.. ونعمة الاستقامة

- * مقدمة ٣٥٩
- * الاستقامة طريق النجاة ٣٦١
- * استقامة القلب على التوحيد ٣٦٢
- * فبهذا هم اقتده ٣٦٣
- * خطاب للنبي ﷺ وأمته ٣٦٤
- * معنى الاستقامة عند سلفنا الصالح ٣٦٥

- * صراط الدنيا . . . وصراط الآخرة . . . ٣٦٧
- * لن ينجو أحد منكم بعمله . . . ٣٦٨
- * كيف نستقيم على طاعة الله عز وجل؟ . . . ٣٦٩
- ١- الاعتصام بالله (عز وجل) . . . ٣٦٩
- ٢- المسارعة إلى طاعة الله (عز وجل) . . . ٣٧٠
- ٣- التعايش مع القرآن . . . ٣٧٠
- ٤- الإخلاص ومجاهدة النفس . . . ٣٧١
- ٥- طلب العلم والدعوة إلى الله . . . ٣٧٢
- ٦- الصحبة الصالحة . . . ٣٧٢
- ٧- الدعاء . . . ٣٧٢
- * ثمرات الاستقامة . . . ٣٧٣
- ١- الحياة الطيبة . . . ٣٧٣
- ٢- حفظ الله للعبد . . . ٣٧٤
- ٣- البشرى الطيبة . . . ٣٧٤
- ٤- المرور السريع على صراط الآخرة . . . ٣٧٦
- ٥- الفوز بالجنة والنجاة من النار . . . ٣٧٦
- * ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها (حشرات من ترك الاستقامة) . . . ٣٧٧
- ١- الشقاء المستمر . . . ٣٧٧
- ٢- الموت الحقيقى . . . ٣٧٧
- ٣- تكون منزلته عند الله أحط من الدواب . . . ٣٧٧
- ٤- ضياع أهله وماله . . . ٣٧٨
- ٥- البشارة بالنار عند الموت . . . ٣٧٨
- ٦- يُحشر مع العصاة والمجرمين . . . ٣٧٨

كيف تغض بصرك؟

- * مقدمة الكتاب . . . ٢٨٣
- * غض البصر اصطلاحاً . . . ٢٨٦
- * النظر أصل عامة الحوادث . . . ٢٨٦

- * أكثر المعاصي من فضل الكلام وإرسال النظر ٣٨٦
- * النظر سهم سُم إلى القلب ٣٨٧
- * البصر هو الباب الأكبر إلى القلب ٣٨٧
- * إطلاق البصر منقصة للرجل الشريف ٣٨٨
- * الأدلة على وجوب غض البصر ٣٨٩
- * الأدلة من القرآن الكريم ٣٨٩
- * الأمر بغض البصر للرجال وللنساء ٣٩١
- * ما السر في تقديم غض البصر على حفظ الفرج؟ ٣٩١
- * وقفة لطيفة ٣٩٢
- * الأدلة من السنة المطهرة ٣٩٥
- * الدليل الأول ٣٩٥
- * الدليل الثاني ٣٩٥
- * الدليل الثالث ٣٩٥
- * الدليل الرابع ٣٩٦
- * الدليل الخامس ٣٩٦
- * الدليل السادس ٣٩٦
- * الدليل السابع ٣٩٧
- * سلفنا الصالح . . ونعمة غض البصر ٣٩٧
- * مغبة إطلاق البصر إلى الحرام ٣٩٩
- * النظر المحرم قد ينتهي بصاحبه إلى الشرك ٤٠٠
- * وبالمثال يتضح المقال ٤٠١
- * خلاصة كلام مؤتمر الإعجاز الطبى فى القرآن ٤٠٣
- * فوائد غض البصر ٤٠٣
- * هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ٤٠٧
- * أقسام النظر إلى النساء وأحكامها ٤٠٨
- * الوسائل المعينة على غض البصر ٤١٠
- * معوقات غض البصر ٤١٣

- ١- عدم مراقبة الله (جل وعلا) ٤١٣
- ٢- نسيان الآخرة ٤١٣
- ٣- أصدقاء السوء ٤١٤
- ٤- تبرج النساء ٤١٤
- ٥- الدش والتلفاز والإنترنت ٤١٥
- ٦- الاختلاط بين الشباب والبنات فى المدارس والكلليات وأماكن العمل ٤١٦
- ٧- هجر الذكر والقرآن ٤١٧
- ٨- الفراغ القلبي والعاطفى ٤١٧
- * وأخيراً ٤١٧

يا شباب.. احذروا العادة السيئة

- * مقدمة ٤٢١
- * من هنا نبدأ ٤٢٤
- * الأدلة على تحريم العادة السيئة ٤٢٥
- ١- الدليل الأول ٤٢٥
- ٢- الدليل الثانى ٤٢٦
- ٣- الدليل الثالث ٤٢٦
- ٤- الدليل الرابع ٤٢٧
- * أسباب تحريم العادة السيئة ٤٢٨
- ١- الاستمناء حرام؛ لأنه معصية لله (جل وعلا) ٤٢٨
- ٢- الاستمناء حرام لأنه تضييع لماء الحياة ٤٢٩
- ٣- لأن فيه تضييع للفرائض والواجبات ٤٢٩
- ٤- الاستمناء حرام لأنه يذهب الحياء ٤٢٩
- ٥- الاستمناء حرام لأنه تدمير لنسل المسلمين ٤٣١
- ٦- الاستمناء حرام لأنه إهدار لحق الزوجة ٤٣١
- ٧- الاستمناء حرام لأنه يدمر الجسد ٤٣١
- ٨- الاستمناء حرام لأنه من الزنا ٤٣٣

- ٩- الاستمناء حرام لأنه طريق إلى الزنا واللواط ٤٣٣
- * الأسباب التي تدفع الشباب إلى ممارسة العادة السيئة ٤٣٤
- ١- ضعف الإيمان ٤٣٤
- ٢- الجهل بأسماء الله وصفاته ٤٣٤
- ٣- أصدقاء السوء ٤٣٥
- ٤- عدم غض البصر ٤٣٦
- * فوائد غض البصر ٤٣٧
- ٥- الاختلاط بين الشباب والبنات ٤٣٩
- ٦- الفراغ القلبي والعملى ٤٤٠
- ٧- الاسترسال فى الخواطر والأمانى ٤٤٠
- ٨- التعلق بشهوات الدنيا ونسيان الآخرة ٤٤٢
- ٩- تبرج النساء ٤٤٢
- ١٠- اتباع خطوات الشيطان ٤٤٣
- ١١- ضعف رقابة الآباء على الأبناء ٤٤٣
- * كيفية الإقلاع عن هذه العادة السيئة ٤٤٤
- ١- الاستعانة بالله (جل وعلا) ٤٤٤
- ٢- تجنب أسباب الوقوع فى تلك العادة ٤٤٥
- ٣- التعرف على الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ٤٤٥
- ٤- السعى لإرضاء الله (جل وعلا) ٤٤٧
- ٥- دفع الخواطر الرديئة والوساوس ٤٤٧
- ٦- الزواج الشرعى ٤٤٨
- ٧- الصيام ٤٤٩
- ٨- استحضار الحياء من الله (جل وعلا) ٤٤٩
- ٩- طرح الأعذار الواهية ٤٥٠
- ١٠- غض البصر ٤٥١
- ١١- البعد عن أصدقاء السوء ٤٥٣
- ١٢- تجنب الوحدة ٤٥٣

- ١٣- الالتزام بالآداب الشرعية عند النوم ٤٥٣
- ١٤- ممارسة بعض الألعاب الرياضية ٤٥٥
- * نصيحة غالية ٤٥٦
- ١٥- عدم الاستسلام لأى فتنة ٤٥٦
- ١٦- الحذر من فتح أبواب الفتن ٤٥٧
- ١٧- التحلى بالصبر والعفة ٤٥٧
- ١٨- قراءة سير السلف الصالح من أهل العفاف ٤٥٨
- * عبد الله بن حذافة .. شامة فى جبين التاريخ ٤٥٨
- * الربيع بن خثيم (رحمه الله) ٤٥٩
- * أبو بكر المسكى .. وعفه تفوق الخيال ٤٦٠
- ١٩- الاشتغال بالعبادة والانهماك فى الدعوة ٤٦١
- ٢٠- التطلع إلى الجزاء المترتب على تركها ٤٦٢
- ٢١- كثرة الدعاء ٤٦٢
- ٢٢- عدم اليأس والقنوط ٤٦٣
- ٢٣- كثرة العمل الصالح بعد كل ذنب ٤٦٣
- ٢٤- الخوف من سوء الخاتمة ٤٦٤
- ٢٥- تذكر نعيم الجنة والحدور العين ٤٦٤
- * وأخيراً ٤٦٥

الشباب والطريق إلى العفاف

- * مقدمة ٤٦٩
- * فتنة النساء ٤٧١
- * الترهيب من الزنا ٤٧٢
- * ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ٤٧٤
- * يزداد الجرم وتزداد العقوبة ٤٧٥
- * الزنا يجمع خلال الشر كلها ٤٧٥
- * كان النبى ﷺ يبايع الرجال والنساء على ترك الزنا ٤٧٨
- * كما تدين تدان ٤٧٨

- * الضمانات الوقائية لعدم الوقوع فى الزنا ٤٨٠
- * تيسير الزواج وعدم المغالاة فى المهور ٤٩٠
- * سعيد بن المسيب يزوج ابنته على درهمين ٤٩٢
- * كان مهرها الإسلام ٤٩٣
- * التزويج على القرآن وبغير صداق ٤٩٥
- * لا تتبعوا خطوات الشيطان ٤٩٦
- * إطلاق البصر ذريعة إلى الوقوع فى الفاحشة ٤٩٦
- * فضل العفة والاستعفاف ٤٩٧
- * العفة سب لتفريج الكربات ٤٩٨
- * النبى ﷺ يحض الأمة على العفة ٤٩٩
- * ثلاثة حق على الله عونهم ٥٠٠
- * أنواع العفة ٥٠١
- * تمام العفة ٥٠٢
- * شروط العفة ٥٠٢
- * لذة العفة أعظم من لذة قضاء الوطر ٥٠٢
- * الدوافع التى تدفع إلى العفة والاستعفاف ٥٠٣
- * إنهم حقًا أصحاب قلوب طاهرة ٥٠٤
- * وبالمثال يتضح المقال ٥٠٥
- * عثمان بن طلحة.. وعفة تفوق الخيال ٥٠٨
- * إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ٥٠٩
- * عطاء بن يسار.. والمرأة البدوية ٥١٠
- * عبيد بن عمير.. قمة فى المراقبة ٥١٢
- * ثمرات العفة والاستعفاف ٥١٣
- * الطريق إلى العفاف ٥١٦

الشباب.. واللقة الحلال

- * ويرزقه من حيث لا يحتسب ٥٢١
- * ما هو الرزق؟؟!!! ٥٢٢

- * وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ٥٢٣
- * إن أعظم رزق بعد الإسلام.. أن تتوق نفسك للجنة فتعمل بعمل أهلها ٥٢٦
- * كثرة الأموال ليست دليل الكرامة على الله ٥٢٧
- * النعم ثلاثة ٥٢٨
- * تحرى الحلال أمانة واجبة ٥٢٩
- * المال الحرام يحول بينك وبين قبول العبادة ورفع الدعاء ٥٣٠
- * المعاصى تزيل النعم ٥٣١
- * المعاصى تحقق بركة الرزق ٥٣٤
- * وبالمثال يتضح المقال ٥٣٧
- * قصة قارون ٥٣٧
- * قصة قوم سبأ ٥٤١
- * وضرب الله مثلاً ٥٤٤
- * هكذا الدنيا وأهلها ٥٤٤
- * أسباب الرزق الحلال ٥٤٧
- ١- الإيمان والتقوى ٥٤٧
- ٢- إقامة شرع الله ٥٥٠
- ٣- التفرغ لعبادة الله - جل وعلا - ٥٥٠
- * وبالمثال يتضح المقال ٥٥٣
- * وفى السماء رزقكم وما توعدون ٥٥٣
- ٤- الاستقامة ٥٥٦
- ٥- التوكل ٥٥٧
- ٦- الاستغفار والتوبة ٥٥٩
- ٧- صلة الرحم ٥٦١
- ٨- الصلاة ٥٦٢
- ٩- الشكر ٥٦٣
- ١٠- المتابعة بين الحج والعمرة ٥٦٣

- ١١- الهجرة في سبيل الله ٥٦٤
- ١٢- الجهاد في سبيل الله ٥٦٥
- ١٣- الزواج ٥٦٦
- ١٤- الدعاء ٥٦٧
- ١٥- الصدقة ٥٦٨
- * صور مشرقة من الإنفاق في سبيل الله ٥٧٠
- ١٦- الإنفاق على طلبية العلم الشرعى ٥٧٥
- ١٧- الإحسان إلى الضعفاء ٥٧٧
- ١٨- السعى والأخذ بالأسباب ٥٧٨
- * وقفة مع سورة الواقعة ٥٧٩
- * كلمة أخيرة ٥٨٠
- * أخى الكريم .. أختى الكريمة ٥٨١

خطر ممنوع الاقتراب

- * مقدمة ٥٨٥
- * الحلف بغير الله (جل وعلا) ٥٨٨
- * شدُّ الرحال إلى مقابر الأولياء ٥٨٨
- * عقوق الوالدين وقطيعة الرحم ٥٨٩
- * مصاحبة أهل الفسوق والعصيان ٥٩٠
- * الكذب ٥٩١
- * الغيبة ٥٩٢
- * النميمة ٥٩٤
- * عدم تحرى الحلال ٥٩٥
- * ترك الصلاة أو تأخيرها ٥٩٥
- * ترك الطمأنينة في الصلاة ٥٩٦
- * ترك صلاة الجمعة ٥٩٧
- * ترك صلاة الجماعة في المسجد ٥٩٨
- * أكل الثوم والبصل عند الذهاب إلى المسجد ٥٩٩

- * إفطار رمضان بلا عذر ولا رخصة ٦٠٠
- * ترك الحج مع القدرة عليه ٦٠٠
- * ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٦٠١
- * إيذاء الجار ٦٠٢
- * شهادة الزور ٦٠٣
- * أخذ الرشوة وأعطائها ٦٠٣
- * قذف المحصنات ٦٠٤
- * شرب الخمر ٦٠٥
- * تتبع عورات المسلمين ٦٠٦
- * لبس الحرير ٦٠٧
- * لبس الذهب ٦٠٧
- * الغش في البيع والشراء ٦٠٨
- * سماع الأغاني والمعازف ٦٠٨
- * التدخين ٦٠٩
- * اللعب بالنرد ٦١٠
- * عدم غض البصر ٦١٠
- * الخلوة بالمرأة الأجنبية ٦١١
- * التشبه بالنساء ٦١٢
- * الدياثة ٦١٢
- * السفر لجمع المال . . . وترك الزوجة ٦١٣
- * مصافحة النساء الأجنبية ٦١٤
- * اللواط ٦١٤
- * الزنا ٦١٥
- * وطء الزوجة في حيضها ٦١٦
- * إتيان الزوجة في دبرها ٦١٦
- * ممارسة العادة السيئة ٦١٧
- * حلق اللحية ٦١٨

- * نتف الشيب من اللحية أو الرأس ٦١٨
- * وصل الشعر والوشم ٦١٨
- * القزع ٦١٩
- * إسبال الثياب ٦٢٠
- * عدم الاستتار عند قضاء الحاجة ٦٢٠
- * عدم الاستنزاه من البول ٦٢١
- * منع الأجير حقه ٦٢١
- * عدم العدل بين الزوجات ٦٢٢
- * عدم العدل بين الأولاد ٦٢٢
- * المضارة في الوصية ٦٢٣

يا شباب.. احذروا هاذم اللذات

- * مقدمة ٦٢٧
- * لا تغفلوا عن الحقيقة الكبرى ٦٢٩
- * أكثروا ذكر هاذم اللذات ٦٣٠
- * أثر تذكر الموت في إصلاح النفوس ٦٣١
- * من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء ٦٣٢
- * استحباب زيارة القبور للرجال ٦٣٢
- * خير الناس من طال عمره وحسن عمله ٦٣٣
- * الموت كفارة لكل مسلم ٦٣٤
- * لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ٦٣٤
- * من أحب الجنة فليحب الموت ٦٣٥
- * لا يكره الموت إلا أحد رجلين ٦٣٥
- * كراهة تمنى الموت بسبب كثرة الابتلاءات ٦٣٦
- * تمنى الموت يقع على وجوه ٦٣٧
- * الموت مصيبة... والغفلة عنه من أعظم المصائب ٦٣٨
- * قل يتوفاكم ملك الموت ٦٣٩
- * مشهد السكرات ونداء ملك الموت ٦٤٠

- * الذى يخفف عنه سكرات الموت ٦٤١
- * لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله ٦٤١
- * يا لها من لحظات ٦٤١
- * ويا لها من كرامة ٦٤٦
- * أتدرى ماذا يقول النعش ٦٤٧
- * بعض القصص الذى يبين لنا مشاهد الحسرة والفرحة عند لقاء الموت ٦٤٨
- * كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين ٦٥٠
- * تخيير الأنبياء عند الموت ٦٥١
- * إنك ميت وإنهم ميتون ٦٥٢
- * إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله ٦٥٣
- * وما تدرى نفس بأى أرض تموت ٦٥٣
- * ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ٦٥٤
- * وقفة لطيفة ٦٥٤
- * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ٦٥٥
- * من مات فقد قامت قيامته ٦٥٦
- * إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ٦٥٦
- * رحلة أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين ٦٥٧
- * فأما إن كان من المقربين ٦٦١
- * كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ٦٦٢
- * تلاقى أرواح المؤمنين ٦٦٣
- * بشارات للمؤمنين من رب العالمين ٦٦٣
- * مشاهد الحسرة عند الموت للعصاة والكافرين ٦٦٥

اقتربت الساعة يا شباب

- * مقدمة ٦٧١
- * الاستعداد ليوم الرحيل ٦٧٤
- * كلمات على فراش الموت ٦٧٤

- ٦٧٦ * سلفنا الصالح والاستعداد للآخرة
- ٦٨٣ * يا أيها المزمّل
- ٦٨٤ * بادروا بالأعمال الصالحة
- ٦٨٧ * لا ترضَ عن الجنة بديلاً
- ٦٨٩ * وقامت القيامة
- ٦٩٠ * صور من الحساب
- ٦٩٢ * اتقوا النار ولو بشق قمرة
- ٦٩٣ * ستر في الدنيا .. ومغفرة في الآخرة
- ٦٩٣ * يا رب أين الكبائر؟!!!
- ٦٩٤ * يا ليتني كنت تراباً
- ٦٩٥ * الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان
- ٦٩٧ * والوزن يومئذ الحق
- ٦٩٨ * صفة الميزان
- ٦٩٩ * سعادة لا شقاء بعدها أبداً
- ٧٠٠ * الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب
- ٧٠١ * محاسبة المؤمنين من أهل البلاء
- ٧٠١ * ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
- ٧٠٤ * صرخة نذير
- ٧٠٥ * القنطرة والقصاص بين المؤمنين
- ٧٠٦ * كيف ننجو من أهوال يوم القيامة؟
- ٧٠٩ * وأخيراً... فهل من مشمّر للجنة؟!
- ٧١١ * الفهرس



تم التجهيز والزناكات بمكتب

العابـد

للتجهيزات الفنية

مونتاج - زناكات

0185309021 - 0111014355

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

